جواهر الأدب

في

أدبيّات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المرحوم السّيد أحمد الهاشمي
مدير مدارس فؤاد الأول
ومراقب مدارس فيكتوريا سابقا

الجزء الثاني

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص.ب ٥٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن السابع فى تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشر

المقدمة الأولى فى التاريخ

التاريخ : هو معرفة أَخبار الماضين وأَحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، واعتقادهم ، وأَدبهم ، ولُغتهم .

والأَدب : (كل رياضة محمودة يتخَرَّجُ بها الإِنسان فى فضيلة من الفضائل) وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ، والمُحاكاةِ ، تكون أَيضاً بمزاولة الأَقوال الحكمية التى تضمنتها لغة أى أُمة .

واللغة : أَلفاظٌ يُعبِّر بها كل قوم عن أَغراضهم ، وهى من الأَوضاع البشرية .

وأَدبُ لغة أَىّ أُمة : هو ما أُودع شعرها ونثرها من نتائج عُقول أَبنائها وصور أخيلتهم وطباعهم ، مما شأنه أَن يهذب النفس ، ويُثقف العقل ، ويُقَوِّم اللسان .

وتاريخ أَدب اللغة : هو العلم الباحثُ عن أَحوال اللغة ، نثرها ونظمها فى عصورها المختلفة من حيث رفعتُها وضعتها ، وعما كان لنابغيها من التأْثير البيِّن فيها .

واللغة العربية : إِحدى اللغات السَّامِيَّة ، وهى لغة أُمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر ، التى كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إِليها فى الطرف الغربى من آسيا .

وهذه الأُمة : منها القدماءُ ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة ، وينطقون باللغة العربية سليقةً وطبعاً ، وهم ثلاثُ طبقات :

أُولاها ــ العرب البائدة : وهؤلاءِ لم يصل إِلينا شيءٌ صحيح عن أَخبارهم إِلا ما قصه اللهُ علينا فى القرآن الكريم ، وإِلا ما جاءَ فى الحديث النبوى ، ومن أَشهر قبائلهم : طسم ، وجديس ، وعادٌ ، وثمودُ ، وعمليق ، وعبدُ ضخْم .

وثانيتها - العرب العاربة : وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازلَ لهم ، ومن أُمهات قبائلهم : كهلان وحِمير .

وثالثتُها - العرَب المُستعرِبة : وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين والممتزجون بهم لغة ونسباً ، والمعروفون بعد بالعدنانيين ، ومن أُمهات قبائلهم : رَبيعة ، ومُضرُ ، وإيادٌ ، ونزار .

ومنها المُحدَثون : وهم سلائل هؤلاءِ الأَقوام الممتزجون بسلائل غيرهم ، والمنتشرون بعد الإسلام فى بقاع الأَرض من المحيط الأَخضر (الأَطلنطى) إلى ماوراءَ بحر فارس ودجْلة ، ومن أَعالى النهرين إلى ما وراء جاوَه وسُومطْرَة .

المقدمة الثانية فى توضيح بعض ما فى المقدمة الأُولى

اعلم أَنه يُوجَدُ فى الجنوب الغربى من آسيا إقليم واسع الأَرجاءِ ، تبلغ مساحته رُبعَ أوربا تقريباً ، تسَاهل الأَقدمون فسمُّوه (جزيرة العرب) مع أَن الماءَ لم يحط به من جميع جهاته .

يتأَلف غَرْبى هذا الإقليم مِن جُزْءين شهيرين : الحجاز شمالاً ، واليمن جنوباً . أَما الحجاز فقطْر فقير ، قلَّت مياهه ، وأَجدبتْ أَرضه ، واشتدت حرارته ، يعتمد أَهله على الأَودية القليلة ، والآبار الشحيحة ، لم يستطيعوا أَن ينتفعوا كثيراً بالماءِ الذى ينزلُ مِنَ السماء ، لأَنهم لم يبلغوا من الفنون مبلغاً يمكنهم من اختزانه واستخدامه عند الحاجة إليه ، وأَشهر مُدنه مكة والمدينة والطائف .

وأَما اليمن فقد اشتهرَ قديماً بالغنى والخِصب والحَضارة ، كثرت أَمطاره وسيوله وعرَفَ أَهلُه بما أُوتوا من فن أَن ينتفعوا بها ، فأَنشأُوا السدود يسيطرون بها على الماءِ جَمعاً وتصريفاً ، وأَشهرُ مدنه صنعاءُ ، وجران ، وعدَنَ .

وهذان القطِران - أَعنى الحجاز واليمن - أَبعدُ البلادِ أَثرًا فى حياةِ العرب ، وفى تاريخهم السياسى ، والاقتصادى ، والأَدبى .

وإذا وقع نظرك على (مصور) جزيرة العرب فأَبْيَنُ ماترى فيها وأبعده مدًى صَحْراؤها فى داخلها، وهى متنوعة فى طبيعتها، فسهلة لينة حيناً، وصلبة انتثرت فيها الحصباءُ حيناً، ومفروشة بحجارة سوداء تسمى الحرار حيناً. وهذه الصحراءُ فى جملتها قفر، تسطع الشمس عليها فى الحر فتلفح أرضها وأهلها، ويعتمد ساكنوها على ما تُنبته البِقاع عقب المطر فترعاه إبلهم وشياههم؛ وهم يأكلون من لحُومها، ويشربون من أَلبانها، ويلبسون من أَصوافها وأَوبارها.

المقدمة الثالثة فى نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النسَّابُون أن يُقسِّموا الشعوب إلى أجناس، ويُسمُّوا كل جنس باسم خاص يجمعها فاعتادوا أن يُسَمُّوا الجنس الذى منه العرب (الجنس السامى) نسبة إلى (سام بن نوح) عليه السلام، وعدوا من هذا الجنس البابليين والأشوريين والعبرانيين والفينيقيين والأَرمينيِّين والحبشيِّين. ولكن هذا كله لا يزال موضع خلاف بين علماءِ الأَنساب؛ كما اختلفوا فى أن أصل (الجنس السامى) نشأَ فى آسيا (فى جزيرة العرب أو أَرمينيَّة أَو على شاطئ الفرات) أَو نشأَ فى إفريقيَّة ثم نزح منها إلى آسيا.

ومن قديم وهؤلاءِ العربُ ينقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنوب (اليمانيين) ويذكر النسَّابون أن عرب الشمال يرجعون فى نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويُسمُّون النزاريين نسبة إلى نزار من نَسل إسماعيل، وعرب الجنوب من نسل قحطان، ويُسمُّون اليمانيين أَو القحطانيين، وبين هذين النوعين من العرب فروق ترجع فى جملتها إلى أن عرب الحجاز تغلب عليهم عيشة البداوة، وعرب اليمن يعيشون عيشة حضارة.

ولسنا نقصد أن عرب الشمال كانوا يسكنون الحجاز فحسبُ وعرب الجنوب كانوا يسكنون اليمن ولا يتعدونها، بل نعنى أن كلا من الحجازيين واليمانيين

عُنصر يختلف فى نَسبه ودمه عن العنصُر الآخر ، ولكن كانت بين العنصرين صِلاتٌ ، ورَحل قوم من كل فريق إلى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها ، فكان فى الحجاز عرب من اليمن وكان فى اليمن عرب من الحجاز .

وكل من اليمانيين والحجازيين ينقسمون إلى قبائل .

فاليمانيون يتفرّعون إلى فرعين كبيرين : شعب كهلان وشعب حِمْير .

فشعب كهلان : قبائله طيّئ ، وهَمدان . ولخم ، وكِنْدَة .

وشعب حمير : أشهر قبائله قُضَاعة ، وتنوخ ، وكلب .

والحجازيون : كذلك ينقسمون إلى قسمين كبيرين : ربيعة ، ومُضر .

فشعب ربيعة : أشهر قبائله بكر ، وتغْلِب .

وشعب مُضر : أشهر قبائله قيس ، وتميم ، وهُذيل ، وكنانة ، وقريش ، وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاذ يطول عدها ، وكان بين هذه القبائل – حتى ما كان منها من أصل واحد – من الحروب ، والمنازعات ، والتهاجى ما ملئت به كتب التاريخ والأدب .

المقدمة الرابعة فى اللغة العربية

وإذ قد ذكرنا قبلُ أن العرب والعبرانيين ومن إليهم يُعدُّون (ساميين) فلغاتهم التى يتكلمون بها تسمى (لغات سامية) فاللغة العربية إحدى اللغات السامية وقد عرفت على النحو الذى نعلمه ، حول آخر القرن الخامس للميلاد .

ويذهب الباحثون فى علم المقارنة بين اللغات إلى أن اللغة العربية من أقرب اللغات إلى اللغة الأصلية التى تفرعت منها اللغات السامية ، نظراً لاحتباس العرب فى بلادهم وقلة النازحين منها والوافدين إليها ، وضعف العلاقة بين أهلها وغيرهم من الأُمم .

وكما انقسم العرب إلى حجازيين ويمانيين انقسمت لغتهم إلى مُضرية

وحِميرية وكانت هناك فُروق بين اللغتين عَظيمةٌ فى الأَلفاظ اللغوية ، وفى الصِّيَغ وفى التراكيب ، وفى اللهجات؛ ولكن حدث قبيل الإسلام أن أخذت لغة الحجاز ، وبعبارة أدق (لغة قريش) تسود وما زالت كذلك حتى ظفرت باللغة الحميرية ، وحتى صارت (لغة قريش) هى لغة جزيرة العرب جميعاً . وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية ، ودينية ، واقتصادية ستأتى الإشارة إليها بعد .

المقدمة الخامسة فى تاريخ الأُمة العربية

ليس تاريخ الأُمة العربية قبل الإسلام معروفاً محققاً ، لأن أكثر الأُمة كانوا أهل بَدو لم تمكنهم بداوتهم من أن يُدَوِّنوا تاريخهم ، أو ينقشوا حوادثهم حتى أن الذين تحضروا منهم كاليمانيين والحميريين لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم ، وإنما يَعتمدُ الذين يؤرخون للعرب قبل الإسلام على هذا القليل من الآثار ، وعلى ما كتبه أهل عصرهم من الأُمم الأُخرى كاليونان ، والرومان ، والمصريين ، والعبريين ، والحبشيين ، وعلى ما يستنبطون من بعض نصوص أدبية . ولنقصر الآن كلامنا على حالة العرب قُبيل الإسلام ، فإن اللغة العربية التى نعنى بآدابها وتاريخها إنما عُرفت فى هذا العصر .

هذا العصر سمَّاه القرآن الكريم (الجاهلية) ونسبنا إليه فقلنا : العصر الجاهلى ، والأَدب الجاهلى ؛ وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلب فيه من السفه والفخر بالمال والأَنساب والإمعان فى سفك الدماء والعصبية الحادة ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه ، وقد نُقل إلينا كثير مما يدل على حالة هذا العصر الاجتماعية والسياسية من شعر وأمثالٍ وقصص ، ولكنها كلها لم تُدوّن فى الكتب إلا فى القرن الثانى والثالث للهجرة ؛ فكان بعضها مثاراً لنقد الناقدين وأخذ العلماء والأُدباء من قديم يمحصونها ، ويُصَحِّحون بعضاً ويكذبون بعضاً ، ولكن بجانب ذلك وَرد كثير من آيات القرآن الكريم

وصحيح الحديث يروى لنا الشيءَ الكثير عن هذه الحياة الجاهلية ، ويكشف لنا من غموضها .

ويدلنا ماصحّ من تاريخهم على أنه قد أُنشيءَ على تُخوم جزيرة العرب الشمالية إمارتان كبيرتان : إمارةُ الحيرة فى العراق بجوار الفرس ، وإمارة الغساسنة فى الشام بجوار الرومان ، وكان يحكم هاتين الإمارتين أُمراءُ من العرب يتبعون فى نظامهم نظام الدول المجاورة لهم . فإمارة الحيرة تتبع فى كثير من شئونها نظام الفرْس وإمارة الغساسنة تتبع فى كثير من شئونها نظام الرومان .

وكان سكان هاتين الإمارتينِ وسكان اليمن فى الجنوب يعيشون عيشة حضارة يزرعون ويصنعون ، وكثير من سادتهم مُترَفون . وقد روى لنا الكثير عن ترف أُمراءِ الغساسِنة فى الشام ، وعن حضارة الحيريين ، وماكان لهم من خَوَرْنَق وسدير .

أَما داخل الجزيرة والحجاز ، إذا أَنت استَثْنَيتَ بعض سكان المدن المشهورة ـ كمكة ويثرِب والطائف ـ فكانوا أَهل بدو يحتقرون الزراعة والصناعة والتجارة ويعتمدون فى معيشتهم على الإبل ، ويُوغلون بها فى الصحراءِ ، ويتطلبون منابت العشب ، ومراعى الشجر ، وموارد الماء ، ويأكلون مما تخرجه الأَنعام .

المقدمة السادسة فى حياة العرب الاجتماعية

كان سكان الجزيرة يعيشون عيشة قبائل ، فالقبيلة هى الوحدة التى يُبنى عليها نظام حياتهم ، وأَفرادُ القبيلة ينتسبون إلى أَبٍ واحد ، وقلَّ أَن ينتسب إليها . من لم يُسَاهمها فى نَسَبها إلا عن طريق الحلف أَو الولاءِ[1] .

---

(١) كان الأسير من قبيلة أخرى اذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه بسمة القبيلة التى أسرته ، ويسمى حليفا لها . وكانوا يجيزون استرقاق الأسرى ، فاذا عتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتق والمعتق . وهـذه الصلة تسمى الولاء .

وتسود أفراد القبيلة فكرةُ العصبية ، فكلٌّ فرد يتعصب لقبيلته ويعنى بحفظ نسبه ويفتخر به ، ويحنو على من يُشاركه فيه ، ويسير على منهج قبيلته ، سواء أصابت أم أخطأَت ، ومن هذه الظاهرة قول القائل :

وما أنا إلا من غزيَّة إن غوَت غويت وإن ترشد غزيةُ أَرشد

والقبيلة تحميه من العدوان ، وتطالب بدمه إن جنى أَحد عليه ، ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ، وهو مرجع الأَفراد فى إقامة العدل بينهم على حسب عرفهم وتقليدهم .

وعلاقة القبيلة بغيرها من القبائل علاقة عداء غالباً – تُغِيرُ عليها ، وتغنم من مالها ورجالها ، والأُخرى تتربص بها الدوائر لتنتقم منها :

يُغار علينا واترين فيُشتفى بنا إن أُصبنا أَونُغير على وترِ (١)

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضى إلا ونحن على شطر

ولم تكن للعرب فى الجاهلية عدا من ذكرنا قبلُ حكومة تسيطر عليهم جميعاً وتشرف على شئونهم ، لأَن شرط قيام الحكومة انتساب الأَفراد إلى المواطن ، لا إلى القبائل ، وانحلال العصبيات وقيام الجامعة الوطنية الدينية مقام العصبية القبلية ، وهى أُمور لم تتوافر للعرب فى جاهليتها .

كانت القبيلة تنقسم عندهم إلى أُسر ، ونظام الأُسرة كان فى هذا الطور هو المعروف عند علماء الاجتماع : بطوْر السلطة الأَبوية ، إذ كان الأَب فيها واسع السلطان نافذَ الكلمة على كل أَفراد الأُسرة ، يتصرَّف فى مالهم وفى شئونهم ويقطع فى الأُمور دُونهم ، وهو المرجع الأَعلى لهم جميعاً ، وكان بعض الأُسر تمتاز بصفات وأَعمال ، تجعل له الرياسة والشرف كبيت هاشم ، وبيت أُمَيةَ فى قريش ، وبيت زُرارة فى تميم ، وهكذا .

(١) الواتر القاتل ، والموتور الذى قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه ، وواترين حال من الضمير فى علينا .

المقدمة السابعة فى أَخلاقهم

ترى أَن أَكثر العرب أَهل بدو . ولأَهل البدو صفات خاصة يتمدحون بها ويُكثرون فى شعرهم من ذِكرِها والتغنِّى بها ولعل من خير ما يمثل هذه الصفات ماجاءَ فى قول «تـأَبطَ شرًّا» أَحد الشعراء الجاهليين(١) إذ يمدح ابن عم له بأَنه قليل الشكوى من الهمّ ينزل به ، بعيد الهمة واسع الأَمل يسير وحيدًا لايهاب ، ويركب المهالك ولا يخشى مُواجهتها ، (عدّاء) يسبق الريح السريعة ، إن نام فإنما تنام عينه ،ولا ينام قلبه ،وإن صحا كانت عينه دَيدَبان قلبه . وله سيفٌ صارمٌ ، إن أَصاب به قِرنا استقبلته المنايا مُتهللةً ، لا يخشى الوحدة بل يأْنس بها ، ويعرف مسالك الصحراء فلا يضلُّ فى سيره ، كما لاتضل الشمس ، وهذه الصفات كما ترى هى (المثل الأَعلى) للبدوىِّ لا للحضرى .

وقد تمدَّحوا بالمرُوءَة وأَكثروا من ذكرها ، وهو لفظ يجمع قانون الشرف عمادُه الشجاعة والكرم والوفاءُ ، وأَكثر ما تتجلى فيه الشجاعة عندهم النزال والقتال والدفاع عن الأَهل والقبيلة ونجدَة المستصرخ . وأَكثر ما يتجلى فيه الكرم إيقاد النيران ونحر الجزور ، وإضافة اللاجئ .

---

(١) قليل التشكى للمهم يصيبه … كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بموماة ويمسى بغيرها … جحيشا ويعرورى ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى … بمنخرق من شدة المتدارك
اذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل … له كالىء من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه … الى سلة من حد أخلق صائك
اذا هزه فى عظم قرن تهللت … نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس اللذيذ ويهتدى … بحيث اهتدت أم النجوم الشوائك

الموماة : المفازة التى لا ماء فيها ، وجحيشا : وحيدا ، ويعرورى ظهور المهالك : يركبها ، مأخوذ من قولهم اعروريت الفرس اذا ركبته عاريا ليس عليه شىء ، ووفد الريح أولها والمعنى أنه يسبق الريح لخفته ، والمنخرق السريع والمتدارك المتلاحق ، حاص خاط ، والشيحان الحازم . والفاتك الذى اذا هم بشىء فعله ، ربيئة القلب ديدبانه — ويريد بالسلة السيف الذى يستل . أم النجوم : الشمس .

فأَما الشجاعة فيمثلها فى نظرهم قول عمرو بن معديكرب :

لما رأيتُ نِساءَنا يفحصن بالمعزاءِ شدّا(١)
وبدت «لمِيس» كأَنها بدرُ السماءِ إذا تبدَّى
وبدت محاسنها التى تخفى وكان الأَمرُ جدّا
نازلتُ كبشَهُمُ ولم أَرَ من نزالِ الكبش بُدا(٢)
هم يُنذرون دمى وأنذرُ إن لقيتُ بأَن أَشُدا
كم من أَخٍ لِى صالحٍ بوَّأْتُهُ بيدَىّ لَحدَا
ما إن جزِعتُ ولا هلعتُ ولا يرُدُّ بكاى زنْدا
أَلْبستُه أَثوابَه وخلِقتُ يوم خلقت جلدَا
أَغنِى غَناء الذاهبين أَعُد للأَعداء عَدّا
ذهب الذين أُحبُّهم وبقيتُ مثل السيفِ فردا

وأَما الكرم ، فمن خير ما يمثله فى نظرهم قول عتبة بن بجير :

فقالوا غريبٌ طارقٌ طوحَتْ به متونُ الفيافى والخطوب الطوائح(٣)
فقمتُ ولم أَجثم مكانى ولم تقم مع النفس علات البخيل الفواضح
وناديتُ شبلا فاستجاب وربما ضمنا قِرَى عشر لمن لا تصافح(٤)
فقام أَبو ضيف كريم كأَنه وقد حد من فرط الفكاهة مازحُ(٥)
إلى جِذم مالٍ قد نهكنا سوامه وأَعراضنا فيه بواق صحائح(٦)

---

(١) المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة . ومعنى يفحصن بالمعزاء شدا : أى أنهم يؤثرون فى الأرض الصلبة لشدة عدوهن .
(٢) كبش القبيلة رئيسها . (٣) الخطوب الطوائح : أى المصائب المهلكة . وطوحت به حملته على ركوب المهالك . (٤) شبل اسم ابنه ! وقرى عشر أى ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته . (٥) أبو ضيف يريد نفسه . (٦) الى جذم . متعلق بقام فى البيت قبله ، ويريد بجذم المال أصل المال ، وهو النوق جمع ناقة .

جعلناه دون الذمِّ حتى كأنَّه إذا عُدّ مَال المكثرين المنائح(١)
لنا حمد أرباب المئين ولا يُرى إلى بيتنا مالٌ مع الليل رائح(٢)

وقد أَحبوا كثيراً ، وشربوا الخمر ، ولعبوا الميسر ، وشُغفوا بالصيد . وطربوا للغناء وتاقوا إلى السمر ، وكان هذا كله مادة لشعرِهم وأَدبهم .

المقدمة الثامنة فى دينهم

كان للعرب فى الجاهلية دينٌ ، ولكنه دين ضعيف ، لا يُخلصون له ولا يصل إلى أعماق نفوسهم ، وحسبنا دليلًا على ذلك أننا ننظر فيما بين أَيدينا من شعرهم فنرى فيه الصيد كثيراً ، والخمر والنساء والميسر كثيراً ، والفخر والهجاء ووصف القتال كثيرا ، ولكن قل أن نرى فيه شرحاً لعاطفةٍ دينية ، وقل أن نرى فيه ذكر الله وتمجيده ، وقل أن نرى فيه وصفاً لما كانوا يعبدون .

انتشرت اليهودية والنصرانية فى بعض بقاع جزيرة العرب ، فقد كان فيها مستعمرات يهودية أشهرها « يثرب » وهى سميت بعدُ « بالمدينة » ، كذلك انتشرت اليهودية فى اليمن فى أوائل القرن السادس للميلاد ، ولكنها كانت فى نزاع مستمر مع النصرانية .

وانتشرت النصرانية فى مناذِرةِ الحيرة ، وفى غساسنة الشام ، وسائر قبائله وزاحمت اليهودية فى اليمن ، وكان أشهر مراكز النصرانية فى اليمن مدينة نجران.

وكان القسيسون والرهبان يردون أَسواق العرب يعظون ويبشِّرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار ، واشتهر من شعرائهم وخطبائهم (عدىٌّ بن زيد وقس بن ساعِدة) ولكن اليهودية والنصرانية كانتا قليلتين إذا قيستا بالدين السائد فى الجزيرة وهو الوثنية ، فقد عبد العرب الأَصنام ، وعظموا الأَوثان

(١) المنائح : جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع الى الجار لينتفع بلبنها مادام فيها لبن . (٢) يقول : ان مالنا قليل فابلنا باركة بفناء الدار انتظارا للضيف وهى ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع ذلك لنا من الحمد والثناء مثل ما للمكثرين أصحاب المئين .

ونصبوها فى الكعبة ، وقرّبوا لها القرابين ، وكان من أشهر هذه الأصنام (اللّات والعزّى ومناةَ) وكان تقديسها يكاد يعم قبائل العرب ، وإن كان ثم أصنام أُخرى خاصة ببعض القبائل .

المقدمة التاسعة فى ثقافتهم

كانت المدن على التخوم واليمن مُتحضرة بعض تحضر ، فالآثارُ التى عُثر عليها فى اليمن والحيرة . وما نقل عن أهلها يدل دلالة صادقة على أنهم كانوا على حظ من الفن والعلم غير قليل : فأهل الحيرة تسرب إليهم شىء من علوم الفرسِ وآدابهم وعلوم اليونان وآدابهم والغساسنة فى الشام تسرب إليهم شىء من حضارة الرومان واليونان وآدابهم . واليمن أُمة عريقة فى المدنية كانت تتصل بالفرس، وتتصل بالحبشة وتتصل بالرومان ، ولها معهم جميعاً صلات تجارية — أما ماعدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظهم من العلم والفن قليلا .

وعلى الجملة كان للعرب معرفةٌ بالأنساب ، وبشىءٍ من أخبار الأُمم ، وبشىءٍ من الطب . ولكن ما كان عندهم من ذلك لم يَعدُ أن يكون معلومات عملية أولية وتجارب ينقصها الاستقراء ، ونظرات عامة يعوزها التعمق والاستقصاءُ .

أما من الناحية الأدبية فكان لهم شِعرٌ وقصص وأمثال — وقد طبع كل ذلك بطابع عقليتهم التى أنتجها تاريخهم وبيئتهم كما سترى .

المقدمة العاشرة فى عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أى أُمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التى تقع بين ظَهرانَىْ هذه الأُمة . ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة أعصر :

الأول : عصر الجاهلية ، وينتهى بظهور الإسلام . ومدته نحو خمسين ومائة سنة .

الثانى : عصر صدر الإسلام ويشمل دولة بنى أُميَّة ؛ ويبتدى بظهور الإسلام ، وينتهى بقيام دولة بنى العباس سنة (١٣٢) هـ .

الثالث : عصر بنى العباس ؛ ويبتدئ بقيام دولتهم وينتهى بسقوط بغداد فى أيدى التَّتار سنة (٦٥٦) هـ .

الرابع : عصر الدول التركية ؛ ويبتدئُ بسقوط بغداد وينتهى بمبدإ النهضة الأَخيرة سنة (١٢٢٠) هـ .

الخامس : عصر النهضة الأَخيرة ؛ ويبتدىءُ من حكم الأُسرة المحمدية العلوية بمصر .

العصر الأَول عصر الجاهلية

حالة اللغة العربية وآدابها فى ذلك العصر

لغة العرب من أَغنى اللغات كلماً ، وأَعرقها قدماً ، وأَوسعها لكل مايقع تحت الحسِّ ، أَويجول فى الخاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين ، وتصوير خيال ، وتعيين مرافق . وهى على هندمة أَوضاعها ، وتناسُق أَجزائها لغة قوم أُميينَ ، ولا عجب إن بلغت تلك المنزلة : من بسطة الثروة ، وسعة المدى ، إذ كان لها من عوامل النمو ، ودواعى البقاءِ والرقى ، ما قلَّما يتهيأ لغيرها . وما رواه لنا منها أَئمة اللغة وجاءَ به القرآن الكريم والحديث النبوى هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التى سكنت جزيرة العرب ، ولا شك فى أَن من أَسباب امتزاج هذه اللغات ما يأْتى :

(١) هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ثم تمزُّقهم فى بقاع الجزيرة كل ممزق بظلمهم أَنفسهم وتخرُّب بلادهم بسيل العرم(١)

(١) العرم : جمع عرمة كفرجة وهى سد يعترض به الوادى أو هو جمع بلا واحد أو هو الأحباس والسدود تبنى فى الوادى لحبس المياه خلفها وهى المسماة الآن بالخزانات وحادثة سيل العرم أنه كان لسبأ فى اليمن عرم تحبس الماء خلفها فتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الأهلية سببا فى تفرق قبائل سبأ فى أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل فى التفرق فقيل « تفرقوا أيدى سبأ » .

(٢) هجرة إسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة ، وأظهرُ مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأَسواق التى كانت تقيمها العرب فى أنحاء بلادها ومن هذه الأَسواق : عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز .

وأَهَمها سوق عكاظ ؛ وكانت تُقام من أَول ذى القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وأُقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وبقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكان يجتمع بهذه السوق أَكثر أَشْراف العرب للمتاجرة ومُفاداة الأَسرى ، والتحكيم فى الخصومات ، وللمفاخرة والمنافرة بالشعر والخُطب ، فى الحسب والنسب والكرَم والفصاحة والجمال والشجاعة ، وما شاكل ذلك . وكان من أَشهر المحكمين فى الشعر « النَّابغة الذبيانى » ، ومن أَشهر خُطبائها « قس بن ساعدة الإيادى » . وقد لهج الشعراء بذكرها فى شعرهم وحَضرها منهم الرجال والنساء ولقريش عظيم الأَثر فيما نجم عن اجتماع العرب بتهذيب لغتهم .

كلام العرب

الغرضُ من كلام العرب كغيره الإبانة عما فى النفس من الأَفكار . ليكون مدعاة إلى المعاونة والمعاضدة ، ذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة .

ولما كانت هذه الأَفكارُ لا تزال متجدِّدَةً غير متناهية ، كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجدِّدةً خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأَنواع الإنشاء والتأْليف على حسب ما يقتضيه المقام ؛ فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى فى البلاغة . وقد تنحطُّ صورة العبارة إلى الدرك الأَسفل من الإبانة بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأُدباءِ بأَصوات العجماوات أشبه وبين الحالين مراتب . وجلُّ بحث علم الأَدب وتاريخه فى التفاوت بين هذه المراتب ورجالها .

وكلام العرب بمراتبه العليا والدنيا وما بينهما تعتورهُ كغيره أَحوال تتغير بتغيُّر حياة أَهله العقلية والمعاشية والدينية ، وتلك الأَحوال تتمثل فى «أَغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها » .

أَغراض اللغة فى الجاهلية

(١) كانت اللغة تستعمل فى أَغراض المعيشة البدوية ، ووصف مرافقها من حل وترحال ، وانتجاع كلإٍ ، واستدرار غيث ، ونَتج حيوان .

(٢) وفى إِثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها من الحض على إدراك الثأْر ، والتفاخر بالانتصار ، والتَّباهى بكرَم الأَصل والنَّجَار .

(٣) شرح حال المشاهدات والكيفيات ، والإِخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك .

معانى اللغة فى الجاهلية

تجمل معانى اللغة فيما يأْتى :

(١) فى قصر معانى المفرَدات على ما تَقتضيه البداوة والفطرة الغضة الخالية من تَكلف أَهل الحضر وتأَنقهم .

(٢) وفى انحصار أَحكامِهم فى (الخبر) ومطالبهم فى (الإِنشاءِ) إما فى التعقل المستنبط من الحس ، والمشاهدة ، أَو الطبيعة ، أَو التجرِبة ، أَو الوجدان من غير مبالغة ولا إغراء ، وإما فى التخيُّل المنتزعة صوره من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإِمكان العقلىّ والعادىّ .

عبارة اللغة فى الجاهلية

تلخص أَحوال العبارة فى الجاهلية فيما يأْتى :

(١) استعمال الأَلفاظ فى معانيها الوضعية ، أَو معان مناسبة للمعنى الأَصلى بطريق المجاز الذى يصبح بعد قليل وضعاً جديداً .

(٢) كثرة استعمال المترادِف، وقلة الأَعجمى المعبر عنه بالمعرَّب، وخلو الكلام العربىِّ من اللحن، وغلبة الإيجاز عليه، كما تراه واضحاً فى شعرهم.

(٣) إرسال الأَساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف

تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب قسمين: نثرا، ونظماً.

فالنظم هو الموزون المقفى، والنثرُ ما ليس مُرتبطاً بوزن ولا قافية.

النثر ــ المحادثة ــ الخطابة ــ الكتابة

الأَصل فى الكلام أَن يكون منثورًا: لإبانته عن مقاصد النفس بوجه أَوضح وكلفة أَقل: وهو إما حديث يدور بين الناس وبعض فى إصلاح شؤون المعيشة، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع، وذلك مايسمى (المحادثة) أَو (لغة التخاطب) وإما خطاب من فصيح نابه الشأْن، يُلقيه على جماعة فى أَمر ذى بال، وهذا ما يسمى (الخطابة)، وإما كلامٌ نفسى مداول عليه بحروف ونُقوش لإرادة عدم التلفظ به أَو لحفظه فى الخلف، أَو لبعد الشقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمى (الكتابة)، إذًا فأَقسام النثر ثلاثة: محادثة، وخطابة، وكتابة.

وكلها إما أَن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية فى أَواخر عباراته، وذلك ما يسمى «النثر المرسل» وإما أَن تكون قطعاً ملتزَماً فى آخر كل فقرتين منها أَو أَكثر قافية واحدة وهذا ما يسمى «السجع» وهو نوع من الحلية اللفظية إذا جاء عفوا ولم يُتعمد التزامه، ولحسن وقعه فى الأَسماع، وحوكه وتأْثيره فى الطباع، وكان أَكثر ما يستعمل فى الخطابة، والأَمثال والحكم، والمفاخرات والمنافرات.

المحادثة، أَو لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أَن توحدت لغاتها هى اللغه المعربة المستعملة فى شعرها وخطبها وكتابتها، ولافرق بينها فى البلاغة إلا بقدر ماتستدعيه حال الخطابة والشِّعر والكتابة من نبالة الموضوع، والتأَنق فى العبارة.

وأكثر ما وصل إلينا ما كان شريف المعنى ، فصيحَ اللفظ .

الخطابة

لمَّا كان جُلُّ العرب فى جاهليتها قبائل مُتبدِّية لا يربِطها قانون عام ولا تضبطها حكومة مُنظمة .

ومن شأن المعيشة البدوية شَن الغارات لأوهى الأسباب ، والمدَافعة بالنفس عن الرُّوح والعرض والمال ، والمباهاة بقوَّة العصبية وكرَم النجارِ وشرف الخِصال وللقول فى ذلك أثر لا يَقلُّ عن الصول ، كانت الخطابة لهم ضرورية ، وفيهم فطريَّة . وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل ، وشىءٌ من خُطبهم كما كان ذلك فى الشعر ، لحفلهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر .

وما عُنِى الرُّواة بنقل أخبار الخطباء وخُطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعدُ منزلة أسمى من الشعر لابْتذَالهِ بتعاطى السفهاء والعامة له وتلوثهم بالتكسب به والتعرض للحُرَم ، فنبُه بذلك شأن الخطابة ، واشْتهرَ بها الأشْرَاف .

وكان لكلٍّ قبيلة خطيب ، كما كان لكلٍّ قبيلة شاعر .

وأكثر ما كانت الخطابة فى التحريض على القتال والتحكيم فى الخصومات وإصلاح ذات البين ، وفى المفاخرات والمنافرات ، والوصايا ، وغير ذلك .

وكان من عادة الخطيب فى غير خُطب الإملاك والتزويج أن يخطب قائماً أو على نشز مرتفع من الأرض ، أو على ظَهر راحلته ، لإبعاد مدى الصوت وللتأثير بشخصه ، وإظهار مَلامح وجهه ، وحركات جوارحه ، ولا غِنًى له عن لوْث وعَصبِ العمامة ، والاعتماد على مخصرَة أو عَصا أو قناة أو قوس ، وربما أشار بإحداها ، أو بيده .

وخُطباءُ العرب كثيرون (من أقدمهم كعب بن لؤىّ) وكان ذا نفوذ عظيم فى قومه ، حتى أكبروا موته ، وذا الإصبع العدوانى وهو حرثان بن محرث .

(ومن أشهرهم) قيسُ بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحِس والغبراء(١) ، وخويلد بن عمرو الغطفانى ، خطيب يوم الفجار(٢) ، وقس(٣) بن ساعدة الإيادى ، خطيب عكاظ ، وأكثم بن صيفى زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرَى : وهم أكثم بن صيفى ، وحاجب(٤) بن زرارة التميميان ، والحارث بن عباد(٥) ، وقيس بن مسعود(٦) البكريَّان ، وخالد بن جعفر(٧) ، وعلقمة بن علاثة(٨) ، وعامر بن الطفيل(٩) العامريون ، وعمرو بن الشريد السلمى(١٠) ، وعمرو

---

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس . راهنه حذيفة بن بدر الفزارى على أن يسابقه بفرسيه ، الخطار والخنفاء ، فوضعت فزارة كمينا فى طريق السباق . فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة . فهاجت الحرب بين عبس وفزارة ، ثم عبس وذبيان لنصرتها فزارة ، وفى القصة روايات أخرى . (٢) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبى صلى الله عليه وسلم . (٣) ستأتى ترجمة قس وأكثم . (٤) سيد من سادات تميم . وهو الذى وفد على كسرى حين منع تميما من ريف العراق حتى أصابهم القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار . ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف درهم . (٥) كفراب كان خطيبا مؤثرا . وشاعرا بليغا . وله عمل جليل فى الحرب التى نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن أعتزلها . وله فيها قصيدة مشهورة منها :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين كان كريما عالى الهمة من أفضل العرب حسبا ونسبا وكانت تقر له كلها بذلك بل هى وكسرى أيضا . وكان له حظيرة فيها مائة من الابل لأضيافه اذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكانها . (٧) سيد من سادات بنى عامر . خلص قومه من العبودية لغطفان بعد أن قتل سيدها زهير بن خزيمة .

(٨) خطيب بليغ اشتهر فى قومه بالعفة والمحافظة على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح . (٩) هو ابن عم لبيد الصحابى شاعر متين ، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسما . ولقد بلغ من شهرته أن قيصر كان اذا قدم قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر ، فان كانت بينه وبينه رحم ووشيجة قربه وأكرمه . (١٠) هو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل الى الفخر والصراحة فى القول ــ ولقد بلغ من تغاليه فى ذلك أنه كان يأخذ ابنيه معاوية وصخرا فى المواسم العامة .

ابن معديكرب(١) الزُّبيدى ، والحارث بن ظالم(٢) المرِّى .

قُسُّ بن ساعدة الإيادى

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروب به المثل فى البلاغة والحكمة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأَوثان ، ويرشدهم إلى عبادة الخالق . ويقال إنه أَول من خطب على شرف ، وأول من قال فى خطبته « أما بعدُ » وأول من اتكأَ على سيف ، أَو عصاً فى خطابته ، وكان الناس يتحاكمون إليه ، وهو القائل : « البينة على من ادَّعى ، واليمين على من أَنكر » وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب فى عُكاظ ، فأَثنى عليه وعَمَّر قُسٌّ طويلا . ومات قبيل البعثة — ومن خطبه خطبته التى خطبها فى سوق عكاظ وهى — أَيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت ، ليلٌ داج ، ونهارٌ ساج ، وسماءٌ ذات أَبراج ، ونجوم تزخر ، وجبال مرساة ، وأَرض مُدحاة ، وأَنهار مُجراة ، إن فى السماء لخبرا وإن فى الأَرض لعبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أَرَضُوا بالمقام فأَقاموا ؟ أَم تركوا فناموا ؟ يُقْسِم قسٌّ بالله قسماً لا إثمَ فيه ، إن لله ديناً هو أَرضى لكم وأَفضل من دينكم الذى أَنتم عليه ، إنكم لتأْتون من الأَمر منكرا .

فى الذاهبين الأَولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للناس ليس لها مصادر
ورأَيت قومى نحوها تمضى الأَكابر والأَصاغر

---

(١) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابى جليل شهد حربى اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر سنه وضعف جسمه .

(٢) كان شجاعا فاتكا وخطيبا شاعرا يميل الى معاقرة الخمر وهو الذى قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيرا من قومه .

لا يرجع الماضى إلينا ولا منَ الباقين غابر
أَيقنتُ أَنى لا محا لة حيث صار القوم صائر

أَكثم بن صيفى

هو أَعرف الخطباء بالأَنساب وأَكثرهم ضربَ أَمثال ، وإصابة رأْى وقوة حجة ، وقَلَّ من جاراه من خطباءِ عصره ، وهو زعيم الخطباءِ الذين أَوفدهم النعمان على كسرى ، ولقد بلغ من إعجابه به أَن قال له : لو لم يكن للعرب غيرُك لكفى وقد عمر طويلا حتى أَدرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وجمع قومه وحثهم على الإيمان به ، وفى إسلامه رواياتٌ . وكان فى خطبه قليل المجاز ، حسن الإيجاز ، حلو الأَلفاظ ، دقيق المعانى ، مُولعاً بالأَمثال (راجع خطبه فى فن المناظرات الآتية) .

الكتابة

يراد بالكتابة عند الأُدباء : صناعة إنشاءِ الكتب والرسائل ، وإذا كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدَّى بالنقوش المسماة بالخط ، فأَوَّل حلقة من سلسلة الخط العربى هى الخط المصرى القديم ، ومنه اشتق الخط الفينيقى ، ومن هذا اشتق الآرامى ، والمسند بأَنواعه ، والصفوى ، والثمودِى واللحيانى ، شمالى جزيرة العرب ، والحميرى جنوبيها .

ورواة العرب يقولون : إنهم أَخذوا خطهم الحجازى عن أَهل الحيرة والأَنبار .

أَما الكتابة : بمعنى إنشاءِ الكتب والرسائل ، فهى لازمة لكل أُمة متحضرة ذات حكومة منظمة ، ودواوين متعددة ، وقد كان بعض ذلك موفوراً فى ممالك التبابعة جنوباً ومأْثورا عن ممالك المناذرة الغساسنة شمالا ، ولذلك استعمل الخط المسند الحميرى عند الأَولين من عهد مديد ، والأَنبارى الْحِيرى عند الآخرين ، وإنما لم يصل إلينا شىءٌ من رسائل تلك الأُمم . ولا من كتب فنونها ودينها غير قليل عثروا عليه لتقادُم عهد أَهلها ، وعدم استكمال البحث بعد فى بلادها .

ولم يُعرِّفنا التاريخ أَيضاً بأَحد من كتَّاب هذه الصناعة إلا (بعدِى بن زيد العبادىِّ) الذى كان كاتباً ومترجماً عند كسرى .

أَما البدو من سكان أَواسط الجزيرة وهم جمهور مُضر ، وبعض القحطانيين فكانوا أُمِّيين — ومن المعقول أَنهم لم يعرفوا الكتابة الإنشائية إلا بعد أَن عرفوا الخط (آخر عصور الجاهلية) ، وما نقل عنهم فيه أَنهم كانوا يكتبون فى بدء رسائلهم : باسمك اللهمَّ ؛ ومن فلان إلى فلان ، وأَمَّا بعد .

ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الإسلام ، فهو الذى أَفشى فيهم الخط والكتابة .

ولما كانت علوم كل أُمة لها الأَثر العظيم فى تكوين فكر الأَديب ، وخيال الشاعر ، وكانت كتابتها قسما قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ، ناسب شرح ذلك .

علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأُمم ، ومن العرب أَهلُ حضارة دلت عليها دولهم العظيمة وَقِدَمُ تاريخهم ، وآثارهم الخالدة ، التَّبابعةُ فى اليمن ، والمناذِرَةُ والغساسنة فى الشمال — وإِذًا تكون هندسة إرواء الأَرض وعمارة المدن ، والحساب والطب ، والبيطرة ، والزراعة ، ونحوها معروفة فى الجنوب والشمال مدوَّنة فى الكتب ، وإن لم يحفظ لنا الدهرُ صوراً منها — أَما البدوُ منهم : وإن كانوا أُميين يمقتون الصناعاتِ فلا غِنَى لهم تجربة تُرشدهُم إلى ما ينفعهم ، ليعرفوا متى تجود السماءُ ، وبمَ يتميز الأَقرباءُ من البعداءِ ؟ فأَكسبهم ذلك علم النجوم والطب الضرورى ، والأَنسابَ والأَخبار ، ووصف الأَرض ، والفراسة والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر ؛ وقرض الشِّعر .

أَما علم النجوم — وهو معرفة أَحوال الكواكب — فقد كانوا أَبرع ناطق

فى هذا العلم منهم فى كل علم سواه ، تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للاهتداء به فى ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمنة الخصب والمحل ، وبعض معارفهم فيه مستمد من الكَلْدان لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين فى كثير من أسماء الكواكب والبروج :

ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشَّيبانى) .

الطب الإنسانى والحيوانى (البيطرة) ، وقد عاناه من العرب كثيرون .

ومن مشهوريهم (الحارث بن كِلدة الثقفى ، وابن حذيم التيْمىّ) .

الأَنساب : علم تتعرف به القرابات التى بين بعض القبائل وبعض ، فتُلحق فروعها بأُصولها ، وإنما دعاهم إلى العناية به حاجتُهم إلى التناصر بالعصبية ، لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأَنفتهم من أَن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم وحبهم الافتخار بأَسلافهم .

وممن اشتهر بمعرفة أَنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيبانى وزيد بن الكيس النمرى ، وابن لسان الحُمَّرة) ولهذا يحفظون أَنسابَهم .

الأَخبار والتاريخ والقصص : هى معرفة أَحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أَسلافهم ، وبعض مجاوريهم من الأَحوال المأْثورة ، ووقائع أَيامهم المشهورة ، كقصة الفيل ، وحرب البسوس وحرب الفجار .

وصف الأَرض : هو معرفة كل بُقعة وما يجاورها ، وكيف يهتدى إليها .

ومن قرأَ شعر العرب فى نسيبهم ، واطلع على وصفهم ، وكيف كانوا يحددون الحقير منها بحدود قلما تحد به مملكة عظيمة ، عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم .

الفراسة : هى الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله ولونه وقوله على أَخلاقه وفضائله ورذائله ، وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولهم فى ذلك نوادر شتَّى .

القيافة : ضربٌ من الفراسة وهى الاهتداءُ بآثار الأَقدام على أَربابها ، أَو الاستدلال بهيئة الانسان وأَعضائه على نسبه . فقد كانوا يميزون بين أَثر الرجل

والمرأة ، والشيخ ، والشاب ، والأعمى ، والبصير ، والأحمق والكيس .

وإذا نظر واعدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، والقريب بقريبه وعرفوا الأجنبي من بينهم – وممن اشتهر بالقيافة (بنو مدلج ، وبنو لهب) .

الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب ، وربما خصت الكهانة بالأمور المستقبلة والعرافة بالماضية ، وطريقهم فى ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية ، لما بينهما من المشابهة الخفية ، وللعرب فى الكهان اعتقاد عريض لزعمهم أنهم يعلمون الغيب ، فيرفعون إليهم أمورهم للإستشارة ويستفسرونهم عن الرؤى ، ويستطبونهم فى أمراضهم – وممن اشتهر من الكهان (شق أنمار ، وسطيح الذئبى) ومن الكواهن (طريفة الخير ، وسلمى الهمدانية) ومن العرافين (عراف نجد الأبلق الأسدى ، وعراف اليمامة رباح بن عجلة) .

الزجر : وهو الاستدلال بأصوات الحيوان ، وحركاته ، وسائر أحواله على الحوادث بقوة الخيال ، والاسترسال فيه .

ومن أشهر الزجارين : بنو لهب ، وأبو ذؤيب الهذلى ، ومرة الأسدى .

ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكله كلبيد بن ربيعة القائل :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وكضابئ بن الحارث القائل :

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى ... نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ورب أمور لاتضيرك ضيرة ... وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لايوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

النظم ، والشعر ، والشعراء

النظم : عرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصدًا – ويرادفه الشعر عندهم – أما المحققون من الأدباء فيخصون الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون

المقفَّى ، المعبر غالباً عن صُور البديع ، ولمَّا كان الخيال أَغلب مادته أَطلق بعض العرب (تجوزًا) لفظ الشِّعر على كل كلام تضمن خيالا ، ولو لم يكن موزوناً مُقفًى ولجرْيه وفق النظام الممثل فى صورة الوزن والتقفية كان تأْثيره فى النفس من قبيل إثارة الوِجدان والشعور ، بَسطًا وَقَبضاً وترغيباً وترهيباً ، لا من قَبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقلى ، ولذلك يَجملُ أثره فى إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس ، لا فى الحقائق النظرية ، ولا رَيب أن تَرتاع بصور المحسوس الباهر وما انتُزع منه من الخيال الجَلِىِّ لخفة مؤونتِه عليها ؛ وإراحتِه لها من المعاناة والكد ؛ إذا انضم إلى نغَمُ الوزن والقافية ، الشديد الشبه بتأْثير الايقاع والتلحين الذى يطرَب له الحيوان ، فضلا عن الإنسان .

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشِّعر لِبداوتهم ، وملاءَمة بيئتهم لتربية الخيال فالبدوى لحريته ، واستقلاله بأَمر نفسه ، يغلب على أَحكامه الوجدان ، ويسلك إليه من طريق الشعور ؛ ومعيشةُ البدوِى فوق أَرض نقيَّة التربة ، وتحت سماء صافية الأَديم ، ساطعة الكواكب ، ضاحية الشمس جلت لحسِّه مناظر الوجود وعوالم الشهود ، فكان لخياله من ذلك مادة لايغور ماؤها ، ولا ينضُب معينها فهام بها فى كل واد ، وأَفاض منها إلى كل مراد ، وكان له من لُغتِه ، وفصاحة لسانه أَقوى ساعد وأَكبر مُعاضد ، ويشعر الإِنسان بطبعه أَن الشعر متأَخر فى الوجود عن النثر ، وإن كانت هناك واسطة بين النثر والشعر ، فليست إلا السجع ، لما فيه من معادلة الفِقَر ، والتزام القافيه ، والميل للتغنى به ــ فكان من ذلك المقطعات ، والأَراجيز الصغيرة ، يحدون بها الإِبل ، ويُعدون بها المكارم ثمَّ لما نَمَتْ ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أَمامهم ، ونوعوا الأَوزان ، وأَطالوا القوافى وقصَّدوا القصيد .

وقد خَفِىَ علينا ــ كأَكثر الأُمم ــ مبدأ قول الشعر ، وأَول من قاله .

أَما ما نسب من الشعر آدم ، وإبليس ، والملائكة ، والجن ، والعرب البائدة ، فهو حديث خرافة .

والشعر الذى صَحت روايته منذ أَواسط القرن الثانى قبل الهجرة تنتهى أَقدم مطوَّلاته (إلى مُهلهل بن ربيعة) وأَقدمُ مقطعاته إلى (نَفر) لعلهم لم يبعدوا عنه طويلا مثل : العنبر بن عمرو بن تميم ، ودَريد بن زيد بن نهد ، وأَعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وزهير بن جناب الكلبى ، والأَفوه الأَزدى ، وأَبو داود الإِيادى ، وقد رووا أَنه لم يكن لأَوائل العرب من الشعر إلا الأَبيات يقولها الرجل فى حاجته ، وأَن أَول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع (المهلهل بن ربيعة التغلبى) فى قتل أَخيه كُليب فهو أَول من روِيت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتًا ، وتبعه الشعراءُ مثل (امرىء القيس) وعلقمة ، وعبيد ، ممن أَخرجوا لنا الشعر العربى فى صورته الحاضرة .

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ، ونشأَته فى الجاهلية .

أَما ما يتعلق بمادَّته وجوهره فإنه يرجع إلى أَغراضه ، وفنونه ، ومعانيه ، وأَخيلته وأَلفاظه ، وأَساليبه ، وأَوزانه ، وقوافيه .

(١) أَغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر فى كل ما أَدركته حواسهم ، وخطر على قلوبهم من فنونه وأَغراضه الكثيرة كالنسيب ويسمى (التشبيب والتغزل) وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهنّ ، وشَرح أَحوالهن ، وكان له عندهم المقام الأَول من بين أَغراض الشعر ، حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه وافتتِح به القصيد ، لما فيه من كل اجتماع إنسانى – والبدو أَكثر الناس حبًّا لفرَاغهم .

الفخر : هو تمدح المرء بخصال نفسه وقومه ، والتحدث بحسن بلاَئهم ومكارمهم وكرم عُنصرهم ، ووفرة قَبيلهم ، ورفعة حسبهم ، وشُهرة شجاعتهم .

والمدح : وهو الثناءُ على ذى شأْن بما يستحسن من الأَخلاق النفسية كرجاحة العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، ان هذه الصفات عريقة فيه وفى قومه وبتعداد محاسنه الخلقية — وشاع المدح عندما ابتذل الشعر ، واتخذه الشعراءُ مهنة ، ومن أَوائل مدَّاحيهم : زهير — والنابغة — والأَعشى .

والرثاءُ : وهو تَعداد مناقب الميت ، وإظهار التفجع والتلهُّف عليه ، واستعظام المصيبة فيه .

والهجاءُ : وهو تعداد مثالب المرءِ وقبيله ، نفى المكارم والمحاسن عنه .

والاعتذار : وهو درء الشاعر التهمة عنه ، والترفق فى الاحتجاج على براءته منها ، واستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه ، و (النابغة) فى الجاهلية فارس هذه الحلبة .

والوصف : هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه فى الواقع لإحضاره فى ذهن السامع ، كأَنه يراه أَو يشعر به ، ومن أَشهرهم فى ذلك (امرؤ القيس وأَبو داود الإيادى) .

والحكمة والمثل : فالحكمة قول رائعٌ يتضمن حكما صحيحًا مسلماً به ، والمثل مرآة تريك أَحوال الأُمم وقد مضت ، وتقف بك على أَخلاقها وقد انقضت فالأَمثال ميزان يوزن به رقى الأُمم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأَدبها ولغتها وأَكثر ما تكون أَمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكما مقبولا ، أَو تجربة صحيحة ، تمليها عليها طباعها بلا تكلف وأَكثر الشعراءِ أَمثالا : (زهير والنابغة) .

(٢) معانيه وأَخيلته

قصد الشاعر من شعره الابانة عما يخالج نفسه من المعانى فى أَى غرض من الأَغراض السابقة ونحوها ، ومن هذه المعانى ما هو عادىّ فى البدوى

والحضرى والعربى والعجمى كالأخبار الصادقة ، وأوصاف المشاهدات ، وشرح الوجدانات كما يمليها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق ؛ ومنها ما هو غريب نادر ، انتزعه الخيال من المرئيات البديعة والأشكال المنتظمة ، وذلك يسمى المخترع ، تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والاكثار منه .

وإذا قسنا الشعر الجاهلى بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأمور الآتية :

(١) جلاء المعانى وظهورها ومطابقتها للحقيقة . (٢) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع . (٣) قلة المعانى الغريبة المنزع ، الدقيقة المأخذ المتجلية فى صور الخيال البديع ، والتشبيه الظريف ، والاستعارة الجميلة والكناية الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك . (٤) قلة تأنقهم فى ترتيب المعانى والأفكار على النظام الذى يقتضيه الذوق ، فيدخلون معنى ؛ وينتقلون من غرض إلى آخر اقتضابا بدون تخيل ولا تلطف .

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمما بدوية تنظم الشعر بطبعها ، من غير معاناه صناعة ولا دراسه علم — غلب على شعرها صراحة القول وقلة المواربة فيه ، والبعد عن التكلف وصحة النظر ، والوفاء بحق المعنى — أضف إلى ذلك الأمور الآتية :

(١) جودة استعمال الألفاظ فى معانيها الموضوعة لها ، لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجود دلالتها . (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة ، واستعمال الألفاظ الغريبة التى هجرت عند المحدثين . (٣) القصد فى استعمال ألفاظ المجاز ، ومقت استعمال الأعجمى إلا ما وقع نادرا . (٤) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية ومتانة الأسلوب ، يحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرفها لديها وبإيثار المجاز ، أو قلة الإسهاب إلا إذا دعت الحال .

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية ، وتعرُّف أُصول وضعية ، وإذا كانت تنظم بطبعها على حسب ما يُهيئهُ لها إنشادُها ، وقد هدتهم هذه الفطرة إلى أوزان أَرجعها الخليل إلى خمسة عشر وزناً سماها بحورا وزاد عليها الأَخفش بحرًا ، وقد أَكثروا النظم من بعضها دون بعض .

راجع مؤلفنا « ميزان الذهب فى بحور شعر العرب » .

وشعر العرب رجزُه وقصيده يُبنى على قافية واحدة كيفما طال القول .

(٥) شعراء الجاهلية

شعراء الجاهلية : أَكثر من أَن يحاط بهم ، ومن جُهل منهم أَكثر ممن عرف وإنما اشتهر بعضهم دون بعض لنبوغه ، أَو كثرة المروى من شعره ، أَو قرب عهده من الإسلام زمن الرواية ـ وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحكم نافذ ، سلطان غالب ، إذ كانوا أَلسنتهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم وأَسلحتهم التى يذودون بها عن حياض شرفهم ، وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أَتت القبائل فهنأَتها ، وصنعت الأَطعمة ، وأَتت النساءُ يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأَعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لأَنه حماية لأَعراضهم وذَبٌّ عن حياضهم ، وتخليد لمفاخرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أَو شاعر ينبغ ، أَو فرس تنتج .

وكانت طريقة نظم الشعراءِ ارتجالية ، فتأْتيهم أَلفاظه عفوًا ، ومعانيه رهوًا ، كما وقع للحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ، أَما من اتخذه منهم صناعة يستدرها ويلتمس به الجوائز ، وينشده فى المحافل والمواقف العظام ، فإنه يتعهده بالتهذيب والتنقيح ، لجعله رقيق الحاشية ، حسن الديباجة ، يصح أَن يقال فيه إنه المثل الأَعلى للشعر الجاهلى كما ترى ذلك واضحاً فى حوليات زهير ، واعتذريات النابغة ،

وقد عبر الناس دهرًا طويلا لايقولون الشعر إلا فى الأغراض الشريفة ، لايمدحون عظيما طمعاً فى نواله ، ولايهجون شريفاً تشفياً منه وانتقاماً ، حتى نشأت فيهم فئة امتهنت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوك والأمراء ، كالنابغة الذبيانى وحسان مع النعمان بن المنذر ، وملوك غسان ، وزهير بن أبى سلمى مع هرم ابن سنان وأمية بن أبى الصلت مع عبد الله بن جدعان أحد أجواد قريش ، والأعشى مع الملوك والسوقه ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله متجرًا يتجربه ، فتحامى الشعر الأشراف ، وآثروا عليه الخطابة .

(٦) طبقات الشعر

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع : (١) طبقة الجاهليين . (٢) طبقة المخضرمين ، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر فى الجاهلية والإسلام . (٣) طبقة الإسلاميين . وهم الذين نشأوا فى الإسلام ، ولم تفسد سليقتهم العربية وهم ، شعراء بنى أمية . (٤) طبقة المولدين أوالمحدثين ، وهم الذين نشأوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالعجم ، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا .

والشعراء الجاهليون يقسمون باعتبار شهرتهم فى الشعر للاجادة أو للكثرة إلى طبقات كثيرة ، منها ثلاثاً : (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس بن حجر وعمرو ابن كلثوم وزهير بن أبى سلمى ، والنابغة الذبيانى . (٢) الطبقة الثانية الأعشى ولبيد بن ربيعة العامرى ، وطرفة بن العبد . (٣) الطبقة الثالثة عنترة ابن شداد ، وعروة بن الورد ، ودريد بن الصمة ، والمرقش الأكبر والحارث ابن حلزة اليشكرى — ومن الأدباء من يقدم ويزيد .

(١) امرئ القيس

هو الملك أبو الحارث حندج بن حجر الكندى شاعر اليمانية .

وآباؤه من أشراف كندة وملوكها ، وكانت بنو أسد المضرية خاضعة لملوك كندة — وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرئ القيس — وأمه أخت **مهلهل وكليب** .

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من أسد وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعبُ ويُعاقر الخمر ويُغازل الحسان فَمقتَه أَبوه ولما لم ينجح فيه القولُ طرده عنه وأَقصَاه ، حتى جاءَ نَبأ ثورانِ بنى أَسد على أَبيه وقتلهم له لأَنه كان يَعسِف فى حكمه لهم ، فقال : (ضيعنى صغيرًا ، وحملنى دمه كبيرًا ، ولا صَحْوَ اليومَ ولا سُكرَ غدًا ، اليوم خمرٌ ، وغدًا أَمرٌ) وأَخذ يجمع العدَّة ، ويَسْتنجدُ القبائل فى إِدراك ثأْره ، فنازل بنى أَسد وقتَل فيهم كثيرًا ، ثم اشتدَّت به علة قروح فمات منها ودُفِن بأَنقره ، وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن .

شعره : يُعتبرُ امرو القيس رأْس فحول شعراءَ الجاهلية ، والمقدَّم فى الطبقة الأُولى ، فهو أَوَّل من أَجاد القَول فى استيقاف الصحب ، وبُكاء الديار وتَشْبيه النساءِ بالظباءِ والمها والبَيْض ، وفى وصف الخيل بقيد الأَوابد ، وترقيق النسيب وتقريب مآخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته .

وقد يُفحِشُ فى تشبيه النساءِ ، وتحدثه عنهنَّ ، ويُشَمُّ من شعره ، رائحة النيل وتلمح فيه شارات السيادة والملك ، من ذلك قوله :

فظل العذارى يَرْتمين بلحمها   وشحمٍ كهدَّاب الدمقْس المفتل

وقوله : وظل طهاةُ اللحم من بين منضج   صفيف شواء أَو قديرٍ مُعجل

وقوله : ولو أَنَّ ما أَسعى لأَدنى معيشة   كفانى ولم أَطلب قليل من المال

ولكنما أَسعى لمجدٍ مؤثلٍ   وقد يُدرِك المجد المؤثل أَمثالى

وشعره : وإِن اشتمل بشملة البداوة فى جفاءِ العبارة ، وخشونة الأَلفاظ وتجهم المعانى ، تراه أَحياناً يخطر فى حُلل من حُسن الديباجة ، وبديع المعنى ودقة النسيب ، ومُقاربة الوصف ، وسهولة المأْخذ ، مما كان لخلقه أَجمل مِثال فى مُحاكاتهِ ولم يَقل الشعر كاسبًا .

ومن شعره ، يذكر رحلته إلى قيصر مع عمْرو بن قميئة الضبعى :

سمالكَ شوقٌ بعد ما كان أقصرا وحلت سُليمى بطنَ ظَبى فَعَرْعَرَا
فدعها وسلِّ الهمَّ عنها بحسْرة ذَمُول إذا صامَ النَّهار وهجَّرَا
عليها فتى لم تحمل الأَرضُ مثله أَبرَّ بميثاق وأَوفَى وأَصبرَا
إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيته وقرَّت به العينان بُدلت آخرَا
كذلكَ جَدى لا أَصاحبُ صاحباً مِن النَّاس إلا خاننى وتغيَّرَا

ومن أبياته السائرة قوله :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانه فليس على شىءٍ سِوَاهُ بخَزَّانِ
وقوله : وقد طوفْتُ فى الآفاق حتى رضِيتُ من الغَنيمة بالإياب

معلقة امرئ القيس

[قفا نبك من ذِكْرى حبيبٍ ومنزل بِسقط اللوى بين الدخول فَحوملِ(١)
فتوضح فالمقرَاةِ لم يَعْف رسْمُها لِما نسجتْها من جَنُوب وشمالِ(٢)
ترَى بعَرَ الآرام فى عَرَصَاتِها وقيعانها وكأَنه حبٌّ فلفلِ(٣)
كأَنى غدَاة البَيْن يومَ تحملوا لَدَى سَمُرَات الحى ناقِفَ حَنْظلِ
وُقُوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون : لا تهلكْ أَسى وتحملِ(٤)

---

(١) اللوى : ما التوى من الرمل ، أو استرق منه ، والجمع ألواء والوية ، وسقط اللوى منتهاه ، وهو مثلث السين . والدخول وحومل وتوضح والمقراة ! كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى ، وفيه منزل الحبيب . (٢) لم يعف رسمها ، لم يمح أثرها والمراد من « جنوب وشمال » ريح الجنوب وريح الشمال . (٣) الآرام : جمع رئم وهو الظبى خالص البياض . والعرصات ! جمع عرصة ، وهى البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . والقيعان : فناء الدار . (٤) أى وقوف صحبى على مطيهم بسمرات الحى ، ونصحوا لى بالتحمل والاحتمال .

وإن شِفائى عَبْرَةٌ مُهراقَةٌ فهلْ عِنْد رسم دارس منْ مُعَوَّلِ(١)
كدأبكَ منْ أُم الحوَيرث قَبلها وجَارتها أُمُّ الرِّباب بمأسَلِ(٢)
إِذا قامَتا تضَّوعَ المِسكُ مِنهما نَسِيمَ الصَّبا جاءَتْ برَيَّا القرنفل(٣)
ففاضتْ دُموعُ العَين منى صبَابة على النَّحْرِ حتى بل دمعى محْملى(٤)
أَلا رُب يوم لى مِنَ البيض صالح ولا سِيما يومٌ بِدارَةِ جُلجُل(٥)
ويومَ عقرتُ للعذارَى مطيَّتى فيا عجبا مِنْ كورها المتَحمَّل(٦)
فظل العذارَى يرْتَمينَ بِلحمها وشحمٍ كهُدَّاب الدِّمقس المفتل(٧)
تدَارُ علينا بالسديفِ صِحافها ويُؤتى إِلينا بالعبيطِ المَشملِ(٨)
ويوم دخلتُ الخدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فقالت لك الويلاتُ إنك مُرْجِلِى(٩)
تقولُ وقدْ مالَ الغبيطُ بنا معًا عقرت بعيرى ياامرأ القيس فانزل(١٠)
فقلت لها سيرى وأَرْخِى زِمَامَه ولا تُبعدينى منْ جَناكِ المعلل(١١)
دعى البكرَ لا ترثى له منْ ردافِنَا وهاتى أَذيقينا جناةَ القَرَنفل(١٢)
بثغرٍ كمِثل الأُقْحوَان مُنورٍ نَقِّ الثنايا أَشنَبٍ غَيْرَ أَثعَل(١٣)

(١) عبرة مهراقة دمعة مسكوبة . والمعول المستعان به .
(٢) الدأب : الشأن . (٣) تضوع المسك : انتشرت رائحته . والريا : الرائحة . والمراد أنه اذا قامت هاتان المرأتان يضوع منهما المسك كما يأتى النسيم بشذا القرنفل . (٤) المحمل على وزن منبر حمالة السيف . (٥) ابتدأ الشاعر يذكر حوادث شبابه وملاعب صباه ، وخص بالذكر أيامه بدارة جلجل ، وهى مكان بنجد ، وسيحدثنا عن لهوه أطيب الحديث . (٦) مطية الشاعر هنا ناقته . (٧) هداب الدمقس : أطراف الحرير ، والمفتل : المفتول . (٨) السديف : قطع السنام ، والصحاف جمع صفحة القصعة ، والعبيط لحم الذبيحة تنحر من غير علة ، والمثمل الشهى . (٩) الخدر هنا الهودج وعنيزة اسم لمحبوبته ، انك مرجلى : أى فاضحى بين رجالى . (١٠) الغبيط : الرحل ، عقرت بعيرى دميت ظهره لثقلك . (١١) الجنى : الشهد ، المعلل : الشهى . (١٢) البكر : البعير ، الرداف : هو أن يركب اثنان على دابة واحدة ، أذيقينا جناة القرنفل : أى مكنينا من ثغرك العطر .
(١٣) الأقحوان زهر أبيض جميل تشبه به الثغور العذاب ، أشنب: فيه برد ورقة وصفاء .

فمثلك حُبْلى قد طرَقت ومرضع   فألهيتها عن ذى تمائمَ مُحْوَل(١)
إذا ما بكى من خلفِها انْصَرفت   له بشقٍّ وتحتى شِقها لم يُحوَّل(٢)
ويوماً على ظهْر الكثيب تعذرت   على وآلت حلفةً لم تحالِ(٣)
أفاطِم مهلاً بعض هذا التدلل   وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى(٤)
أغرّك منى أن حبك قاتلى   وأنكِ مهما تأمرى القلب يفعل
وأنكِ قسَّمت الفؤاد فنصفه   قتيلٌ ونصف بالحديد مكبل(٥)
فإن تكُ قد ساءتك منى خليقةٌ   فسلى ثيابى من ثيابك تنسل(٦)
وما ذرفت عيناكِ إلا لتضربى   بسهميك فى أعشار قلب مقتل(٧)
وبيضة خدر لا يُرامُ خِباؤها   تمتعت من لهْو بها غيرُ مُعجل(٨)
تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشرًا   على حِراصاً لو يُسرُّونَ مقتلى(٩)
إذا ما الثريَّا فى السماء تعرضت   تعرُّض أثناء الوشاح المفصَّل(١٠)
فجئتُ وقد أنضت لنومٍ ثيابها   لدى الستر إلا لبسة المتفضِّل(١١)
فقالت : يمين الله ما لك حِيلةٌ   وما إن أرى عنك الغوَاية تنجلى(١٢)

---

(١) محول مضى عليه حول . يريد أن يقول انى رجل أفتن النساء ، حتى لا تنجو منى الحبلى ولا المرضع ، مع أنها فى شغل بالحمل والرضاع .

(٢) فى هذا البيت صورة فاتنة من صور الجماع . (٣) تعذرت : تمنعت . أى مضت فى عنادها وتجنيها ــ آلت حلفة . أقسمت يمينا ، لم تحلل ، لم تقيد اليمين يحلها هو ولم يستثن فيها .

(٤) أزمع الأمر ، وأزمع عليه أثبت عزمه على امضائه والصرح بفتح الصاد وضمها الهجر والقطيعة والاجمال الرفق . (٥) مكبل : مقيد .

(٦) الخليقة : السجية والطبيعة ، والثياب هنا القلب وتنسل تسقط والمعنى اذا ساءتك خصلة من خصالى فسلى قلبى من قلبك .

(٧) السهام : العيون ، قلب مقتل : أهلكه العشق (٨) بيضة الخدر كناية عن المراة المخدرة المحجبة ، غير معجل غير مضطر الى العجلة .

(٩) الأحراس : الحراس ، وحراص جمع حريص ، وأسر الأمر أضمره .

(١٠) الوشاح أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها . والوشاح المفصل : هو المرصع بالذهب أو الزبرجد .

(١١) أنضى الثياب خففها . والمتفضل هو الذى يلبس ثوبا واحدا حين يأوى الى فراشه . (١٢) مالك حيلة : أى لا بصر لك بعواقب الأمور .

خرجت بها أمشى تجرُّ وراءنا على أثرينا ذيل مرطٍ مُرحل(١)
فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحت بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل(٢)
هصرتُ بفودَى رأسها فتمايلتْ على هضيم الكشح ريا المخلخل(٣)
مهفهفةٌ بيضاءُ غير مُفاضة ترائبها مصقولةٌ كالسَّجنجل(٤)
كبكر المقاناةِ البياض بصفرةٍ غذاها نمير الماء غير المحلل(٥)
تصدُّ وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرةٍ من وحْش وجْرة مطفل(٦)
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحِش إذا هى نصَّته ولا بمُعطل(٧)
وفرْع يزين المتنَ أسْود فاحم أثيث كقِنو النخاة المتعثكل(٨)
غدائره مُسْتشزراتٌ إلى العلى تضل المدارِى فى مثنى ومرسل(٩)
وكشح لطيف كالجديل مخصَّر وساق كأُنبوب السقى المذلل(١٠)

---

(١) المرط كساء من صوف أوخز ، مرجل : فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رحال . (٢) جزت المكان : قطعته وخلفته ، انتحت قصدت ، الخبت . الفضاء الواسع ، والعقنقل : الوادى العظيم .

(٣) هصرت فوديها : أملتهما الى ، والفودان : جانبا الرأس . هضيم الكشح : دقيقة الخصر ، ريا المخلخل : بضة الساق .

(٤) مهفهفة : ضامرة البطن ، غير مفاضة : غير مسترخية اللحم ، الترائب موضع القلادة من الصدر ، والسجنجل : المرآة المجلوة .

(٥) المقاناة : الخلط (والشاعر يشبه خليلته ببيضة النعام لأول عهدها بمزج الصفر بالبياض) ، المحلل : الذى كدرته الابل ، يصف حبيبته بأنها لا تشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات ، وانما هى سيدة مترفة تشرب الماء النمير . (٦) تصد : تتمنع ، تبدى : تعيد الصد ، أى تصد ، الأسيل : الرقيق ، صفة لموصوف محذوف هو الخد ، وجرة : مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة ، ومطفل : ذات طفل والمعنى تصد عن خد أسيل وتتقى المحب بعين مملوءة بالعطف ، كما تنظر الى طفلها الظبية الرءوم .

(٧) الرئم : الظبى ، نصته : رفعته ، معطل وعاطل : لا حيلة فيه .

(٨) الفرع : الشعر . (٩) مستشزرات : مرتفعات ، والغدائر : خصل الشعر ، المدارى : الأمشاط . (١٠) الجديل : الوشاح ، والمذلل اللين ، ومنه شجرة مذللة معطفة الأغصان ، ينالها كل احد .

وَيُضحى فتيتُ المِسْكِ فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل(١)
وتعطو برخْص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسحل(٢)
تضىءُ الظلام بالعشاء كأنه منارةُ مُمسى راهب مُتبتل(٣)
إلى مثْلها يرنُو الحليم صبابة إذا ما اسبكرَّت بين دِرْع ومجول(٤)
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواها بمنسل(٥)
ألا رُبَّ خَصم فيك ألْوى رددْته نصيح على تعذاله غير مؤتل(٦)
وليل كموْج البحر أرخى سُدولهُ على بأنواع الهموم ليبتلى(٧)
فقلت له لما تمطى بجوزِهِ وأردَفَ أعجازًا وَنَاءَ بِكلكل(٨)
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل(٩)
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مُغار الفتل شدَّت بيذبل(١٠)
كأن الثريَّا عُلقت فى مصامِها بأمراس كتَّان إلى صمِّ جندل(١١)

(١) انتطقت المرأة : لبست المنطق أو النطاق ، والتفضيل لبس الثوب الواحد . وعن هنا : بمعنى بعد ، أى لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد أنها لم تكتس بعد عرى ، ونوم الضحى من عادات المترفات .
(٢) العطو : التناول ، ورخص : لين ناعم ، وهو وصف للبنان : وشثن : خشن ، وأساريع جمع أسروع والاسحل شجر يستاك به .
(٣) يقول : تضىء محبوبتى الظلام كأنها منارة الراهب فى المساء .
(٤) اسبكرت : اعتدلت واستقامت ، ودرع المرأة : قميصها .
(٥) تسلت : تكشفت وانزاحت ، عمايات : جمع عماية ، وهى الغواية والضلال ، ومنسل : سال ، ولم يسل عن هواها فؤادى .
(٦) ألوى : عسر ، والتعذال والعذل : اللوم ، غير مؤتل غير مقصر .
(٧) السدول : الستور ، يبتلى : يختبر . وهو يصف الليل بتعمد ايذائه . (٨) تمطى الليل : طال ، والجوز : الوسط ، وفى رواية بصلبه ، ناء : نهض ، والكلكل : الصدر . (٩) أمثل : أفضل . يذكر أن همومه موصولة ، فليس الصبح خير من الليل . (١٠) مغار : محكم شديد ، ويذبل اسم جبل : يصف نجوم الليل بالثبات . (١١) فى مصامها : فى موضعها ، أمراس : جمع مرس ، وهو الحبل ، والجندل الأصم : الحجر الصلب .

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهِلٍ منى ذلول مرحَّل (١)
وواد كجوفِ العير قفر قطعته به الذِّئب يعوى كالخليع المعيل (٢)
فقلت له لما عوى : إن شأننا قليل الغِنى إن كنت لما تمول (٣)
كلانا إذا ما نال شيئًا أفاتهُ ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل (٤)
وقد أغتدِى والطير فى وكناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل (٥)
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطَّهُ السيل من عل (٦)
كميتٍ يزلُّ اللبد عن حال متنه كما زلت الصَّفْواءَ بالمتنزلِ (٧)
على العقب جيَّاش كأَن اهتزامه إذا جاش فيه حميه غليُ مرْجَل (٨)
مسحٍ إذا ما السابحات على الونى أثرْنَ غبارًا بالكديد المركل (٩)
يزل الغلامُ الخف عن صهواتِهِ ويلوَى بأَثوابِ العنيفِ المثقل (١٠)
دريد كخذْروف الوليدِ أمره تتابع كفيْهِ بخيط موصَّل (١١)

(١) العصام : حبل تربط به القربة ، ومرحل : كثير الحمل والترحيل.

(٢) يقال للموضع الذى لا خير فيه ، والمعيل : المسيب الذى ألقى حبله على غاربه . (٣) تمول : صار ذا مال (٤) أفاته : ضيعه ، ومن يحترث حرثى وحرثك : من هو مثلنا ، ويهزل : يضعف .

(٥) وكنات : العش ، وفرس أجراد ومنجرد : قصير الشعر رقيقه ، الأوابد : الوحش النافر ، وقيد الأوابد : مبالغة فى سرعة العدو ، والهيكل : الضخم من كل شيء . (٦) مكر مفر : سريع الكر والفر ، من عل : من فوق . [يصف عدو الفرس فى كره وفره واقباله وادباره بجلاميد الصخر تحطها السيول]. (٧) كميت خالط حمرته سواد ، ويزل : يسقط ، عن حال متنه : عن وسط ظهره ، الصفواء : الملساء ، المتنزل : المطر ينزل من السماء . (٨) وجياش : اذا حركته بعقبك جاش كما يجيش البحر بالأمواج ، اهتزامه : صهيله ، المرجل : القدر ، [يشبه صهيل جواده حين يجيش حميه بالقدر حين تفور] .

(٩) مسح : عداء السابحات ، والسوابح : الخيول ، الونى : الضعف والتعب الكديد الأرض تكدها بحوافرها الدواب ، المركل : المكدود .

(١٠) الخف : الجلد ، أو الخفيف العنيف من لا رفق له بركوب الخيل ، المثقل : الثقيل [يريد أنه لا يذل لغير سيده وهو وصف بديع] .

(١١) درير : كثير الجرى ، الوليد : الصبى ، والخذروف : شيء يدوره فى يديه بخيط فيسمع له دوى « نحلة » ، أمره : فتله .

له أَيْطَلا ظبْيٍ وسَاقا نعامةٍ وإرخَاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتفُل(١)

ضليعٌ إذا اسْتَدبَرْته سَد فرجهُ بِضافٍ فويق الأَرض ليس بأعزَل(٢)

كأن سَنا المتنيْنِ منه إذا انتحَى مدَاكُ عَروسٍ أو صلايةَ حَنظَل(٣)

كأَن دِمَاءَ الهاديات بِنحْره عُصارة حناءٍ بشيبٍ مرجَّل(٤)

فَعنْ لنا سِربٌ كأَن نعاجه عذارَى دوارٍ فى مُلاءٍ مذيل(٥)

فأَدبرن كالجزع المفصَّل بينَهُ بجيد مُعَمّ فى العشيرة مُخول(٦)

فأَلحقنا بالهادياتِ ودُونهُ جوَاحرها فى صَرَّة لم تزيل(٧)

فعادى عداءً بين ثورٍ ونَعْجة دِراكاً ولم ينْضَح بماءٍ فَيغْسل(٨)

فَظل طهاةُ اللَّحم ما بين مُنضجٍ صفِيفَ شِواء أَو قَدِير مُعَجَّل(٩)

---

(١) الايطل : الكشح ، السرحان الذئب ، والتقريب : رفع اليدين معا .

(٢) ضليع : قوى الجنبين ، استدبرته : نظرت اليه من خلف .

(٣) المداك والمدوك الصلاية [يذكر أن الجواد اذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رايت ظهره براقا لامعا كما تلمع صلاية الحنظل ومداك العروس ، وانما خص صلاية الحنظل لما يترك بها من الدهن اللامع ، وخص مداك العروس لقرب عهده بالطيب ، وان امرأ القيس لشاعر فنان !]

(٤) الهاديات : المتقدمات [ويريد بها هنا الفرائس] ، مرجل : مسرح ، [يذكر أن دماء الفرائس بنحره كعصارة الحناء بالشيب المرجل وكلاهما يلمع من الخضاب] . (٥) عن : عرض ، السرب : القطيع ، النعاج : البقر ، دوار : اسم صنم ، مذيل : طويل الأطراف .

(٦) الجزع : الخرز [لأن لونه يجزع الى بياض وسواد] ، والمفصل بينه : اى الذى فصل بين حباته بالذهب أو الزبرجد ، الجيد : العنق ، المعم والمخول : كرام العم والخال : [يشبه النعاج بالجزع المفصل فى جيد من كرم عمه وخاله] . (٧) الهاديات : السابقات المتقدمات ، الجواحر : المتخلفات ، فى صرة : فى صياح شديد ، لم تزيل : تتفرق .

(٨) عادى عداء : جمع بين ثور ونعجة ، دراكا : تباعا ، لم ينضح بماء : لم يعرق . (٩) الطهاة : جمع طاه وهو الطباخ ، لحم صفيف ، صف على النار ليشوى وفى الشمس ليقدد .

ورحْنا يكادُ الطرْف يَقْصُر دُونه   متى ما ترقَّ العينُ فيهِ تَسفلِ(١)
فباتَ عليه سَرجُه ولجامُه   وباتَ بِعيْني قائماً غيرَ مُرسلِ(٢)
أصاحِ ؟ ترَى بَرقاً أُريك وَميضهْ   كلمعِ اليدين فى حَبِيٍّ مكللِ(٣)
يُضِيءُ سناه أو مصابيح رَاهِب   أَهَانَ السَّليطَ بالذبال المفتلِ(٤)
قَعَدتُ وأَصحابى له بين ضارجٍ   وبين العذيْبِ ، بعدَ ما مُتَأَمَّلِ(٥)
على قَطنٍ بالشيْمِ أَيمنُ صَوبه   وَأَيْسَرَه عَلى الستَار فيذبلِ(٦)
فأَضْحى يسحُّ الماءَ حَول كتَيْفَةَ   يكبُّ على الأَذقان دوْح الكنهبْلِ(٧)
ومَرَّ على القنان مِنْ نفيانهِ   فأَنزَل مِنْه العصْم من كلِّ منزلِ(٨)
وتَيْماءُ لم يَترك بها جِذعَ نخلة   ولا اطُمًا إلا مشيدًا بِجنْدلِ(٩)
كأَن ثبيرًا فى عرانينَ وَبْلهِ   كبير أُناسٍ فى بجاد مُزَمَّلِ(١٠)

---

(١) يكاد الطرف يقصر دونه : أى أن العين لا تقدر على حصر محاسنه ، ترق : تنظر الى أعلى ، تسفل : تنظر الى أسفل . (٢) يريد انه بات مقيدا مسرجا ملجما ، ليستطيع الفارس امتطاءه متى شاء .

(٣) ومض البرق ومضا ووميضا وومضانا : لمع لمعا خفيا ، الحبى : الحباب المتراكم . (٤) السليط : الزيت الجيد ، الذبال : جمع ذبالة ، وهى فتيلة المصباح [وفى رواية : آمال] . (٥) ضارج : اسم ماء ببلاد طىء ، والعذيب : اسم ماء قريب منه ، ومتأمل : أى مأمول .

(٦) قطن : اسم جبل ، الشيم : النظر الى البرق ، الصوب : أى المطر ، والستار ويذبل : جبلان . (٧) يسح : الماء يسكبه ، وكتيفة : اسم أرض ، دوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة ، والكنهبل : نوع من الشجر الضخم . (٨) القنان : اسم جبل ابنى أسد ، نفيان المطر : رشاشه ، العصم : الوعول ، ومفردها أعصم [سميت بذلك لاعتصامها بالجبال] . (٩) تيماء : اسم أرض ، الاطم : القصر [يريد أن المطر لم يترك بتيماء الا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الآطام والديار] .

(١٠) ثبيرا : اسم جبل ، عرانين وبله : فى طفيان وبله ، البجاد : كساء مخطط يلبسه كبار الأعراب ، مزمل : ملفف .

كأن ذُرا رأْس المجيمرِ غدوةً من السيل والغثاء فلكة مغْزَل(١)
وألقى بصحْرَاء الغبيط بعاعه نزول اليمانى ذِى العياب المحمَّل(٢)
كأن مُكاكِىَّ الجواءِ غديةً صبحن سُلافاً من رحيق مفلفل(٣)
كأن سباعاً فيه غرقى عشية بأَرجائه القصوى أنابيش عُنصل(٤)

(٢) النابغة الذبيانى

هو النابغة الذبيانى أبو أُمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول الطبقة الأُولى من شعراءِ الجاهلية ، وزعيمهم بعكاظ ، وأحسنهم ديباجة لفظ ، وجلاء معنى ، ولطف اعتذار ـ ولقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءة وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير ـ وهو من أشراف ذبيان ، إلا أن تكسبه بالشعر غض قليلا من شرفه ، على أنه لم يتكسب بشعره إلا فى مدح ملوك العرب ، وكان من أمره فى ذلك أنه اتصل بملوك الحيرَة ومدحهم ، وطالت صحبته للنعمان بن المنذر ، فأَدناه منه إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطانته ، فغضب عليه وهم بقتله ، فأَسر إليه بذلك عصامٌ حاجب النعمان ، فهرب النابغة إلى ملوك غسان فى الشام ، المنافسين للمناذرة فى ملك العرب فى الحيرة ، فمدح عمرو بن الحارث الأَصغر وأخاه النعمان ، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلى معاودة العيش فى ظلاله ، فتنصل واعتذار إليه بقصائد عطفت عليه قلبه ، وعمر النابغة طويلا ، ومات قبل البعثة .

---

(١) المجيمر : اسم جبل ، وذرا رأسه أعاليه ، الغثاء : ما يخالط زبد السيل من ورق الشجر والحشيش . (٢) الغبيط : أراض لبنى يربوع ، بعاعه : ثقله ، العياب : جمع عيبة [وهى ما يضع الرجل فيه متاعه] . (٣) المكاكى : ضرب من الطير يصيح فى الغدوات ، صبحن ، شربن شراب الصباح السلاف والسلافة : صفوة الخمر ، الرحيق : الخمر مفلفل وضع عليه فلفل (يريد أنه لذاع) . (٤) الأنابيش : جمع أنبوش وهو أصل البقل ، والعنصل : البصل البرى .

شعره : يمتاز برشاقة اللفظ. ووضوح المعنى ، وحسن النظم ، وقلة التكلف، حتى عُدَّ عند المدققين من الشعراء كجرير أنه أشعر شعراء الجاهلية ، وأغراه تكسُّبه بالشِّعر أن يفتن فى ضروب المدْح ، حتى مدَح الشىء وضده .

ومن جيد قوله فى الاعتذار :

أتانى (أبيت اللعن)[1] أنك لمْتِنى ... وتلك التى أهتم[2] منها وأنصبُ[3]
فبتُّ كأن العائدات[4] فرشن لِى ... هراسا[5] به يعلى فراشى ويقشب[6]
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراءَ الله للمرءِ مطلب
لئن كنت قد بُلغْت عنى جناية[7] ... لمبْلِّغك الواشى أغشُّ وأكذَب
ولكننى كنت امرأ لى جانبٌ[8] ... من الأَرض فيه مستَرادٌ[9] ومذهب
ملوكٌ[10] وإخوان إذا ما أتيتهمْ ... أحكمُ فى أموالهم وأُقرَّب
كفعلك فى قوم أَراك اصطنعتهم ... فلم نرهم فى شكرهم لك أذنَبوا[11]
فلا تتركنى بالوعيد كأننى ... إلى الناس مطلىٌّ به القار[12] أجربُ
ألم تر أن الله أعطاك سورة[13] ... ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذَب[14]
ولست بمستبق أخًا لا تلمه ... على شعث ، أى الرجال المهذبُ[15]

---

(١) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية ، ومعناها : أبيت أن تفعل شيئا تلعن به ، وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام .

(٢) أصير لأجلها ذا هم . (٣) أتعب . (٤) الزائرات فى المرض . (٥) شوكا كأنه حسك . (٦) يخلط .

(٧) ذنبا وفى رواية : خيانة . (٨) الجانب : الناحية [وأراد به الشام]. (٩) موضع يتردد فيه لطلب الرزق .

(١٠) بدل من مستراد ومذهب ــ أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك .

(١١) قال الأصمعى : [كما فعلت أنت بقوم قربتهم وأكرمتهم ، فتركوا الملوك ولزموك ، فلم تر ذلك ذنبا عليهم » . (١٢) القطران .

(١٣) منزلة رفيعة وشرفا . (١٤) يضطرب : [وأراد بهذا البيت والذى قبله تسلية النعمان على ما حصل من مدحه لآل جفنة] .

(١٥) تلمه : تصلحه ، والشعث : الفساد ، والمهذب : المنقى من العيوب ، [يعتذر بذلك عن زلته] .

فإن أك مظلوماً (١) فعبدٌ ظلمته ... وإن تك ذا عُتبى (٢) فمثلك يعتب (٣)

ومن أبلغ المعلقات والمطولات أيضاً :

(٢) معلقة النابغة الذبيانى

عوجُوا فحيوا لنعمٍ دمنة الدار ... ماذا تحيون من نؤى وأحجار ؟ (٤)

أقوى وأقفر من نُعْم وغيَّرَه ... هُوج الرياح بهابى الترب موَّار (٥)

وقفت فيها سراة اليومَ أسألها ... عن آل نُعم أمونًا عبر أسفار (٦)

فاستعجمت دارُ نعم ما تكلمنا ... والدار لو كلمتنا ذات أخبار (٧)

فما وجدت بها شيئًا ألوذ به ... إلا الثمامَ وإلا مَوْقدَ النار (٨)

وقد أرانى ونعمًا لاهيينِ معاً ... والدهر والعيش لم يهمُمْ بإمرار (٩)

أيام تخبرنى نعم وأخبرها ... ما أكتم الناس من حاجى وأسرارى

لولا حبائل من نعم علقتُ بها ... لأقصر القلب عنها أى إقصار (١٠)

فإن أفاق لقد طالت عمايته ... والمرءُ يخلقَ طورًا بعد أطوار (١١)

نُبئت نعمًا على الهجران عاتبة ... سقيًا ودعيًا لذاك العاتب الزارى

رأيت نعمًا وأصحابى على عَجل ... والعيش للبين قد شدَّت بأكوار

فريع قلبى وكانت نظرة عرضت ... حينا وتوفيقَ أقدار لأقدار (١٢)

بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها ... لم تؤذِ أهلًا ولم تُفحِش على جار

---

(١) جعل غضبه ظلما لأنه عن غير موجب . (٢) رضا .
(٣) يرضى . (٤) عوجوا : قفوا ، الدمنة : ما اجتمع من آثار الديار ، النؤى ما يكون حول الخباء لمنع المطر . (٥) أقوى : خلا ، اقفر : صار قفرا ، هوج : جمع أهوج ، الريح تعصف بشدة ، هابى الترب : سافيه ، موار : يجيء ويذهب . (٦) سراة اليوم : وسطه ، والأمون : الناقة القوية المأمونة . (٧) استعجمت : عيت عن الجواب .
(٨) ألوذ به : أفزع اليه ، الثمام : نوع من النبت الدقيق الضعيف .
(٩) أمر العيش امرارا صار مرا .
(١٠) الحبائل : جمع حبالة [وهى الشرك] ، أقصر : كف وانصرف .
(١١) العماية : الضلالة ، والطور : الحال ، ويخلق : يتغير .
(١٢) ريع : من الروع [وهو الفزع] ، والحين : الهلاك .

تلوث بعد افتضال البُرد مئزرها لوثا على مثل دعص الرملة الهارى(١)
والطيب يزداد طيباً أن يكون بها فى جيد واضحةِ الخدَّين معطار(٢)
تسقى الضجيعَ إذا استسقى بذى أَشر عذب المذاقة بعد النوم مخمار(٣)
كأَن مشمولة صرفاً بريقتها من بعدِ رقدتها أَو شهد مُشتار(٤)
أَقولُ والنجمُ قد مالت أَواخره إلى المغيب : تثبتْ نظرة حار(٥)
أَلمحةٌ من سنا برق رأَى بصرى أَم وجه نعم بدا لى أَم سنا نار
بل وجهُ نعم بدا والليل مُعتكرُ فلاح من بين أَثواب وأَستار
إن الحمول التى رَاحت مُهجرة يتبعْنَ كل سفيه الرأْى مغيار(٦)
نواعمٌ مِثل بيضات بمحنية يحفزنَ منه ظليمًا فى نقًا هار(٧)
إذا تغنى الحمامُ الورْقُ هيَّجنى وإنْ تغربت عنها أُم عمّار(٨)
ومهمه نازحٍ تعوى الذئابُ به نائى المياه عن الورَّاد مقفار(٩)
جاوزْتُهُ بعلنداة مناقلة وعر الطريق على الإِحزان مضمار(١٠)
تجتابُ أَرضاً إلى أَرض بذى زجل ماض على الهول هاد غير محيار(١١)

(١) تلوث : تلف ، وافتضال البرد : هو التوشح به ، والدعص : الكثيب الصغير ، والهارى : المنهار . (٢) الجيد : العنق ، معطار : كثير العطر ووضوح الخد اشراقه . (٣) الأشر حسن الثغر وتحريز أطرافه مخمار عطر يقول وجدت خمرة الطيب أى رائحته .
(٤) المشمولة : الخمر ، والصرف : الخالصة ، والريقة : الريق ، والمشتار : الذى ينزع العسل من بيوت النحل . (٥) حار : مرخم حارث . (٦) الحمول : الهوادج [ويريد بها النساء راحت مهجرة سارت وقت الهجير] ، مغيار : غيور . (٧) المحنية والمحنو : منعطف الوادى . (٨) الورق : جمع ورقاء ، وهى الحمامة تألف الشجر الوريق . وأم عمار : واقعة موقع البدل من الضمير فى [عنها].
(٩) المهمة : الوادىالموحش ، نازح بعيد الوراد [جمع وارد] ، مقفار : لا أنيس به . (١٠) علنداة : شديدة [وهو وصف للناقة] ، مناقلة : سريعة نقل القوائم فى جرى بين العدو والخبب ، الاحزان : المشى فى الحزن [وهو ما صلب من الأرض] ، مضمار : كثير الضمور .
(١١) تجتاب : تقطع وتجوب ، الزجل : الصوت ، محيار : شديد الحيرة .

إذا الركاب ونت عنها ركائبها ... تشذرَت ببعيد الفتر خطار (١)

كأنما الرحل عنها فوق ذى جدد ... ذب الرِّياد إلى الأَشباح نظار (٢)

مطرَّد أفردت عنه حلائله ... من وَحش وجرة أومن وحش ذى قار (٣)

مجرَّس وحدٌ جأَب أطاع له ... نبات غيث من الوسمى مبكار (٤)

سراته ما خلا لباته لهق ... وفى القوائم مثل الوشم بالقار (٥)

باتت له ليلةٌ شهباءُ تسفعه ... بحاصب ذات إشعان وإمطار (٦)

وباتَ ضيفاً لأَرطاةٍ وألجأَه ... مع الظلام إليها وابل سار (٧)

حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته ... وأسفر الصبحُ عنه أى إسفار

أهوى له قانصٌ يسعى بأَكلبه ... عارى الأَشاجع من قناص أنمار (٨)

محالفُ الصيد هبَّاشٌ له لحَم ... ما إن عليه ثيابٌ غير أَطمار (٩)

---

(١) ونت من الونى [وهو الضعف] ، تشذرت : نشطت ، الفتر : الضعف ، خطار : كثر الخطران برجليه على الناقة يحثها على المضى .

(٢) ذو الجدد : هو ثور الوحش تعلو ظهره خطوط بيض وحمر ، والذب : الدفع ، والرياد والارتياد : التحول . (٣) مطرد : مشرد ، ووجرة وذوقار موضعان ، والوحش اذا أفردت عنه حلائله جن وأكثر من العدو فى أرجاء الفضاء . (٤) مجرس : خائف وذلك أن يسمع جرس الانسان أى صوته ، وحد : وحيد ، جأب ، صلب شديد تطاع له الكلأ وأطاع : واذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء ، الوسمى : اول المطر . ومثله المبكار . (٥) سراته : ظهره ، لباته : صدره ، لهق : أبيض ، القار : شىء أسود تطلى به السفن . (٦) ليلة شهباء ويوم أشهب : تهب فيهما ريح باردة ، تسفعه : تلهفه وترميه ، والحاصب : الريح تقذف بالحصباء وهو الحصى . (٧) الارطاة : شجرة مرة . والوابل المطر الغزير ، والسارى يسح بالليل . (٨) أهوى له : انقض عليه ، أكلبه : كلابه ، الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، وعريها محمود فى الرجال أنمار : اسم لقبيلة مشهورة بالصيد .

(٩) هباش : كثير الهبش وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات ، اى مكاسب ، أطمار : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق .

يسعى بعضب براها فهى طاوية ... طول ارتحال بها منه وتسيار(١)
حتى إذا الثورُ بعد النفر أمكنه ... أشلى وأرسل غطفا كلها ضار(٢)
فكرّ محمية من أن يفر كما ... كرّ المحامى حفاظاً خشية العار(٣)
فشك بالروق منه صدرُ أولها ... شك المشاعب أعشارًا بأعشار(٤)
ثم انثنى بعد للثانى فأقصده ... بذات ثغر بعيد القعر نعّار(٥)
وأثبت الثالث الباقى بنافذة ... من باسل عالم بالطعن كرار(٦)
وظل فى سبعة منها لحقن به ... يكرّ بالروق فيها كر إسوار(٧)
حتى إذا ما قضى منها لُبانتهُ ... وعاد فيها بإقبال وإدبار(٨)
انقض كالكوكب الدرى منصلتًا ... يهوى ويخلط تقريبًا بإحضار(٩)
فذاك شِبهُ قلوصى إذ أضر بها ... طول السُّرى والسرى من بعد أسفار(١٠)
لقد نهيت بنى ذبيان عن أقر ... وعن تربعهم فى كل أصفار(١١)
فقلت يا قوم إن الليث منقبضٌ ... على براثِنه لوثبة الضارى(١٢)
لا أعرفن ربرَباً حورًا مدامعها ... كأنهنّ نعاجٌ حول دوّار(١٣)

---

(١) العضب جمع أعضب : وهو اللين الناعم ، طاوية : جائعة .

(٢) النفر : العدو ، أشلى تقول أشلى ، وتقول أشليت الكلب للصيد .

(٣) محمية : حفاظ والمحامى الذائد والمدافع .

(٤) الروق القرن ، المشاغب : الذى يشعب القدح ويصدعه .

(٥) أقصده رماه بذات ثغر : أى بطعنة ذات ثغر والثغر هنا الشق ، بعيد القعر : بعيد الغور ، نعار : له نعير

(٦) نافذة : أى ماضية ، باسل : من البسالة وهى الشجاعة .

(٧) الاسوار : الرامى الحاذق.

(٨) لبانته : حاجته

(٩) منصلتا : الانصلات هو المضى فى سرعة.

(١٠) القلوس : الناقة ، والسرى : السير بالليل .

(١١) أقر : واد خصيب حماه النعمان ، وبنو ذبيان : قوم النابغة .

(١٢) منقبض على براثنه : متحفز للوثوب وثبة الأسد الضارى .

(١٣) الربرب : القطيع من البقر شبه به النساء ، حور : جمع حوراء ، من الحور وهو شدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها ، والمدامع : العيون ، والنعاج : يريد بها هنا أيضا النساء ، ودوار : صنم كن يطفن حوله .

ينظرنَ شزرًا إلى من جاء عن عرُض … بأَوجه منكرات الرق أَحرار(١)
خلف العضاريط. لايوقين فاحشة … مستمسكات بأَقتاب وأَكوار(٢)
يذرفن دُمعًا على الأَشفار منحدرًا … يا مُلن رحلة حصن وابن سيار(٣)
إما عُصيت فإني غيرُ منفلت … مني اللصابُ فجنبا حَرة النار(٤)
إذ أَصنع البيت في سوداءَ مظلمة … تقيدُ العير لايسرى بها السارى(٥)
تدافع الناس عنَّا حين نركبها … منَ المظالم تدعى أُم صبار
ساق الرفيدات من جوش ومن خردٍ … وماش من رهط. ربعى وحَجار(٦)
قرمى قضاعة حلا حولَ حجرَته … مدًّا عليه بسلاف وأَنفار(٧)
حتى استقل بجمع لا كفاءَ له … يقفى الوحوش عن الصحراءِ جرار(٨)
لا يخفض الرزّ عن أَرض أَلم بها … ولا يضل على مصباحهِ السارى(٩)
وعيرَتنى بنو ذبيان خشيتهُ ، … وهل عليَّ بأَن أَخشاك من عار

---

(١) النظر الشزر : هو النظر في اعراض بمؤخر العين كنظر المباغض ، العرض : الجانب منكرات الرق أحرار صفة للنساء يرميهن السبي بالعبودية . (٢) العضاريط : الخدم ، لا يوقين فاحشة [يريد أن السبي عرضهن للمنكر أي للفحشاء] ، الأقتاب : جمع قتب ، وهو عود الرحل والأكوار الرحال . (٣) الأشفار منابت الهدب .

(٤) اللصاب : جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل ، والحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها حرقت بالنار .

(٥) سوداء مظلمة : وصف لحرة النار : تقيد العير : تمنعه من المشي .

(٦) الرافيدات : بنو رفيدة من كلب بن وبرة ، جوش : جبل ببلاد بني القين ، ربعى وحجار : رجلان من قضاعة (٧) قرمى قضاعة : صفة لربعى وحجارة والمراد الرجل القوى المتين ، حلا : نزلا ، مدا عليه : أمداه ، السلاف : من يتقدمون العسكر ، والأنفار : من يتكون من الجيش من أفرادهم . (٨) استقل : نهض ، لا كفاء له : لا نظير له : والجرار : الجيش الكبير كأنما يجر بعضه بعضا .

(٩) الرز : الصوت ، الم نزل : يعني أنه لا يهاب ارضا ينزل بها حتى يخفض صوته .

(٣) زُهير بن أَبى سلمى المزنى المضرى

هو زُهير بن أَبى سلمى : واسمه ربيعة بن رباح المزنى ثالث فحول الطبقة الأُولى من الجاهلية ، وأَعفهم قولا ، وأَوجزهم لفظًا ، وأَغزرهم حكمة ، وأَكثرهم تهذيبًا لشعره .

نشأَ فى غطفان وإن كان من مزينة ، من بيت جل أَهله شعراء ، رجالا ونساء ، واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبيانى المرى ؛ وأَول ما أَعجبه من فعله وحببَ إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف فى الصلح بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التى بلغت ثلاثة آلاف بعير ، وقال فى ذلك قصيدته ، وهى إحدى المعلقات السبع .

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف أَلا يمدحه زهير إلا أَعطاه ، ولايسأَله إلا أَعطاه ، ولايسلم عليه إلا أَعطاه عبدًا أَو وليدة أَو فرساً ، فاستحيا زهير منهُ ، فكان إذا رآه فى ملأٍ قال : أَنعموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت ، وكان زهير سيدًا كثير المال حليما معروفاً بالورع ؛ متدينًا مؤمنًا بالبعث والحساب ، كما يبدو من قوله :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدَّخرُ ليوم حساب أَو يعجل فينقم

وعَمّرَ زهير ، ومات قبل البعثة بسنة .

وكان زهير صاحب روية وتعمل وتهذيب لما يقول ، ولاسيما مطولاته ، حتى قيل : إنه كان ينظم القصيدة فى أَربعة أَشهر ، ويهذبها فى أَربعة أَشهر ، ويعرضها على خواصه فى أَربعة أَشهر ، فلا يظهرها إلا بعد حول ، ولذلك يسمون بعض مطولاته الحوليات ، ومما سبق غيره قوله يمدح هرماً :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم والسائلون إلى أَبوابه طُرُقا

من يلق يوماً على علاته هرماً يلق السماحة منه والندى خُلقا
لو نال حيٌ من الدنيا بمكرمة أُفق السماءِ لنالت كفه الأُفقا

وشعره يمتاز أولا بحسن الإيجاز وحذف فضول الكلام وحشوه ، بحيث يودع اللفظ اليسير والمعنى الكثير .

وثانياً بإجادة المدح وتجنب الكذب فيه .

وثالثاً بتجنب التعقيد اللفظى والمعنوى ، والبعد من وحْشى الكلام وغريبه .

ورابعاً بقلة الهذر والسخف فى كلامه ، ولذلك كان شعره عفيفاً يقلُّ فيه الهجاء ولقد هجا قوماً فأَوجع ، ثم ندم على ما صنع .

ومن أَشهر المعلقات والمطولات أَيضاً :

مُعلقة زهير بن أَبى سلمى

أَمن أُم أَوفى دمنةٌ لم تكلم بحومانة الدَّراج فالمتثلم(١)
ديارٌ لها بالرقمتين كأَنها مرَاجيع وشم فى نواشر معصم(٢)
بها العينُ والآرامُ يمشينَ خلفة وأَطلاؤها ينهضن من كل مجثَم(٣)
وقفتُ بها من بعد عشرين حجة فلأْياً عرفت الدارَ بعد توهم(٤)
أَثافى سعفًا فى معرس مرجل ونُؤْياً كجذم الحوض لم يتثلمِ(٥)
فلما عرفتُ الدار قلت لربعها أَلا أَنعم صباحاً أَيها الربع واسلم
تبصر خليلى هل ترَى من ظعائن تحملن بالعلياءِ مَن فوق جرثمِ(٦)

(١) أم أوفى : امرأة زهير ، ودمنة الدار : الأثر ، لم تكلم : لم تظهر ، أى ، أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم ، وحومانة الدراج موضع ، وكذلك المتثلم . (٢) الرقمتان : اسم ، مراجع الوشم : خطوطه ، ونواشر المعصم : عروقه . (٣) العين : البقر ، والآرام : الظباء وأطلاؤها : أولادها ، والمجثم : المكان الذى يقمن فيه ، يمشين خلفه : فوجا بعد فوج وسربا بعد سرب . (٤) حجة : سنة .

(٥) الأثافى : الحجارة وضع عليها القدر ، سفع : سود ، ومعرس المرجل : الموضع الذى يكون فيه ، والنؤى : ما يحفر حول الخيام لمنع السيل ، وجذم الحوض : أصله ، لم يتثلم ، لم يتكسر .

(٦) الظفائن : الجمال عليها الهوادج ، العلياء وجرثم : موضعان ، والتحمل : الارتحال .

جعلنَ القنانَ عن يمين وحزنهُ وكم بالقنان من محلّ ومحرم(١)
علونَ بأنماط عتاق وكلة وِرادَ حَواشيها مشاكِهةُ الدم(٢)
ظهرنَ منَ السوبان ثم جزعنهُ عَلى كل قينى قشيب ومُفأَم(٣)
وَوركنَ فى السوبان يعلون متنهُ عليهنَّ دَل الناعِم المتنعمِ(٤)
بكرنَ بكورًا واستَحَرنَ بسحرة فهن ووَادى الرس كاليد للفمِ(٥)
وفيهن ملهى للصديق ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسمِ
كأَن فتات العهن فى كل منزل نزلنَ به حب الفنا لم يحطم(٦)
فلما وَردنَ الماءَ زرقاً جمامهُ وضعن عصيَ الحاضر المتخيمِ(٧)
تذكرنى الأَحلامُ ليلى ومن تطف عليه خيالاتُ الأَحبة يحلمِ(٨)
سعى ساعيا غيظ بن مرةَ بعد ما تنزل ما بين العشيرة بالدمِ(٩)
فأَقسمتُ بالبيت الذى طاف حوله رجالٌ بنوهُ من قريش وجرهمِ(١٠)
يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم(١١)

(١) القنان : اسم جبل ، الحزن : ما غلظ من الأرض .
(٢) الأنماط : ثياب تفرش بها الهوادج ، وعتاق : جيدة الحوك ، والكلة : الستارة [الناموسية] ، وراد موردة ، مشاكهة ، مشابهة .
(٣) السوبان : اسم واد ، جزعنه : قطعنه ، قشيب : جديد ، مفام : واسع . (٤) وركن فى السوبان : عرجن عليه ، متنه : ظهره .
(٥) استحرن : سرين سحرا كاليد للفم : يريد أنهن فى قربهن من وادى الرس كاليد للفم ، لأنها لا تخطئه فى قربها منه .
(٦) العهن : الصوف ، الفنا : شجر له حب أحمر وفيه نقط سود .
(٧) جمام الماء : ما اجتمع منه ، والجمام الزرق : المياه الصافية ، ووضع العصيي : كناية عن ترك السير ، الحاضر : النازل على الماء ، المتخيم : المقيم . (٨) فى كتاب « مدامع العشاق » بحث مفصل عما قاله الشعراء فى طيف الخيال . (٩) الساعيان فى هذا الصلح هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان واليهما يوجه زهير الثناء .
(١٠) البيت : هو الكعبة ، وجرهم : اسم لقوم كانوا ولاة البيت قبل قريش وأبادهم الله لبغيهم . (١١) السحيل : الخيط المفرد المبرم المفتول : والسحيل هنا والمبرم كناية عن الرخاء والشدة .

تَدَاركتما عَبساً وذُبْيان بعد ما تفانَوا ودقوا بينهم عِطرَ مَنشم (١)
وقد قلتما : إنْ نُدرِك السِّلم واسِعًا بمالٍ ومعروفٍ مِن الأَمرِ نسلم (٢)
فأَصبحتما منها على خيرِ موطِنٍ بعيدَين فيها من عُقوقٍ ومَأْثَم (٣)
عظيميْنِ فى عَليا مَعدّ هُدِيتما ومن يستبح كنزاً من المجدِ يعْظم
وأَصْبح يحدَى فيهمُ من تِلادِكم مغانمُ شتَّى من إفال مُزَنم (٤)
تعفَّى الكلوم بالمئين فأَصبحت يُنجِّمها مَن ليسَ فيها بمجرِم (٥)
يُنجِّمها قومٌ لقومٍ غَرامة ولم يهريقوا بينهم مِلءَ محجم (٦)
أَلا أَبلغ الأَحلاف عَنِّى رِسالة وذُبيان هل اقْسَمْتمُ كل مقسم (٧)
فلا تكتمُنَّ الله ما فى صدورِكم ليخفى ، ومهما يكتم اللهُ يَعلم
يؤخَّر فَيوضع فى كتاب فيدخر ليوم حساب أَو يعجل فينْقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هوَ عَنها بالحديثِ المرَجمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذَميمة وتضرى إذا ضَريْتموها فتضرَم (٨)
فتعرككم عَركَ الرُّحى بثفالها وتلقح كِشافاً ثم تنْتج فتتئم (٩)

(١) منشم : امرأة تبيع عطرا. فاذا حاربوا اشتروا منهاكافورا لموتاهم.
(٢) واسعا خالصا من شوائب الأحقاد .
(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم : الاثم ، وهو العدوان .
(٤) يحدى : يساق ، افال : جمع أفيل وهو الفصيل ، مزنم : معلم .
(٥) تعفى : تمحى ، الكلوم ، الجروح ، ينجمها : يؤديها أقساطا .
(٦) المحجم : وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند الفصد .
(٧) أى : هل حلفتم لو تعملون شيئا ينقض ما تحالفتم عليه .
(٨) يقال ضريته فضرى : أى هجته فهاج : تضرم : تشعل .
(٩) الثفال : جلد بسيط تحت الرحى عند الطحن .

فتنْتج لكم غِلمان أشأَمَ كلهم كأَحمر عاد ثمّ ترضع فتُفطم(١)
فتغللْ لكم مالا تغِلُّ لأَهلها قُرى بالعراق من قفيز ودِرهَمِ(٢)
لحيٍّ حلالٍ يَعصم الناس أَمرهُم إذا طَرقت إحدَى الليالى بمعظِمِ(٣)
كِرام فلا ذُو الضغنِ يُدرِك نَبلهُ ولا الجارِم الجانى عليهم بمسلِمِ(٤)
رَعوا ما رُعَوا من ظمئهم ثم أَوردوا غمارًا تَفرّى بالسِّلاح وبالدمِ(٥)
فَقضَّوا منايا بينهم ثم أَصدروا إلى كلإٍ مُستوبِل متوخِّمِ(٦)
لعمرِى لِنعم الحىِّ جر عليهم بما لايُؤاتيهم حُصينُ بن ضمضمِ
وكان طوَى كشحاً على مُستكنه فلا هو أَنداها ولم يَتجَمْجمِ(٧)
وقال سأَقضى حاجتى ثم أَتقى عَدوِّى بأَلف من وَرَائى مُلجمِ(٨)
فشد ولم يَنظر بيوتاً كثيرةً لدى حيث أَلقت رَحلها أُمُّ قشعمِ(٩)
لدى أَسد شاكى السِّلاح مُقذف له لبَد أظفارهُ لم تقلَّمِ(١٠)
جَرِىء متى يُظلم يُعاقِب بظلمه سريعاً وإلا يَبْدَ بالظلم يَظلمِ

---

(١) غلمان أشام : غلمان شؤم ، واحمر عاد : هو عاقر الناقة .
(٢) القفيز : اسم مكيال .
(٣) حى حلال : حالون فى مكان واحد متجاورون ، يعصم الناس أمرهم : يسلم الناس برأيهم ، والمعظم : الحادث الرهيب .
(٤) النبل : الثأر ، الجارم : المجرم .
(٥) الظمأ : الهدنة بين الحربين ، والغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير ، تفرى : انفجر .
(٦) الكلأ : العشب ، أصدروا : رجعوا ، مستوبل : متوخم ، مستثقل مردوم .
(٧) الكشح : الجنب . مستكنة : مضمرة .
(٨) الف ملجم : يريد ألف فارس الجموا خيولهم .
(٩) لم ينظر : لم ينتظر ، والبيوت الكثيرة : قومه وأنصاره ، يريد أنه لم يستعن بأحد ، وأم قشعم : هى المنية .
(١٠) شاكى السلاح : شاهر السلاح ، مقذف : يسرع به كثيرا الى الحروب ، لبد : الشعر الملبد على منكبى الأسد .

لعمرك ما جرَّت عليهم رِماحهمْ ... دمَ ابن نهيك أو قتيلِ المُثلم
ولا شاركوا القوم في دمِ نوفل ... ولا وَهبٍ منهم ولا ابن المُخزم
فكلاًّ أراهم أَصْبحوا يَعقلونَهُ ... عُلالة ألف بعدَ ألف مُصتَّم
ومن يَعص أَطراف الزِّجاج فإنه ... يُطيعُ العوالِي ركِّبت كلَّ لهذم(١)
ومن يوفِ لا يُذمَم ومن يفض قلبه ... إلى مُطمئن البرِّ لا يَتجَمْجم
ومنْ هاب أَسباب المَنايَا يَنلنه ... ولو رام أَسباب السماءِ بسلم
ومن يَكُ ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومهِ يُستَغن عنه ويُذمم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ... ولا يعفها يوماً من الذل يندم
ومن يغترب يحسب عَدوًّا صديقه ... ومن لا يكرِّم نفسهُ لا يكرَّم
ومن لا يذُد عن حوضه بسلاحه ... يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم(٢)
ومن لم يصانِع في أُمور كثيرة ... يضرَّس بأَنْياب ويوطأ بمنسم(٣)
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتَّقِ الشتم يشتم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفَى على الناس تعلم
وكأَين ترَى من صامت لك معجب ... زِيادته أَو نَقْصه في التكلم
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإنَّ سِفاه الشيخ لا حلم بعده ... وإن الفتى بعدَ السفاهَةِ يحلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أَبا لك يَسْأَم

---

(١) الزجاج : أسفل الرمح ، والعوالى : جمع عالية : وهى أعلاه ، اللهذم : اللسان الطويل ، والمعنى : من عصى زجاج الرمح وهى لا تقتل أطاع عواليه وهى قتالة : أى من لم يطع باللين يطع بالشدة .

(٢) الذود : هو الدفع ، ومن لا يظلم يظلم : [يريد به أنه طمع الناس أن يبطشوا بالضعيف وأن يظلموا من لا يقدر على الظلم يعنى من لم يدفع الظلم بمثله يظلم] .

(٣) المصانعة : المداراة ، يضرس : يمضغ بالأضراس ، والمنسم : الحافر .

وأَعلمُ ما فى اليوم والأَمسِ قبْله ولكننى عن علم ما فى غَدٍ عَمِ
رأَيْتُ المنايا خبط عشواءَ من تصب تمته ومن تخطى يُعمَّر فيهرم
سأَلنا فأَعطيتم وعُدنا فَعدْتمُ ومن يُكثر التسآل يوماً سَيُحرم

(٤) عنترة العبسِى

هو عنترة بن عمرو بن شدَّاد العبسى أحد فرسان العرب وأَغربتها وأَجوادها وشُعرائها المشهورين بالفخر والحماسة .

وكانت أُمهُ أَمةً حبشية تسمى زبيبة ، وأَبوه من سادات بنى عَبس .

وكان من عادات العرب أَلاتُلحق ابن الأَمَة بنسبها ، بل تجعله فى عداد العبيد ، ولذلك كان عنترة عند أَبيه منبوذًا بين عبدانه ، يرْعى له إبله وخيله فربأَ بنفسه عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهرَ فيها ، فشبَّ فارساً شجاعاً هُماماً ، وكان يكره استعباد أَبيه له وعدم إلحاقه به ، حتى أَغار بعض العرب على عبس ، واستاقوا إبلهم ، ولحقتهم بنو عبس ، وفيهم عنترة لاستنقاذ الإبل ، فقال له أَبوه : كر ياعنترة ، فقال : العبدُ لايحسن الكرّ ، إنما يحسنُ الحلاب والصر ، فقال : كِر وأَنت حُرٌّ ، فقاتل قتالا شديدًا حتّى هزم القوم واستنقذ الإبل ، فاستلحقه أَبوه ، ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها .

وطال عمر عنترة حتى ضَعف جسمه ، وعجز عن شَنِّ الغارات ، ومات قُبيل البعثة .

شعره ــ لم يشتهر عنترة أَول أَمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت عليه الفُروسية مكتفياً بها حتى عيره يوماً بعض قومه بسوادِه وأَنه لايقول الشعر فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتجَّ لفصاحته بنظم مُعلقته المشهورة التى كانت تسمى المذهبة أَيضاً ، وقد ضمَّنها خصاله ومكارم قومه ، وحُسن دفاعه عنهم ووفرة جُوده معرجا فيها علي أَوصاف أُمور شتى ، وهى من أَجمل المعلقات .

معلقة عنترة العبسى

هل غادرَ الشعراءُ من متردَم ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهُّمِ(١)
يا دار عبلةَ بالجِواءِ تكلمى وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى(٢)
دارٌ لآنسَة غضيض طرفُها طوْع العنان لذيذة المتبسمِ
فوقفتُ فيها ناقتى ـ وكأَنها فدن ـ لأَقضى حاجة المُتلوِّم(٣)
وتحلُّ عبلةَ بالجِوَاءِ وَأَهلُنَا بالحزنِ فالصَّمَّان فالمتثلِّمِ(٤)
حُيِّيتَ مِن طلل تقادم عهدهُ أَقوى وأَقفر بعد أُم الهيثم(٥)
حلت بأَرض الزائرين فأَصبحت عَسرًا على طلابك ابنة مخرم(٦)
عُلقتها عرضاً وأَقتل قومها زعمًا لعمر أَبيك ليس بمزعم(٧)
ولقد نزلت ، فلا تظنى غَيره ، مِنى بمنزلة المحبِّ المكرم(٨)
كيفَ المزَارُ وقد تربع أَهلها بعنيزَتين وأَهلُنا بالغَيْلَمِ(٩)
إنْ كنت أَزمعتِ الفراق فإنما زُمَّت ركابُكم بليل مظلم(١٠)
ما راعنى إلا حَمولة أَهلها وسط الديار تسفُ حَبَّ الخمخِمِ(١١)

(١) غادر : ترك ، متردم : اى شيء يصلح لم يكونوا أصلحوه .
(٢) الجواء : بلد ، تكلمى : أفصحى وأخبرى ، وعمى وأنعمى : أى نعم الله صباحك وأدامك سالمة . (٣) الفدن : القصر ، والمتلوم : المترقب المنتظر : وعنى بالمتلوم نفسه . (٤) تحل : تترك ، والصوان والصمان بمعنى واحد وهو معروف عند العرب (٥) حييت : لك منى التحية ، من طلل : المكان تقادم عهده ، اقوى : خلا من السكان ، أقفر : خرب ، الهيثم : الصقر (٦) الزائرين بالهمزة : الأعداء ، والزاير بالياء : من الزيارة للأحباب والأصدقاء . (٧) علقتها : أحببتها ، عرضا : من غير قصد ، زعما : ظنا . (٨) نزلت حلت من نفسى منزلة المحب المكرم . (٩) تربع القوم : نزلوا فى الربيع ، والعنيزتان ، والغليم : موضعان ، يقول : كيف أزورها وقد بعدت عنى بعد قربها .
(١٠) أزمع : نوى وصمم ، زمت الركاب : شدت
(١١) راعنى : أفزعنى ، والحمولة : الابل ، تسف حب الخمخم : تأكل بقلة لها حب أسود اذا أكلته الغنم قلت البانها وتغيرت .

فيها اثنتانِ وأَربعون حلوبة سودًا كخافيةِ الغراب الأَسحم(١)
إذ تستبيك بذِى غُروب واضح عذبٍ مقبَّله لذيذ المطعم(٢)
وكأَن فارة تاجرٍ بقسِيمة سَبَقت عوارضها إليك من الفم(٣)
أَو رَوْضَة أُنُفًا تَضمَّن نبْتَها غيثٌ قليلُ الدمْنِ ليس بمعلم(٤)
جَادتْ عليه كلُّ بِكْر حُرة فتركنَ كلَّ قرارة كالدرهم(٥)
سحًّا وتِسْكاباً فكلٌّ عَشية يجرى عليها الماءُ لم يتصرّم(٦)
وخلا الذباب بها فليس ببارح غرِدًا كفعل الشارب المترنم(٧)
هزجاً يحك ذراعهُ بذراعِهِ قدح المكب على الزناد الأَجذم(٨)
تمسى وتصبحُ فوق ظهر حشية وأَبيتُ فوق سرَاة أَدهم مُلجم(٩)
وحشيتى سَرْجٌ على عبل الشوى نهد مراكِله نبيل المحزم(١٠)
هل تُبلغنِّى دارها شدَنيةٌ لعنت بمحروم الشرَابِ مُصرَّم(١١)

(١) الحلوبة : الناقة فى ضرعها لبن ، الأسحم : شديد السواد .
(٢) تستبيك : تذهب بعقلك ، غروب : حد ، وغروب الأسنان حدها .
(٣) فارة : الفارة هنا وعاء .
(٤) الروضة : الحديقة ، والأنف : التام فى كل شىء ، والدمن : المطر الخفيف ، والمعلم : ذو العلامة .
(٥) البكر : السحابة فى أول الربيع وفى عادتها أن لا تمطر .
(٦) لم يتصرم : ينفذ ولم ينقطع [وخص مطر العشى لأنه أكثر ما يكون صيفا . (٧ ، ٨) خلا : انفرد ، ببارح : أى بتارك ، غردا : مترنما والتغريد الترنيم ، الهزج : سريع الصوت ، يحك ذراعه بذراعه : أى يمر احدهما على الأخرى ، قدح المكب : الذى أكب على الزناد يقدحه على التوالى ، الأجذم : الزناد القصير . [وكلها نعوت لغناء الذباب وترنيمه فوق الغدير] (٩) الحشية : الفراش المحشو ، يعنى أن حبيبته تمسى وتصبح مستريحة ناعمة ، وأما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارسا لها ومدافعا عن القبيلة . (١٠) حشيتى : فراشى ، سرج : السرج ما يوضع على الجواد ، عبل الشوى : غليظ القوائم يريد جواده .
(١١) تبلغنى : توصلنى دارها منزلها ومقامها .

خطارة غِب السُّرَى زيّافة تطَسَ الأَكام بذاتِ خُف مِيْثَم(١)
وكأَنما أَقِص الآكام عشيةً بقريب بين المنسمين مُصلم(٢)
تأْوى لهُ قلصُ النعام كما أَوت حزَقٌ يَمانِيةٌ لأَعجم طمْطم(٣)
يَتبعْنَ قلة رَأْسِهِ وكأَنَّهُ حرَجٌ على نعش لهن مُخيم(٤)
صعل يعود بذى العشيرة بيضهُ كالعَبد ذى الفَرْو الطويل الأَصْلم(٥)
شربت بماءِ الدُّحْرُضين فأَصبحت زَوْراءَ تنفر عن حياض الديلم(٦)
وكأَنما تنأَى بجانِبِ دَفِّهَا الـــوَحشى منْ هَزِجِ العشىِّ مُؤوّم(٧)
هرٌّ جنِيبٌ كلما عَطفتْ لهُ غضبى تلقاها باليدين وبالفم(٨)

(١) خطارة : تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به حاديها ، غب السرى : اى بعد السرى ، زيافة : تسرع فى مشيها .

(٢) اقص : اكثر ، والآكام : المرتفع من الأرض ، المنسمان : الظفران المقدمان فى الخف ، مصلم : مقطوع الأذنين .

(٣) تأوى : ترجع وتسكن ، قلص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة. حزق : جماعات . (٤) يتبعن : يحطن به ، قلة الرأس : اعلاه ، والحرج : سرير يحمل عليه المريض أو الميت .

(٥) صعل : صغير الرأس دقيق العنق ، يعود : يأتى الى بيضه ، ذو العشيرة : اسم مكان ، شبه ذكر النعام بالعبو الأسود عليه فروة طويلة.

(٦) الدحرضان : اسم مورد من موارد الماء ، زوراء : عوجاء مائلة من النشاط ، والديلم : الأعداء ، والمعنى أنها تجافت عن الحياض لخوفها منها .

(٧) ينأى : يبعد ، والدف : الجنب ، والوحشى : الجانب الأيمن من البهائم ، وسمى الجانب الأيمن وحشيا لأنه لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب ، هزج العشى : صوت الهر الذى يخدشها لأن السنانير اكثر ما تصيح فى العشيات ، والمؤوم : عظيم الرأس .

(٨) هر جنيب : مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردها باليدين وبالفم ، والمعنى أنها كثيرة النشاط فى ساعة العشى وهى ساعة الفتور عند سواها من الابل فكأنها من نشاطها يخدشها هو تحت ابطها .

أبقى لها طول السفار مُقرمدًا سندًا ومثلَ دعائم المتخيم(١)

١

بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب أجش مُهَضم(٢)
وكأن ربا أو كحيلا معقدا حش الوقود به جوانبَ قمقم(٣)
ينباع من ذفرى غضوب جسرة زيّافة مثلِ الفنيق المكدَمِ(٤)
إن تغدقى دونى القِناع فإنّنى طبٌ بأخذ الفارس المستلئم(٥)
أثنى على بما عَلمتُ فإنَّنى سهل مُخالفتى إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمى بَاسلٌ مُرٌ مذاقَته كطعم العلْقَمِ
ولقد شربت من المدامةِ بعدما ركدَ الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراءَ ذات أَسرَّة قرنت بِأَزْهَرَ فى الشمال مقدَّم(٦)
فإذا شَربت فإننى مُستهلكٌ مالى ، وعرضى وافر لم يكلم(٧)
وإذا صَحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى(٨)
وحليل غانية تركت مجندلا تمكو فريضته كشدق الأَعلم(٩)

---

(١) أبقى : ترك ، طول السفار : طول السفر وامتداده ، والقرمد : المبنى بالآجر ، أراد به سنامها وقد أراد أنه انكمش وتماسك وصلب كما يتماسك الآجر وهو الحجارة الخشنة الملمس .

(٢) الردع : مورد لبنى سعد ، الأجش : الذى فى صوته خشونة ، المهضم : المخرم ، وقيل المكسر . (٣) الرب : ما بقى من عصارة الثمار ، الكحيل : القطران ، معقدا : أوقد تحته حتى انعقد .

(٤) ينباع : ينفعل ، والذفران : العظمان الناتئان خلف الأذنين ، زيافة : متبخترة فى سيرها ، والفنيق : الفحل من الابل ، والمكدم : المعضعض ، والكدم : العض ، وفى رواية القرم .

(٥) تغدقى : ترخى القناع على وجهك . طب : أى خبير حاذق ، والمستلئم : الذى لبس اللامة وهى الدرع .

(٦) الأسرة : الخطوط والطرائق التى فى وسطها ، قرنت : شدت بكأس أخرى ، أزهر : ابريق من فضة ، والمقدم : المصفى .

(٧) شربت : سكرت ، مستهلك : مستنفد .

(٨) صحا : أفاق من سكره. (٩) الحليل : الزوج .

سبقت يدىَّ له بعاجل ضربة ورشاش نافذة كلون العندم
هلا سألت الخَيلَ يا ابنةَ مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
إذ لا أزالُ على رحالة سابح نَهْدٍ تعاوره الكماة مُكلم(١)
طوراً يُعرَّض للطعان وتارة يأوى إلى حصد القسى عَرَمْرم(٢)
يخبرك من شهد الوقائع أننى أغشى الوغى وأعِف عند المغنم
فأَرَى مغانم لو أشاءُ حويتها فيصُدُّنى عنها الحيا وتكرمى
ومُدجَّج كرهَ الكماة نزالهُ لا ممعن هرباً ولا مستسلم(٣)
جادت يداى له بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوَّم
برحيبة الفرعين يهدى جَرْسها بالليل معتس الذئاب الضرم(٤)
فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم(٥)
فتركته جَزَرَ السباع ينشْنَه ما بين قلةِ رأسه والمِعْصم
ومشكٍّ سابغة هتكت فروجها بالسَّيف عن حامى الحقيقة معلِم(٦)
رَبذ يداه بالقدَاح إذا شتا هتَّاك غايات التِّجار ملوم(٧)

---

(١) تعاوره : يطعنه ذا مرة وذاك اخرى . الكماة : الشجعان ، مكلم : مجروح . (٢) الحصد : الكثير المحكم ، والقسى : جمع قوس ، والعرمرم : الشديد ، وقيل الكثير .

(٣) المدجج : الكامل السلاح ، كره الكماة : خافوا منه .

(٤) الرحبة : الواسعة ، جرسها : الصوت ، والمعتس والمبتغى : الطالب ، والضرم : الجياع .

(٥) فشككت : شققت ، ثيابه : درعه وقيل قلبه .

(٦) المشك : الدرع ، السابغة : السابلة أضافها لنفسه وهو جائز ، هتكت : فضحت وكشفت ، فروجها : جمع فرجة ، وهى الخروق النافذة ، الحقيقة : الراية، والمعلم : الذى قد علم نفسه بعلامة فى الحرب

(٧) الزبد : السريع الضرب بالقداح الحاذق فى لعبها ، اذا شتا : لأن القحط اكثر ما يأتى العرب فى الشتاء .

لما رآنى قد نزلت أريده ... أبدى نواجذه لغير تبسم(١)
فطعنته بالرمح ثم علوتهُ ... بمهند صافى الحديدة مخذم(٢)
عهدى به مدَّ النهار كأنما ... خضب البنان ورأسهُ بالعظلم(٣)
بطل كأن ثيابهُ فى سرْحةٍ ... يحذَى نعال السِّبت ليس بتوأم(٤)
ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهل ... منِّى وبَيضُ الهند تقطر من دمى
فودَدْت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم
يا شاة ما قنَص لمن حلت له ... حرمت على وليتها لم تحرم(٥)
فبعثت جاريتى فقلت لها اذهبى ... فتجسسى أخبارها لِى واعلمى
قالت : رأيت من الأعادى غرة ... والشاة ممكنة لمن هو مُرْتم
وكأنما التفتت بجيد جداية ... رشأ من الغزلان حُرٍّ أرثم(٦)
نبئت عمرًا غير شاكر نعمتى ... والكفر مخبثة لنفس المنعم
ولقد حفِظت وصاة عمى بالضُّحى ... إذْ تقلص الشفتان عن وضح الفم
فى حومة الحرب التى لا تشتكى ... غمراتها الأَبطال ، غير تغمغم
إذ يتقون بى الأَسنة لم أَخِمْ ... عنها ولكنى تضايق مقدمى(٧)

(١) أبدى نواجذه الخ : كلح فى وجهى فبدت أضراسه .
(٢) المخذم : من الخذم وهو القطع .
(٣) خضب : طلى ، والعظلم : شجر أحمر .
(٤) بطل : لأنه يبطل العظائم بسيفه ، وقيل : هو الذى تبطل عنده دماء الأقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن فعل فى حماره ثأرا ، والسرحة : شجرة لا ثمرة لها وانما يستظل بها ، وتعرف عند العرب بطول ساقها .
(٥) الشاة هنا المرأة ، وهو يعنى جارته لأن من كانت له جارة فهى فى حماه ، وكانت محرمة كالأم والأخت .
(٦) الجيد : العنق ، والجداية بكسر الجيم وفتحها : الظبية أتى عليها خمسة أشهر أو ستة ، والرشأ : الغزال الصغير .
(٧) يتقون بى : يجعلوننى وقاية بينهم وبينها بأن يقدمونى للموت لم أخم : لم أنكص ، تضايق : ضاق .

لما سمعتُ نداءَ مرة قد علا وابنى ربيعة فى الغبار الأَقتم (١)
ومحلم يسعون تحت لوائهم والموتُ تحت لواء آل محلم (٢)
أيقنت أَن سيكون عند لقائهم ضرب يطيرُ عن الفراخ الجثم
لما رأَيت القوم أَقبلَ جَمْعهم يتذامرون كررْتُ غير مُذَمم
يدعون عنترَ والرِّمَاح كأَنها أَشْطان بئر فى لبان الأَدهم (٣)
مازلت أَرميهم بغُرَّة وجهه ولبانِه حتى تسربل بالدم
فازْورَّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم (٤)
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مُكلمى
والخيل تقتحم الغبار عوابساً من بين شيظمة وأَجرد شيظَم (٥)
ولقد شفى نفسى وأَبرأْ سقمها قيل الفوارس «وَيكَ» عنتر أَقدم (٦)
ذُللٌ ركابى حيث شئتُ مُشايعى قلبى ، وأَحفزُهُ بأَمرٍ مُبرم (٧)
ولقد خشيت بأَن أَموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمضم (٨)
الشاتمى عِرضى ولم أَشتمهما والناذرين إذا لم القهما دمى

(١) النداء : الصياح ، الأقتم : الأسود الحالك .

(٢) هو ابن عوف الشيبانى الذى يضرب به المثل فى الوفاء والعزة يقال « لا حر بوادى عوف » .

(٣) الأشطان : جمع شطن وهو حبل البئر ، شبه الرمح به لطوله ، واللبان بالفتح : الصدر . (٤) ازور : مال ، وشكا : لو كان يستطيع الشكوى ، والعبرة بفتح العين : البكاء والاشفاق .

(٥) تقتحم : تخوض ، والعوابس : الكوالح ، والشيظم والأجرد : القصير الشعر . (٦) ويك : كلمة يقولها المتندم اذا ندم على مافرط منه ، ولكثرة استعمالها الحقت بها الكاف ، وقيل « وى » بمعنى أعجب أى عجبا لك يا عنترة .

(٧) ذلل : جمع ذلول ، الذلول من الابل وغيرها سهلة القياد ، وركابى : ما أركبه ، واحفزه : أدفعه ، والمبرم : المحكم .

(٨) والدائرة : ما ينزل بالناس من بلوى ، وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم ، المريان : قتلهما ورد بن حابس العبسى ، وكان عنترة قتل أباهما ضمضما فكانا يتوعدانه .

إنْ يَفعلا فلقد تركت أَباهما جزر السِّباع وكل نسر قشعم(١)

(٥) عمرو بن كلثوم التغلبي

هو أَبو الأَسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبى ، وأُمه ليلى بنت مهلهل أَخى كليب . نشأ عمرو فى قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفرًا ، وأَكثر ما كانت فتن تغلب مع أُختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أَحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحة فى مجلس عمرو بن هند ، قام أَثناءَها شاعر بكر (الحارث بن حلزة اليشكرى) وأَنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أَن هوى الملك مع بكر ، فانصرف ابن كلثوم وفى نفسه ما فيها ؛ ثم خطر فى نفس ابن هند أَن يكسر من أَنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأُمه ليلى بنت مهلهل وأَغرى هندًا أُمه أَن تستخدمها فى قضاءِ أَمر ، فصاحت ليلى واذلاه ، فثار به الغضب وقتل ابن هند فى مجلسه ، ثم رحل تَوًّا إلى بلاده بالجزيرة ، وأَنشد معلقته الآتية ، وعاش مائة وخمسين سنة ، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

شعره – لم يشتهر عمرو إلا بمعلقته الواحدة التى قامت له مقام الشعر الوَفير لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها وعلو فخرها ، ولعل شهرته بالخطابة لاتقل عن شهرته بالشعر الجيد ، ومن سامى الفخر البليغ :

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلا هُبِّى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خُمور الأَندرينا(٢)

---

(١) يقول مهما ينذرانى ومهما يشتمانى فلن يبلغا منى مناهما فلقد قدمت أباهما طعمة للسباع والنسور ، والقشعم : الكبير من النسور .

(٢) هبى : استيقظى ، الصحن : القدح العريض ، فاصبحينا : أى اسقينا الصبوح ، وهو شرب الخمور فى الغداة ، والأندرينا جمع الأندر : وهى قرية بالشام جمعها بما حواليها .

مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماءُ خالطها سخينا (١)
تجور بذى اللبانة عن هواهُ ... إذا ما ذاقها حتى يلينا (٢)
ترى اللحزَ الشحيح إذا أُمرَّتْ ... عليه لماله فيها مهينا (٣)
صددت الكأْس عنا أُم عمرو ... وكان الكأْس مجراها اليمينا (٤)
وما شرُّ الثلاثة أُم عمرو ... بصاحبك الذى لا تصبحينا (٥)
وكأْس قد شربت ببعلبك ... وأُخرى فى دمشق وقاصِرينا
إذا صمدتْ حمياها أَريبًا ... من الفِتْيَان خلت به جُنونا (٦)
فما برحت مجالَ الشرْب حتى ... تغالوها وقالوا : قد روينا (٧)
وإنا سوفَ تدركنا المنايا ... مقدرة لنا ومقدرينا
وإن غدًا وإن اليوم رهن ... وبعد غد بما لا تعلمينا
قفى قبل التفرق ياظعينا ... نخبرْك اليقين وتخبرينا
بيوم كريهة ضَرْبا وطعنًا ... أَقرّ به مواليك العيونا (٨)
قفى نسأَلك هل أَحدثتِ صِرْما ... لوشك البين أَم خنت الأَمينا (٩)
أَفى ليل يُعاتِبنى أَبوها ... وإِخوتها وهم لى ظالمونا ؟ !
تريك إذا دخلت على خلاءٍ ... وقد أَمنت عيون الكاشحينا
ذراعىْ عيطل أَدْمَاءَ بِكْرٍ ... تربعت الأَجارع والمتونا (١٠)

---

(١) مشعشعة : ممزوجة ، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس ، والحص : الورس : سخينا : أى جدنا وتكرمنا من السخاء .
(٢) تجور بمعنى تعدل وتميل ، واللبانة : الحاجة .
(٣) اللحز الضيق ، الشحيح : البخيل .
(٤) صددت : أى صرفت (٥) أى لست أنا شر الثلاثة فتعدل عنى الكأس . (٦) حمياها : سورتها ، أريبا : عاقلا .
(٧) الشرب : جمع شارب ، المجال : موضع المجاولة .
(٨) الكريهة : موضع الحرب ، أقر : أى أمكن ، مواليك : هنا بنو عمك .
(٩) الصرم : القطيعة ، والوشك : السرعة ، والبين : هنا الفراق ، والأمين : الوفى بالعهد (١٠) العيطل : الناقة طويلة العنق ، والأدماء : من الابل ، والظباء : البيضاء بكر : لم تلد ، تربعت : رعت الربع ، الأجارع : جمع أجرع ، وهو الرمل .

وثدياً مثل حق العاج رخصاً — حصاناً من أكف اللامسينا (١)
ونحرًا مثل ضوءِ البدر وافى — بإتمام أُناساً مدلجينا (٢)
ومتنى لدنة طالت ونالت — روادفها تنوءُ بما يلينا (٣)
ومأْكمة يضيق الباب عنها — وكشحاً قد جننت به جنونا (٤)
وسالفتى رخام أو بلنط — يرن خشاش حليهما رنينا (٥)
تذكرت الصبا واشتقت لما — رأيت حمولها أصلا حدينا (٦)
وأعرضت اليمامة واشمخرت — كأسياف بأيدى مصلتينا (٧)
فما وجدت كوجدى أم ثقب — أضلته فرجّعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها — لها من تسعة إلا جنينا (٨)
أبا هند فلا تعجل علينا — وانظرنا نخبرك اليقينا (٩)
بأنا نورد الرايات بيضاً — ونصدرهن حمرًا قد روينا
فإن الضغن بعد الضغن يفشو — عليك ويخرج الداء الدفينا (١٠)
وأيام لنا غر طوال — عصينا الملك فيها أن ندينا
وسيد معشر قد توجوه — بتاج الملك يحمى المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه — مقلدة أعنتها صفونا (١١)
وقد هرت كلاب الحى منا — وشذبنا قتادة من يلينا (١٢)

---

(١) العاج : عظم الفيل ، والرخص : اللين ، الحصـان : العفيفة ، واللامس : المباشر . (٢) النحر : أعلى الصدر .
(٣) لدنة : أى لينة ، تنوء : بمعنى تثقل . (٤) المأكمة : رأس الورك.
(٥) السالفتان : صفحتا العنق ، والرخام والبلنط : حجارة بيض ، الخشاش : صوت الحلى . (٦) أصلا : أصيلا ، وهو العشى .
(٧) أعرضت : قابلت ، اشمخرت : ارتفعت ، مصلت : مجرد .
(٨) شقاها : يعنى شؤمها . (٩) يعنى عمرو بن هند
(١٠) الضغن : الحقد ، ويفشو : يكثر ، الداء الدفين : الكامن .
(١١) صفونا : جمع صافن ، وهى من الخيل .
(١٢) هرت : نبحت ، وشذبنا : أى قطعنا ، القتادة : واحدة القتاد وهو الشوك .

وأَنزلنا البيوت بِذى طلوح إلى الشامات ننفى الموعِدِينا(١)
نعُمُّ أُناسنا وَنَعفّ عنهم ونحملْ عنهم ما حمَّلونا
ورثنَا المجد قد علمتْ معدٌّ نطاعِنُ دونه حَتى يَبينا(٢)
ونحنُ إذا عمادُ الحَربِ خَرت على الأَخفاض نمنَع من يلينا(٣)
نطاعِن ما تراخى الناسُ عنا ونَضرِبُ بالسُّيُوف إذا غشينا(٤)
بِسُمر من قنا الخطىِّ لدن ذَوَابل أَو ببيض يَعتلينا(٥)
نَشُقُّ بها رُءُوس القوم ِ شقًّا ونخليها الرقاب فتختلينا(٦)
تخال جماجمُ الأَبطال منهم وسوقاً بالأَماعِز يَرتمينا(٧)
نجذُّ رُءُوسهم فى غير وَتر ولا يدرون ماذا يتقونا(٨)
كأَن ثيابنا منَّا وَمِنْهمْ خُضِبنَ بأَرْجُوَان أَو طلِينا(٩)
كأَن سيوفنا فينا وفيهمْ مخاريقٌ بأَيدِى لاعبينا(١٠)
إذا ما عى بالإسناف حيٌّ من الهول المشبه أَن يكونا(١١)
نصبنا مثل رهوة ذات حد محافظة وكنا السابقينا(١٢)
بفتيان يرون القتل مجدًا وشيب فى الحروب مجَربينا
يدهدون الرءُوس كما تدهدى حزاورةٌ بأَبطحها الكوينا

(١) يقول وأنزلنا بيوتا بمكان يعرف بذى طلوح الى الشامات نبغى من هــذه الأماكن أعــداءنا الذين كانوا يوعــدوننا . (٢) يبين : يظهــر .
(٣) الأخفـــاض : عمـــد الأخبيـــة . (٤) تراخى : تباعـــد .
(٥) السمر : الرماح . والخطى : منسوب الى الخط قرية على ساحل البحر ، لدن : لينة . (٦) نخليها : أى نقطع بها ، فتختلينا : أى تقطع والضمير راجع الى السيوف أيضا . (٧) تخال : تظن ، وسوق . جمع وســق ، وهــو المكيــال . بالأماعز : جمــع أمعز وهــو المــكان الغليظ .
(٨) نجذ : نقطع . الوتر الدخل وفى رواية « وبر » (٩) الأرجوان : صــبغ أحمر . (١٠) مخاريق : ثياب صــفار يلعب بها الصــبيان .
(١١) الاسناف : التقدم . (١٢) الرهوة : رأس الجبل ، وذات حد أى كثيرة السلاح .

حديًّا الناس كلهمُ جميعًا مُقارعة بَنيهمْ عن بنينا (١)
فأَما يَوْمَ خشيتنا عليهم فتصْبح خيلنا عصبا ثبينا (٢)
وأما يَوْم لا نخشى عليهمْ فنُمْعِن غارة مُتَلببينا (٣)
برأس من بنى جشم بن بكر ندقُّ به السهولة والحزونا (٤)
بأَى مشيئة عمرو بن هند ؟ نكون لقَيلكم فيها قطينا (٥)
بأى مشيئة عمرو بن هند ؟ ترى أَنا نكون الأَرذلينا
بأَى مشيئة عمرو بن هند ؟ تطيع بنا الوشاة وتزدرينا (٦)
تهددنا وتوعدنا ! رويدًا متى كنَّا لأُمك مقتوينا ؟ (٧)
وإن قناتنا ياعمرو أَعيت على الأَعداء قبلك أن تلينا (٨)
إذا عض الثقافُ بها اشمأَزت وولته عشوزنة زبونا (٩)
عشوزنة إذا غمزت أَرنت تشج قفا المثقف والجبينا (١٠)
فهل حدثت عن جشم بن بكر؟ بنقص فى الخطوب الأَولينا (١١)
ورثنا مجد علقمة بن سيف أَباح لنا حصون المجد دينا (١٢)
ورثت مهلهلاً والخير منه زهيرًا نعم ذخر الذاخرينا (١٣)

---

(١) الحديا : التحدى فى القتال ، وهو طلب المبارزة . مقارعة : من القراع فى القتال وهو اصطدام الفارسين . (٢) ثبين : جمع ثبة ، وهى الجماعة .

(٣) نمعن : نسرع . المتلبب : المتحزم . (٤) الرأس السيد ، وهو هنا الجماعة . (٥) القيل : السيد . والقطين : الخدم .
(٦) الازدراء : الاحتقار . (٧) المقتوى : الذى يخدم بقوة .

(٨ ، ٩) القناة هنا : العزة . والثقاف : خشبة تقوم بها الرماح ، واشمأزت ارتفعت والعشوزنة : الشديدة الصلبة الزبونة : الدفوع .

(١٠) غمزت : أى لينت ، أرنت أى صوتت ــ تشج : أى تجرح ، والمثقف : المصلح للرماح والمقوم . (١١) جشم بن بكر : جد ، الخطوب الأمور العظيمة . (١٢) دينا : أى طاعة لها ، وهو علقمة بن سيف ابن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم ابن تغلب بن وائل . (١٣) مهلهل : يعنى عديا أخا كليب ، وسمى مهلهل لأنه أول من رقق الشعر .

وَعتَّاباً وكلثوماً جميعًا بهم نلنا تراث الأكرمينا(١)
وذا البرة الذى حُدِّثْتُ عنه به نُحمَى ونَحمِى المجحرينا(٢)
ومنا قبلة الساعى كليب فأَىُّ المجد إلا قد ولينا ؟(٣)
متى تعقد قرينتَنا بحبل تجذُّ الحبلَ أَو تعصِ القرينا(٤)
ونوجد نحن أَمنعهم ذمارًا وأَوفاهم إذا عقدوا يمينا(٥)
ونحن غداة أُوقدَ فى خزازَى رفدنا فوق رفد الرافدينا(٦)
ونحن الحابسون لذى أَراط تسف الجلة الخور الدرينا(٧)
فكنا الأَيمنين إذ التقينا وكان الأَيسرين بنو أَبينا(٨)
فصالوا صولة فيمن يليهم وَصُلْنَا صولة فيمن يلينا(٩)
فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأَبنا بالملوك مصفدينا
إليكم يا بنى بكر إليكم أَلمَّا تعلموا منا اليقينا
أَلما تعلموا منا ومنكم كتائب يَطَّعنَّ ويرتمينا
نقود الخيل دامية كلاها إلى الأَعداءِ لاحقةً بطونا
علينا البيض واليلب اليمانى وأَسيافٌ يقمن وينحنينا(١٠)
علينا كلُّ سابغة دِلاص ترى تحت النجادِ لها غضونا(١١)

---

(١) كلثوم : أبوه ، وعتاب : جده . (٢) ذا البرة : كعب بن زهير ابن تيم ، وسمى بهذا لشعرات كانت تحت أنفه مدورة كالبرة فى أنف البعير . (٣) قبلة الساعى : ضربه مثلا كالكعبة فى كثرة من يختلف اليه . (٤) القرينة : أصلها أن يقرن جمل صعب الى جمل ذلول . وتعص : تكسر ، وهذا مثل ضربه . (٥) الذمار ما يحق على الانسان أن يحميه . (٦) خزازى : موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت قضاعة اذ ذاك وربيعة أحلافا . (٧) أراط : موضع واقعة كانت لهم ، وتسف : تأكل . (٨) بنو أبينا : يعنى مضر بن نزار وربيعة بن نزار . (٩) الصولة : الحملة . (١٠) اليلب : جلود تنسج على هيئة الدروع وتلبس . (١١) السابغة : الدرع الطويلة ، دلاص : براقة ، والنجاد : النطاق ، والغضون : التثنى .

إذا وُضعت عن الأَبطال يوماً رأيت لها جلود القوم جُونا(١)

كأَنَّ متونَهنَّ متون غُدرٍ تصفقها الرِّياح إذا جرينا(٢)
وتحملنا غداةَ الرَّوعِ جردٌ عرفنَ لنا نقائدَ وافتلينا(٣)
وردنَ دوارِعا وخرجْنَ شعثًا كأَمثال الرصائع قد بلينا
ورثناهنَّ عن آباءِ صدقٌ ونورثِها إذا مِتنا بنينا
وقد علم القبائِل غير فَخْر إذا قبب بأَبطحها بُنينا
بأَنا العاصِمُون إذا أَطِعنا وَأَنَّا الغارمونَ إذا عُصينا
وأَنا المنعمونَ إذا قَدرْنا وَأَنَّا المهلكونَ إذا أُتينا
وَأَنَّا الحاكمونَ بما أَرَدْنا وَأَنَّا النازلون بحيث شِينا
وأَنَّا التَّاركونَ لما سخطنا وَأَنَّا الآخذونَ لما هوينا
وَأَنَّا الطالبون إذا نقمَنا وأَنَّا الضاربون إذا ابْتلينا
وَأَنَّا النازلون بكلِّ ثغر يخافُ النازلون به المنونا(٤)
ونشربُ ـ إن وَردنا ـ الماءَ صفوًا وَيشرب غيرنا كدرًا وطينا
أَلا سائلْ بنى الطماح عنا ودُعْميًّا فكيفَ وَجدتمونا ؟(٥)
نزلتمْ منزلَ الأَضيافِ منا فأَعْجلنا القرى أَن تشتمونا(٦)
قريناكم فعجلنا قراكم قبيلَ الصبح مرادة طحونا(٧)
متى نَنقُلْ إِلى قوم رحاها يكونوا فى اللقاءِ لها طحِينا(٨)

---

(١) جونا : سودا . (٢) المتون : الأعالى ، شبه أعالى الدروع فى بياضها ولمعانها بالغدر وهى الحياض اذا حركتها الريح .
(٣) الروع : الحرب ، والجرد : قصيرة الشعر . (٤) الثغر : المكان المخوف . (٥) بنو الطماح ودعمى : حيان من بنى أسد بن ربيعة ابن نزار . (٦) نزلتم حيث نزل الأضياف : أى جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب ولم ننتظر أن تشتمونا . (٧) قريناكم : جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم فطحناكم طحن الرحى والمرداة : الحجر وكل ما يكسر به الشيء فهو مرداة . (٨) أصل الرحى ما استدار من الشيء والرحى هنا الحرب ، تشبيها بالرحى .

يكون ثقالها شرقي نجد ولهوتها قضاعة أجمعينا(١)
على آثارنا بيض حِسان نحاذر أن تفارق أو تهونا(٢)
ظعائن من بني جُشم بن بكر خلِطنَ لميسم حسباً وَدِينا(٣)
أخذن على فوارسهن عهدا إذا لاقوا فوارس معلمينا(٤)
ليستلبن أبدَاناً وبيضاً وأسرى في الحديد مُقرنينا(٥)
إذا ما رحْن يَمشين الهوينا كما اضطربت مُتون الشاربينا
يقتن جيادنا ويَقلنَ لستم بُعولتنا إذا لم تمنعونا(٦)
إذا لمْ نحمهن فلا بقينا لشيء بعدهُن ولا حيينا(٧)
وما منع الظعائن مثل ضَرب ترى منه السوَاعد كالقلينا(٨)
إذا ما الملك سام الناسَ خَسْفاً أبينا أن يُقر الخسف فينا(٩)
ألا لا يجهلن أحَد علينا فنجهل فوقَ جهلِ الجاهلينا
ونعدوا حيثُ لا يُعْدى علينا ونَضرب بالمواسى من يلينا
ألا لا يحسب الأعداءُ أنّا تَضعضعنا وَأنّا قد فنينا
ترانا بارزين وكل حى قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كأنّا والسُّيوفُ مسللات ولدْنَا الناس طرا أجمعينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا كذاكَ البحرُ نملؤهُ سفينا
إذا بَلغ الرَّضِيع لنا فطاماً تخر له الجبابر ساجدين

(١) الثقال : جلدة توضع تحت الرحى للطحين . ولهوتها : أي مقدار ما يطرح في فم الرحى من الحب . (٢) أي نساءنا اللواتي خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن نفارقهن أو يصرن الى غيرنا . (٣) الميسم : الحسن أي لهن مع جمالهن حسب ودين . (٤) المعلم : الذى يعلم نفسه في الحرب بعلامة . (٥) الأبدان جمع بدن وهى الدروع . (٦) يقتن : من القوت ، وهو الطعام . جيادنا : جمع جواد . (٧) نحميهن : ندافع عنهن . ما بقينا : ما حيينا . (٨) القلون : جمع قلة ، وهى الخشبة التى يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاء . (٩) يقول اننا أعزاء لا تصل الملوك الى ظلمنا .

لنا الدنيا ومن أَضْحى عليها ونبطِش حينَ نَبطش قادرينا
تنادى المصعبان وآلُ بكر وَنَادَوا يا لكِنْدَةَ أَجمعينا
فإن نَغلب فغلّابُونَ قدماً وإن نُغلب فغيرُ مُغلبينا

(٦) طرفة بن العبد البكرى

هو عمرو بن العبد البكرى : أَقصر فحول شعراءِ الجاهلية عمرًا ، ومال إلى الشعر والوقوع به فى أَغراض الناس ، حتى هَجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أَنه كان يتطلب معروفه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاءَ طرفة له فاضطغنها عليه ، حتى إذا ما جاءَه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله أَظهر لهما البشاشة وأَمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لهما كتابين ، وأَحالهما على عامله بالبحرين ليستوفيا منه ، وبينما هما فى الطريق ارتاب المتلمس فى صحيفته ، فعرج على غلام يقرؤها له ، ومضى طرفة ، فإذا فى الصحيفة الأَمر بقتله ، فأَلقى الصحيفة ، وأَراد أَن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك ، وعمره ست وعشرون سنة .

شعره ــ يجيد طرفة الوصف للناقة فى شعر مقتصرًا فيه على بيان الحقيقة مع قصد فى الغلو ، ومعاظلة فى بعض التراكيب ، واسترسال فى وحشى اللفظ. وخفى المعنى وكذلك كان هجاؤه الملوك على شدة وقعه ، ومن أَبلغ المقطعات والمعلقات أَيضاً :

معلقة طرفة بن العبد البكرى

لخولة أَطلالٌ ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد(١)
وقوفاً بها صحْبى على مطيهم يقولون لا تهلك أَسى وتجلد(٢)
كأَن حدوج المالكية غدوة خلا ياسفين بالنواصف من دد(٣)

---

(١) خولة . امرأة من بنى كلب . وثهمد : أكمة فى بلاد خثعم . تلوح : تظهر . (٢) وقوعا : واقفين ، أسى : حزنا ، تجلد : تجمل .
(٣) المالكية نسبة الى مالك بن صبيعة ابن عم عمرو ، =

عدوليةٌ أَو من سفين ابن يامن   يجور بها الملاحُ طورا ويهتدى (١)
يشقُّ حباب الماء حيزومها بها   كما قسم الترب المفايل باليد (٢)
وفى الحىِّ أَحوى ينفض المرد شادنٌ   مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد (٣)
خذول تراعِى ربرباً بخميلة   تناول أَطراف البرير وترتدى (٤)
وتبسم عن أَلمى كأَن منورا   تخلل حرَّ الرمل دعص له ند (٥)
سقته إياة الشمس إلا لثاته   أَسفَّ ولم تكدم عليه بإثمد (٦)
ووَجه كأَن الشمس أَلقت رداءَها   عليه نقِى اللونِ لم يتخدد (٧)
وَإِنى لأَمضى الهم عند احتضاره   بهوجاء مرقال تروح وتغتدى (٨)
أَمون كأَلواح الإران نسأْتها   على لاحب وكأَنه ظهر برجد (٩)

= والحدوج : الهوادج والقباب ، والخلايا : جمع خلية : السفينة الكبيرة : والتواصف : مجارى الماء الى البحر .

(١) عدولية : قديمة ، وهى الكبيرة من السفن وهى تنسب الى موضع يقال له عدول ، ابن يامن : ملاح أو تاجر من أهل البحرين . (٢) حباب الماء طرائفه وما ارتفع منه والحيزوم الصدر . والمفايل الذى يجمع ترابا ويخبىء فيه شيئا مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه فى أحدهما فان أصاب ظفر وان أخطأ قهر . (٣) أحوى : فى لونه سواد فى والمراد شجر الأراك والشادن ولد الظبية اذا قوى . (٤) الخذول : الملتحفة من الظباء ، والربرب : القطيع من الظباء ، الخميلة : الشجر الملتف . البرير : المدرك من ثمر الأراك . (٥) تبسم : يفتر ثغرها واللمى سواد فى الشفة : والمنور : الأقحوان . تخلل : دخل فيه . حر الرمل : النقى منه

(٦) الاياء : ضوء الشمس . اللثة مغرز الأسنان . يقول : أسنانها بيض ، ولثاتها زرق . أسف : أى ذر عليه باثمد هو الكحل .

(٧) ألقت وفى رواية حلت : رداءها . أى بهاءها لم يتخدد : اى يضطرب حتى تصير فيه شقوق .

(٨) الهوجاء : الخفيفة الفؤاد . مر قال : وصف للناقة بشدة السير .

(٩) الأمون : التى أمنت من أن تكون ضعيفة . والاران : التابوت الذى يحمل فيه الموتى ، نسأتها : أى زجرتها . واللاحب : الطريق ، والبرجد : كساء من أكسية العرب .

جُمانية وجْناء تردِى كأنها ... سفنَّجةٌ تَبرَى لأَزعَر أَربدِ
تبارى عِتاقا ناجياتٍ وأَتبعت ... وظيفًا وظيفاً فوق موْر معبدِ (١)
تربَّعَتِ القفيَّنِ فى الشوْل ترتعى ... حدائق مولىِّ الأُسرة أَغيدِ (٢)
تريع إلى صوت المهيب وتتقى ... بذى خصل روعات أَكلف ملبدِ (٣)
كأَن جَناحى مضرجىٍّ تكنفا ... حفافيه شكَّا فى العسيف بمسرَدِ (٤)
فطورًا به خلف الزّميل وتارةً ... على حشف كالشن ذاو مجددِ (٥)
لها فخْذان أَكمل النحض فيهما ... كأَنهما بابا منيف ممْردِ (٦)
وطىٌّ محال كالحنىِّ خلوفة ... وَأَجْرِنةٌ لزت بدأَى منضدِ (٧)
كأَن كناسى ضالة يكنفانها ... وأَطر قِسى تحت صلب مؤبدِ (٨)

---

(١) تبارى : تشابه ، والعتاق : الابل الكرام . والناجيات : المسرعات فى السير والوظيف : ساق البعير ، والمور : الطريق . (٢) تربعت : رعت أيام الربيع ، والقفان . موضعان موصوفان بالرعى لجودتهما ، والشول . بفتح الشين من الابل التى جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر . (٣) تريع : تصغى ، والروعة الفزع . والأكلف : الذى فى وجهه لون يخالف لونه وهو صفة من صفات الفحل. (٤) المضرجى : النسر ، تكنفا : أحاطا ، حفافيه : جوانبه . (٥) الطور : المرة الأولى والتارة : المرة الثانية ، والزميل : الرديف ، والحشف : الضرع الذى لا لبن فيه وهو المنقبض ، والشن : القربة الخلقة ، والذاوى : هو اليابس ، والمجدد الضرع الذى لا لين فيه ولا لبن .

(٦) النحض : اللحم ، والمنيف : المشرف ، والممرد : المملس .

(٧) المحال : فقار الظهر ، والحنى ، القسى خلوفه : مؤخر أضلاعه : وأجرنة : با طن عنق البعير ، لزت : قرب بعضها الى بعض فانضمت واشتدت ، بدأى : أعالى الاضلاع ، منضد أى بعضه فوق بعض .

(٨) الكناس : بيت الظباء والضأن ، شبه تباعد ما بين مرفقها وزورها بكناس الظبى حول الشجر : وأطرقسى أى عطفها وانحناؤها . والصلب : الظهر والمؤيد : الموثق ، والأيد القوة .

لها مرفقان أَفتلان كأَنها تمر بسلمى دالج متشدد(١)
كقنطرة الرومى أَقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد(٢)
صهابية العثنون موجدة القرا بعيد وخد الرِّجل موارة اليد(٣)
جنوحٌ دفاق عندل ثم أَفرعتُ لها كتفاها فى معالى مصعد(٤)
أَمرت يداها فتل شزر وأَجنحت لها عضداها فى سقيف مسند(٥)
كأَن علوب النِّسع فى دأَياتها موارد من خلفاء فى ظهر قردد(٦)
تلاقى وأَحياناً تبين كأَنها بنائق غر فى قميص مقدد(٧)
وأَتلع نهاضٌ إذا صعدت به كسكان بوصى بدجلة مُصعد(٨)
وجمجمة مثل العلاة كأَنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد(٩)

---

(١) المرفق : مفصل العضد ، أفتلان : مفتولان ، تمر وفى رواية أمرا : فتلا ، السلم : الدلو له عروة . الدالج : من يمشى بالدلو من البئر الى الحوض ، متشدد : متكلف للشدة ، ومعنى ذلك أن الذى يسقى الابل يجعل الحوض بعيدا عن البئر ، فاذا أخرج الدلو من البئر مشى به الى الحوض .

(٢) القنطرة : الجسر ، الرومى : أحد البنائين من الروم تكتنفن أى يحاط حواليها بالبناء ، وتشاد : ترفع . (٣) صهابية : بياض شيب .

(٤) جنوح : مائلة فى سيرها عن النشاط ، دفاق متدفقة فى السير ، عندل : عظيمة الرأس ، وأفرعت : رفعت ، فى معالى : مرتفع .

(٥) أمرت فتلت فتلا محكما ، والشزر : الفتل الى اليسار ، وأجنحت : أميلت ، والسقيف : هنا صدرها . ومسند فى رواية منضد بعضه على بعض .

(٦) العلوب : الآثار ، والنسع : حزام الرجل . والدايات : مآخير الأضلاع ، موارد : طرق الماء ، والخلفاء : الصخر الملساء ، والقردد . الأرض الصلبة .

(٧) تلاقى : يتصل بعضها ببعض وتتلاقى الطرق من أعلاها وتفترق من أسفلها .

(٨) الأتلع : الطويل يعنى عنقها ، نهاض : كثير الارتفاع . صعدت . ارتفعت ، السكان . الدقل ، وهو مؤخر السفينة ، والبوصى . ضرب من السفن ، بدجلة . نهر مصعد قاصد الى العراق .

(٩) الجمجمة . غطاء الرأس ، وهو يعنى رأس الناقة ، والعلاة . السندان يضرب عليه الحداد ، وعى الملتقى يعنى جمع ملتقى الرأس شبهه بحرف المبرد لصلابته .

وخُدٌّ كقرطاس الشآمي ومِشفر ... كسبت اليماني قدُّه لم يجرد(١)

وعينان كالماويتين استكنتا ... بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد(٢)

طحوران عوار القذى فتراهما ... كمكحولتي مذعورة أم فرقد(٣)

وصادقتا سمع التوجُّس للسرى ... لهمس خفي أو لصوت مندد(٤)

مؤللتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي شاة بحومل مفرد(٥)

وأروع نباضٌ أحذُّ ململم ... كمرداة صخرٍ في صفيح مصمد(٦)

وإن شئت سامى واسط الكور رأسها ... وعامت بضبعيها نجاءَ الحفيدد(٧)

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت ... مخافة ملوى من القدِ محصد(٨)

وأعلم مخروط من الأنف مارن ... عتيقٌ متى ترجم به الأرض تزدد(٩)

---

(١) المشفر من البعير كالشفة من الانسان ، والسبت : جلود البقر اذا دبغت بالقرظ .

(٢) الماويتان : المرآتان المصقولتان . أسكنتا : دخلتا .

(٣) طحوران : دفوعان ، العور الخبث الذى يقع فى العين وكذلك القذى ، كمكحولتي : أى عيني . مذعورة خائفة طردها القناص وأفزعها ، والفرقد : ولدها .

(٤) وصادقتا سمع يعنى أذنيها ، والتوجس : الشمع ، والهمس الصوت الخفى : والمندد المرتفع .

(٥) مؤللتان : محددتان كالحربة ، والعتق : الكرم ، والشاة : بقرة الوحش وتسمى نعجة ، وحومل : موضع معروف ، ومفرد : وحيد .

(٦) أروع : فزع ونباض فؤادها . أحذ : قليل الشعر ، ململم : أى مجتمع ، كمرداة كصخرة تردى بها الحجارة لصلابتها . الصفيح : الحجارة العريضة . مصمد : مصلب .

(٧) سامى ساوى ، واسط : وسط ، الكور : الرحل عامت مدت يدها كهيئة السابح فى الماء : الضبعين : العضدان ، نجاء : سرعة ، الحفيدد : الظلتم . وهو ذكر النعام .

(٨) الارقال : ضرب من السير ، والملوى من القد : السوط ، المحصد : المحكم الفتل .

(٩) الأعلم : المشقوق المشفر الأعلى . المارن . مالان من الأنف وهو مقدمة ، عتيق : كريم ، متى ترجم به الأرض : أى تضربها به يريد أنها اذا حطت رأسها الى الأرض أسرعت فى السير وذلك لنشاطها وحدتها .

لى مِثلها أَمضى إذا قال صاحبى أَلا ليتنى أَفديك منها وأَفتدى
وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله مصاباً ولو أَمسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أَننى عُنِيت، فلم أَكسل ولم أَتبلد
أَحلت عليها بالقطيع فأَجذمت وقد خب آل الأَمعز المتوقد(١)
فذالت كما ذالت وليدة مجلس ترى ربها أَذيال سحل ممدد(٢)
ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أَرفد(٣)
فإن تبغِنى فى حلقة القوم تلقنى وإن تقتنصنى فى الحوانيت تصطد(٤)
تى تأْتنى أَصْبحك كأْساً روِية وإن كنت عنها غانياً فاغن وازدد(٥)
وإن يلتق الحىُّ الجميع تلاقِنى إلى ذروة البيت الرفيع المصعد(٦)
نداماى بِيضٌ كالنجوم وقينة تروح علينا بين بَرد ومجسد(٧)
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة لجسِّ الندامى بضة المتجرِّد(٨)
وما زال تشرابى الخمورَ ولذتى وبيعى وإنفاقى طريفى ومتلدى(٩)
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأُفردتِ إفراد البعير المعبد(١٠)
رأيت بنى غبراءَ لاينكروننى ولا أَهل هذاك الطراف الممدَّدِ(١١)

---

(١) أحلت: وثبت، القطيع: السوط، أجذمت: أسرعت، وخب: ارتفع، الآل: ما يكون فى أول النهار مثل السراب، الأمعز: الأرض الغليظة التى فيها حصى، والمتوقد: المشتعل. (٢) ذالت: تبخترت الناقة، والوليدة الفتية ترى ربها: أى مولاها أذيال: أطراف الثوب التى يصل الى الأرض، والسحل: الثوب القطن والممدد: المبسوط.

(٣) التلعة: من أسماء الأضداد تكون للمرتفع والمنخفض.

(٤) حلقة القوم: مجالس أشرافهم، والحوانيت: بيوت الخمارين.

(٥) تأتنى: تجئنى. (٦) ذروة: الذروة أعلى الشىء

(٧) الندامى أصحابى على الخمر، والقينة: الجارية، والبرد: الثوب الأبيض، والمجسد: المصبوغ بالزعفران.

(٨) رحيب، واسع، قطاب الجيب أى مجتمع الجيب. يصف صدرها الرحب والسعة.

(٩) الطريف الحديث المكتسب. (١٠) المعبد: المذلل المطلى بالقطران. (١١) بنى غبراء اللصوص، والطراف بيت من جلد: يعنى أنه لا ينكرم احد.

أَلا أَيهاذا اللائمى أَحضرُ الوَغى ... وأَن أَشهد اللذات هل أَنت مخلِدِى[١]

فإِن كنت لاتستطيعُ دفع مَنيتى ... فدعْنى أبادرها بما ملكت يدى

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى ... وجدك لم أَحفل متى قام عودى

فمنهن سبق العاذلات بشربة ... كميت متى ماتعل بالماءِ تزيد[٢]

وكرى إذا نادى المضاف مُحْسنا ... كسيد الغضا والنابه المتَورد[٣]

وتقصيريوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الطِّراف المعمد[٤]

كأَن البرين والدماليج علقت ... على عشرٍ أَو خرْوع لم يخضد[٥]

فذرنى أَرى هامتى فى حياتها ... مخافة شرب فى الحياة مصردَ[٦]

كريمٌ يروّىّ نفسه فى حياته ... ستعلم إِن متنا غدًا أَينا الصدى[٧]

أَرى قبر نحامٍ بخيل بماله ... كقبر غوى فى البطالة مفسد[٨]

ترى جُثوتين من تراب عليهما ... صفائحُ صمٌ من صفيح منضد[٩]

أَرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيله مال الفاحِش المتشدد[١٠]

أَرى الدهر كنزًا ناقصا كل ليلة ... وما تنقص الأَيام والدهر ينفد

لعمرك إِن الموت ما أَخطأَ الفتى ... لكالطوَل المرخى وثنياه باليد[١١]

---

(١) اللائمى : اللاحى ، وفى رواية الزاجرى . (٢) كميت : خمر تضرب الى السواد ، تعل : أى يصب الماء عليها . (٣) كرى : عطفى ، والمضاف الذى أضافته الهموم . (٤) الدجن : المطر الخفيف ، يعجب من رآه ، والبهكنة : المرأة التامة الخلق . (٥) البرين : الخلاخل فى أنف الناقة ، على عشر : العشر شجر أملس مستو ضعيف العود شبه به عظامها وساعديها لملاسته واستوائه . (٦) الشرب بكسر الشين وضمها اسم للمشروب : والمصرد : المقلل . (٧) يروى نفسه من الخمر فى حياته والصدى : العطشان . (٨) النحام : كثير السعال عندما يسأل ، والغوى : الذى يتبع هواه ولذاته . والبطالة : اتباع الهوى والجهل (٩) الجثوة : التراب المجموع ، صفائح صم صلبة . المنضد : المجموع بعضه على بعض . (١٠) يعتام : يختار ، الكرام : الخيار والأماجد ، ويصطفى : ينتخب ، وعقيلة كل شىء خيرته والفاحش : القبيح السيىء الخلق والمتشدد : كثير البخل (١١) الطول : الحبل ، وثنياه أى طرفاه ، ومعناه أن الانسان وان يطل عمره الا أنه كالفرس لصاحبها اذا أرادها جذب الحبل اليه .

فمالى أَرانى وابن عمى مالكا　　متى أَدن منه ينأَ عنِّى ويبْعدِ(١)

يلوم وما أَدرى علامَ يَلومنى ؟ !　　كما لامنى فى الحىِّ قرط بن أَعبدِ(٢)

وأَيأَسنى منْ كلِّ خيرٍ طلبته　　كأَنَّا وضعناه إِلى رمس ملحدِ(٣)

على غير ذنبٍ قلته غير إِننى　　نشدت فلم أَغفل حَمولة معبد(٤)

وقرَّبت بالقربى وجدُّك أَننى　　متى يك أَمرٌ للنكيثة أَشهد(٥)

وإِن أَدع فى الجلْى أَكن منْ حماتها　　وإِن يأْتك الأَعداءُ بالجَهْد أَجهدِ(٦)

وإِن يقذفوا بالقذع عرضك أَسقهم　　بكأْس حياض الموت قبل التهدُّد(٧)

بلا حدثٍ أَحدثته وكمحدث　　هجانى وقذفى بالشكاةِ ومطرَدى(٨)

فلو كان مولاى امرءًا هو غيره　　لفرَّجَ كربى أَو لأَنظرَنى غد(٩)

ولكنَّ مولاى امرؤٌ هو خانقى　　على الشكر والتسآل أَو أَنا مُفتدى(١٠)

وظلم ذوى القربى أَشد مضاضة　　على المرءِ من وقع الحسام المهند(١١)

فذرنى وخلقى إِننى لك شاكر　　ولوْ حل بيتى نائيا عند ضرْغدِ(١٢)

فلوشَاءَ ربِّى كنت قيس بن خالد　　ولوْ شاءَ ربى كنت عمرو بن مرثد(١٣)

---

(١) ابن عمى على خلافى ، أتقرب اليه فيبعد عنى . (٢) ويبالغ ابن عمى فى الجفاء فيلومنى على مالا أستحق اللوم عليه كما يفعل قرط بن أعبد . (٣) أيأسنى جعلنى يائسا والرمس القبر : والملحد ، اللحد .

(٤) وكل ما ألقاه لا سبب له الا أنى نشدت : طلبت (٥) النكيثة : بلوغ الجهد ، وقيل أنقاض الأمور . (٦) الجلى : الأمر العظيم ، والحماة الذائدون . (٧) القذع : الشتم والقبيح . (٨) اى هو متعد على بلا حدث أحدثته ، هجانى وطردنى ، والمطرد : الطريد . (٩) يقول لو أن مولاه رجلا آخر لفرج كربه وانظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم .

(١٠) خانقى : مكرهى على شكره على ما لم يفعله ، والا فأنا هدف سهامه . (١١) أما أنا فقد ضقت بهذا التجنى لأن الظلم من الأقربين لا يحتمل . (١٢) ضرغد : جبل بعيد . (١٣) قيس بن خالد : من بنى شيبان ، وعمرو بن مرثد : ابن عم طرفة قيل لما بلغ هذا عمرو ابن عم طرفة وجه الى طرفة فقال له أما الولد فالله يعطيكم وأما المال فلك فيه مالنا ، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرفه عشرا من ابله ، ثم أمر ثلاثة من بنى بنيه فدفع كل واحد منهم الى طرفة عشرا من الابل .

فأصبحت ذا مالٍ كثير وزارنى | بنون كرامٌ سادةٌ لمسوِّدِ
أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه | خشاش كرأس الحيَّةِ المتوقدِ
فآليت لا ينفك كشحى بطانة | لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصراً به | كفى العود منه البدءُ ليس بمعضدِ
أخى ثقة لاينثنى عن ضريبة | إذا قيل مهلا ؛ قال حاجزه قدِى
وبرك هجود قد أثارت مخافتى | نوادِيها أمشى بعضب مجردِ (١)
فمرت كهاةٌ ذات خيف جلالة | عقيلة شيخ كالوَبيل يلنددِ (٢)
يقول وقد تر الوظيف وساقها | ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد (٣)
وقال ذروه إنما نفعها له | وإلا تردُّوا قاصى البَرك يردَدِ (٤)
فظل الإماءُ يمتللن حوارها | ويسعى علينا بالسديف المسرهد (٥)
فإن متُّ فانعينى بما أنا أهله | وشقى على الجَيْب يا ابنة معبد (٦)
ولا تجعلينى كامرئٍ ليس همه | كهمِّى ولا يغنى غنائى مشهدى (٧)
بطئٍ عن الجلْى سريع إلى الخِنا | ذليل بإجماع الرِّجال ملهد (٨)
فلو كنت وعلا فى الرجال لضرنى | عداوة ذى الأصحاب والمتوحد
ولكن نَفى عنِّى الأعادى جرأتى | عليهم ، وإقدامى وصدقى ومحتدى (٩)

(١) البرك : الابل الكثيرة الباركة ، والهجود النيام . (٢) الكهاة : الناقة السمينة ، والخيف الضرع ، والجلالة الكبيرة ، والوبيل العصا .

(٣) تر : بمعنى انقطع والوظيف مستدق الساق من الابل والخيل .

(٤) ذروه : اتركوا عناده

(٥) الحوار : الصغير من الابل ، والسديف : السنام ، والمسرهد : المقطع صغارا (٦) انعينى : اذكرى من الأفعال ما أنا أهل له وهو يخاطب ابنة أخيه وشق الجيب معروف ، ويراد به التنويه بشدة المصاب .

(٧) واحذرى أن تجعلينى هينا كرجل لا يغنى مثل غنائى ، ولا يقوم فى الحرب مقامى ولا يشهد مشهدى فى المجالس والخصومات .

(٨) البطىء : الكسول المتقاعد ، والجلى : الأمر الخطير العظيم ، والخنا : الفساد . (٩) يقول ان الجراة والاقدام والصدق وكرم الأصل منعت عنه أعداءه من الاساءة اليه .

لعمرك ما أَمرى على بغمة   نهارى ولا ليلى على بسرمد(١)
ويوم حبست النفسَ عند عراكِه   حفاظا على روعاته والتهدُّد(٢)
على موطن يخشى الفتى عندهُ الردى   متى تعترك فيه الفرائض ترعد
وَأَصفر مَضبوحٍ نظرتُ حوارهُ   على النار واستودعته كفَّ مُجْمد(٣)
أَرى الموت أَعداد النفوس وَلا أَرى   بعيدًا غدًا ما أَقرب اليومُ من غد
ستبدى لك الأَيامُ ما كنت جاهلًا   ويأْتيك بالأَخبار من لم تزوِّدِ(٤)
ويأْتيك بالأَنباءِ من لم تبع لهُ   بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد(٥)
لعمرك ما الأَيام إِلا معارةٌ   فما اسطعت من معروفها فتزود(٦)
عن المرْءِ لاتسأَل وأَبصر قرينهُ   فإِنَّ القرين بالمقارن مقتد(٧)
لعمرك ما أَدرى وَإِنى لواجل   أَفى اليوم إِقدام المنيةِ أَم غد ؟(٨)
فإِن تك خَلفى لا يفتها سوادَيا   وَإِن تك قدامى أَجدها بمرصد(٩)
إِذا أَنت لم تنفع بودك أَهله   وَلم تنك بالبُوسى عدوَّك فابعد(١٠)

---

(١) الغمة : الأمر الذى لا يهتدى له ، والمعنى أنى لا اتحير فى امرى نهارا ولا ليلا فيطول على الليل ، والسرمد الطويل . (٢) العراك : الازدحام ، أى صبرت النفس عند ازدحام القول فى الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته . (٣) الأصفر هنا الأسود : المجمد الذى يأخذ بكلتا يديه ولا يخرج من يديه شىء . وقيل الذى يضرب بالسهام أو الأمين فى القمار . (٤) ستبدى : ستظهر ، ما كنت جاهلا ، يعنى ما لم تسمع من قبل ، ويفيدك بها من لم تسأله عنها . (٥) تبع له بتاتا تشترى له زادا . (٦) لعمرك : وحياتك ليست الأيام الا معارة أى عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيرا .

(٧) الرواية المحفوظة لهذا البيت :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

(٨) وأنا وانت وغيرنا لا يدرى ولا يعرف متى يحين حينه .

(٩) فان تك خلفى : فهى جادة ورائى ، ولن أغرب عن عينها ، وان تك قدامى فهى رقيبة مترصدة .

(١٠) اذا لم تنفع ببرك الأقربين والأصدقاء ولم تلحق العطب بالأعداء ببطشك فاتخذ مكانا قصيا .

(٧) معلقة أَعْشى قَيْس

هو أَبو بصير ميمون الأَعشى بن قيس بن جندل القيسى ــ نشأَ فى بدء أَمره راويةً لخاله (المسيب بن علس) وقد عميَ الأَعشى وطال عمره ، حتى انبلجَ فجر الإسلام وعظم أَمر النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب ، فأَعدَّ له قصيدة يمدحه بها وقصدهُ بالحجاز ، فلقيه كفارُ قريش وصدوه على وجهه على أَن يأْخُذ منهم مائة ناقة حمراء ، ويرجع إلى بلده لتخوُّفهم أَثر شعره ففعل ، ولماقرب من اليمامة سقط عن ناقته فدُقت عُنقه ومات ، ودفن ببلدته (منفوحة) باليمامة .

شعره : يُعدُّ (الأَعشى) رابعاً للثلاثة الفحُول : امرى القيس ، والنَّابغة ، وزهير ؛ وإن كان يمتاز عنهم بغزارة شعره ، وكثرة ما روى له من الطِّوال الجياد وتفننه فى كلِّ فن من أَغراض الشِّعر ؛ واشتهر من بينهم بالمبالغة فى وصف الخمر حتى قيل : أَشعر النَّاس امرؤ القيس إذا ركبَ ، وزُهيرٌ إذا رغب ، والنَّابغة إذا رَهب ، والأَعشى إذا طرب .

ولشعره طَلَاوة ورَوْعة ، ليست لكثرة من شعر غيره من القدماء ، ولقُوَّة طبعه وجلبة شعره سُمِّى (صنَّاجة العرب) حتى ليُخيَّل إليك إذا أَنشدتَ شعره أَنَّ آخر يُنشد معك .

ولجلالة شعره كان يرفعُ الوضيع الخامل ، ويخفض الشَّريف النابه ، ومن الذين رفعهم شعر الأَعشى (المحلَّق الكلابى) وقد كان أَبا لثمانى بنات عوَانس رغبت عن خطبتهن الرجال لفقرهن ، فاستضافه على فَقره ، فمدحه الأَعشى ونوه بذكره فى (سوق عكاظ) فلم يمض عامٌ حتى لم تبق جارية منهن إلا وهى زوْجٌ لسيد كريم ، وكان الأَعشى يَتطرف فى شعره ، ويتكسب به ، وعده بعضهم من أَصحاب المعلقات ، وذكر قصيدته اللامية التى يمدح بها الأَسود الكندى ، ومطلعها :

ما بكاءَ الكبير بالأَطلالِ وسؤالى وما تَردُّ سؤالِى

ومن جيّد شعره قصيدتُه التى أَعدها لينشدها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدحه فيها ، فلم يفز بذلك ، أولها :

أَلم تغتَمض عيناك ليلة أَرمدا ... وبت كما بات السليمُ مُسهدا
وما ذاكَ من عِشق النساء وإنما ... تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أَرى الدهر الذى هو خائن ... إذا أَصلحتْ كفاى عاد فأَفسدا
شباب وشيبٌ وافتقارٌ وثروَة ... فلله هذا الدهر كيف تردَّدا

وقصيدته التى أَنشدها فى مدح المحلق أَولها :

أَرقتُ وما هذا السُّهاد المورقُ ... وما بى من سُقم وما بى تعشق

ومنها :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ كثيرة ... إلى ضوء نار فى اليفاع تحرق
تشبّ لمقرورين يصطليانها ... وباتَ على النَّارِ النَّدَى والمحلقُ
رضيعَى لبان ثدى أم تَقاسما ... بأَسحم داجٍ عوض لا نتفرقُ
ترى الجُود يجرى ظاهراً فوق وجهه ... كما زانَ مَتن الهندوانى رونقُ
يداه يدا صدقٍ فكفٌّ مبيدةٌ ... وأُخرَى إذا ما ضنَّ بالمال تنفقُ

وقيل إن معلقته هى التى أَولها :

ودِّعْ هريرة إن الرَّكب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً أَيها الرجل(١)
غَرَّاءُ فرعاءُ مَصْقولٌ عَوارضها ... تمشى الهوينَى كما يمشى الوجى الوحل(٢)
كأَن مِشيتها من بَيت جارتَها ... مَرُّ السحابةِ ، لا ريثٌ ولا عجل(٣)

---

(١) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها قريب له فولد خليدا الآتى ذكره فى شعره .

(٢) الفراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الفرع اى الشعر ، والعوارض هنا الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقة الأسنان ، الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يشف بعد ، فيكون مشيه متثاقلا فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل ، يعنى أن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشى متمهلة متمايلة .

(٣) الريث : البطء .

تسمعُ للحلى وسواساً إذا انصرفت — كما استعان بريحٍ عشرق زجلَ(١)
ليست كمن يكره الجيران طلعتها — ولا تراها لسر الجار تختتلْ(٢)
يكادُ يصدعَها ـ لولا تشددُها ـ — إذا تقوم إلى جاراتِها الكسل(٣)
إذا تقوم يَضوع المسك أَصورةً — والزنبق الوردُ من أردانها شمل(٤)
ماروضةٌ من رياض الحزن مُعشبة — خضراءُ جاد عليها مُسبلٌ هطِل(٥)
يضاحك الشمس منها كوكب شرق — مؤزَر بعميم النُّبت مكتهل(٦)
يوماً بأَطيب منها نشر رائحة — ولا بأَحسن منها إذ دنا الأُصل(٧)
صدت « هريرة » عنا ما تكلمنا — جهلا بأُم خليد ، حبلَ من تصل ؟(٨)
أَئن رأَتْ رجلا أَعشى أَضرَّ بهِ — ريب المنون ودهر مفندٌ خبل(٩)

---

(١) الوسواس : صوت الحلى ، والعشرق : شجرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار اذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فيسمع له خشخشة على الحصى .

(٢) تختتل : أى تتسمعه استراقا . (٣) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المثريات بالكسل وقلة العمل فى البيت لأنهن مخدومات متنعمات .

(٤) يضوع المسك : أى تذهب رائحته هناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم وهو نافجة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأكمله ما كان يميل الى حمرة ولذلك وصفه بالورد . (٥) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض وقلاع . (٦) كوكب كل شيء : معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر . أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها . أو يتفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر اى يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الازار . (٧) الأصل : جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٨) أم خليد : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجبى . يعنى اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم اذا .

(٩) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمفند : الآتى بالفند وهو السفه فى الرأى ، ومثله الخبال .

قالت هريرة لما جئت زائرها : ويلى عليك وويلى ! منك يارجلُ(١)

إما ترَينا حفاة ؛ لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى وننتعل(٢)

وقد أَقودُ الصبا يوماً ، فيتبعنى وقد يُصاحبُنى ذو الشرَّةِ الغزِل(٣)

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مشلٌ شلولٌ شُلشلٌ شول(٤)

فى فِتية كسيوف الهند قد علموا أَنْ هالكٌ كلُّ من يحفى وينتعل(٥)

نازعتهم قضُب الريحانِ متكئًا وقهوةً مُزَّةً راووقها خَضلُ(٦)

لا يستفيقون منها ، وهى راهنة إلا بهاتِ ، وإن عَلوا ، وإن نَهلوا(٧)

---

(١) ويل عليك وويلى منك : أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر الى هلاكى .

(٢) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال : (اما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ) أى أن ترينا نتبذل مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا فاننا أيضا منتعلون فطورا نفتقر وطورا نفتنى .

(٣) أقود الصبا الخ : أى أتصابى ، وآتى بأفعال الفتيان ويصحبنى منهم الغزل ذوى الشرة وهى : نشاط الشباب .

(٤) الحانوت : بيت الخمار ، والشاوى : الذى يشوى اللحم ، والمشل : السواق الخفيف ، والشلول والشلشل : الفلام الحار الرأس الخفيف الروح النشيط فى عمله ، والشول : من يشول بالشيء الذى يشتريه المشترى ، فيحمله له ويرفعه .

(٥) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجعله « هالك كل من .. الخ » خبرها فهنالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر .

(٦) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ، والقهوة : الخمرة ، الراووق : الوعاء الذى تروق فيه الخمر . وخضل : دائم الندى لا يخف لكثرة شربهم .

(٧) راهنة دائمة أمامهم أى لا ينتهون الا اذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به (هات) ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

يسعى بها ذو زجاجات له نَطف   مقلص أَسفل السربال مُعتمل(١)
ومستجيب تخال الصنج يُسْمِعه   إذ ترجَّع فيه القينة الفُضل(٢)

(٨) الحارث بن حِلِّزة اليشكرى

هو الحارث بن حلزة اليشكرى البكرى ، يتصل نسبه إلى يشكر رهْط من بكر ابن وائل ولم يوثر عنه غير قطع يسيرة ، ومعلقته الآتية التى كان من أَمر ها أَن عمرو ابن هند أَحد ملوك الحيرة أَصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس ، وأَخذ من كلا الفريقين رهائن من أَبنائهم ، ليكف بعضهم عن بعض وليقيد منها للمُعتدى عليه من المعتدى ، فحدث أَن سَرح الملك ركباً من تغلب فى بعض المفازة فماتوا عطشاً ، وتزعم بكر أَنهم سقوهم وأَرشدوهم الطريق فتاهوا وهلكوا ، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند ، وكانت ضلعه مع تغلب ، فهاج ذلك الحارث ابن حلزة وكان فى المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالا يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أَيامهم معه ، فما أَتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكريين ، وقرب الحارث من مجلسه ، وعمر الحارث طويلا حتى قيل إنه أَنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة .

---

(١) النطف : القرط من اللؤلؤ ، ومقلص : مشمر ، والسربال : القميص والمعتمل النشيط (المعنى) يسعى بالخمر ساق يحمل زجاجتها مقرط الأذن بلؤلؤ مشمر ذيله معتمل نشيط .

(٢) ومستجيب : أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته . أى أن العود والصنج متفقان فى النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رقاق من صفر يصفق بأحدهما على الأخرى وهى التى نسميها فى زماننا (الكاسات) وهو أيضا نوع من الآلات الوترية ، وترجع : تردد النغم ، والقينة : الأمة وقيل اذا كانت مغنية ، والمرأة الفضل : التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة .

وشعره: تغلب عليه الجزالة مع الإيجاز، واطراد التعبير من طريق الحقيقة والتشبيه فى الغالب، وكذلك ما فيه من الطابع البدوى الذى يكاد يمتاز به شعر الجاهليين، ومعلقته هى:

آذنتنا ببينها أسماءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ(١)
بَعْدَ عهدٍ لنا لبرْقَة شما ... ءَ فأَدنى ديارهَا الخلصاءُ(٢)
لا أرى من عهدت فيها فأَبكى الـ ... ـيومَ دلهَا وما يحير البكاءُ
غير أَنى قد أَستعين عَلى الهـ ... ـم إذ خفَّ بالثوى النَّجَاءُ(٣)
بزفوف كأَنها هِقلة أَمْـ ... ـم رئال دوِية سقفَاءُ(٤)
آنَسْت نبأَةً وأَفزعها القنـ ... ـاص عصرًا وقد دنى الإِمْساءُ(٥)

ثم قال:

وَأَتَانَا من الحوادثِ والأَنـ ... ـباءِ خطبٌ نَعنى به ونساءُ(٦)
إن إخواننا الأَراقم يغلو ... نَ علينا فى قيلهم إحفاءُ
يخلطون البرىءَ منا بذى الذنـ ... ـب ولا ينفع الخلى الخَلاءُ(٧)
زَعَموا أَن كلَّ منْ ضرب العيـ ... ـر موال لنا، وأَنا الولاءُ(٨)

---

(١) آذنتنا أعلمتنا، ببينها: بفراقها لنا. وثاو: مقيم. أى كثيرا ما تكره اقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره، وأسماء ليست من هؤلاء ففراقها شاق علينا.

(٢) برقة شماء: مكان، والخلصاء كذلك، الثوى: المقيم.

(٣) النجاء: الاسراع. (٤) الزفيف اسراع النعامة فى سيرها والمراد المبالغة فى وصف الناقة بالسرعة والهقلة الناعمة والرئال أولادها والواحد رأل، والدو: المفازة والدوية المنسوبة اليها والسقفاء الطويلة مع انحناء (٥) آنست: أحست، والنبأة: الصوت الخفى، والقناص: الصيادون. (٦) نعنى به: نقصد به نحن دون غيرنا، ونساء به يصيبنا منه سوء، والأراقم: أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر، ويغلون علينا: يتجاوزن الحد فى التقول علينا، والقيل: القول والاحفاء: شدة الالحاح والاستقصاء. (٧) الخلى هنا الخالى من الذنب. والخلاء: الخلو من الذنب كذلك، اى لا تنفع عندهم البرىء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم. (٨) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤخذ عليها فعندهم أن كل من ضرب حماراً مثلا مذنب.

أجمعوا أَمْرهم عِشَاء فلما   أَصبحوا أَصبحت لهم ضوضاء
من مُنادٍ ، ومن مجيب ، ومن تصْ   هال خيلٍ خِلال ذاك رغاء(١)
أَيها الناطق المرقش عنا   عند عَمرو ، وهل لذاكَ بقاء ؟(٢)
لا تخلنا على غراتك ، إنَّا   قبل ما قد وشى بنا الأَعداء(٣)
فبقينا على الشناءةِ تَنميـــنا حصونٌ ، وعزة قعساء(٤)
قبل ما اليوم ِ بيضتْ بعيون النــــاس فيها تغيظٌ وإباء(٥)
وكأَن المَنُون تردى بنا أَرْ   عن جوناً ينجاب عنه العماء(٦)
مكفهِرًا على الحوادث لا ترْ   نُوه للدَّهْر موبدٌ صماء(٧)
أَيما خطةٍ أَردتم فأَدُّو   ها إلينا تمشى بها الأَمْلاء(٨)

---

(١) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى امر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ قيل ان هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة . (٢) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذاك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام . (٣) لا تخلنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الاغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف .

(٤) الشناءة : البغض وتنمينا : ترفعنا ، والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٥) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وبيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها والباء زائدة والتغيظ الترفع والاباء .

(٦) تردى : ترمى وترجم ، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد ، والأرعن هنا الجبل الذى له حدود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون الأسود ، وينجاب منه : ينشق عنه ، والعماء : السحاب الأبيض (٧) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال الصلب المنيع . ولا ترنوه لا تنقصه وتنال منه ، والمؤبد : الداهية ، وصماء : لا تسمع اعتذارات . أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهى الصماء .

(٨) الخطة : الأمر يقع بين القوم ، أو الاقدام على الأمر ، والأملاء جمع ملأ وهم الأشراف والرؤساء .

إن نبشتم ما بين ملحَةٍ فالصا ... قب فيه الأَموات والأَحياء(١)
أَو نقشتم ، فالنقشُ يُجشمه النا ... س ، وفيه الصلاحُ والإبراءُ(٢)
أَو سكتم عنا ، فكنا كمن أغـ ... ـمضَ عيناً فى جفنها أقذاء(٣)
أَو منعتم ما تسأَلون فمن حُد ... ثْتُمُوه له علينا العلاء ؟(٤)
هل علمتم أيام ينتهب النا ... س غِوارًا لكل حى عواء(٥)
إذا ركبنا الجمال من سعف البحـ ... ـرين سَيرًا حتى نَهاها الحساء(٦)
ثم ملنا على تميم فأَحْرَمْـ ... ـنا وفينا بنات مُرٍّ إماء(٧)
لا يقيم العزيز بالبلد السهـ ... ـل ، ولا ينفع الذَّليل النجاء(٨)
ليس ينجى مُوَائلا من حذار ... رأْس طودٍ وحرةٌ رجلاء(٩)
فملكنا بذلك الناس حتّى ... ملك المنذرُ بن ماء السماء

(١) ملحة والصاقب : موضعان ، أى ان كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم ، وحــذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط « وهو فيه الأموات الخ » للضرورة . أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك أو ان جواب الشرط الآتى له . (٢) أو نقشتم أى دققتم الاستقصاء ويجشمه : يتكلفه على مشقة (٣) وان سكتم عنا فانا نسكت ، ونغضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا . (٤) وان منعتم ما تسألون فيه من الصلح والتراضى فمن الذى أخبرتم أن له العلو علينا ؟ حتى تطمعوا فينا ، وحدث هنا تعدت الى ثلاث مفاعيل . (٥) غوارا . أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء الصياح . (٦) يريد بالسعف . النخل ، والحساء جمع حسى ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا أى علمتم اذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .

(٧) فأحرمنا أى دخلنا فى الأشهر الحرام فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا ، ومر أبو تميم .

(٨ و ٩) النجاء : الاسراع والفرار . والموائل الذى يطلب موئلا أى ملجأ ، والطود ، والجبل، والحرة الأرض ذات الحجارة السوداء، والرجلاء الغليظة .

(٩) لبيد بن ربيعة العامرى

هو أَبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى أحد أَشراف الشعراء المجيدين . وهو من بنى عامر بن صعْصعة إحدى بطون هوازن مُضر ، وأُمه عبسية ، نشأً لبيد جوادًا شجاعاً فاتكاً ، أما الجود فورثه عن أَبيه الملقبُ بربيعة المعْتزِّين وأَما الشجاعة والفتك فهما خصلتا قبيلته . إذ كان عمه ملاعب الأَسنة أَحد فرسان مُضر فى الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين بنى عبس أَخواله عداوة شديدة ، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبسيين الربيع بن زياد ، وعلى العامرين ملاعب الأَسنة ، وكان الربيع مقرباً عند النعمان أَعرض عنه فشق ذلك عليهم ، ولبيد يومئذ صغير ، يسرح إبلهم ويرعاها ، فسأَلهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره ، فأَلح حتى أَشركوه معهم ، فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غدًا عند النعمان أَسوأَ انتقام ، بهجاء لايجالسه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك ، ومقت النعمان الربيع ولم يقبل له عذرًا ، وأَكرم العامريين وقضى حوائجهم ، فكان هذا أَول ما اشتهر به لبيد ؛ ثم بعد ذلك المقطعات والمطولات ، وشهد النابغة له وهو غلام بأَنه أَشعر هوازن ، ولما ظهر الإسلام وأَقبلت وفود العرب على النبى صلى الله عليه وسلم جاءَ لبيد فى وفد بنى عامر وأَسلم ، وعاد إلى بلاده ، وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله ، وقال :

الحمد لله إذ لم يأْتِنِى أَجلى حتى اكتسيت مِن الإِسلام سربالا

وهجر الشعر حتى لم يرو له فى الإِسلام غير بيت واحد ، هو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرءُ يصلحه الجليس الصالحُ

وبعد أَن فتحت الأَمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها

دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات فى أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة .

شعره : نبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان .

فمن قوله يرثى أخاه أربد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ
وقد كنت فى أكناف جار مضنة ... ففارقنى جارٌ بأربد نافعُ
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا ... فكل امرىء يوماً به الدهر فاجعُ
وما الناس إلا كالدِّيار وأهلها ... بها يوم حلوها وراحوا بلاقعَ
وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ... ولا بد يوماً أن تردَّ الودائعُ
لعمرك ما تدرى الضواربُ بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ
وما الناس إلا عاملان : فعامل ... يتبر ما يبنى وآخر رافعُ
فمنهم سعيدٌ آخذ بنصيبه ... ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعُ

ومن جيد الشعر وأبلغه أيضاً :

معلقة لبيد بن ربيعة العامرى

عفتِ الديار محلها فمقامُها ... بمنى تأبد غولها فرجامُها (١)
فمدافعُ الرَّيَّان عرِّى رسمُها ... خلقاً كما ضمنِ الوحىَّ سلامُها (٢)
دِمنٌ تجرم بعد أنيسها ... حجج خلوْنَ حلالها وحرامُها (٣)

---

(١) عفت : درست ، والمحل والمقام : موضع الحلول والاقامة : تأبد . توحش . الغول والرجام : جبلان .

(٢) الريان : واد بحمى ضرية ، ومدافع : مجارى المياه به حيث يندفع السيل وعرى : رسمها خلقا : أى ظهر باليا والسلام : الحجارة . يذكر أن مدافع الريان لم تبق منها الا آثار تشبه آثار الكتابة على الأحجار .

(٣) الدمن ما اجتمع من آثار ، تجرم : مضى .

رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرَّواعد جودها فرهامها (١)
من كل سارية وغادٍ مدجن وعشية متجاوب إرزامها (٢)
فعلا فروع الأَيهقان وأَطفلت بالجلهتين ظبؤها ونعامها (٣)
والعين ساكنة على أَطلائها عوذًا تأَجَّل بالفضاء بِهَامها (٤)
وجلا السيول عن الطلول كأَنها زبرٌ يجدُّ متونها أَقلامها (٥)
أَو رجع واشمةٍ أسفَّ نؤورها كففاً تعرض فوقهن وشامها (٦)
فوقفت أَسأَلها ؟ وكيف سؤالنا صمًّا خوالد ما يبين كلامها (٧)
عريت وكان بها الجميع فأَبكروا منها وغودر نؤيها وثمامها (٨)
شاقتك ظعن الحى حين تحملوا فتكنَّسوا قطناً تصرُّ خيامها (٩)
من كل محفوف يظل عصية زوج عليه كله وقرامها (١٠)

(١) المرابيع : أوائل الأمطار فى الربيع . والنجوم : الأنواء ، وصابها : مطرها والودق : المطر : وجوده : غزيره . ورهامه لينه وصغيره .

(٢) السارية : السحابة وغاد : يسير بالغداة . مدجن : مظلم ، لأن المقيم اذا انتشر ملأ الجو بالدجنة وهى الظلمة والارزام : صوت الرعد .

(٣) الأيهقان : النبت أطفلت : أصبحت ذات أطفال ، الجلهتين الجهتين

(٤) العين : البقرة وأغلاؤها أولادها ، والعوذ : حديثة النتاج لأن ولدها يعوذ بها ، تأجل : تجمع وصار أجلا ، والأجل القطيع . (٥) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تجدد ظهورها الأقلام .

(٦) الواشمة : من تحلى الأيدى بالوشم .

(٧) الصم البواقى وهى الأثافى ، ما يبين : لا يظهر . (٨) عريت : خلت أبكروا : ساروا فى البكرة ، وغودر : ترك ، والنؤى : حفرة حول الخباء تمنع السيل والثمام :نبت ضعيف . (٩) الظعن . الجمال عليها الهوادج ، أو هى النساء فى الهوادج ، تكنست الظباء . سكنت الكناس والقطن . الهوادج ، تصر خيامها ، يسمع لها صرير . يريد أن ظعن الحى تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالا يصفق بها الريح . (١٠) محفوف صفة للهودج يجف بالديباج ويزدان به جانباه ، يظل . يغطى أو يظلل والعصى هنا أعواد الهودج ، والزوج ، بساط يفرش على الهودج والكلة ستر رقيق ، والقرام . ثوب ملون منقوش .

زجلا كأَن نِعاج توضح فوقها ... وظِباءُ وجرة عطفاً آرامها(١)

حفِزت وزايلها السرَابُ كأَنها ... أَجزاعُ بِيشة أَثلها ورِضامها(٢)

بل ماتذكرمن «نوار» وقد نأَت ... وتقطعت أَسبابها ورمامها(٣)

مرِّية حلت بفيد وجاورت ... أَهل الحجاز فأَين منك مرامها(٤)

بمشارق الجبلين أَو بمحضر ... فتضمنتها فردة فرخامها(٥)

فصوائق إن أَيمنت فمظنة ... منها وحاف القهر أَو طلخامها(٦)

فاقطع لبانة من تعرض وصله ... ولشرُّ واصل خلة صرامها(٧)

وأَحب المجامل بالجزيل وصرمُهُ ... باقٍ إذا ظلعت وزاغ قوامها(٨)

بطليح أَسفار تركن بقية ... منها وأَحنق صلبها وسنامها(٩)

فإذا تغالى لحمها وتحسرت ... وتقطعت بعد الكلال خداعها(١٠)

---

(١) زجل : الجماعة ، توضح ووجرة : موضعان ، النعاج : البقر ، عطفت الظبية تعطف جيدها اذا ربضت ، يذكر أن النســاء فوق الهوادج كأنهن النعاج أو الأرآم والأعلام . (٢) حفزت : حثت على المسير ، وزايلها : فارقها ، بيشة : واد ، والأجزاع منعطف الوادى . الأثل : نــوع من الشجر ، والرضام : صخور عظام .

(٣) نوار : اسم حبيبته ، الرمام : القطعة من الحبل البالى ، يريد أن الوصل تقطعت به الأسباب ، (٤) مرية : تنسب الى مرة بن عوف فيد : موضع فى طريق مكة مرامها : منالها . (٥) الجبلان أجا وسلمى ، محجر : جبل فى بلاد طيىء ، فردة اسم أرض ، الرخاء : موضع كثيرالأشجار

(٦) الصوائق : جبل قرب مكة وتروى فصعائد ، وأيمنت : سارت نحو اليمن . وحاف : الصخرة السوداء ، والقهر . اسم موضع ، والطلخاء : النفيلة .

(٧) اللبانة : الحاجة ، تعرض : تغير .

(٨) واحب : أعط المجامل المكافىء وصرمه باق : أى وقطيعته باقية ــ اذا ظلعت : اذا مالت مودته عنك وزاغ قوامها أى ملاكها .

(٩) الطليح : الناقة المعيبة . وأحنق بمعنى ضمر .

(١٠) تغالى : ارتفع من الهزال ، وتحسرت : تقطعت ، والكلال : الاعياء

فلها هبابٌ في الزمامِ كأنَّها   صهباءُ راح مع الجنوب جُهامها(١)
أَو ملمعٌ وسقت لأَحقب لاحه   طرد الفحول وضربُها وكدامها(٢)
يعلو بها حدَبَ الأَكام مسحَّج   قد رابه عصيانها ووحامُها(٣)
بأَحزَّة الثلبوت يربأ فوقها   قفر المراقب خوفها أرآمُها(٤)
حتى إذا سلخا «جمادى» ستة   جزءاً فطال صيامه وصيامها(٥)
رجعا بأَمرهما إلى ذى مِرةٍ   حصد ونجح صريمة إبرامها(٦)
ورمى دوابرها السفا وتهيجت   ريح المصايف سومها وسهامها(٧)
فتنازعا سبطاً تطير ظلالهُ   كدخان مشعلة يشبُّ ضرامها(٨)
مشمولة غلثت بنابت عرفجٍ   كدخان نار ساطعٍ أَسنامها(٩)
فمضى وقدمها وكانت عادة   منه إذا هى عردت إقدامها
فتوسطا عرض السرىِّ وصدعا   مسجورةً متجاورا قلامها(١٠)

---

(١) الهباب النشاط : والصهباء : السحابة التى لم يكن فيها ماء ، والجهام الذى لا ماء فيه ، والجنوب : هى الريح اليمانية . (٢) **الململع** الأتان التى قد بان حملها واسودت حلماتها (٣) يعلو : يرتفع . الحدب : ما ارتفع من الأرض المسحج : **المعضعض** رابه أى شككه . والعصيان : الامتناع . والوحام الكراهية للشىء .

(٤) الأحزة : ما غلظ من الأرض . الثلبوت : موضع فى نجد . يربأ : يرفع . قفر المراقب : عالى موضع الارتقاب . والأرآم : الأعلام .

(٥) أراد ستة أشهر أولها المحرم وآخرها جمادى ، جزءا : أى استغنيا بالرطب من الكلا عن الماء ، والصيام : عن الماء ، وسلخا : أى مضى عليهما .

(٦) رجعا : الأتان والحمار . بأمرهما : برأيهما ، ذى مرة . قوة ، يعنى الحمار ، حصد : محكم وصريمة : عزيمة ، والابرام . الاحكام .

(٧) الدوابر : مآخير الحوافر ، والسفا : شوك البهى هنا ، المصايف: المرعى أيام المصيف ، سومها : مرها . السهام : وهج الصيف وشدة حره . (٨) تنازعا : تجاذبا . (٩) اسم الدخان . اذا ارتفع وكثر ، غلثت : خلطت ، العرفج : كثرة الدخان ، ساطع . مرتفع .

(١٠) توسطا : دخلا وسطه عرض السرى : ناحية النهر . وصدعا : شققا . مسجورة : اى عينا مملوءة .

محفوفة وسط اليراع يظلها منها مُصرعُ غابة وقيامها (١)
أفتِلك ؟ أم وحشيةٌ مسبوعة خذلك وهادية الصور قوامها (٢)
خنساء ضيَّعت الفرير فلم يرم عُرض الشقائق طوفها وبغامها (٣)
لمعفر قهدٍ تنازع شلوهُ . . . غبس كواسب ما يمنُّ طعامها (٤)
صادفن منها غرةً فأَصبنها إن المنايا لا تطيش سهامُها (٥)
باتت وأَسبل واكفٌ من ديمة يروى الخمائل دائما تسجامُها (٦)
تجتاف أَصلًا قالصاً متنبذًا بعُجوب أَنقاء يميل هيامها (٧)
يعلو طريقة متنها متواترًا فى ليلةٍ كفر النجوم ظلامها (٨)
وتضى فى وجه الظلام منيرة كجمانة البحرى سل نظامها (٩)
حتى إذا انحسر الظلام وأَسفرتْ بكرت تزلُّ عن الثرى أَزْلامها (١٠)

(١) محفوفة : محوطة من جميع جوانبها ، يعنى العين ، مصرع : بعضه فوق بعض والغابة : الأجمة وهى الشجر الملتف . (٢) أفتلك : الأتان ، أم وحشية : بقرة الوحش مسبوعة : أكل السبع ولدها ، خذلت : تأخرت عن البقر والخذول : المتخلفة ، وهادية متقدمة . (٣) خنساء : قصيرة الأنف ، الفرير : ولد البقرة ، يرم : يبرح ، عرض أى ناحية ، الشقائق : جمع شقيقة وهى ما بين الرملتين وطوفها ، أى دورانها وترددها وبغامها : صوتها . (٤) المعفر ولد البقرة ، والقهد : الأبيض تنازع : تجاذب ، شلوه واحد الأشلاء وهى الأعضاء وغبس الذئاب الغبروكواسب : تكسب ما تأكل ، ما يمن طعامها ليس أحد يمن به عليها . (٥) صادفن : وجدن ، غرة : غفلة ، فأصبتها : أوقعتها ، لا تطيش : لا تخطىء .

(٦) أسبل : هطل ، الواكف : المطر يقيم أياما لا ينقطع ، الخمائل الشجر الملتف والتسجام : كثرة المطر . (٧) تجتاف : تدخل جوفه ، أصلا قالصا ، يعنى أصل شجرة ، بعجوب : أصل الذنب ، يعنى أطراف الرمال ، منتحيا . (٨) الطريقة ، الخطة ، متواترا : متتابعا ، كفر : غطى والغمام : السحاب .

(٩) تضىء : تنير والجمانة : الحبة من اللؤلؤ ، سل نظامها : وهو الخيط الذى يسلك فيه اللؤلؤ . (١٠) انحسر الظلام : انكشف ، أسفرت : دخلت فى الاسفار وهو الصبح ، بكرت : غدت بكرة ، تزل : تسرع ، الثرى : التراب ، أزلامها : قوائمها .

علهت تبلد فى نهاءٍ صعائد سبعاً تؤوماً كاملا أَيامُها (١)
حتى إذا يئست وأَسحق حالقٌ لم يبله إرضاعها وفطامها (٢)
وتسمعت رِز الأَنيس فراعها عن ظهر غيب والأَنيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أَنه مولى المخافة خلفها وأَمامها (٣)
حتى إذا يئسَ الرماة وأَرسلوا غضباً دواجن قافلا أَعصامُها (٤)
فلحقن واعتكرت لها مدريةٌ كالسمهرية حدها وتمامها (٥)
لتذودهنَّ وأَيقنت إن لم تذد أَن قد أَحم مع الحتوف حمامها (٦)
فتقصدت منها كساب فضرِّجت بدم وغودر فى المكرِّ سخامها (٧)
فبتلك ـ إذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب أردية السراب إكامها (٨)
أَقضى اللبانة لا أُفرِّط ريبة أَو أَن يلوم بحاجة لوَّامها (٩)
أَو تكن تدرى « نوارُ » بأَننى وصَّال عقد حبائل جذامها ؟ (١٠)
تَراك أَمكنة إذا لم أرضها أَو يرتبط بعض النفوس حمامها (١١)
بل أَنت لاتدرين كم من ليلة طلق لذيذ لهوها وندامُها

(١) علهت : تحيرت ، تبلد : تتردد ، وتتحير ، فى نهاء : غاية ، الصعائد : المكان تؤاما : أى متتابعة لياليها . (٢) أسحق : ارتفع ، والحالق المرتفع وهو ضرعها ، والحالق : الجبل المرتفع . (٣) الفرجان ما بين القوائم ، مولى المخافة : صاحب المخافة . (٤) الغضب : جمع أغضب وهى الكلاب .
(٥) اعتكرت : اجتمعت ورجعت . مدرية : محددة ، والسمهرية : الرماح المنسوبة الى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح باليمن .
(٦) تذودهن : أى تطردهن ، وأن قد أحم : قدر ، الحتوف : جمع حتف وهو الموت والحمام : الموت . (٧) فتقصدت : قصدت يعنى قتلت ، كساب : اسم كلبه ، فضرجت : خلطت ، وغودر : ترك ، فى المكر : موضع القتال ، سخامها : اسم كلب (٨) فبتلك : البكرة ، رقص : ارتفع ، اللوامع بالضحى : الآل ، واجتاب : لبس ، أرديه : جمع رداء .
(٩) اللبانة : الحاجة ، لا أفرط : لا أترك ، والريبة : الشك والمخافة . أو أن لا يلوم .
(١٠) وصال . أى أصل ولا أقطع .
(١١) تراك أمكنة يقول اذ رأى ما يكره تركها ، أو يرتبط : يتلف ، وبعض بمعنى كل .

قد بت سامِرها وغايةَ تاجر وافيت إذ رفعت وعز مُدامُها(١)
أَغْلى السَّباء بكل أَدكنَ عاتق أَوجونةٍ قدحَتْ وفض خِتامها(٢)
بِصبوح صافية وجذب كرينة بمُوَتر تـأْتـالهُ إِبهامُها
باكرْت حاجتها الدجاج بِسحرة لأَعل منها حين هَب نيامها
وغداةَ ريح قد وزعْت وقرةٍ إذ أَصبحت بيد الشمال زمامُها
ولقدحَميتُ الخيل تحمل شِكتى فِرطٌ وِشاحِى إذ غدوت لجامُها(٣)
فعلوْت مُرتقياً على مرْهوبة حرجٍ إلى أَعلامهن قَتَامُها(٤)
حتى إذا أَلقت يدًا فى كافِر وأَجن عورات الثغور ظلامها(٥)
أَسهلت وانتصبت كجذْعِ مُنيفة جرداءَ يحصُر دونها جُرامها(٦)
رفعتها طرد النعام وفوقه حتى إذا سخنت وخفَّ عظامه (٧)
قلقت رحالتها وأَسبل نحرها وابتل من زَبد الحميم حزامها(٨)
ترقى وتطعن فى العنان وتنتحِى وردَ الحمامة إذ أجد حمامها(٩)
وكثيرةٌ غربَاؤها مجهولة ترجَى نوافلها ويُخشى ذامها(١٠)

---

(١) بت سامرا : أى فيها وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر . ويضع الراية ليعرف موضعه بها فرفعها لذلك . عز : غلا . مدامها : خمرها وسميت مدامة لمداومتها فى الدن . (٢) السباء : شراء الخمر . وجونة : سوداء . والأدكن : الزق . قدحت غرقت . (٣) فرط : من صفة الفرس السابق . وشكتى : سلاحى . (٤) فعلوت : طلعت مرتقيا الحرج : الضيق . والأعلام : الصوت . والقتام : الغبار .

(٥) ألقت يدا . يعنى الشمس . والكافر : البحر . وأجن : ستر . العورات : جمع عورة . موضع المخافة . والثغر ، موضع المخافة أيضا .

(٦) أسهل . نزل السهل وانتصبت يريد الفرس . ومنيفة ، يريدنخلة طويلة : الجرام : الصرام . (٧) ركضها فى المسير كما تطرد النعام وفوقه : فوق الطرد وسخنت جمعت ، وخف عظامها : وأسرعت . فاذا عرقت جاد جريها . (٨) الرحالة : سرج . والحميم : العرق ، وأسبل نحرها : جرى . (٩) الى الماء وهو الورد . وترقى تعتمد . وتنتهى تقصد . كأنها حمام أجهد نفسه . (١٠) يريدكم من خطة وحالة عظيمة مشهورة حضرتها وكنت المقدم فيها . ترجى قوافلها : فضلها ، ويخشى عيبها .

غلب تشذر بالدخول كأنها … جن البدى رواسياً أقدامها(١)

أنكرت باطلها وبوّت بحقها … يوماً ولم يفخر على كرامها(٢)

وجزور أيسارٍ دعوت لحتفها … بمغالق متشابه أعلامها(٣)

أدعو بهن لعاقر أو مطفل … بذلت لجيران الجميع لحامها

فالضيف والجار الغريب كأنما … هبطا تبالة مخصباً أهضامها(٤)

تأوى إلى الأطناب كل رزية … مِثل البليةِ قالص أهدامها(٥)

ويكلّلونَ إذا الرياح تناوحت … خلجاً تمد شوارعاً أيتامها(٦)

إنا إذا التقت المجامع لم يزل … منا لزاز عظيمة جشامها(٧)

ومقسم يعطى العشيرة حقها … ومغذمر لحقوقها هضامها(٨)

فضلا، وذو كرم يعين على الندى … سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم … ولكل قوم سنة وإمامها

إن يفزعوا تلق المغافر عندهم … والسِّن يلمع كالكواكب لامها

لا يطبعون ولا يبور فعالهم … إذ لا يميل مع الهوى أحلامها

فبنوا لنا بيتاً رفيعًا سمكه … فسما إليه كهلها وغلامها(٩)

---

(١) تشذر : تهيأ للقتال . الدخول . الأحقاد ، البدى مكان معروف بالجن ، رواسيا : يعنى أنها ثابتة . (٢) بوّت : أقررت .

(٣) الأيسار : الذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح ، والمغالق السابع من سهام الميسر . (٤) يقول عنده من الخصب مثل ما عند أهل تبالة من الرطب (٥) الرزية : المرأة متى أهزلها أهلها . والبلية : ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقأ عيناها ويطرح حفتها ويلزون وجهها فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضر لها قدر ما بقيت قوائمها . الأطناب : حبال الفساطيط . والاهدام : الخلقان وقائص : قصير مرتفع .

(٦) التكليل أن يوضع اللحم بعضه على بعض ، الخلج : الجفان ، شوارع جمع شارعة وهى من صفات الأيدى ، أى أيديهم ممدودة للأكل .

(٧) المحافل : المجامع . لزاز : قرن ، لكل عظيمة جشامها أى متجشم لها ، متكفل بها . (٨) المقسم : يريد عامر بن الطفيل ، والمغذمر : الذى ويأخذ من هذا ويعطى هذا ، والهضم : النقصان .

(٩) بنوا : يعنى آباءه وأجداده ، السمك : المرتفع من الشىء .

فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانة قسمت فى معشر أوفى بأعظم حظنا قسامها
فهم السعاة إذا العشيرة أفظعت وهم فوارسها وهم حكامها(١)
وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها
وهم العشيرة إن يبطأ حاسد أو أن يميل مع العدو لئامها

ومنه قوله فى النعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل(٢)
أرى الناس لا يدرون ما قدر أسرهم بلى كل ذى لب إلى الله واسل(٣)
ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل
وكل امرئ يوما سيعلم غيبة إذا كشفت عند الإله الحواصل

ويعتبر لبيد ممن رثى نفسه قبل موته بقوله لابنتيه وهو محتضر :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فإن حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجهًا ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا حليفه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(١٠) علقمة بن عبدة التميمى

هو علقمة الفحل بن ناشر التميمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ القيس ، مات قبل الإسلام بزمن طويل ، وإنما قيل له (الفحل) من أجل

(١) السعاة جمع ساع وهو المصلح ، وأفظعت : ابتليت بالأمر الفظيع . وهو المهم .
(٢) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة : استعمال الحيلة ، والنحب : النذر .
(٣) الواسل الطالب والراغب الى الله ، أى أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه .

أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته أيضاً يسمى علقمة الخصي بن سهل ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام وأسلم ، وقيل سمي (الفحل) لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ، لأنها فضلت علقمة عليه حين حكماها في الشعر .

(١٠) معلقة علقمة الفحل بن عبدة التميمي

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب(١)
تكلفني ليلى ، وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب(٢)
منعمة ، ما يستطاع كلامها على بابها من أن تزار رقيب(٣)
إذا غاب عنها البعل لم تفش سره وترضى إياب البعل حين يؤوب(٤)
فلا تعدلي بيني وبين مغمر سقتك روايا المزن حين تصوب(٥)
سقاك يمان ذو حبي وعارض تروح به جنح العشي جنوب(٦)

---

(١) طحابه قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق الى الشيء . وبعيد : تصغير بعد . حان المشيب : قرب أوانه ، أي أضلك قلبك الطروب في حبك الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب ، والخطاب لنفسه ، ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال : تكلفني الخ .

(٢) شط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها ، عادت : شغلت ، وصرفت مقلوب عداه عن الأمر صرفه ، والعوادي : جمع عادية ، وهي الأمر الشاغل عن الشيء والخطوب : جمع خطب وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر .

(٣) منعمة : من النعيم فهي محجبة يعني بحراسة أهلها لها .

(٤) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هي ترضى ايابه فلا يعجبها غيره ، واذا قرىء وترضي ــ بالضم ــ كان المعنى وتجعل ايابه رضيا حميدا بألا يشك في صونها .

(٥) فلا تعدلي : فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحمق من الرجال الذي يستجهله الناس ، سقتك الخ . يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أي تروى حين تمطر ، يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغي لها أن تحرص عليه ثم عاد الى الدعاء لها فقال ، سقاك الخ .

(٦) أي سقاك سحاب يمان يأتي من ناحية جنوبي نجد ، أصله يمني خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبي : السحاب المتراكم =

وما أنت ؟ أَم ما ذكرها ربيعةً　　يخط لها من ثرمداءَ قليب(١)
فإنْ تسأَلونى بالنساءِ فإننى　　بصير بأَدواءِ النساءِ طبيب(٢)
إذا شاب رأس المرءِ أَوْ قل ماله　　فليس له من وُدّهِنَّ نصيب
يردْن ثراءَ المال حيثُ علمنه　　وشرخُ الشباب عندهن عجيب(٣)
فدعها ! وسلِّ الهم عنك بجسرة　　كهمك فيها بالرداف خبيب(٤)
إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتى　　بكلْكلها والقصريين وجيب(٥)

وقال أيضاً علقمة الفحل بن عبدة التميمى :

والحمد لا يُشْترى إلا لهُ ثمنٌ　　مِمَّا يضنُّ به الأَقوام معلوم(٦)
والجود نافية للمال مهلكة　　والبخل مبق لأَهليه ومذموم(٧)

= بعضه على بعض فيكون سيره بطيئا كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض السحاب المعرض فى الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية .

(١) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للاضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى لذكرك ليلى ، وهى ربعية وأنت تميمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث حط لها فى ثرمداء قليب ، والقليب : البئر وثرمداء موضع ، ثم أخذ يصف النساء وطباعهن ، فقال فان تسألونى الخ .

(٢) الأدواء : جمع داء ، أى بطباعهن المعينة التى بمنزلة الأمراض فيهن

(٣) الثراء : الكثرة أى يحببن من يعلمن عنده مالا ، وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب . (٤) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف جمع رديف والرديف والردف كل شىء يكون خلف الراكب ولو حقائب ، والخبيب : السير السريع .

(٥) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا والقصريان : ضلعان يليان الترقوتين . والوجيب خفقان القلب أى أنه لشدة اجهادها فى السير اشتد نبض قلبها . وبان ذلك فى كلكلها وقصرييها لقرب القلب منهما . (٦) يقول : ان الحمد لا يشترى الا بأثمان تضن بها النفوس ، والحمد : الثناء والمدح . (٧) نافية أى مبيد ومهلك ، والبخل ، الخ . أى : أن البخل يوفر المال وأهله مأمونون وأدخل الهاء فى نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

والمالُ صوف قرار يلعبون به على نقادته واف ومجلوم(١)
ومطعمُ الغنم يوم الغنم مُطعمه أنى توجه ، والمحروم محروم(٢)
والجهلُ ذو عرض لا يُسْتراد له والحلم آونةً فى الناس معدوم(٣)
ومن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامته ـ لا بد ـ مشئومُ(٤)
وكل حصن وإن طالت سلامته على دعائمه ـ لا بدَّ ـ مهدوم(٥)

أُمية بن أَبى الصلت

هو أُمية بن عبد الله بن أَبى الصلت بن أَبى ربيعة بن عوف الثقفى شاعر خطير من أشراف ثقيف ، وأَحد الملتمسين للدين فى الجاهلية ، وأُمه رقية بنت عبد شمس بن عبد عناف .

منشؤه ـ نشأَ بالطائف ، وكان أَبوه شاعرًا مشهورًا ، وروى الكثير من أَخبار اليهود والنصارى وما بقى فى رءُوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل وحدث عن خلق السموات والأَرض والملائكة والجن وشرائع الأَنبياءِ والرسل ، وخاض فى التوحيد وأَمر الآخرة ، وتعبد ولبس المسوح ، وحرم الخمر على نفسه وشك فى الأَوثان ، ورأَى فى الكتب مايبشر ببعثة نبى من العرب ، فطمع أَن يكونه ؛ فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كُسِف باله ، وحمله الحسد والكمد أَن

(١) القرار : النقد . وهى غنم صغار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به . أى يتداولونه ويعبثون به ، واف : كثير ، ومجلوم : مجـزوز بالجلم أى المقص ، يريد أن منهم من يعطى القليـل ومنهم من يعطى الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقـادة : جمع لاسم الجمع .
(٢) المعنى : أن الذى جعل الغنم له طعمة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه . ومن حرمه فلن يناله فقضاء الله كائن لا محالة .
(٣) ذو عرض لا يستراد له ، أى : لا يراد ولا يطلب ، فأنت لا تحبه ولا تريده ، آونة : أحيانا ، ومفرده : أوان . (٤) المعنى أن من يزجر الطير وأن سلم فلا بد أن يصيبه شؤم . والغربان يتشاءم بها . فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفا من أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر . (٥) يقول : كل حصن دامت سلامة أهليه فيه فلابد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائمه : أركانه التى يقوم بها .

ينابذه ، ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشا ، ويرثى قتلاهم فى وقعة بدر ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره فى ذلك وروى أنه هو الذى نزلت فيه آية « واتل عليهم نبأَ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأَتبعه الشيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره فى التوحيد والإيمان والثناء على الله يقول : آمن لسانه ، وكفر قلبه .

ومن آخر شعره ما قاله عند موته :

كل عيش وإن تطاول دهرًا ... منتهى أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى ... فى رءُوس الجبال أَرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر ... غولة الدهر إن ذا الدهر غولا

واختص بأَكثر مدائحه فى الجاهلية « عبد الله بن جدعان أَحد سراة قريش وأَجوادِها » حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم ، وأَقام بقية حياته بالطائف إلى أَن مات بها كافرا سنة تسع للهجرة .

شعره : يعد أُمية من أَكبر شعراءِ القرى على قلة الشعر فيهم ، غير أَن الذى أَزرى بشعره فى نظر بعضهم كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية فى شعره وكان أُمية يسمى السماءَ : صاقورة ، وحاقورة ، ويزعم أَن للقمر غلافاً يدخل فيه إذا خسف ويسميه (الساهور) ويسمى الله فى شعره السلطيط . والتغرور ، ونحو ذلك .

ويمتاز شعره ببعض السهولة فى لفظه ، وبذكره بعض العجائب من القصص الخيالية ، والأَساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأَحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له ويذكر من ذلك ما لم يذكره أَحد من الشعراءِ قبله ، ويتخلل ذلك شىءُ من الحكم والأَمثال ، ومن شعره :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربى ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنه ... مملوءَة طبق الآفاق سلطانا
أَلا نبى لنا منا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا   أن سوف تلحق أخرانا بأُولانا

الرواية والرواة

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروى من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزو إلى أهل البدو الأُميين ، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها ، وما روى لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجوه مختلفة ، وبالطبع لايحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها ، والاعتداد بها وهم الشعراءُ والمتأدبون ، فقدكان امرؤ القيس راوية أبى داود الإيادى ، وزهير راوية أوس ابن حجر . والأَعشى راوية المسيب بن علس .

واشتهر من قريش أربعة بأَنهم رواة الناس للأَشعار وعلماؤهم بالأَنساب وهم مخرمة بن نوفل وأبو الجهم حذيفة ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبى طالب .

العصر الثانى ، عصر صدر الإسلام ، ويشمل بنى أُمية(١)

حالة اللغة العربية وآدابها فى ذلك العصر

كانت العرب أُمماً بدوية ، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء مايحملها على تبحر فى علم ، أو تبصر فى دين ، أو تفنن فى تجارة ، أو زراعة ، أو صناعة ، أو سياسة ـــ وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لاتعدو أغراض

---

(١) خلفاء بنى أمية هم :

١ ـــ معاوية بن أبى سفيان (٦٠/٤١)   ٢ ـــ يزيد بن معاوية (٦٠/٦٤)
٣ ـــ معاوية بن يزيد (٦٤ /٦٤)   ٤ ـــ مروان بن الحكم (٦٤/٥٦)
٥ ـــ عبد الملك بن مروان (٥٦/٨٦)   ٦ ـــ الوليد بن عبد الملك (٨٦/٩٥)
٧ ـــ سليمان بن عبد الملك (٩٦/٩٩)
٨ ـــ عمر بن عبد العزيز (٩٩/١٠١)
٩ ـــ يزيد بن عبد الملك (١٠١/١٠٥)
١٠ ـــ هشـــام بن عبد العزيز (١٠٥/ ١٢٥)
١١ ـــ الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥/ ١٢٦)
١٢ ـــ يزيد بن الوليد الأول (١٢٦/ ١٢٦)
١٣ ـــ مروان الجعدى (١٢٧/ ١٣٢) .

المعيشة البدوية ـ إلا أن روحاً من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقدتها ونبهتها لضرورة التعاون على الخير فى معاشها ولغتها وجماعتها ، فظهر ذلك بيناً فى الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفى الإذعان فيها إلى حكومة الأشراف من قريش وتميم وغيرهما ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواءٍ واحد ، ويتفاهموا بلسان واحد ، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الإسلام فيهم ، وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النبى الكريم لاما لشعثهم ، موحدًا لكلمتهم مهذباً لطباعهم ، مبينًا طريق الحق ، وجادة الصواب ،بشريعة عظيمة فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية ملية وملكٌ كبير ـ وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وتفهمهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعد لزعامة قومه وخلفائه وولاتهم وفتوحهم تحت ألويتهم ممالك الأكاسرة والقياصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة حدث فى حياتهم الفكرية واللسانية ، ما يمكن إجماله فى الأمور الآتية :

الاول : شيوع اللغة القرشية ، ثم توحد لغات العرب وتمثلها جميعها فى لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها ، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش ـ وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الداعى العظيم منهم ، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم . وبحكم الضرورة تكون لغتهم هى الرسمية بين القبائل

الثانى : انتشار اللغة العربية فى ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوح والمغازى وهجرة قبائل البدو إليها ، واستيطانهم لها واختلاطهم بأهلها .

الثالث : اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً دينيًا ، واتباعها خطة نظامية تقتضيها حالُ الملك وسكنى الحضر .

الرابع : ظهور المعانى والتصورات وتغيُّرات الألفاظ والأساليب .

الخامس : ظهور اللحن فى الكلام بين المستعربين : من الموالى ، وأبناء العرب من الفتيات ، وبعض العرب المكثرين من مُعاشرة الأَعاجم .

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوى ناسب وصفهما من كثير مما ينبغى أن يقال فيها .

القرآن الكريم وأثره فى اللغة العربية(١)

القرآن (كتابٌ أُحكمت آياتُه ، ثم فُصِّلت مِن لَّدن حكيمٍ خبيرٌ) فيه آيات بينات ، ودلائل واضحات ، وأَخبار صادقة ، ومواعظ رائقة ، وشرائع راقية ، وآداب عالية بعبارات تأْخذ بالأَلباب أَساليب ليس لأَحد من البشر بالغاً مابلغ

---

(١) اعلم أولا أن اعجاز القرآن من جهة أغراضه . فنجده فى كل غرض وموضوع غاية فى الابانة والجلاء ونهاية فى الاصابة واطراد الأحكام . فمن تشريع خالد ، وتهذيب بارع ، وتخليم جامع ، وأدب بالغ . وارشاد شامل ، وقصص ومواعظ ومثل سائر ، وحكمة بالغة . ووعد وعيد ، وأخبار بغيب ، الى غير ذلك من الأغراض والمقاصد ، وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم الا فى فن واحد من أنواع القول فمن يبرع فى الخطابة لا ينبغ فى الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب ولأمر ما ضربوا المثل بامرىء القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والأعشى اذا طرب والنابغة اذا رهب .

ثانيا : من جهة ألفاظه وأساليبه ، فلا تجد منه الا عذوبة فى اللفظ ، ودماثة فى الأساليب وتجاذبا فى التراكيب ، ليس فيها وحشى متنافر ولا سوقى مبتذل ، ولا تعبير عويص ، ولا فواصل متعملة . على شيوع ذلك فى كلام المفلقين وأهل الحيطة المتروين حتى انك لترى الجملة المقتبسة منه فى كلام أفصح الفصحاء منه تفرعه جمالا . وتشمله نورا وتكسوه روعة وجلالا ، الى اجمال فى خطاب الخاصة وتفصيل فى تفهيم العامة وتكنية العربى . وتصريح للاعجمى وغير هذا مما يقصر عن احصائه الالمام ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام .

ثالثا : من جهة معانيه ، فانك تجدها من معين العرب الذى منه يستقون لاطراد صدقها قرب تناولها واطمئنان النفوس اليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود ، من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على نموذج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابر وهو فى جملته نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذى لا تبديل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقص . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

من الفصاحة والبلاغة أن يأتى بمثلها ، أو يُفكر فى مُحاكاتها ، فهو آية الله الدائمة ، وحُجته الخالدة : (لا يأْتيه الباطلُ من بَين يديه ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيم حميدٍ) أَنزله الله على رسوله ليُبلغه قومه وهم فحول البلاغة وأُمراءُ الكلام ، وأَناة الضيم ، وأَربابُ الأَنفة والحميَّة . فبهرهم بيانه ، وأذهلهم افتنانُه فاهتدى به من صحَّ نظرُه ، واستحصف عقله ، ولطُفَ ذوقه ، وصدَّ عنه أَهلُ العناد والمكابرة واللجاج — فتحدَّاهم أَن يأْتوا بمثله فنكصُوا ، ثم بعشر سور مثله ، فعجزوا ، ثم بسورة من مثله فانقطعوا ، فحقَّ عليهم إعجازه — قال تعالى : (قلْ لئن اجتمعت الإِنسُ والْجنُّ على أَن يأْتوا بمثل هذا القرآن لا يأْتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا) .

وللقرآن فضلٌ على اللغة فقد أَثرَ فيها مالم يؤثره أى كتاب سماويًّا كان أَوغير سماوىٍّ فى اللغة التى كان بها ، إذ ضمن لها حياة طيِّبةً وعمرًا طويلا ؛ وصانها من كلِّ مايشوِّه خلقها ويذوى غضارتها — فأَصبحت وهى اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التى انطمست آثارها وصارت فى عداد اللغات التاريخية الأَثرية وأنه قد أَحدث علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب ، ولم يخطها قلم — منها : اللغة ، والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، والمعانى ، والبديع ، والبيان ، والأَدب ، والرسم ، والقراءات ، والتفسير ، والأُصول ، والتوحيد ، والفقه .

جمع القرآن وكتابته

وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنجماً على حسب الوقائع ومُقتضيات الأَحوال فى بضع وعشرين سنة ، وكان عليه الصلاة والسلام يأْمر كتَّاب وحيه بكتابة ما يُنزل — وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كله مكتوب ، وفى صدُور الصحابة محفوظ ، وفى مدة الإِمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراءُ فى الأَمصار ، فأَمر عثمان ، زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام – فنسخوا تلك الصحف فى مُصحفٍ واحد مرتبِ السور – واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم .

صاحب الشريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى من أبناءِ إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبى العرب المْستعربة ، وُلد فى (مكة) ونشأَ بها يتيما ، وربته أُمهُ آمنة بنت وهْب بن عبد مناف ، وأَرضعته حليمة بنت أَبى ذؤيب من عرب البوادى ، وماتت أُمه وعمره ست سنين ، فعاله جده عبد المطلب ثم مات جده بعد سنتين ، فكفلهُ عمُّه أَبو طالب .

وعندما بلغ أَشدَّه تولى رعى الغنم بالبادية مع إخوته فى الرَّضاع ، وكذلك كانت الأَنبياءُ عليهم السلام ، فما من نبيٍّ إلا رعاها ، وهذه من حكم الله سبحانه وتعالى فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهى أَضعفُ البهائم سكن قلبه الرِّفق والرحمة ، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه ، وخلصها من شوائب الخلق الغريزية كالحدة والحسد ، ثم اشتغل عليه السلام بالتجارة ، وكان شريكه فيها السائب ، وخرج إلى الشام يتجر لخديجة بنت خوَيلد من سراة بنى أَسد ، وشرفت بعد ذلك خديجة بزواجه منها ، فكان يعملُ فى مالها تاجرا .

صفاته : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط القامة ليس بالطويل البائن ولا القصير المُتردد مُعتدل السمن ، ضخم الرَّأْس ، عظيم الهامة ، صلت الجبين ، سهل الخدين ، واسع العينين أَسودهما ، أَزج الحاجبين سابغهما ، أَهدب الأَشفار صبيح الوجه مدور مستوىَ الأَنف مُفلج الأَسنان ، رجِل الشعر حسنهُ ، عريض الصدر ، رحْب الراحتين ، سائل الأَطراف ، أَزهر اللون ، فلا بالآدم ولا بالشديد البياض .

وكان عليه السلام أَفصح قومه لساناً ، وأَرجحهم عقلاً وأَصحهم فهماً ، وأَعظمهم

أمانة ، وخيرَهم جِوارًا وأَصدقهُمْ حديثًا ، وأَكثرهم اتصافاً بمكارم الأَخلاق .

ولمَّا بلغ الأَربعين من عمره أَرسله الله للعالمين بشيرًا ونذيرًا إذ نزَل عليه الوَحيُ وهو قائم على جَبل (حرَاءَ) قريبًا من (مكة) فأَخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لعبادة الله وحْده أقواماً لادين لهم إلا أَن يسْجدوا للأَصنام فآمنتْ به زوجته خديجة وابنُ عمه على بن أَبى طالب وصدِّيقه أَبو بكر ومولاه زيْدُ بن حارِثة الكلبى ، وحاضِنتُه أُمُّ أَيمن .

وجمع رسولُ الله عشِيرتُه ، وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وبنو نَوْفل ، وبنو عبدِ شمس أَولاد عبد مناف وقال لهم : (إنَّ الرَّائد لايَكذبُ أَهْلهُ واللهِ لو كذبت الناسَ جميعًا ما كذبتكم ، ولو غَررْتُ الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا إله إلا هو أَنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة) فقالو له قَوْلًا لينًا إلا عمَّه أَبا لهب .

فلمَّا جهر رسول الله بالدعوة إلى الإسلام بتوحيد الله ونبذِ الأَوْثان سخِرتْ منه (قريش) واستهزءُوا به فى مجالسهم وأَضمروا له الحقد والعَداوَة وآذوهُ كثيرًا ، وكان أَشدَّهم فى ذلك أَبو جهل عمرو بن هِشام بن المغيرة المخزومى القرشى .

ثم أَسلم حمزة عمُّ رسول الله ثم عُمَر بن الخطاب ، فقوِىَ بهما وأَسلم بمكة نفرٌ من ولدِ (الأَوسِ ، والخزرج) وهما قبيلتان من أَهل (المدينة) وعادوا إليها ، فانتشر فيها الاسلام بهم ، ووفد على رسول الله جمع من أَهلها يدعونه وأَصحابه إلى الهجرة إليهم فهاجر ، وبهجرته إلى المدينة ابتدأَ التاريخ الهجرى .

ولم يقاتل رسولُ الله أَحدًا على الدخول فى الدين بل كان أَمْرُهُ مقصورًا على التبشير والإنذار ، فلما ازداد طُغيان أَهل (مكة) وأَخرجوا المسلمين من ديارهم ، وائتمروا مع غيرهم من مُشركى العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم أَذن الله سبحانه وتعالى بقتال المشركين كافة فكانت أَول حرب بين رسول الله وبينهم فى

(غزوة بدر) وتلتها غزوات عدّة كان النصر فى أكثرها لرسول الله ولجماعته .

وبعث رسول الله رُسله يدعون إلى الإسلام وهم دحْية الكلبي إلى (هِرقل) ملك الروم ، وعبد الله بن حُذافة إلى (كسرى) ملك الفرس ، وشجاع الأَسدىّ إلى (الحارث الغسّانى) ملك البلقاءِ بالشام ، والحاطب بن أَبى بلْتعة إلى (المقوْقِس) أَمير مصر ، وسليط بن عمرو العامرى إلى (هَوْذة) صاحب اليمامة ، وبعث عمرو بن أُمية إلى النجاشى (أَصْحَمة) ملك الحبشة فأَسلم ، وعمر بن العاص إلى (جَيفر) و (عبدًا) ملكى عمان فأَسلما ، والعلاءَ بن عبد الله الحضرى إلى (المنذِر) ملك البحرين فأَسلم ، وخالد بن الوَليد إلى (بَنى عبد المدان) ، وعلى ابن أَبى طالب إلى (بنى مَذْحِج) فى أَرض (اليمن) فأَسلموا . وأَسلمت (همدان) وتابعها سائر أَهل (اليمن) وملوك (حِمْيَر) ثم أَقبلت بعد ذلك وفود العرب جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعونه على الإسلام .

وحجّ رسول الله فخطب فى الناس خُطبة الوداع وهى أَكثر خطبة استيعاباً لأُمور الدين والدنيا . وفى يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأَول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفى رسول الله بالمدينة وفيها دُفن — وله من العمر ٦٣ سنة قمرية . وثلاثة أيام .

الحديث النبوىّ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفصحَ الناس وأَبينهم وأَحكمهم ؛ وكانت حياته كلها هداية ونورًا . وأَفعاله وأَقواله جميعها مدَادًا يستمد منه الخلقُ سدادهم وإرشادَهم فى معاشهم ومعادِهم — ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأَثر العظيم حرصاً لم توفق إلى مِثله أُمة فى حفظ آثار رسُولها — فجمعوا من كلامه ، ووصف أَفعاله وأَحواله الأَسفار الضخام ، ووَعوا منها فى صُدُورهم مالا يدخل تحت حصر — وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن

اللغو والباطل ، وإنما كان فى توضيح قرآن ، أو تقرير حكم ، أو إرشاد إلى خير ، أو تنفير من شر ، أو فى حكمة ينتفع الناس بها فى دينهم ودنياهم بعبارة هى فى الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان فى الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، ولذلك كان تأثيرها فى اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى .

النثر ــ لغة التخاطب ــ الخطابة ــ الكتابة

كانت لغة التخاطب فى مبدإ الإسلام بين العرب الخلص والموالى النابتين فيهم هى العربية الفصيحة المعربة ــ وكانت لغة الموالى الطارئين عليهم تقرب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حسب طول لبثهم فيهم ، أو قصر مقامهم عندهم ، ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثر عندهم سَبْى الأعاجم وأسرى الحروب ، ودخل فى الإسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا لهم إخواناً وشركاء فى الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل ، نشأ للعرب ذُرِّية اختلطت عليهم ملكة العربية ، وكذلك كان الشأن فى المتعربين من الأعاجم ، أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم فى جزيرتهم مثل ما كانت عليه فى جاهليتهم ، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هجنْة ، والخاصة منهم تشددوا فى المحافظة فى سلائقهم ، وتحاموا التزوج بالأعجميات ، وبالغوا فى تربية أبنائهم ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يحضرون لهم المؤدبين والمعلمين ــ كذلك كان يفعل خلفاء بنى أمية وأمراؤهم اقتداء بكبيرهم (معاوية بن أبى سفيان) فى تربية ابنه (يزيد) ومن لحن منهم عدوا ذلك عليه عاراً لا يمحى وسبَّة لا تزول ، ومن هؤلاء اللحانين عبد الله بن زياد ، والوليد ابن عبد الملك ، وخالد القسْرى ــ مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم .

ومن هنا يعلم السر فى تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والإعجام

الخطابة والخطباءُ فى هذا العصر

لما كان مبدأُ كل انقلاب عظيم فى أى أُمة : إما دعوة دينية ، وإما دعوة سياسية كانت تلك الدعوة تستدعى أَلسنة قوَّالة من أهلها لتأْييدها ونشرها وأَلسنة من أَعدائها وخصومها لإدحاضهم والصد عنها . وذلك لايكون إلا بمخاطبة الجماعات – كان ظهور الإسلام من الحوادث التى أَنشطت الأَلسن من عقلها وأَثارت الخطابة من مكمنها فوق ماكانت عليه فى جاهليتها فكان العمل الأَكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم بادىءَ أَمره غير تبليغ القرآن واردًا من طريق الخطابة ، ولأَمر مَّا جعلها الشارع شعار كل الأُمور ذوات البال ولذلك كان دعاة النبى عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأُمراءُ جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وُعمالهم كلهم خطباءَ مصاقع ولسنا مقاول ، وأَن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذى لاينهض بأَعباءِ الخطابة ولاسيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأَسماع بالحجج العقلية والوجدانية ، وترغيبها فى الثواب وترهيبها من العقاب ، بعبارات تفهمها الخاصة والعامة ، وكان لهم من القرآن وأَدلته وحججه والاقتباس منه مددٌ أيما مدد – ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان ، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة الإمام على – وشاميين بزعامة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبة يناضل عنها فى تلك الحرب الشعواءَ التى لم ينكب الإسلام بمثلها ظهر من كلتا الطائفتين خطباءَ لايحصى عددهم ، ولا يُشقّ غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (على بن أَبى طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أَبى سفيان) ولم تعدم كل طائفة منها خطباءُ يؤيدون دعوتها بما أُوتوا من البلاغة فى الخطابة والفصاحة والبيان .

والخطابة وصلت فى هذا العصر إلى أَرقى ما وصلت إليه من اللسان العربى حتى ممن يعد عليهم اللحن ولم تسعد العربية بكثرة خطباءَ ووفرة

خطب مثل ما سعدت به فى هذا الصدر الأول . إذ كان القوم ورؤساهم عرباً خلصاً يسمعون القول فيتبعون أحسنه .

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة ، والاشتمال بالرداء واختصار المِخصرة ، والخطبة من قيام .

وليس فى عصور أدب اللغة عصر أحفل بالخطباء من هذا العصر إذ كانت الخطابة فيه سلِسة القيادِ على خلفائه وزعمائه لفطرتهم العربية ، ومحلهم من الفصاحة والبيان ، وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة : ثم قال :

لا إله إلا اللهُ وحده لاشريك له ، صدق اللهُ وعدَهُ ، ونصرَ عبده وهزمَ الأحزاب وحده ، إلا كلَّ مأْثرَة أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدمَيَّ هاتين . إلا سِدانة البيتِ وَسقاية الحاج ألا وقتيل الخطإِ العمْد بالسوْطِ والعصا فيه للدِّية مُغلظة فيها أربعون خِلقة ، فى بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، والناس من آدمَ وآدمُ خُلقَ منْ تُرَاب ، ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتعَارفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خبيرٌ » .

ومن خطبته فى حِجَّة الوداع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته ، وأستفتحُ بالذى

هو خيرٌ (أَما بعد) أَيُّها الناس اسمعوا منى أُبَيِّنُ لكم ، فإنى لا أَدرى لعلى لا أَلقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ، أَيها الناس إن دماءكم وأَموالكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ألاهل بلغتُ ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده أَمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها وإن رِبا الجاهلية موضوعٌ ، وإن أَول رِبًا أَبدأُ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأَن أَول دم أَبدأُ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثِرَ الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قودٌ ، وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أَهل الجاهلية ، أَيها الناس : إن الشيطان قد يئس أَن يُعبد فى أَرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أَن يطاع فيما سِوى ذلك مِما تحقِرون من أَعمالكم .

أَيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقًا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن أَلا يوطئن فرشكم غيركم ، ولايدخلن أَحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولايأْتِين بفاحشة ، فإن الله قد أَذِن لكم أَن تعضلوهُنَّ وتهجروهُن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأَطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فاتقوا الله فى النساءِ ، واستوصوا بهن خيرًا ، أَلا هل بلغتُ اللهم اشهد ! أَيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرىء مال أَخيه إلا عن طيب نفس منه أَلا هل بلغت اللهم اشهد ! فلا ترجعن بعد كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أَخذتم به لم تضلوا بعده : كتاب الله وسنتى أَلا هل بلغت ، اللهم اشهد ؟ أَيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أَباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وإن أَكرمكم عند الله أَتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى أَلا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم ! قال : فليُبَلِغ الشاهد الغائب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن أَحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إن مَثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفةٌ طيبة قبلت الماءَ ، فأنبتت الكلأَ والعُشب الكثير ، وكان منها أجادِبُ أَمسكت الماءَ ، فنفع الله تعالى بها الناس فشرِبُوا منها وسَقَوا وزرعُوا ، وأَصاب طائفة منها أُخرى إنما هى قيعان لاتمْسِك ماءً ولاتنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله تعالى به فعَلِم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأْساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أَرسلت به .

إنما مثلى ومُثلكم كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أَضاءَت ما حوله جعل الفراش وهذه الدَّوابُ التى تقع فى النار تقع فيها ، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيَقتحِمْن فيها ، فأَنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأَنتم تقتحمون فيها .

أَدِّ الأَمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك .

إن الناس إذا رأَوا الظالم فلم يأْخذوا على يده أَوشك أَن يَعمَّهم الله تعالى بعقاب .

مثل المؤمنين فى توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأَعضاء بالسهر والحمى .

أَبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه

هو أَبو بكر عبد الله عتيق بن أَبى قَحافة عثمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَول الخلفاءِ الراشدين ، ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مُرَّة بن كعب .

ولد بعد مولد رسول الله بسنتين وبضعة أَشهر ، ونشأً من أَكرم قريش خلقاً وأَرْجحهم حلمًا وأَشدهم عِفة ، وكان أَعلمهم بالأَنساب وأَيام العرب ومفاخرهم .

صحب رسول الله قبل النبوة ، وكان أَول من آمن به من الرجال وصدقه فى كل ما جاءَ به : ولذلك سُمى « الصديق » وهاجر معه إلى المدينة ،

وشهد معه أكثر الغزوات ، وما زال ينفق ماله وقوته فى معاضدته ، حتى انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى .

واختلفت العرب وارتدت عن الإسلام ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ، وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم ، وتستولى على مدائنهم وحصونهم ، وكانت وفاته عام ثلاثة عشر من الهجرة ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال .

وكان فصيحا بليغًا خطيبًا مُفوهاً قوى الحجة ـ شديد التأْثير ـ يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة ، وذلك أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة له عليهم ، فأَبت الأَنصار إلا أن يكون الخليفة منهم ، وأَبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فخطبهم خُطبة لم يلبث الجمع بعدها أن بايعوه (خليفة) ، وهى :

حمد الله وأَثنى عليه ، ثم قال : أَيها الناس نحن المهاجرون ، وأَول الناس إسلاماً ، وأَكرمهم أَحساباً ، وأَوسطهم دارًا ، وأَحسنهم وُجُوهاً ، وأَكثر الناس ولادة فى العرب ، وأَمسهم رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أَسلمنا قبلكم ، وقُدِّمنا فى القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسابقون الأَولون من المهاجرين والأَنصار والذين اتبعوهم بإحسان) فنحن المهاجرون وأَنتم الأَنصار : إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الفىء ، وأَنصارنا على العدو ، آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيرًا ، فنحن الأُمراءُ وأَنتم الوزراءُ لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فلا تَنفِسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أَيضاً حين بايع للناس البيعة العامة :

حمد الله وأَثنى عليه ، ثم قال : أَيها الناس إنى قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن رأَيتمونى على حق فأَعينونى ، وإن رأَيتمونى على باطل فسدِّدونى ،

أَطيعونى ما أَطعت الله فيكم فإذا عَصيْتهُ فلا طاعة لى عليكم ـ أَلا إن أَقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأَضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه .

أَقول قولى هذا وأَستغفر الله لى ولكم .

وخطب أَيضاً الناس ، فقال ـ بعد أَن حمد الله وأَثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم :

أُوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأَمر الله الذى شرع لكم ، وهداكم به ، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن وَلاه الله أَمركم فإن من يطع الله وأُولى الأَمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد أَفلح وأَدى الذى عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى ، فقد أَفلح من حُفظ من الهوى والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ! وما فخر من خُلق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأْكله الدودُ ، ثم هو اليوم حيٌّ وغدا ميت ؟ ! فاعملوا يوماً بيوم ، وساعة بساعة وتوَاقوْا دعاءَ المظلوم ، وعُدوا أَنفسكم فى الموتى واصبروا ، فإن العمل كله بالصبر ، واحذروا ، والحذر ينفعُ ، واعملوا ، والعمل يُقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافْهموا وتفهموا ، واتقوا ، وتَوقَّوا ، فإن الله قد بين لكم ما أَهلك به من كان قبلكم ، وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم فى كتابه حلاله وحرامه ، وما يحب من الأَعمال وما يكره فإنى لا آلوكم ونفسى ، والله المستعان ولاحول ولا قوة إلا بالله ، واعلموا أَنكم ما أَخلصتم لله من أَعمالكم ، فربكم أَطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أَيديكم تستوفوا سلفكم وتعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ، ثم تفكروا عباد الله فى إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأَقاموا عليه وحلوا فى الشقاءِ أَو السعادة فيما بعد الموت إن الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أَحد من خلقه نسب يعطيه به

خيراً ولا يصرف عنه سوءًا إلا بطاعته واتباع أمره ، فإنه لاخير فى خيرٍ بعده النار ، ولا شَر فى شرٍّ بعده الجنة .

من حكم سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه :

(١) صنائع المعروف تقى مصارع السُّوءِ .

(٢) ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة .

(٣) ثلاث من كن فيه كُنَّ عليه : البغْى ، والنكث ، والمكْر .

(٤) كثير القول يُنسى بعضه بعضاً ، وإنما لك ما وعِى عنك .

(٥) أصلح نفسك يصلح لك الناس .

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشى — ثانى خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول من تسمَّى من الخلفاء (بأمير المؤمنين) وأول من أرخ بالتاريخ الهجرى ، ومصَّر الأمصار ودَون الدواوين .

ولد رضى الله عنه بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة .

وحضر مع رسول الله الغزوات كلها ثم لما قبض أعان أبو بكر على تولية الخلافة ، ولمَّا أحس أبو بكر بالموت عهد بها إليه ، فقام بأعبائها خير قيام ، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كِسرى وقيصر .

وقتله غيلة الغلام الشقى أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة المجوسى ، لأنه لم ينصفه على زعمه فى تخفيض مايدفعه لسيدة من أجْرة عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ .

ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ، وكان رضى الله عنه من أبين الناس منطِقًا ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحكمة ، وأرواهم للشعر ، وأنقدهم له .

ومن خُطبه خطبته إذ وَلِى الخلافة

صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس ، إنى داع فأمِّنوا :

اللهم إنى غليظٌ فليني لأَهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاءَ وجهك والدَّار الآخرة ، وارزقني الغلظة والشدة على أَعدائك وأَهل الدعارة والنِّفاق من غير ظلم مِنِى لهم ولا اعتداءَ عليهم ، اللهم إنى شحيحٌ فسخِّنى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ، ولا رياءَ ولا سُمعة ، واجعلنى أَبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارْزقنى خفض الجناح ، ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إنى كثير الغفلة والنِّسيان فأَلهمني ذكركَ على كل حال ، وذكر الموت فى كلِّ حين ، اللهمَّ إنى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنِّيةِ الحسنةِ التى لاتكون إلا بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبتنى باليقين ، والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياءَ منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ، اللهمَ ارزقنى التَّفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له والمعروف بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شىءٍ قدير .

ومن خطبه فى ذمِّ الدنيا

إنما الدنيا أَمل مخترم ، وأَجل منقض ، وبلاغٌ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرءًا فكر فى أَمره ، ونصحَ لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه ، بئس الجارُ الغنى يَأْخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فإن أَبيت لم يعذرك ، وإياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ، ومؤدِّية إلى السقم ، وعليكم بالقصدِ فى قوتكم ، فهو أَبعد من السَّرف ، وأَصح للبدن ، وأَقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دِينه .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(١) من كتم سره كان الخيارُ فى يده . (٢) أَشْقَى الولاةِ من شقيت به رعِيَّته

(٣) لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .

(٤) من لا يعرف الشر كان أَجدر أَن يقع فيه .

(٥) أعقل الناس أعذرهم للناس . (٦) لا تؤخر عمل يومك إلى غدك.
(٧) أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقهم . (٨) من يئس من شيءٍ استغنى عنه .

ومن خطبته فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى

« أما بعد » فإن القضاء فريضة محكمة ، وسُنة متبعةٌ ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له ، آس[1] بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لايطمعَ شَريف فى حيْفك[2] ، ولا ييئس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادَّعى ، واليمين على من أنكر ، والصلحُ جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالا ، لايمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفهم ، الفهم فيما تجلجل[3] فى صدرك ، مما ليس فى كتاب ولا سنَّة[4] ، ثم اعرف الأشياء والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعْمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقًّا غائبًا أو بينة أمدًا ينتهى إليه ، فإذا أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا استحقت عليه القضية ، فإنه أنفى للشكِّ وأجلى للعمى ، المسلمون عدُول بعضهم على بعضٍ إلا مجلودًا فى حَد أو مجرباً عليه شهادة زُور أو ظنينا فى ولاءٍ أو نسب[5] ، فإن الله تولى منكم السرَائر ، ودرأ بالبينات والأيمان[6] ، وإياك والقلك والضجر[7] ، والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يعظِّم الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صَحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن

(١) آس بين الناس : سو بينهم . (٢) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه . (٣) تلجلج : تردد حتى كان موقع حيرة .
(٤) الكتاب . القرآن الكريم . والسنة ما أثر عن النبى من قول أو فعل أو تقرير . (٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة .
(٦) درأ : دفع يريد منه الحدود . (٧) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

تخلق(١) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله(٢)، فما ظنُّك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام(٣).

عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموى. ثالث الخلفاء الراشدين، وموجد نسخ القرآن المبين. ولد فى السنة السادسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وآمن فى السابقين الأولين وبذل ماله الكثير فى تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين وشهد مغازى رسول الله كلها إلا بدرا – وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى ستة هو منهم – تنتخب الأمة أحدهم خليفة. فانتخبوا بالشورى عثمان، فأكمل مغازى عمر ح ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الأقاليم؛ فحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٥ هـ؛ فكان قتله سبب التفرق بين المسلمين؛ وكانت مدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشرة يوماً.

وكان رحمه الله من بلغاء الخطباء، وأوجزهم لفظاً؛ وأجزلهم معنى؛ وأسهلهم عبارة؛ ومن خطبه بعد أن بويع، وهى بعد الحمد والثناء:

أما بعد – فإنى قد حملت وقد قبلت، ألا وإنى متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً: اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ، والكف إلا فيما استوجبتم – ألا وإن الدنيا، خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا، ولا تعفوا بها، فإنها لست بثقة – واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها.

---

(١) اى ظهر للناس فى خلقه نيته.
(٢) شأنه ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه.
(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة.

ومن خطبه أيضاً وهى آخر خطبة خطبها :

أما بعد — فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها — الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على مايفنى . فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جُنة من بأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ، ولا تصيروا أحزاباً : (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكم إِذْ كُنتُمْ أعداءً فألف بين قلوبكم فأَصْبحْتُمْ بنعمته إخواناً) .

من حكم سيدنا عثمان رضى الله عنه

(١) ما يزَع الله بالسلطان أكثر ممَّا يزع بالقرآن . (٢) أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوَّال . (٣) يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقتَ سُرورِك .

الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسين على بن أبى طالب ، وابن عم رسول الله وزَوْج ابنته ، ورابع الخلفاء الراشدين — ولِدَ كرم الله وجهه بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهوأول من آبه الصبيان ، وكان شجاعاً لايشق له غبار ، شهد الغزوات كلها مع النبى إلا غزوة تبوك ، وأبلى فى نصرة رسول الله ما لم يبله أحد ، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز ، وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام شيعة أُميَّة ، غضباً منهم لمقتل عثمان وقلة عناية (الإمام على) بالبحث عن معرفة القتلة على حسب اعتقادهم ، فحدث من جراءِ ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعلى أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج الإمام علياً غِيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ ﻫ .

وكانت مُدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

وكان كرم الله وجهه أفصح الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم علماً وزهداً وشِدة فى الحق ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه كثيرة ، منها خطبته ـ كرم الله وجهه ـ بعد التَّحكيم ، وهى :

الحمد لله وإن أَتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجلل ـ وأَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ليس معه إله غيره وأَن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «أَما بعد» فإن معصية الناصح الشفيق ، العالم المجرِّب تورث الحيرة وتعقب الندامة ، وقد كنت أَمرتكم فى هذه الحكومة(١) أمرى ونحلت لكم مخزون رأيى ، (لو كان يُطاع لقصير أَمْرٌ)(٢) فأَبيتم على إباءَ المخالفين الجُفاة المنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضن الزند بقدْحه ، فكنت وإياكم كما قال أَخو هوازن :

أَمرتهم أَمرى بمُنْعرِجِ اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضُحى الغد

ومن خطبة له حين خاطبه العباس وأَبو سفيان فى أَن يبايعا له بالخلافة : أَيها الناس شقوا أَمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة ، أَفلح من نهض بجناح ، أَو استسلم فأَراح ، هذا ماءٌ آجن ، ولقمة يغَصُّ بها آكلها ، ومجنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أَرضه فإن أَقلْ يقولوا حرص على الملك ، وإن أَسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتى والله لابن أَبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أُمه ، بل اندمجتُ على مكنون علم ، لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأَرْشيةِ فى الطوىِّ البعيدة .

من حكم سيدنا علىٍّ كرم الله وجهه

(١) روى الشيخ خير من مشهدِ الغلام . (٢) الناس أَعداءَ ما جهلوا .

---

(١) أى حكومة الحكمين عمرو بن العاص ، وأبى موسى الأشعرى .

(٢) هو مولى جذيمة الأبرش وكان حاذقا ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجابة لدعوتها فى قبولها زواجه فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلا .

(٣) الناس من خوف الذل فى الذل . (٤) الصبر مطية لاتكبو وسيف لاينبو . (٥) إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه . (٦) قيمة كل امرئ مايحسن . (٧) المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه . (٨) استغن عمن شئت تكون نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره. (٩) خير أموالك ما كفاك وخير إخوانك من واساك . (١٠) الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . (١١) ما هلك امرؤ عرف قدره . (١٢) من عذب لسانه كثر إخوانه . (١٣) بشر مال البخيل بحادث أو وارث . (١٤) بالبر يستعبد الحر . (١٥) إعادة الاعتذار تذكير للذنب . (١٦) إذا تم العقل نقص الكلام . (١٧) من أكثر فكره فى العواقب لم يشجع . (١٨) الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب . (١٩) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع . (٢٠) قلب الأحمق وراءَ لسانه ، ولسان العاقل وراءَ قلبه . (٢١) يعيش البخيل فى الدنيا عيش الفقراءِ ، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياءِ . (٢٢) الولايات مضامير الرجال . (٢٣) الناس أبناءَ الدنيا ، ولا يُلامْ الرجل على حب أُمه . (٢٤) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . (٢٥) الحرمان خير من الامتنان .

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إياد الوائلى ، الخطيب المصقع المضروب به المثل فى البلاغة والبيان ، نشأ فى الجاهلية بين قبيلة وائل ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية فكان يُعِدُّه للملمَّات ، ويتوكأُ عليه عند المفاخرة .

قدم على معاوية وفدٌ فطلب سحبان ليتكلم ، فقال : أَحضروا لى عصاً ، قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه ، فضحك معاوية وأمر له بإحضارها ، ثم خطب

من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأْ ولا ابتدأ فى معنى وخرج منه ، وقد بقى منه شىءُ ، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال سحبان : والعجم والجن والإنس ، وكان سحبان إذا خطب يسيل عرقاً ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ ومما يؤثر من خطبه قوله :

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس : فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خلقتم .

إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقال الملائكة : ما قدَّم ؟ قدِّموا بعضاً يكن لكم ، ولا تخلفوا كلا يكن عليكم .

زياد بن أبيه

هو أحد دُهاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها .

منشؤه : كان للحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب أُمةٌ تسمى سُمية ، قد قرنها بعبد له رومى يدعى عبيدًا فولدت له سُمية زيادًا هذا (فى السنة الأُولى من الهجرة) فنشأَ غلاماً فصيحا شجاعاً ، فما افتتحت العرب الممالك والأَمصار حتى عرف منه ذلك ، فاستكتبه أَبو موسى الأَشعرى والى البصرة من قبل عمر ، فأَظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبه .

ولما ولى أَمير المؤمنين (على) الخلافة اضطربت عليه فارس فسار إليها زياد بجمع كثير ، وتمكن بخداعه من إيقاع الشقاق بين روساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائرتهم ، وبقى يتولى لعلى الأَعمال حتى قتل (على) فخافه معاوية ، فأَرسل إليه المغيرة بن شعبة يستقدمه ، فقدم عليه فادعاه أَخاً له واستلحقه بنسب أَبيه أَبى سفيان ، وصار يسمى زياد بن أَبى سفيان ، بدل زياد بن عبيد ، أَو ابن سمية ، أَو ابن أَبيه .

وولاه معاوية العراقين ، وهو أول من جمع له بينهما ؛ فسار في الناس سيرة لم يرها الشعث ، وأقام المعوج ، وكبح الفتنة ، واشتط في العقوبة ، وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة ، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعضاً ، وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد ، حتى يأتى صاحبه فيأخذه ، بل كان لا يغلق أحد بابه ، وكان زياد يقول : (لو ضاع حبل بيني وبين خراسان لعرفت آخذه) وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي (الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف ، المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته) .

وتوفى بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ .

ومن خطبه البليغة خطبته البتراء(١) حين قدم إلى البصرة والياً لمعاوية وهي :

أما بعد : فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام التي ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدى الذى لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف يقهر ، والضعيفة المسلوبة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق ، ألم يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على النكر ، كل امرىء منكم يرد عن سفيهه ، صنع من لا يخاف عقابا ولا يرجو معاداً ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب .

(١) البتراء التى لم يحمد الله فيها .

حرام على الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً ، إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله « لينٌ فى غير ضعف ، وشدةٌ فى غير عنف » وإنى لأقسم بالله ـ لآخُذن الولى بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمطيع بالعاصى ، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول : « إنج سعد فقد هلك سعيد » أو تستقيم لى قناتكم ، إن كِذبة الأمير بلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة ، فقد حلت لكم معصيتى ، وقد كان بينى وبين قوم إحَنٌ فجعلت ذلك دُبُرَ أُذنى وتحت قدمى ، إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السُّل من بغضى لم أكشف له قناعاً ؛ ولم أهتك له ستراً . حتى يبدى لى صفحته . فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدو منا سيسر ؛ ومسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىءِ الله الذى خولنا لنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا .

الحجاج الثقفى

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى ، أحد جبابرة العرب وساستها ، وموطد ملك بنى أمية ، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع ؛ ولد سنة ٤١ هـ وشب فى خلافة معاوية .

وخدم الحجاج بولاية عبد الملك بن مروان ؛ وابنه الوليد ـ حتى كان ملكه ما بين الشام والصين ـ ومات سنة ٩٥ هـ فى مدينة واسط بالعراق .

وكان الحجاج آية فى البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وشجاعاً داهية عنيفاً ؛ قال الأصمعى : أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل : الشعبى ، وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ، وابن القرية ؛ وكان الحجاج أفصحهم ، ومن مآثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف

عثمان وإرسالها إلى بقية الأمصار، ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق فإنه دخل المسجد ـ معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلداً سيفاً؟ متنكباً قوساً ـ يوم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لايتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبّح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق.

فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه، ونهض فقال:

أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا ⁂ متى أضع العمامة تعرفونى

يا أهل الكوفة، إنى لأرى رُءوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنى لصاحبها، وكأنى أنظر إلى الدماء ترقرقُ بين العمائم واللحى، ثم قال:

هذا أوان الشدِّ فاشتدّى زِيم ⁂ قد لفها الليلُ بِسوّاق حُطم

ليس براعى إبلٍ ولا غنم ⁂ ولا بجزّار على ظهر وضمْ

ثم قال:

قد لفها الليل بعصلبى ⁂ أروع خراج من الدّوى

مُهاجر ليس بأعرابى

وقال:

قد شمرت عن ساقها فشدّوا ⁂ وجدت الحرب بكم فجدّوا

والقوس فيها وترٌ عُرُدٌّ ⁂ مثل ذراع البكر أو أشد

لا بُد مما ليس منه بدُّ

إنى والله ياأهل العراق مايقعقع لى بالشنآن، ولايغمز جانبى كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المومنين (أطال الله بقاءه) نشر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدنى أمرها عوداً، وأصلبها مكسراً فرماكم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة، واضجعتم فى مراقد الضلال، لأحزمنكم حزم السلمة(١)، ولأضربنكم ضَرْب غرائب(٢) الإبل، فإنكم لكأهل قرية

(١) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تصعب أغصانها ثم تختبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان.

(٢) وهى تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب

كانت آمنة مُطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كلِّ مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجُوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإنى والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمْضيت ، ولا أَخلق [١] إلا فريت [٢] .

وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعْطياتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدُوكم مع المهلب بن أبى صفرة [٣] ، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عُنقه .

طارق بن زياد

هو أحد قوَّادُ جيوش الوليد بن عبد الملك ، كان خطيباً مِصقعًا ، وَبَطلا مقداماً بعيد الهمة ، يعشق المجد ، وتصبو نفسه إلى الفتوحات ، خرج من المغرب سنة ٩٢ﻫ باثنى عشر ألف جندى من مواطنيه ، يَقلهم أُسطول قوى ، وقد جُهز لذلك وعبرَ البحر إلى أسبانيا لفتحها ، فلما علم (رُودريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم ، هالت طارقاً كثرة عَدده وكمال عُدده ، فبادر طارق وأحرق أُسطوله ليقطع أملَ أَصحابه فى الرُّجوع ، وقال لهم : « أيها الناس الخ » فاندفعوا على الأَسبان اندفاع اليائِس ، وهزموهم شر هزيمة ، ثم والى طارق فتوحاتة فى أَسبانيا حتى قبض على (رودريك) آخر ملوك البريغوط بها ، وقتله سنة ٩٤ ﻫ ، وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة ١٠١ ﻫ ، وهاهى خطبته البليغة :

أَيها الناس ، أَين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو أَمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أَنكم فى هذه الجزيرة أَضيع من الأَيتام ، فى مأْدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأَسلحته وأَقواته مَوفورة ، وأَنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستلخصونه من أَيدى عدوكم ، وإن امتدت بكم

---

(١) أقدر . (٢) قطعت . (٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة الأزدى البصرى قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجـديد .

الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمرًا ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجو ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أربأ فيها بنفسى ، واعلموا أنكم إن صَبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرْفهِ الألذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما حظكم فيه أوفر من حظى ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المومنين من الأبطال عُرْباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارًا وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان واسماحكم بمجَالدة الأبطال والفرسان ، ليكون مَغنمها خالصاً من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولى إنجادكم على ما يكون لكم ذكرًا فى الدارين ؛ واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، وإنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم «لذريق» فقاتله إن شاءَ الله تعالى فاحملوا معى ، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقِل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى ، فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون .

الكتابة : خطية ، وإنشائية

الكتابة الخطية : كان الخط فى مبدإ ظهور الإسلام هو الخط الأنبارى الحيرى المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازى ، وهو أصل النسخ ، وكان يكتب به النزر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، فلما انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على قريش فى يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداءَ من أمييهم ، وفادى الكاتب

منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ، فانتشرت الكتابة بين المسلمين . وحض صلى الله عليه وسلم على تعلمها ؛ ومن أشهر كُتَّاب الصحابة : (زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بنِ هشام) . ولما فتح المسلمون الممالك ، ونزلت جَمهرة الكتاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربى وهندسة أشكاله حتى صار خط أهل الكوفة ممتازًا بشكله عن الخط الحجازى ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفى) وبه كانت تكتب المصاحف وحِلى القصور والمساجد وسك النقود.

وكان الصحابة وتابعوهم من بنى أُمية يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلا اعتمادًا منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ ، فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة ، أشفق المسلمون على تحريف كَلِم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلى علامات فى المصاحف «بِصبغ مخالف» فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجَعل نقطتين ؛ وكان ذلك فى خلافة معاوية رضى الله عنه .

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذى يُكتب به الكلام ، حتى لايختلط بنقط أُستاذهما أبى الأسود ، وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم شاع فى الناس بعد .

الكتابة الإنشائية قسمان : كتابة رسائل ودواوين ، وكتابة تدوين وتصنيف .

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماءُ العرب ونصحاؤهم كلهم كتاباً ينشئون بملكتهم ، ولو لم يخطوا بيمينهم ؛ فكان النبي وأصحابه ، وخلفاؤه يُملون كتبهم على كتَّابهم بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت فى حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط ذلك ، فكان (عمر) أول من دوَّن الدواوين ، وكان كُتَّاب

الرسائل للخلفاء وعمالهم إما عَرباً أَو موالِىَ يجيدون العربية ، أَما كُتاب الخراج ونحوه فكانوا فى كل إقليم من أَهله يكتبون بلغتهم ، ولما نبغَ من العرب من يُحسن عملهم حُوِّلت هذه الدواوين إلى العربية زمنَ عبد الملك بن مروان ، والوليد ابنه ، وجرى خلفاءُ بنى أُمية فى كتابة الرسائل على ما كان عليه الأَمر زمن الخلفاءِ الراشدين .

ثم لما اتسعت رقعة المملكة ، وَقرَّت أُمور الدولة ، وازدادت الأَعمال ، وشُغل الخلفاءُ عن أَن يَلوا الكتابة بأَنفسهم أَو بخاصة عشيرتهم عَهدوا بها إلى كبار كتابهم حتى انتشرت وصارت صناعة مُحكمة ، وكان كثيرٌ منهم يعرف اللغة الرومانية أَو الفارسية أَو اليونانية أَو السريانية ، وهى لغات أُمم ذات حضارة وعُلوم ونظام ورسوم .

ومن هؤلاءِ : سالم مولى هشام بن عبد الملك ، أَحد الواضعين لنظام الرسائل ؛ وأُستاذ (عبد الحميد الكاتب) الذى آلت إليه زعامة الكتابة آخر الدولة الأُموية .

مميزات الكتابة الإنشائية

وتمتاز الكتابة فى هذا العصر بالميزات الآتية :

(١) الاقتصارُ فى أَغراضها على القدر الضرورى لدولة عربية ؛ والاقتصار فى معناها على الإلمام بالحقائق : وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل ؛ واستعمال الأَلفاظ الفحلة والعبارات الجزلة والأَساليب البليغة ؛ إذا كان الكاتب والمكتوب إليه عرباً فصحاءَ .

(٢) مُراعاة الإيجاز غالباً إلا حيثُ يُستدعى الحالُ الإسهاب ، وبقى الأَمر على ذلك ؛ حتى جاءَ عبد الحميد الكاتب آخرَ الدولة الأُموية ؛ فأَسهب فى الرسائل وأَطال التحميدات فى أَولها ، وسلك طريقه من أَتى بعده .

الكُتَّاب

كتَّاب هذا العصر كثيرون ، فقد كان الخلفاءُ والأُمراءُ والقواد كلهم

كتاباً بُلغاء ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأَعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاءِ :

عبد الحميد بن يحي الكاتب

وهو عبد الحميد بن سعيد العامرىّ نسباً ، الشامىّ داراً ، شيخ الكتاب الأَوائل ، وأَول من أَطال الرسائل ، ونشأَ بالأَنبار بليغا حصيفًا .

وكان عبد الحميد فى أَول أَمره معلم صِبيان حتى فطن له مروان بن محمد أَيام توليه أَرْمينية ، فكتب له مدة ولايته ، حتى إذا بلغه مبايعة أَهل الشام له بالخلافة فسجد مروان لله شكرا وسجد أَصحابه إلا عبد الحميد ،فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولِم أَسجد ؟ أَعَلى أَن كنت معنا فطرت عنَّا ؟ قال : إذًا تطير معى ، قال : الآن طاب لى السُّجود ، وسجد ، فاتخذه مروان كاتب دولته .

ولما دهمت مروان جيوش خراسان أَنصارُ الدعوة العباسية ، وتوالت عليه الهزائم ، كان عبد الحميد يلازمه فى كل هذه الشدة ، فقال له مروان : قد احتجت أَن تصير مع عدوِّى وتُظهر الغدر بى ، فإن إعجابهم بأَدبك ، وحاجتهم إلى كتابك يحوجُهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أَن تنفعنى فى حياتى ، وإلا لم تَعجز عن حفظ حرَمى بعد وفاتى ، فقال له : إن الذى أَشرت به علىّ أَنفع الأَمرين لك ، وأَقبحهما بى ، وما عندى إلا الصبر ، حتى يفتح الله عليك ، أُو أَقتل معك وأَنشد :

أَسِر وفاءً ثمَّ أُظهر غدرَة فمن لى بعذْر يوسع الناس ظاهره؟

وبقِى حتى قتلَ مروان سنة ١٣٢ هـ ، وأُخِذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ .

منزلته فى الكتابة : اتفقت كلمة البلغاءِ وأَهل الأَدب على أَن عبد الحميد هو الأُستاذ الأَول لأَهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أَنه أَول من مهد سبلها وميز

فصولها ، وأطالها فى بعض الشئون وقصرها فى بعضها الآخر ، وأطال التحميدات فى صدرها ، وجعل لها صوراً خاصة ببدئها وختمها على حسب الأغراض التى تكتب فيها ، وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجز عنه السحر فى خلب الأفئدة وجذبِ النفوس ، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراسانى بدعوة بنى العباس كتب إليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمنه ما لو قرئ لأدّى إلى وقوع الخلاف والفشل وقال لمروان : كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن يك ذلك وإلا فالهلاك ، وكان الكتاب لكبر حجمه يُحمل على جمل ؛ فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبى مُسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه ، وكتب على جذاذة منه إلى مروان :

محا السيف أسطار البلاغةِ وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

التّدْوين والتصْنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ، ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من كتابة المصحف ، وكان مرجع الناس فى أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فإذا اشتبه عليهم أمر من أُمور الدين رجعوا إلى الخلفاء ، وفقهاء الصحابة .

ثم لما انتشر الإسلام فى زمن بنى أُمية ، واختلطت العرب بالعجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربى ، وفشا اللحن ، وأشفقوا على القرآن من التحريف ، وعلى اللغة من الفساد دونوا النحو ، وكان أول من كتب فيه « أبو الأسود الدُّؤلى » وقد تلقى مبادئه عن « الإمام على » وأخذ عنه فتيان البصرة ، وخصوصاً الموالى إذ كانوا أحوج الناس إلى النحو ، واشتغل به أهل الكوفة بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغل به طبقتان طبقه من البصريين وطبقة من الكوفيين ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنِّحل وكثرت الفتاوى والرجوعُ فيها إلى الرؤساء ، ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ، ويتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » لأبى

بكر محمد بن عمرو بن حزم فى تدوين الحديث ، وانقضى هذا العصر ، ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير ، أما العلوم الأُخرى فيروى أَن خالد بن يزيد بن معاوية حبب إليه مطالعة كتاب الأَوائل من اليونان فترجمت له ، ونبغ فيها ووضع كتباً فى الطب والكيمياء ، وأَن معاوية استقدم عبيد بن شرية من صنعاء فكتب له كتاب « الملوك وأَخبار الماضين » وأَن وهب بن منبه الزهرى ، وموسى بن عقبة ، كتبا فى ذلك أَيضاً كتباً ، وأَن زياد بن أَبيه وضع لابنه كتاباً فى مثالب قبائل العرب ، وأَن ماسرجويه متطبب البصرة تولى فى الدول المروانية ترجمة كتاب أَهرون بن أَعين ، من السريانية إلى العربية ، وأَن يونس الكاتب بن سليمان أَلف كتاباً فى الأَغانى ونِسْبتها إلى من عنى بها ، ولم يبلغ التصنيف شأْوًا يذكر .

الشعر والشعراءُ فى هذا العصر

جاء النبى الكريم ، والشعر ديوان العرب ، فأَتاهم بالأَمر العظيم ، والحادث الخطير ، حاملاً بإحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله ، والتمسك بالفضيلة وشاهرًا بالأُخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أَشد ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعهما ، فهبوا يتحسسون الأَول ، ويتمرسون أَساليبه ومعانيه ويتفرسون أَلفاظه ومغازيه ، مابين معاند يتلمس مطعنًا فيه ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأَهبوا للثانى : بين ضال يناوئه ، ومهتد يعاضده ؛ فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر ، محولا مجرى أَفكار المؤمنين منهم عن أَكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالمدح بالباطل والهجاء والمغازلة ، وبغض إليهم تلك الفنون المرذولة بإزراء القرآن على الشعر بقوله : (والشعراءُ يتبعهم الغاوون أَلم تر أَنهم فى كل واد يهيمون ، وأَنهم يقولون مالا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا

وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراءُ المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن ، كالموعظة والإرشاد ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.. الخ.

ولبث الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة ، وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا إلى ما ألفوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف المعارك ، وأحوال الحصار وآلات القتال .

ولما آل الأمر إلى بنى أمية ، وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعر لساناً يعبر عن مقصد كل حزب ؛ حتى أصبح حرفة عتيدة ، وصناعة جديدة ومورد ثروة ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء ، حتى الخلفاءُ وأولياء عهودهم ، ونصف ما كان عليه الشعر فى هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراته وعباراته بما يأتى .

أغراض الشعر وفنونه

(١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه ، وخاصة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .

(٢) التحريض على القتال ووصفه – والترغيب فى نيل الشهادة رفعاً لكلمة الله ، وذلك فى أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها .

(٣) الهجاءُ – أولا فى سبيل الدفاع عن الإسلام يهجو مشركى العرب بما لا يخرج عن حد المروءة وبما رضيه النبي من حسان بن ثابت شاعره فى هجاء قريش وعشيرة النبي من بنى عبد مناف ، وكان يتحرج عنه المسلمون ولو بالتعريض زمن النبي وخلفائه ، ولذلك عاتب عمر أمير المؤمنين (الحطيئة) وهدده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين ، ثم صار يتساهل فى خطبه حتى كان الهجاءُ غاية براعة الشاعر ، وإن لم يصل فى الإقذاع والفحش إلى الحد الذى وصل إليه فى العصر التالى ، ومن ذلك التهاجى المشهور بين جرير والفرزدق والأخطل .

(٤) المدح ـ وقلما كان مبدأُ الإسلام فى غير النبى من حيث الاهتداءُ بهديه ، ونشر الحق على يديه ، وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزهى به نفوسهم تواضعاً .

ثم استرسل الشعراءُ فيه وَقبل ذلك منهم الخلفاء إلى أَن كان المدح من أَهم الدعائم لتوطيد أَركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاءِ والولاة والإِشادة بعظمتهم .

معانيه وأَخيلته وأَلفاظه وأَساليبه وأَوزانه

لم يخرج شعراءُ هذا العصر فى جملة تصورهم وتخيلهم عما أَلفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيرا فى ترتيب الفكر ، وتقريب المعنى إلى الأَذهان والوِجْدان ، بما هذَّب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله ؛ وكذلك لم يخرجوا جملة فى هيئة تأَليف اللفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها فى الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ وفخامته ومُؤالفته لسابقه ولا حقه دون غرابته كما آثروا جودة الأَسلوب ومتانته ، وروعة تأثيره ولاسيما أَهل النسيب ، ولم يطرأ على أَوزان الشعر العربى حدث غير ما عرف عنه فى الجاهلية .

وإنما شاع فى هذا العصر نظم الأَراجيز ، والتطويل فيها واستعمالها فى جميع أَغراض القصيد ، حتى فى افتتاحها بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والذم ونحو ذلك .

الشعراء

شعراءُ هذا العصر ممن خلصت عربيتهم ، واستقامت أَلسنتهم ، ولم يمتد إليهم اللحن ، ولقد زادتهم مدارسة القرآن الكريم فصاحة وبلاغة ، وإحكاماً وإتقاناً حتى فضلهم بعض الرواة على سابقيهم من الجاهليين ومن أَشهر شعراءِ هذا العصر : كعب بن زهير ، والخنساءُ ، والحطيئة ،

وحسان بن ثابت ، والنابغة الجعدى وعمرو بن معد يكرب من المخضرمين (١) وعمر بن أَبى ربيعة ، والأَخطل ، والفرزدق ، وجرير ، والكميت ، وجميل ، وكثيِّر عزة ، ونُصَيْب والراعى ، وذو الرمة من الإِسلاميين .

(١) كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أَبى سلمى أَحد فحول المخضرمين ، ومادح النبى الأَمين ، ولما ظهر الإِسلام ذهب أَخوه بجيْر إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب كعب لإِسلامه ، وهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابه ، فتوعده النبى صلى الله عليه وسلم وأَهدر دمه ، فحذره أَخوه العاقبة ، إِلا أَن يجئ إِلى النبى صلى الله عليه وسلم مسلماً تائباً ، فهام كعب يترامى على القبائل أَن تجيره فلم يجره أَحد ، فلما ضاقت الأَرض فى وجهه جاءَ أَبا بكر رضى الله عنه بالمدينة ، وتوسل به إِلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأَقبل به عليه وآمن ، وأَنشده قصيدته المشهورة الآتية .

فخلع عليه النبى بردته ، فبقيت فى أَهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين أَلف درهم ، ثم بيعت للمنصور العباسى بأَربعين أَلفاً ومات سنة ٢٤ هـ.

شعره : كان كعب من الشعراءِ المجيدين المشهورين بالسبق ، وعُلو الكعب فى الشعر ، وكان خلف الأَحمر أَحد علماءِ الشعر يقول : لولا قصائد لزهير ما فضلته على ابنه كعب ، وكفاه فضلا أَن الحطيئة مع ذائع شهرته ، رجاه أَن ينوِّه به فى شعره ، فقال :

فمنْ للقوَافى شَانَهَا من يحُوكها إِذا ما مضى كعب وَفوَّز جرولُ

ومن شعره قوله :

لو كنت أَعجبُ من شىءٍ لأَعجبنى سعْى الفتى وهو مخبوءُ له القدَرُ
يسْعى الفتى لأُمور ليسَ يُدرِكها والنفس واحدة والهم مُنتشر

(١) المخضرم من الشعراء من عاش فى الجاهلية والاسلام .

فالمرءُ ما عاش ممدودٌ له أَمَلٌ لا ينتهي العمْر حتى ينتهي الأَثرُ

ومن قوله أيضاً :

إن كنْتَ لا ترهَب ذمى لما تعرف منْ صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذا أنا مُنصِتٌ فيكَ لمسموع خنَا القائل
فالسامع الذم شريك له ومُطْعِمُ المأكول كالآكل
مقالة السُّوءِ إلى أَهلها أَسرعُ من مُنْحدِرٍ سائل
ومن دعا الناس إلى ذَمِّه ذَمُّوهُ بالحقِّ وبالباطل

ومن قوله أَيضاً قصيدة « بانت سُعاد » المشهورة – وهى :

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ مُتيمٌ إثرَها لم يُفد مكبول(١)
وما سُعادُ غداة البيْن إذ برزت إلا أَغنّ غضيض الطرف مكحول(٢)
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت كأَنه مُنْهلٌ بالرَّاحِ معلول(٣)
شُجَّت بذى شبم من ماءِ مَحنيةٍ صافٍ بأَبطحَ أَضحى وهو مشمول(٤)
تنفى الرِّياحِ القذَى عنه وأَفرطه من صوب غاديةٍ بيض يعاليل(٥)
ويلُ آمها خُلة لو أَنها صدقت بوعدها ولو انَّ النصح مقبول(٦)
لكنها خُلة قد سِيطَ من دمها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل(٧)

(١) بانت : فارقت ، والمتبول : الذى أسقمه الحب ، ومكبول : مقيد .
(٢) الأغن : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب ، غضيض الطرف : أى فى طرفها كسر وفتور . (٣) تجلو : تكشف وأراد بالعوارض هنا الأسنان ، ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم والظلم ماء الأسنان وبريقها . معلول : أى مسقى بالخمر مرة بعد أخرى . (٤) شجت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها ، وبذى شبم أى بماء ذى شبم والشبم : البرد ، والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق ، والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى ، والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى يبرد .
(٥) القذى : ما يسقط فى الماء ، وأفرطه : أى ملأه .
(٦) ويل امها ، وفى رواية ابن هشام أكرم بها والخلة هنا الصديقة .
(٧) سيط من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره ، والفجع : الاصابة بالمكروه ، والولع : الكذب .

فما تقوم على حال تكون بها كما تلوَّن فى أثوابها الغول(١)
ولا تمسك بالعهد الذى زعمت إلا كما يمسك الماءَ الغرابيل
كانت مواعيد عُرْقوب لها مثلا وما مواعيده إلا الأَباطيل(٢)
أَرجو وآمُل أن تدنو مودَّتها وما إخال لدينا منك تنويل
فلا يغرنك ما منَّت وما وعدت إن الأَمانى والأحلام تضليل
أمست سُعاد بأَرض لا يبلِّغها إلا العتاق النُّجيات المراسيل(٣)
نبئت أن رسول الله أَوعدنِى والعفو عند رسول الله مأمول(٤)
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة القـــــــرآن فيها مواعيظ وتفصيل(٥)
لاتأخُذنى بأَقوال الوشاة ، ولم اذنب ، ولو كثرت فىَّ الأَقاويل
لقد أَقوم مقاماً لو يقوم به يرى ويسمع ما قد أَسمع الفيل(٦)
لظل ترْعدُ من وجد بوادره إن لم يكن من رسول الله تنويل(٧)
مازلت أَقطع البيداءَ مدَّرِعاً جنح الظلام وثَوْب الليل مسبول(٨)
حتى وضعت يمينى ما أُنازعها فى كف ذى نقمات قوله القيل(٩)
فلهْوَ أَخْوفُ عندى إذ أكلمه وقيل : إنك منسوب ومسئول(١٠)

(١) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم فى الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق . (٢) عرقوب يضرب به المثل فى خلف الوعد ، قيل انه وعد أخا له ثمر نخلة ، وقال : اعتنى اذا طلع النخل ، فلما أطلع قال له : اذا أبلح ، فلما أبلح قال : اذا أزهى ، فلما أزهى قال : اذا أرطب ، فلما أرطب قال : اذا صار تمرا ، فلما صار تمرا جذه من الليل ولم يعطه شيئا . (٣) العتاق : الابل أو الخيل الكريمة ، والنجيات السريعات ، والمراسيل : جمع مرسال وهو السريع . (٤) أوعد : هدد
(٥) نافلة : عطية التنفصيل ، التبيين . (٦) أى : لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد . (٧) لظل يرعد : جواب لو فى البيت السابق ، والبوادر جمع بادرة : وهى ههنا بين المنكب والعنق .
(٨) أدرع الظلام : أى لبسه كأنه درع . (٩) ما انازعها : أى لا أجاذبها والقيل : أى القول المحب . (١٠) أخوف : أى أعظم مسببه للخوف ، ومنسوب : أى مسئول عن نسبك .

من ضيغمٍ بضراءِ الأَرض مخدره ... فى بطن عثر غير دونه غيل(١)
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحم من الناس معفور خراديل(٢)
إذا يساور قرناً لا يحل له ... أَن يترك القِرن إلا وهو مغلول(٣)
منه تظل حمير الجوّ نافرة ... ولا تمشى بواديه الأَراجيل(٤)
ولا يزال بواديه أَخو ثقة ... مُضرج البز والدرسين مأكول(٥)
إن الرسول لنورٌ يستضاءُ به ... مهندٌ من سيوفِ الله مسلول
فى عصبةٍ من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أَسلموا : زولوا(٦)
زالوا ، فما زال أَنكاس ولا كشف ... عند اللقاءِ ولا مِيلٌ معازيل(٧)
يمشون مشْى الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرَّد السود التنابيل(٨)
شم العرانِينِ أَبطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجاء سرابيل(٩)
بيض سوابغ قد شكت لها حلق ... كأَنها حلق القعفاءِ مجدول(١٠)

(١) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق ، وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبذ من الشجر ، والمخدر : مكان اقامةالأسد ، وبطن عثر : مأسدة أى مخدرة ، غيل من بطن عثر دونه غيل، والغيل : الأجمة ــ يصفه بالمنعشة والتوحش . (٢) يلحم : أى يطعم اللحم ، معفور : أى ملقى فى التراب والخراديل ، القطع .

(٣) يساور : يواثب ، والقرن المماثل ، ولا يحل : لا يسوغ ، والمغلول : المقيد . (٤) الجو : البر الواسع ، والأراجيل جمع رجيل : وهو الراجل غير الراكب . (٥) البز : الثياب ، والدرس : الثوب الخلق ، أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقة ممزقة . (٦) زولوا أى انتقلوا من مكة الى المدينة .

(٧) النكس : الضعيف ، والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له ، والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل: جمع معزول وهو من لا سلاح له . (٨) الزهر : البيض ، وعرد : فر وأعرض والتنابيل : القصار . (٩) شم العرانين : شم الأنوف ، أى أعزة ، واللبوس السرابيل : الدروع أى لباسهم دروع من نسج داود .

(١٠) بيض : صفة للسرابيل ، والسوابغ : الطوال ، والقعفاء : نبات ينبسط على الأرض يشبه حلق الدروع .

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوماً ، وليسوا مجازيعا إذا نِيلوا[١]
لايقطع الطعن إلا فى نحورهم وليس لهم عن حياض الموت تهليل[٢]

(٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدى

هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدى المذحجى ، فارس اليمانيين ، وأحد الشعراء المعمرين ، والخطباء الموفدين .

منشؤه وصفاته : نشأ عمرو بين قومه محمقا أكولا ، لايؤمل منه خير ، ولاتلحظ فيه سيادة ، على ضخامة فى جثة ، وجهارة فى صوت ، حتى بلغ زبيدا أن خثعم ستشنُّ الغارة عليهم ، فتأهَّبوا . ودخل عمرو على أُخته ، فقال : أَشبعينى إن غدًا الكتيبة ، فأخبرت أَباه فقال : سلى هذا المائق ما يشبعه ، فأَكل عنزًا بثلاثة آصع ذرة ، وأَتتهم خثعم فتبلد حتى رأى لواءَ أَبيه مال وانهزمت زبيد ، فثار وكرَّ على خثعم ، وتراجع إليه قومه فهزموا الأَعداءَ ، فأَصبح يسمى فارس زبيد بعد أَن كان يسمى مائق زبيد ، واشتهر بالشجاعة حتى هابته أَبطال العرب وضرب به المثل فى الشجاعة ، وفى ذلك يقول أَبوتمام:

إقدام عمرو ، فى سماحة حاتم فى حلم أَحنف ، فى ذكاءِ إياس

وفى شجاعته يقول عن نفسه : وسرت بظعينة وحدى على مياه معد كلها ما خفت أَن أُغلب عليها — ما لم يلقنى حراها أَو عبداها . فأَما الحران : فعامر ابن الطفيل ، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، وأَما العبدان : فأَسود بنى عبس — يعنى عنترة — والسليك بن السلكة ، وكلهم قد لقيت .

ولما فشا الإسلام فى قبائل العرب ، وفد مع بعض قومه على رسول الله فأَسلم ثم رجع إلى قومه ، ولما مصرت الكوفة أَقام بها حتى كانت وقعة نهاوند فحضرها تحت لواءِ النعمان بن مقرن ، ومات بها سنة إحدى وعشرين .

(١) المفاريح : جمع مفراح الشديد الفرح ، والمجازيع جمع مجزاع الشديد الحزن .
(٢) التهليل : الجبن والفرار .

ويُعد عمرو من الشعراءِ المخضرمين ، ويأْتى شعره فى الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ، وهو أَحد الخطباءِ الذين أَوفدهم النعمان على كِسرى .

ومن شعره قوله فى صدق عن نفسه فى الحرب :

ولما رأَيتُ الخيلَ زُورًا كأَنها جداول زرْع أُرْسلت فاسبطرتِ
فجاشت إلىَّ النَّفسُ أَوَّل مرة فردت على مكروهها فاستقرتِ
علام تقول الرُّمْح يُثقل عاتقى إذا أَنا لم أطعنْ إذا الخيل كرَّتِ

ومن قوله أَيضاً :

أَمِن رَيحانة الدَّاعِى السميع يُورِّقنى وأَصْحابى هُجوعُ
أَشَاب الرأس أَيامٌ طوالٌ وهم ما تَضَمَّنه الضلوعُ
وسوق كتيبَةٍ دلفت لأُخرى كأَنَّ نهارهَا رأْسٌ صليعُ
إذا لم تسْتطِعْ شيئًا فدعْه وجاوزه إلى ما تَسْتطيعُ
وصِله بالزِّماع فكل أَمر سَما لك أَو سموت له ولوعُ

(٣) الخَنْسَاءُ

هى السيدة تماضر الخنساءُ بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أَرق شواعر العرب وأَحزن من بَكى وندب .

كان أَبوها عمرو ، وأَخواها معاوية وصَخر ، وكانت هى من أَجمل نساءِ زمانها فخطبها دُريد بن الصمة فارس جُشم ، فرَغبت عَنه وآثرت التزوج فى قومها ، فتزوجت منهم ، وكانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما قتل شقيقها معاوية ، ثم أَخوها لأَبيها صخر ، جزَعَت عليهما جزَعاً شديدا ، وبكتهُما بكاءً مرا ، وكان أَشد وجدها على صخر ، لأَنه شاطرها هى وزوجها أَمواله

مرارًا ، ولما جاءَ الإسلام وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يُعجبه شِعرها ، ويستنشدُها ويقول (هِيهِ ياخناس) ويومئُ بيده .

ومافتئت تبكى صخرا قبل الإسلام وبعده حتى عميت ، وبَقيت إلى أن شهدت حرب القادِسية مع أَولادها الأَربعة ، فوصتهم وصيتها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف ، فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية سنة ٤٦ هـ فى خلافة معاوية .

شِعرها : أَغلب علماء الشعر على أَنه لم تكن امرأَةٌ قبل الخنساءِ ولابعدها أَشعر منها ، ومن فَضل ليلى الأَخيلية عليها لم ينكر أَنها أَرثى النساءِ ، وكان بشار يقول : لم تقل امرأَة شعرا إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له : وكذلك الخنساءُ ، فقال : تلك التى غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراءِ الجاهلية أَقل منه عند شعراءِ الإسلام ، فذلك النابغة الذبيانى يقول لها ، وقد أَنشدته بسوق عُكاظ قصيدتها التى مطلعها :

قَذًى بعينيك أَم بالعين عُوَّارُ ... أَم ذرفت إذ خلت من أَهلها الدارُ

لولا أَن أَبا بَصير (يعنى الأَعشى) أَنشدنى قبلك لقلت : إنك أَشعر من بالسوق . وسئل جرير : مَن أَشعر الناس ؟ قال : أَنا ، لولا الخنساءُ ، قيل : فيم فضلتك ! قال : بقولها .

إن الزمان (وما يَفنى له عَجَب) ... أَبقى لنا ذنبا واستؤصل الرَّاس
إن الجديدين فى طولِ اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ومن جيد شعرها ترثى أَخاها صخرًا :

أَعَيْنى جُودا ولا تجْمدا ... أَلا تَبكِيَان لصخر الندى
أَلا تبكيانِ الجرىء الجميل ... أَلا تبْكيان الفتى السيِّدَا
رفيع العماد طويل النِّجا ... د ساد عشيرتَهُ أَمردَا

إذا القومُ مدوا بأَيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذى فوق أَيديهمُ ... من المجد ثم انتمى مُصعدا
يحمله القوم ما عالَهُم ... وإن كان أَصغرَهم مولِدا
وإن ذُكِرِ المجد أَلْفيْته ... تَأَزرَ بالمجد ثم ارْتدى

ومن قولها ترثية أَيضاً :

أَلا يا صخرُ إن أَبكيت عينى ... فقد أَضْحكْتنى زمنا طويلًا
دفعت بك الخطوب وأَنت حى ... فمن ذا يَدْفع الخطب الجليلا
إذا قَبح البكاءُ على قتيل ... رأَيت بكاءَك الحسن الجميلا

ومن بديع قولها :

يُذكرنى طلوع الشمس صخرًا ... وأَذكره لكلِّ غروب شمس
فلوْلَا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلت نفسى
ولكن لا أَزال أَرى عَجُولا ... ونائحة تنوحُ ليوم نحْسِ
هما كِلْتاهما تبكى أَخاها ... عشيَّةَ رِزْئِهِ أَو غِب أَمس
وما يَبْكين مثل أَخى ولكن ... أُسلى النفس عَنه بالتأَسى
فقد ودعت يوم فراقِ صَخر ... أَبى حسانَ لذَّاتى وأنسى
فيا لهْفى عليه ولهْفَ أُمِّى ... أَيُصْبح فى الضريح وفيه يُمسى

(٤) الحُطيئة

هو أَبو مليكة جرول الحطيئة العبسى ، منشؤه معلول النسب ، وكان جشعاً سؤولا ملحفاً دنئَ النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلا قبيح المنظر ، رَثَّ الهيئة فاسد الدين ، وعاش الحطيئة مدة الجاهلية ، وجاءَ الإسلام فأَسلم ، ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عاش متنقلًا فى القبائل يمدح هذه تارة ، ويذمُّ تلك أُخرى ، ويَنْتسِبُ إلى عبس طورًا ، وطورا إلى

ذهل ، ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب وده ، وتتقى شر لسانه ، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبسه . فما زال يستشفع إليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدده بقطع لسانه إن هجا أحدا ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنه نكث ، وأوغل فى الهجاء بعد موت عمر ، وبقى كذلك حتى مات أوائل خلافة معاوية سنة ٥٩ ﻫ .

شعره : لولا ما وصم به الحطيئة من خسَّة النفس ؛ ودناءة الخلق ، وجهالة النسب لكان بإجادته فى كل ضربٍ من ضُرُوب الشعر زعيم شعراء المخضرمين على الإطلاق ، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفا لله والشرف ، وقلما يوجد فى كلام الحطيئة مظنة ضعف ، أو مغمزٌ لغامز من ركاكة لفظ ، أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية .

ومن مدحه الذى لا يلحق له فيه غبار ، قوله :

يسوسون أحلاماً بعيدًا أناتها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أَقِلوا عليهم (لا أباً لأبيكم) ... من اللوم أو سدُّو المكان الذى سدوا
أُولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
مطاعين فى الهيجا مكاشيف للدجى ... بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
ويعذلنى أبناءُ سعد عليهم ... وما قلت إلا بالذى علمت سعد

ومن أبياته التى استعطف بها أمير المؤمنين عمر وهو فى سجنه قوله :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرخٍ ... زغب الحواصلِ لاماءُ ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة ... فاصفح ، عليك سلام الله يا عمر !
أنت الأمين الذى مِن بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النهى البشر
لم يُوثِروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الخير

(٥) حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى : شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر شعراء المخضرمين ، وهو من بنى النجار أهل المدينة ، نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها ، ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأسلم الأنصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه ، كما دافع عنه الأنصار بسيوفهم .

وعاش حسان بعد النبى محبباً إلى خلفائه مرضيًّا عنه ، وعمر قريباً من ١٢٠ سنة ، وبقى أكثر حياته ممتعاً بحواسه وعقله ، حتى وهن جسمه فى أواخر عمره ، وكف بصره ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .

شعره : كان حسان شاعر أهل المدر فى الجاهلية ، وشاعر اليمانية فى الإسلام ، ولم يكن فى أصحاب النبى ولا فى أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركى قريش من لسانه بالداهية التى لم يكن لهم قبل بها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هجر ، ولما أذن له النبى صلى الله عليه وسلم فى هجائهم قال له كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينصب له منبراً بالمسجد ، ويسمع هجاءه فى أعدائه ، ويقول : «أجب عنى ، اللهم أيده بروح القدس» . وكان فى شعر حسان زمن الجاهلية شدة وغرابة لفظ ، فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه ، وكثر ارتجاله الشعر ، لان شعره وسهل أسلوبه .

ومن شعره فى الجاهلية :

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ... ونسودها فى النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا جحاجح سادةً ... ويُصيب قائلنا سواءُ المفصِلِ
ونحاول الأمر المهم خطابة ... فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوكِ ركابنا ... ومتى نحكم فى البرية نعْدِل

ومن شعره فى الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم النبى صلى الله عليه وسلم :

إن الذوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بينوا سنناً للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأَمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أَو حاولوا النفع فى أَشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق (فاعلم) شرها البدع
لا يرفع الناس ما أَوهت أَكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأَدنى سبقهم تبع
وعفة ذكرت فى الوحى عفتهم لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
لا يفخرون إذ نالوا عدوهم وإن أُصيبوا فلا خور ولا جزع

(٦) النابغة الجعدى

هو أَبو ليلى حسان بن عبد الله الجعدى العامرى أَحد القدماءِ المعمرين والشعراء المخضرمين ، ووصاف الخيل المشهورين .

قال الشعر فى الجاهلية ، ثم استعصى عليه دهرًا ، ثم نبغ فى الشعر عند ظهور الإسلام وبعده ، ولذلك سمى (النابغة) وهو ممن فكر فى الجاهلية ، وأَنكر الخمر وما تفعل بالعقل ، وهجر الأَزلام والأَوثان ، وذكر دين إبراهيم ، وصام واستغفر ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَسلم .

وعاش طويلا فى الإسلام ، فأَقام زمناً مهاجرًا ، حتى أَيام عثمان رضى الله عنه فأَحس بضعف فى نفسه . فاستأْذن فى الرجوع إلى البادية ، فأَذن له ثم لما كانت خلافة (على) شهد معه وقائع صفين ، وظاهره بيده ولسانه ، ونال من معاوية وبنى أُمية – ومات بأَصبهان سنة ٨٥ هـ – بعد أَن عمر مائة وثمانين سنة .

شعره : كان النابغة الجعدى شاعرًا مطبوعاً فى الجاهلية والإسلام ، وهو أَول من سبق إلى الكناية فى الشعر عن اسم من يعنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أكنى بغير اسمها ، وقد علم اللـــه خفيات كل مكتتم

وكان ممن يصفون الخيل ، فلا يُلحق له فى ذلك غبار ، حتى ضُرب به المثل قال الأَصمعى : ثلاثة يصفون الخيل لايقاربهم أَحد ، طفيل الغنوى ، وأَبو داود الإيادى والنابغة الجعْدى ، وله فى الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير .

ومن أَشرفه قصيدته التى مدح بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم – وهى :

خليلى عُوجا ساعة وتهجرا ... ونوحا على ما أَحدث الدهرُ أَوذرا
ولا تجزعا إن الحياة ذميمةٌ ... فخفا لرَوْعات الحوادث أَو قرا
وإن جاءَ أَمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى اللهُ واصبرَا
أَلم تريا أَن الملامة نفعها ... قليلٌ إذا ما الشيءُ ولى وأَدْبرا
تهيج البكا والندامةَ ثم لا ... تغيِّرُ شيئًا غير ما كان قدرًا
أَتيتُ رسول الله إذ جاءَ بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمجرة نيِّرا
أُقيمُ على التقوى وأَرضى بفعلها ... وكنتُ من النار المخوفةِ أَحذرا

ومنها فى الفخر :

وإنا لقومٌ ما تعود خيلنا ... إذا ما التقينا أَن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع أَلوانَ خيلنا ... من الطعن حتى نحسب الجون أَشقرا
بلغنا السماءَ مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خيرَ فى حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه أَن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حَليمٌ إذا أَورد الأَمرَ أَصدرَا

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماءَ – البيت) قال له فأَين المظهر يا أَبا ليلى ؟ قال : الجنة يارسول الله ، قال له : إن شاءَ الله ، ولما أَتم قصيدته ، قال له الرسول أَجدت لا يفضض الله فاك ، فأَتت عليه مائة سنة أَونحوها وما انفضت من فِيهِ سِن .

(٧) عمر بن أَبى ربيعة

هو أَبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أَبى ربيعة القرشى المخزومى ، أَشعر قريش وأَرق أَصحاب الغزل ، وأَوصف الشعراءِ لأَحوال النساءِ .

ولد بالمدينة ليلة مات أَمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضوان الله عنه، وكانت أُمه نصرانية، وكان أَبوه تاجرا مُوسرًا، وعاملا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من بعده، فشب فى نعيم وترف، وقال الشعر صغيرًا وسلك فيه طريق الغزل، ووصف أَحوال النساء، وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض وتعرض للمحصنات المتعففات من نساء قومه ومن غيرهن، فوقعن منه فى بلاءٍ عظيم، صِرن يخفن الخروج إلى الحج، لأَنه كان يتلقاهُن بمكة، ويترقب خُروجهن للطواف والسعى، ويَصفهُن وهن محرِمات، وحلمتْ عليه رجالات قريش لمكانة نَسبه منهم، ولترقب توبته وإقلاعه، فلما تمادى فى أَمره، وشبب ببنات السادات والخلفاءِ غضب عليه (عمر بن عبد العزيز) ونفاه إلى جزيرة أَمام مدينة مصوع؛ ثم رأَى أَن يُكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد، فغزا فى البحر، فاحترقت السفينة التى كان فيها، واحترق هو أَيضاً سنة ٩٣هـ

شعره: رقيق بلفظ رشيق، ومعنى أَنيق، حتى قال فيه جرير: هذا والله الذى أَرادته الشعراء فأَخطأَته، وقد سلك فى الغزل طريقاً لم يسلكوه، ومن قوله المشهور:

ليت هِندًا أَنجزتنا ما تعِدْ ... وشَفتْ أَنفسنا مما نجدْ
واستبدَّت مرة واحدة ... إنما العاجزُ من لا يستبد
زعموها سأَلت جارتها ... وتعرّت ذات يوم تبترِد(١)
أَكما يَنعَتُنى تبصرننى ... عمركن الله! أَم لا يقتصد(٢)
فتضاحكن، وقد قلن لها: ... حسن فى كلِّ عينٍ من تود(٣)
حسدًا حملنه من شأْنها ... وقديماً كان فى الناس الحسد

(١) تبترد: تصب الماء البارد على رأسها.
(٢) وينعتنى: يصفنى، عمركن الله اذكرن الله، يقتصد: يعتدل فلا يبالغ.
(٣) أى ان من تحبه تعتقد انه حسن لدى جميع الناس.

غادة تفترُّ عن أَشنبها حين تجلوه أُقاحٍ أَو برد(١)
ولها عينان فى طرفيهما حورٌ منها ، وفى الجيد غيد(٢)
قلت : من أَنتِ ؟ فقالت : أَنا من شفَّه الوجد ، وأَبلاه الكمد(٣)
نحن أَهل الخيفِ من أَهل مِنى ما لمقتول قتلناه قود(٤)
قلت : أَهلاً ! أَنتم بغيتنا فتسمين ، فقالت : أَنا هِند !(٥)
إنما ضلل قلبي فاحتوى صعدة فى سابرى تطرِد(٦)
إنما أَهلك جيران لنا إنما نحن وهم شىءٌ أحد(٧)
حدثونا أَنها لى نفثت عقدًا ، ياحبذا تلك العقد !(٨)
كلما قلت : متى ميعادنا ؟ ضحكت هند ، وقالت : بعد غد!

(٧) الأَخطل

هو أَبو مالك غِياثٌ الأَخطل بن غوث التغلبي النصرانى ، شاعر الأَمويين وأَمدح ثلاثة شعرائهم المقدمين ، والمتفرد بالتعمق بوصف الخمر دون الإِسلاميين، قال الشعر وهو صبي ، وما لبث أَن زاحم شاعر تغلب وقتئذ (كعب بن جعيل) وهاجاه وظهر عليه ، ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أَن يلى الخلافة من كعب هجاءَ الأَنصار ،

(١) الغادة : المرأة ، تفتر : تظهر ، الأشنب : الفم فى أسنانه ماء ورقة وعذوبة ، تجلوه : تكشفه ، الأقاح : جمع أقحوان وهو البابونج البرى من نبات الربيع له نوار أبيض . البرد : ماء الغمام يسقط جامدا .
(٢) الحور : شدة سواد سواد العين مع شدة بياض بياضها الجيد : العنق ، غيد : نعومة . (٣) شفه الوجد : أهزله الحب ، الكمد : الحزن الشديد . (٤) الخيف : ناحية من منى عند مكة ، القود : القصاص .
(٥) بغيتنا : مطلبنا . (٦) ضلل : صار ضالا لا يهتدى ، احتوى: اشتمل، الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثبت ، شبه محبوبته فى اعتدال قدها بها ، السابرى : الثوب الرقيق الجيد تطرد : تمشى مستقيمة (٧) شىء أحد أى شىء واحد (٨) نفثت عقدا : سحرتنى والنفث : النفخ ، والعقد تكون من خيوط ينفث بها قصد السحر .

لتعرُّض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأَنصارى لأُخته فى شعره ، أَبى عليه ذلك كعب ، وقال : لاأَهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ، ولكنى أَدُلك على الأَخطل ، فبعث إليه وأَمره بهجائهم ، فهجاهم بقصيدة منها :

ذهبت قريش بالسماحة والندى   واللؤمُ تحت عمائم الأَنصار
فدعو المكارم لستمُ من أَهلها   وخُذوا مساحيكم بنى النجار

وبلغ الشعر كبار الأَنصار فغضبوا ، وشكوه إلى معاوية ، فوعدهم بقطع لسانه ، فاستجارَ بيزيد ، فما زال بأَبيه حتى عفا عنه ، ولما ولى يزيد الخلافة قرَّبه إليه ، وتابعه فى ذلك خُلفاءُ بنى أُمية ، وبخاصةٍ عبد الملك ، إذ كان يستعين به على أَعدائه ، فقربه إليه وأَدناه ، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن ، وأَجزل له العطايا ، وسَمَّاه شاعر الخليفة .

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق وحُكم فيهما أَيُّهما أَشعرُ؟ عرض بتفضيل الفرزدق ، فهجاه جرير ، فرد عليه الأَخطل ، وكانت الشيخوخة قد بلغت منه ، فلم يلحق جريرًا ، وكان الأَخطل يُقيم أَزماناً بدمشق ، وأَحياناً ببلاده من أَرض الجزيرة ، ومات فى أَول خلافة الوليد سنة ١٢٥ هـ ، وقد نيف على السبعين .

شعره : كان الأَخطل أَحد الشعراءِ الثلاثة السابقين سواهم من فحول الإسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيدا عن التكلف والتعمُّق فيه ، وامتاز بإجادة المديح والإبداع فى معانيه ، قال يمدح بنى أُمية ، ويخُصُّ بشر بن مروان :

إن يحلموا عنك فالأَحلامُ شيمتهم   والموتُ ساعة يَحمى منهم الغضب
كأَنهم عند ذاكم ليس بينهم   وبَين من حاربوا قربى ولا نسبُ
كانوا موالى حق يطلبون به   فأَدركوه وما ملوا ولا لغبوا
وإن يكُ للحقِّ أَسبابٌ يمد بها   ففى أَكفهم الأَرْسان والسبب
هم سعوا بابن عفان الإمام وهم   بعد الشماس مَرّوها ثَمَّت احْتلبوا

ومنها :

إذا أَتيت أَبا مروان تسأَله ... وجدته حاضراه الجود والحسب
ترى إليه رِفاق الناس سائلةً ... من كل أَوْب على أَبوابه عصب
يحتضرون سِجالا من فواضله ... والخير محتضر الأَبواب منتهب
والمطعم الكرم لا ينفك يعقرها ... إذا تلاقى رواق البيت واللهب
كأَن جيرانها فى كل منزلة ... قتلى محرَّدة الأَوصال تستلب

ومن أَفضل شعره قوله :

والناس همهم الحياة ولا أَرى ... طول الحياة يزيد غير خَبالِ
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرًا يكون كصالح الأَعمالِ

(٩) الفرزدق

هو أَبو فراس همام بن غالب التميمى الدارمى ، أَفخر ثلاثة الشعراء الأُمويين ، وأَجزل المقدمين فى الفخر والمدح والهجاء .

ولد سنة ١٩ هـ ونشأَ بين البصرة والبادية ، وأَتى به أَبوه يوماً إلى أَمير المؤمنين على بن أَبى طالب كرم الله وجهه ، فسأَله عنه ، فقال هذا ابنى يوشك أَن يكون شاعرًا مجيدًا ، فقال له أَقرئه القرآن ، فأَقرأَه وحفظه ، ثم رحل إلى خلفاء بنى أُمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم ، وأَخص من كان يمدحه منهم « عبد الملك بن مروان » ثم أَولاده من بعده ، وكان الفرزدق فوق إقذاعه فى الهجو ، وفحشه فى السباب وقذف المحصنات ، يرمى بالفجور ، وقلة التمسك بشعائر الدين ، ثم تاب فى أَواخر شيخوخته على يد الحسن البصرى ، وكان فيه تشيع يستره أَيام اختلافه إلى بنى أُمية ، كاشف به آخر حياته حتى أَمام الخليفة « هشام » عندما رأَى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة ، مهابة وإجلالا « لعلى بن الحسين » فسأَل عنه كالمتجاهل لأَمره ، فشق ذلك على الفرزدق ، وأَنشد قصيدته الميمية

الآتية يعرف «بعلى» ويُنكر على «هشام» تجاهله ، فحبَسَه هشام ثم أَطلقه ، وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ، ومات بالبصرة سنة ١١٤ ﻫ .

شعره : يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه ومداخلة بعض أَلفاظه فى بعض ، ولذلك يعجب به أَهل اللغة والنحو ، وكان يقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) ويعتبر الفرزدق من أَفخر شعراءِ العرب وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية أَن يشتبك مع جرير فى التهاجى والتسابّ حتى أَفحشا وشغلا الناس بنقائضهما .

ومن جيد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين (وهو على بن الحسين) :

هذا الذى تَعرِفُ البطحاءُ وطأَته ... والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرم
هذا ابن خيرِ عباد الله كلهم ... هذا التقىُّ النقىُّ الطاهرُ العلم
وليس قولك : من هذا ؟ بضائره ... أَلعُرْب تعرف من أَنكرتَ والعجم
إِذا رأَته قريش قال قائلها ... إِلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
ينمى إِلى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الإِسلام والعجم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إِلا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق ... من كفِّ أَروع فى عرنينهِ شمم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إِذا ما جاءَ يستلم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إِشراقها الظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
إِن عد أَهل التقى كانوا أَئمتهم ... أَو قيل من خير أَهل الأَرض قيل هم

(١٠) جرير

هو أَبو حزرة ، جرير بن عطية ، الخطفى ، التميمى ، اليربوعى ، أَحد فحول الشعراءِ الإِسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ، وأَنسب ثلاثتهم

المفلقين ، وهو من بنى يَربُوع أحد أحياء تميم ، ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ ونشأ فى البادية ، وفيها قال الشعر ونبغ ، وكان يختلف إلى البصرة فى طلب الميرة ومدح الكبراء ، فرأى الفرزدق وما أكسبه الشعر من المنزلة عند الأُمراء والولاة وهو تميمى مثله ، وودّ لو يسقفُه إلى ما ناله ، وأغراه قومه به للتنويه بشأنهم ، فوقعت بينهما المهاجاة عشر سنين لعوامل سياسية واجتماعية ، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها فى البادية وكان الفرزدق مقيما بالبصرة يملأُ عليه الدنيا هجاءً وسبًّا ، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه إلى البصرة ، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظُم أمره ، وشرّق شعره وغرّب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة « يزيد بن معاوية » بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه ، ومن وقتئذ عُدَّ من مُداح خلفاء بنى أُميه ، ومات باليمامة سنة ١١٤ هـ .

وكان فى جرير على هجائه للناس عفةٌ ودين ، وحسن خلق ، ورقة طبع .

شعره : اتفق علماءُ الأدب ، وأئمة نقد الشعر ، على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشأُوا فى ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وإنما اختلفوا فى أيهم أشعر ، ولكل هوى وميل فى تقديمه صاحبه ، فمن كان هواه فى رقة النسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأُسلوب ، والتصرف فى أغراض شتى فضل «جريرًا» . ومن مال إلى إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ ، ورقة المسلك وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل « الفرزدق » ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان فى الهجاء ، واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها حكم « للأخْطل » . وإن لجرير فى كل باب من الشعر أبياتاً سائرة ، هى الغاية التى يضرب بها المثل ، فيقال إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله :

إن العيون التى فى طرفها حَوَرٌ قتلْننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعْن ذا اللبِّ حتى لا حراك به وهُنَّ أَضعفُ خلق الله إنسانا

وإن أَمدح بيت قوله :

أَلستم خيرَ من ركب المطايا وأَندى العالمين بُطون راح

وإن أَفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم رأَيت الناس كلهم غِضابا

وإن أَهْجى بيت مع التصوّن عن الفُحش قوله :

فغُضَّ الطرف إنك من نُمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

وإن أَصدق بيت قوله :

إنى لأَرجُو منك خيرا عاجلا والنفس مولعةٌ بحبِّ العاجل

وإن أَشد بيت تهكمًا قوله :

زعم الفرزدق أَن سيقتلُ مربعاً أَبشر بطول سلامة يا مربع

ومن جيِّد شعره قوله من قصيدة يرثى بها امرأَته ، وهى التى ندبت بها نوار امرأَة الفرزدق :

لولا الحياءُ لهاجنى استعبارُ ولزُرتُ قبركِ والحبيب يزارُ
ولقد نظرت وما تمتّع نظرةٌ فى اللَّحد حيثُ تمكن الإحفارُ
ولَّهتِ قلبى إذ علتْنى كبْرة وذوُو التَّمائم من بنيك صغارُ
لا يلبثُ القُرناء أَن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ
صلى الملائكة الذين تخيَّرُوا والطيِّبون عليك والأَبرارُ
فلقد أَراك كسيت أَحسن منظر ومع الجمال سكينةٌ ووقارُ

(١١) الكميْتُ

هو الشاعر الخطيب الراوية أَبو المستهل الكميتُ بن زيد الأَسدى الكوفى ،

أشعر شعراءِ الشيعة الهاشمية ، ومثير عصبية العدنانية على القحطانية ولد سنة ٦٠ هـ – ونشأ بالكوفة بين قومه بنى أَسد – إحدى قبائل العرب الفصحاءِ من مُضر ، فلقن العربية ، وعرف الأَدب والرواية ، وعلم أَنساب العرب وأَيامها ومثالبها بمُدراسة العلم والأَخذ عن الأَعراب ، وكان له جدتان أَدركتا الجاهلية تقصان عليه أَخبارها وأَشعار أَهلها . فخرج أَعلم أَهل زمانه فى ذلك ، وأَقر له (حماد) الراوية بالسبق عليه .

وقال الكميت الشعر وهو صغير ، وكان لا يذيعه ولا يتكسَّبُ به ، ويكتفى بحرفته (تعليم صبيان الكوفة بالمسجد) ولما حصف شعره وقوى أثره ، ولا سيما قصائده التى أَعلن فيها تشيعه (لبنى هاشم وآل على) أَنشده الفرزدق مُستنصحا له فى أَمر إذاعته إذا أَعجبه فأَمره بإذاعته ، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة (بالهاشميات) التى يقول فيها من قصيدة فى مدح بنى هاشم :

طربت وما شوقاً إلى البيض أَطرب ... ولا لعبا منِّى وذُو الشبِ يلعبُ
ولم يُلْهِنى دار ولا رَسمُ منزلِ ... ولم يتطربْنى بنان مُخضبُ
ولا السانحاتُ البارحات عشية ... أَمر سليم القرن أَم مر أَعضبُ
ولكن إلى أَهل الفضائل والنهى ... وخيرِ بَنِى حَواءَ والخير يُطلبُ
بنى هاشمٍ رهط النبى فإننى ... بهم ولهم أَرضى مرارًا وأَغضبُ
خفضتُ لهم منى الجناح مودَّةً ... على كنف عطفاه أَهل ومرحبُ
ومالى إلا آل أَحمد شيعة ... ومالِى إلا مذهب الحقِّ مذهبُ
بأَى كتاب أَم بأَيةِ سُنة ... يُرى حبهم عارًا على ويُحسبُ

شعره : لشعره من التأْثير السياسى والمذهبى أَثر سيئٌ شتت شمل الوحدة العربية ، وتوفى سنة ١٢٦ هـ .

الرِّواية والرُّوَاة

ظهر الإسلام وعمدة العرب فى ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرواية فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير والعلم الكثير فكانت عنايتهم بحفظها فى الصدور أكثر من كتابتها فى السطور .

ولما اتسع علم المسلمين بما أُضيف إليها من تفسير الصحابة والتابعين ، ومن أقوالهم فى الدين ــ تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب .

ولما كان الإنسان عُرضة النسيان ، وأحوال الناس تختلف فى الصدق والكذب تشددت الصحابة والتابعون وتابعوهم فى تصحيح الرواية ، وشدة التوثق من صدق الرواة تحرُّجاً منهم أن يدخل فى الدين ما ليس منه .

ولما خاف سيدنا (عمر بن عبد العزيز) أن تموت السنة الصحيحة بموت رواتها وبما وضعه الزنادقة والشيعة والخوارج ودسوه فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث ، وبقى الأمر فى الشعر والأدب كما كان فى الجاهلية : لكل شاعر راوٍ أو عدة رُواة ، ومن أشهر هؤلاء : هُدبة بن خشرم راوية الحطيئة ، وجميل راوية هدبة وكثير راوية جميل ، وأبو شقفل وعبيدِ أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ، ومربع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سليمان راوية ذى الرمة ، وذو الرمة راوية الراعى .

وبقى الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر ــ فاشتغل العلماءُ بالرواية ، وصار الراوى منهم يروى لمئات من الشعراء والشواعر ، وإن لم يكن هو شاعراً .

وأكثر هؤلاءِ العلماءِ من الرواة أدرك العصر (عصر بنى العباس) فيذكر فيه .

ومع تشديد الناس فى تصحيح الراوية سُنةً وأدباً حدث فى الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة ، ونحو ذلك

العصر الثالث : عصر الدولة العباسية(١) من ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ

أحوال اللغة وآدابها فى ذلك العصر

كان بنو أُمية شديدى التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شئ فى دولتهم عربى الصبغة ، وكانت جَمهرة العرب مُنتشرة فى كل مكان امتد إليه سلطانها ، فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً ، مثل ما وجدت من الفرس وأُمم الأعاجم ، فاكتسحت بهم دولة بنى أُمية ، وأَسست دولة قوية ؛ كان أكثر النفوذ فيها للموالى . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء فى كل شىء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزاة ، وابتدأ شأن العرب السياسى يتضاءل من ذلك الحين شيئاً فشيئاً ، واختلطوا بالأعاجم ، وكان من المجموع شعب ممتزج لغة وعادة وخُلقاً ، فأثر فى اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونثرا ، كتابة وتأليفاً ، ولم يظهر ذلك بالطبع فى جميع الممالك بنسبة واحدة ، بل كان فى أواسط آسيا أظهر منه فى مصر والشام . أما حال ممالك العرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبعد كثيراً عما كان عليه فى العصر الماضى ، ثم سرت إليها عدوى تقليدها للمشارقة فى أكثر الأمور .

---

(١) خلفاء بنى العباس الى سنة ٣٣٢:

ابو العباس عبدالله السفاح ١٣٦/١٢٣
ابو جعفر المنصور ١٥٨/١٣٦
محمد المهدى ١٦٩/١٥٨
موسى الهادى ١٧٠/١٦٩
هارون الرشيد ١٩٣/١٧٠
محمد الأمين ١٩٨/١٩٣
عبد الله المأمون ٢١٨/١٩٨
ابواسحق محمد المعتصم ٢٢٨/٢١٨
أبوجعفر هارون الواثق ١٣٢/٢٢٣
جعفر المتوكل على الله ٢٤٧/٢٣٣
محمد المنتصر ٢٤٨/٢٤٧
أبوالعباس احمد المستعين ٢٥٢/٢٤٨
أبو عبد الله المعتز ٢٥٥/٢٥٢
محمد المهتدى بالله ٢٥٦/٢٥٥
أحمد المعتمد على الله ٢٧٩/٢٥٦
احمد المعتضد بالله ٢٨٩/٢٧٩
على المكتفى بالله ٢٩٥/٢٨٩
جعفر المقتدر بالله ٣٣٠/٢٩٥
أبو منصور محمد القاهر ٣٣٢/٣٣٠
أبوالعباس أحمد الراضى ٣٣٩/٣٢٢
ابراهيم المتقى بالله ٣٣٣/٣٣٩

ويمكن إرجاع جميع هذه التغييرات إلى ثلاثة أمور ؛ الأَول : ما يتعلق بالأَغراض التى تؤديها اللغة ، الثانى : ما يتعلق بالمعانى والأَفكار ، والثالث : ما يتعلق بالأَلفاظ والأَساليب .

أَغراض اللغة

لما قامت الدولة العباسية وتشبه الخلفاء بملوك الفرس فى أَكثر أُمور السياسة والمعيشة ، وحاكتهم العامة فى ذلك بتقليد أَمثالهم من طبقات الأَعاجم ، تناولت اللغة فى المشرق أَغراضاً لم تعهد فيها من قبل؛ بنقل علوم تلك الأُمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها .

ثم تناولت هذه الأَغراض فى الغرب بعدئذ بفرق يسير ، فكان من تلك الأَغراض ما يأْتى :

(١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ، ولم يدون فى صدر الإسلام من ذلك إلا نزر يسير ، وكذلك الترجمة من اللغات الأَجنبية إلى العربية .

(٢) تأْدية مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصة بعد دخول العرب فى غمار الصناع وبعد تعرب الأَعاجم .

(٣) تأْدية المقاصد التى استدعاها الانغماس فى الترف بلذائذ الحضارة التى جرت فيها الأُمم عصر الدولة العباسية إلى أَمد بعيد ، أَو اقتضاها نظام الملك والدفاع عنه : كالإمعان فى وصف الأَشياء النفيسة مما لم يعرف للعرب فى صدر الإسلام أَو عُرِف وكان قليلا ممقوتاً صاحبه ، وكوصف البحر والأَساطيل الحربية والمعارك البحرية . وامتاز بأَكثر ذلك المغرب والأَندلس كما امتازت الأَندلس بالإجادة فى وصف مناظر الطبيعة ، ومحاسن الوجود لملاءمة بيئتها لذلك ، وكادت تلحق بها فى الوصف صقلية وإفريقية إبان ازدهائهما .

(٤) تأْدية مقاصد أنواع الخلاعة والسخرية ، مما قل نظيره فى صدر الإسلام .

(٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم .

المعانى والأفكار

إن ما حدث فى مشارق الممالك الإسلامية ومغاربها ، أثناءَ العصر العباسى ، من الانقلابات السياسية والاجتماعية ، كان له نتيجة ظاهرة فى الحركة الفكرية للمُتكلمين بالعربية ؛ ظهر ذلك فى عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة ، فمنها :

(١) ازديادُ شيوع المعانى الدقيقة ، والتصورات الجميلة ، والأخيلة البديعة

(٢) التعويلُ على القياس والتعليل فى الأحكام الفكرية ، بالإكثار فى الحجج والبراهين العقلية ، وانتحاءُ مذاهب الفلاسفة فى الشعر والكتابة والتدريس ، ولا سيما بعد عصر الترجمة ، وأكثر ما كان ذلك بالمشرق ، وقلما عُنِىَ به أهل المغرب .

(٣) التهويلُ والغلو فى التفخيم المقتبس فى المشرق من اللغة الفارسية والسارى بعضه بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس .

الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية فى هذه المدة أمران عظيمان : السُّهولة ، والمحسنات البديعية ، ويشمل ذلك ما يأتى :

(١) انتقاءُ الألفاظ الرشيقة السهلة ، وقلة الحاجة إلى الارتجال .

(٢) ازديادُ الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن ، والاقتباس منه والاستشهاد به .

(٣) الإكثار من ألفاظ المجاز ، والتشبيه ، والتمثيل ،والكناية ،والمحسنات اللفظية .

(٤) التوسُّع فى إدخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأُمراء والعظماء .

(٥) تفاقمُ الخطب فى استعمال الكلمات الأعجمية فى كثير من الأشياء .

(٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وغيرها .

(٧) التأنق فى صوْغ العبارات وتوثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السجع .

(٨) التطرف إلى غاية حدَّى الإطناب والإيجاز ، ولكل منهما مقام .

(٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاس بمعيار المنطق لا بمعيار البلاغة .

وإذًا كانت اللغة إما نثرا ، وإما شعرًا .

والنثر : مُحادثة ، وخطابة ، وكتابة ، فاحفظ ما يتلى عليك .

النثر ــ المحادثة ــ أَو « لغة التخاطب »

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب فى أَواخر العصر الماضى كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن ، إلا من آحاد عُيِّرُوا به ، وإن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالعجم هى العربية المشوبة بشيء من اللحن ، ولغة المتعرِّبين من العجم تقل عن هذه الفصاحة ، وتزيد عليها فى اللحن بمراتب مختلفة .

فلما تم امتزاجُ العرب بالعجم ، عصرَ الدولة العباسية ، تكونت بين العامة فى البلاد التى تكثر فيها جمهَرةُ العرب لغات تخاطب علميةٌ ، إلا بين أَهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبهم باللسان الفصيح إلى أَواسط القرن الرابع ، وبقِيت لغات التخاطب فى البلاد التى نقل فيها جاليتهم هى اللغات الوطنية الأَعجمية ممزوجة ببعض الأَلفاظ العربية التى أَدخلها عليها الإِسلام .

وخاف الخلفاءُ والخاصة من هوْل تغلب العامية على أَبنائهم ، وأَشفقوا أَن تستطيل على الفصيحة ، فيستغلقَ على المسلمين فهم الكتاب والسنة ، وهما كل الدين ، فحرضوا العلماءَ على تدوين اللغة والإِكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة ، ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، الذى استمر فى طغيانه إلى أَن غلب فى النصف الأَخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاءِ وعلماءِ العربية أَنفسهم ، وأَصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عاميةٌ خاصةٌ بها ، ولكن لم تصبح العامية لغةَ علم وأَدب ، كما وأَن ذلك لم يكن طويل الأَمد .

الخطابة والخطباءُ

لما كان قيام الدولة العباسية فى المشرق . والإِدريسية فى المغرب الأَقصى ،

والأموية فى الأندلس ، من الأُمور التى ينشأ عنها كثيرٌ من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعى تأليف الأَحزاب ، ودعوة الناس إلى التشيُّع لزعماءِ الأَحزاب ، كانت دواعى الخطابة متوافرة أسبابها ؛ فكان بين قوَّاد هذه الدول ودُعاتها وخلفائها ورؤساءِ وُفودها خطباءُ مصاقعُ . ثم لما فترت هذه الدواعى باستقرار الدول ، واشتدَّ اختلاطُ العرب بالأَعاجم ، وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ، ضعُف شأْن الخطابة لضعف قدرتهم عليها . فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأْن الخطابة إلا قليلا فى المغرب أيام الحفل وقدوم الوفود ، وبقِيت الخطابة قاصرة على خطبِ الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك وقل فيها الارتجالُ ، أو عدم جملةً ، وحل محل الخطابة فى الأُمور السياسية نشر المنشورات ، وفى الأُمور الدينية مجالسُ الوعظ والتدريس فى المساجد والمدارس ، واشتهر فى صدر الدولة العباسية جملة خطباءِ ، أشهرهم : داوُد بن على ، وشبيب بن شيبة .

داود بن على

هو داود بن على بن عبد الله بن عباس ، خطيب بنى العباس ، وأحد مؤسسى دولتهم ، نشأَ هو وإخوانه — وكانوا اثنين وعشرين رجلا — فى قرية الحميمة من أَعمال عمَّان — وكان الوليدُ بن عبد الملك أَجلى « على بن عبد الله بن عباس » وأهل بيته إليها — سنة ٩٥ ﻫ غضبًا عليه .

وكان داود أَحد النابغين من إخوانه وكان بليغهم ولسانهم وأخطبهم فى وقته ، وعاجلته منيَّته قبل أَن يستطير سلطانه فى الدولة . وَلَّاهُ أَبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولاه إمارة الحج فى هذه السنة ، وولاه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة ، فقتل من ظفر بهم من بنى أُمية فى مكة والمدينة سنة ١٣٢ ﻫ — وهو أَول موسم ملكه بنو العباس — وخطبهم الخطبة الآتية وهى :

« شكرا شكْرا ، إنا والله ما خرجنا لنحْفِر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصرا . أَظنَّ عدوُّ الله أَن لن نقدر عليه ؟ أَن رُوحى له من خطامه ، حتى عثرَ فى فضل زمامه ، فالآن حيثُ أخذ القوس باريها وعادت القوس إلى النزعة ، ورجع الملك فى نصابه فى أَهل بيت النبوَّة والرحمة ، والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فرشنا ، أَمِنَ الأَسود والأَحمر ، لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكم ذمة العباس ، لا ورب هذه البنية — وأَومأَ بيده إلى الكعبة — لا نهيج منكم أَحدا » ثم ذهب إلى المدينة ، ومات بها سنة ١٢٣ .

شبيب بن شيبة

هو شبيب بن شيبة بن عبد الله المنقرى التميمى ، خطيب البصرة ، نشأَ بها ، وامتاز بنبالة نفس وسخاء كف ، وحسن تواضع ونزاهة لسان ، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة ، القريبة من حد الإعجاز . قال الجاحظ : يقال إنهم لم يروا خطيباً كشبيب بن شيبة ، فإنه ابتدأَ بحلاوَة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ، فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كلِّ موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباءُ المصاقع بكثيره ، وقد يُطوِّل حتى يقول فيه الراجز :

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وَطيبها

وعرف شبيب أَبا جعفر المنصور قبل خِلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله فى حاشية ولىِّ عهده « المهدى » وَبَقِى كذلك حتى وَلى المهدى الخلافة ، فصار من خيرة سماره وجلسائه ، إلى أَن مات فى حدود سنة ١٧٠ هـ .

ومن خطبه القصار ، ما عزى به المهدى يوم ماتت ابنته « البانوقة » وجزع

عليها جزعاً شديدا - أعطاك اللهُ ياأمير المؤمنين على ما رزئت أجرًا ، وأعقبك صبرا ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خيرٌ منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبُر عليه مالا سبيل إلى رده .

الكتابة - خطية وإنشائية

الكتابة الخطية : تنوع فى هذا العصر الخط الكوفى إلى أنواع أربت على خمسين نوعاً : - ومن أشهرها : المحرّر ، والمشجّر ، والمربّع ، والمدوّر ، والمتداخل وبقى مُستعملا فى المبانى والسكة إلى حدود الألف . ثم نسى جملة وقد جددت منه أنواع فى عصرنا ، أما تاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث فى آخر الدولة الأموية أن استنبط (قطبةُ) المحرر من الخط الكوفى والحجازى خطاً هو أساس الخط الذى يكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذى يكتب به على المبانى ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحسن عملة غيره من كتاب صدر الدولة العباسية حتى ظهر إبراهيم الشَّحْرى ، وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثانى فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلثين وولد يوسف من الجليل القلم الرياسى ، وهو قلم التّوقيع ، وعن إبراهيم أخذ الاحول المحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم النصف .

هذه هى أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطاً ، يختص كلٌّ منها بغرض خاص ، واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معيارًا لارتفاع بقية الحروف . وأن يكون طول الألف مربعاً مقدار قطة القلم .

وعن الأحول أخذ مهندس الخط الأعظم الوزير (أبو على محمد بن مُقلة) وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهما اللذان تمَّ على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التى نعرفها الآن ، وأمّا العمل الذى بدأ به (قطبة) فهندسا الحروف ، وقدّرا مقاييسها وأبعادها

وضبطاها ضبطاً محكما ، واخترعا له القواعد ، وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله بن أسد القارئ المتوفى سنة ٤١٠ هـ ، وعنه أخذ أبو الحسن على ابن هلال البغدادى المعروف بابن البواب – المتوفى سنة ٤١٣ هـ – وهو الذى أكمل قواعد الخط واخترع عدة أقلام ، وإليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته كأمين الدين ياقوت الملكى المتوفى سنة ١٦٨ هـ – كاتب السلطان ملكشاه السلجوقى – أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعبأوا بهذا الاصطلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازى إلى الآن بنوع من التعديل – واخترع الجليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً تكتب فوق الحروف ، والفتحة ألفاً ، والكسرة ياء والشدة رأس شين ، والسكون رأس خاءٍ وهمزة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن ، وهاك ترجمة الخطاط المتفنن المشهور .

ابن مُقلة

هو الوزير أبو علىٍّ محمد بن على بن الحسن بن مقلة إمام الخطاطين . وأحد كبار الكتاب البارعين ، أخذ الخط عن الأحول المحرر صنيعة البرامكة ، وتم على يديه ويدى أخيه الحسن نقل الخط من الكوفى إلى الشكل المعروف فى زماننا ، وكان ابن مقلة يتولى فى أول أمره بعض أعمال فارس ، ويجبى خراجها ، وتنقلت به الأحوال إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله سنة ٢١٦ هـ ، ثم كاد له أعداؤه عنده فقبض عليه سنة ٢١٨ هـ ، ونفاه إلى فارس ، ثم وزر للراضى فوشى به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل ، ثم أطمعه نحسهُ أن يكيد لابن رائق ، أمير الأُمراء ببغداد عند هذا الخليفة ، فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانهُ أيضاً ، حتى مات سنة ٢٢٨ هـ ومن قوله فى تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإنَّ البعض من بعض قريب

وقوله :

ما سئِمْتُ الحياة لكن توثقت بأَيمانهم فبانَتْ يمينى
بِعتُ دينى لهم بدُنياى حتى حرمونى دُنياهمو بعد دِينى
ولقد حُطْت ما استطعت بجُهدى حفظ أَرواحهم فما حفظونى
ليس بعد اليمين لذَّةُ عيش يا حياتى بانت يمينى فبينى

الكتابة الإنشائية فى الرسائل الديوانية والإخوانية

كانت كتابة الرسائل فى أَوائل حُكم بنى العبَّاس جارية على نظام كتابتها فى أَواخر عهد بنى أُمية ، سالكة الطريق التى سلكها عبد الحميد ، وابن المقفع ، والقاسم بن صبيح ، وعمارةُ بن حمزة ، ونظراؤهم ، من العناية بجعل عبارتها جزلة بليغة متناسقة الوضع والأُسلوب ، لايقصد بها إلا إفهام المعنى الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حجة ، غير منظور فيها إلى زخرف اللفظ. ومحسناته ، وبقيت كذلك بل زادت حسناً وجمالا ومراعاة لمقتضى الحال إلى أَوائل القرن الرابع ثم أَخذت الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجيًا بتضاؤل ملكة البلاغة فى الكتاب وتقاصر هممهم عن استيفاءِ أَداتها لتغلب الأَعاجم من الديلم البويهيين والترك السلجُوقيِّين على سلطان الخلفاءِ فى الشرق ، وتغلب البربر على شمالى أَفريقية والأَندلس فى الغرب ، فلم يعد فى الملوك والأُمراءِ من يعنيهم أَمر العربية وبلاغتها ، وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أَيدى الأَعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداءِ اضمحلال الكتابة ، واضمحلال اللغة فى الجملة .

الكتاب

كان أَكثر كتاب المشرق فى هذا العصر ، من سلالة فارسية أَو سوادية ، بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم فى البلاغة أَن ارتقوا عند خلفاءِ العباسيين إلى مرتبة الوزارة ـ وأَول من ارتقى إليها هو أَبو سلمة الخلال ، وأَشهر من

بلغ نفوذه وسلطانه مبلغاً زاحم فيه الخليفة يحيى بن خالد بن برمك ، وابناه جعفر والفضل ، ثم محمد بن الزيات فى زمن المعتصم ، والواثق ، وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلالة عربية ، ومن أشهر كتاب هذا العصر فى الشرق : ابن المقفع ، ويحيى بن خالد بن برمك ، وابناه جعفر والفضل ، وإسماعيل بن صبيح ، وعمرو بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات ، والحسن بن وهب ، وعلى بن الفرات ، وابن مقلة ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمى ، والبديع ، والصابى ، والعماد الكاتب ، والقاضى الفاضل .

ومن أشهر كتابه فى الأندلس : ابن شهيد ، وأبو المطرف بن عميرة ، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب .

ابن المقفع

هو محمد بن عبد الله بن المقفع ، أحد فحول البلاغة ، وثانى اثنين مهد للناس طريق الترسل ورفع لهم معالم صناعة الإنشاء ، وأولهما (عبد الحميد)

منشوه ـ نشأ ابن المقفع بين أحياء العرب ، فكان أبوه (داذَويْه) المقفع الفارسى يعمل فى جباية الخراج لولاة العراق من قبل بنى أمية ، وهو على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره ، وولد له ابنه هذا حوالى سنة ١٠٦ هـ وسماه (رَوْزبَه) فنشأ بالبصرة وهى يومئذ حلبة العرب ومُنتدى البلغاء والخطباء ، والشعراء فكان لكل ذلك فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه له ، أعظم أثر فى تربيته وتهيئته لأن يصير من أكبر كتاب العربية ، وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها ، وأسلم بمحضر من الناس وتسمى (عبد الله) وتكنى بأبى محمد .

أخلاقه وبلاغته ـ كان نادرة فى الذكاء ، غاية فى جميع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس مُتأدباً متعففاً قليل الاختلاط إلا بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه .

وكان أُمة فى البلاغة ورصانة القول وشرف المعانى إلى بيان غرض وسهولة

لفظ ، ورشاقة أسلوب ، ولاتوصف بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة ، حيث يقول : (البلاغة هى التى إذا سمعها الجاهل ظنَّ أنه يحسن مثلها) .

ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال :

(أما بعد) فإنَّ أمر الآخرة والدُّنيا بيد الله ، هو يدبرهما ويقضى فيهما ما يشاءُ لا راد لقضائه ، ولا مُعقب لحكمه ، فإن الله خلق الخلق بقدرته ، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ، لئلا يطمع أحدٌ من خلقه فى خلد الدنيا ، ووقت لكل شئٍ ميقات أجل ، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليس أحد من خلقه إلا وهو مُستيقنٌ بالموت ، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد ، نسأل الله تعالى خير المنقلب ؛ بلغنى وفاة فلان ، فكانت وفاته من المصائب العظام التى يحتسب ثوابها من ربنا الذى إليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا . فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله ، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة ، وجعلهم من المهتدين .

وقد ترجم كتباً عديدة من أشهرها كتاب (كليلة ودمنة) وقيل : إن هذا الكتاب من وضع ابن المقفع — وهو قول مقبول لا بأس به — وله كتاب (الأدب الكبير) و(الأدب الصغير) و(الدرة اليتيمة) وقتله والى البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ هـ، لاتهامه بالزندقة ، والكيد للإسلام بترجمة كتب الزندقة .

إبراهيم الصولى

هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمدبن صول ،كاتب العراق ،وأشعر أصحاب المقطعات ، نشأ ببغداد ، فتلقى العلم والأدب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر فى حداثتهِ ، فبرع فيه ، وتكسَّبَ به ، ورحل إلى العمال والأمراءِ يمدحهم ويستميح جدواهم ، ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه

بخراسان ومدحه ، فوهب له عشرة آلاف درهم ، وجعله الفضل كاتباً لأحد قوَّاده وبقى يتنقل فى أعمال النواحى والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملا على الأهواز ، فتحامل عليه وزيره ابن الزيات ، فعزله وسجنه بها ، فكتب إليه يستعطفه ، فلم يزدد بذلك إلا جَفاءً وغلظة ، ثم اطلع الواثق على ذلك فأطلقه وتولى ديوان الضياع والنفقات فى خلافة المتوكل ، ومات سنة ٢٤٢ هـ ومن رسائله معزية عن لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

(أما بعد) تولى الله توفيقك وحياطَتكَ ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك ؛ إن أفضل النعم نعمةٌ تلقيت بحقِّ الله فيها من الشكر ، وأوفرَ حادثة ثواباً حادثة أُدِّى حقُّ الله فيها من الرضا والتسليم والصبر ، ومثالك من قدم ما يجب لله عليه فى نعمة فشكرها ، وفى مصيبة فأطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى فى محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين — عفا الله عنه ! — قضاءه السابق والموقع ، وفى ثواب الله ورضا أمير المؤمنين — أدام الله عزه ! — وتقديم ما يقدم مثله أهل الحجا والفهم ، ما اعتاضه معتاض وقدمه موفق ، فليكن الله عز وجل وما أطعته به ، وقدمت حقه أولى بك من الأُمور كلها ، فإنك إن تتقرب إليه فى المكروه بطاعته ، يحسن ولا يتك فى توفيقك لشكر نعمه عندك .

ابن العميد

هو الأُستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، نشأ شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرع فى علوم الحكمة والنجوم ، ونبغ فى الأدب والكتابة وابتدع طريقة الشعر المنثور ، حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه ، وتقلدَ شريف الأعمال فى دولتهم — إلى أن تولى وزارة

ركن الدولة سنة ٣٢٨ هـ فساس دولته ووطد أركانها ، وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأُدباء ، وكان يشاركهم فى كل ما يعلمون إلا الفقه ، وما زال فى وزارته محطَّ الرحال ، وكعبة الآمال حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٦٠ هـ .

ومن رسائله إلى أبى عبد الله الطبرى : كتابى إليك ، وأنا بحال لولم يُنغصها الشوق إليك ، ولم يرنق صفوها النزوع نحوك ، لعددتها من الأَحوال الجليلة ، وعددت حظى منها فى النعم الجليلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها فى جسمى بصلاح ،وفى سعيى بنجاح ،ولكن ما بقى أن يصفو لى عيش مع بُعدى عنك ،ويخلو ذرعى مع خلوّى منك،ويسوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أَطمع فى ذلك وأَنت جزءٌ من نفسى ، وناظم لشمل أُنْسى ، وقد حرمت رؤيتك ، وعدمتُ مشاهدتك ، وهل تسكن نفس مُتشعِّبة ذات انقسام ،وينفع أُنسُ بيت بلا نظام ،وقد قرأْت كتابك ، جعلنى الله فداءك ، فامتلأْت سروراً بملاحظة خطك ، وتأَمل تصرفك فى لفظك .

وما أَقرظهما فكل خصالك مقرظ عندى ، وما أَمدحهما ، فكل أَمرك ممدوح فى ضَميرى وعقدى .

بقية خلفاء العباسيين

عبد الله المستكفى بالله	٣٣٤/٣٣٣	المنصور الراشد لله	٥٣٠/٥٢٩
القاسم المطيع لله	٣٦٣/٣٣٤	محمد المقتفى لأمر الله	٥٥٥/٥٣٠
أبو بكر الطائع لله	٣٨١/٣٦٣	يوسف المستنجد بالله	٥٦٦/٥٥٥
أحمد القادر بالله	٤٢٢/٣٨١	حسن المستضىء بأمر الله	٥٥٧/٥٦٦
عبد الله القائم بأمر الله	٤٦٧/٤٢٢	أحمد الناصر لدين الله	٦٢٢/٥٧٥
عبدالله المقتدى بأمرالله	٤٨٧/٤٦٧	محمد الظاهر بأمر الله	٦٢٤/٦٢٢
أحمد المستظهر بالله	٥١٢/٤٨٧	منصور المستنصر بالله	٦٤٠/٦٢٤
فضل المسترشد بالله	٥٢٩/٥١٢	عبد الله المستعصم بالله	٦٥٦/٦٤٠

وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافِقةً لتقديرى فيك؛ فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بَصرِى .

الصاحب بن عباد

هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ، ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالقان قزوين ، وتعلم العلم والأَدب من أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فلزم صُحبته ، وأَخذ عنه الأَدب ، وتولى له كتابة خاصته ، ثم تنقلب به الأَحوال فى خدمة ملوك بنى بُويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأَخيه فخر الدولة ، وله فى ملكها اليد المطلقة ، والأَمر النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ .

ويعد ابن عباد فى الكتابة ثانى ابن العميد فى حلبته ، وأَبلغ من سلك طريقته غير أَنه أُولع بالسجع والجناس ، ولايعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأَدب مبلغهما ، ولا حل من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما ، ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة ، وقد أَهدى إلى ابن عباد مُصحفاً :

أَلبر ، أَدام الله السيد أَنواع ، تطول به أَنواع ، وتقصر عنه أَنواع ، فإن يكن فيها ما هو أَكرم منصباً ، وأَشرف منسباً ، فتحفة السيد ، إذ أَهدى مالاتشاكله النعم ، ولا تُعادِله القيمُ ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيهُ وتنزيله وهُداه وسبيله ، ومعجزة رسول‌الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، طبع دون معارضة على الشفاه وختم على الخواطر والأَفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقى ما بقى الملوان ، لائح سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأْويه ، يقصم كل شيطان مريد ، وبذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن لا تحصى فى مطوّلات الأَسفار؛ فأَصِف الخط الذى بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأَقسام ، وزاد فى نخوة الأَقلام ، بل أَصفه بترك الوصف فأَخباره آثاره ، وعينه

فُراره ، وحقا أقول إنى لا أَحسب أَحدا ماخلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع فى استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على الغرَّة ، بل زيادة الحج على العُمرة .

أبو بكر الخوارزمى

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى ، الكاتب الشاعر اللغوى الأَديب الرحالة ، ولد بخوارزم سنة٣٢٣ ه ونشأَ بها ، وكان ضليعًا فى كلٍّ فن من فنون العربية ، وخاصة الكتابة والشعر ، جاب الأَقطار ، ودخل الأَمصار من الشام إلى أَقصى خراسان ، فى استفادة العلم والأَدب وإفادتهما ، وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة .

وتقلب الخوارزمى فى خدمة كثير من الملوك والأُمراء والوزراء ــ حتى أَلقى عصا التسيار بمدينة نيسابور ، وطاب عيشه بها إلى أَن مُنى فى آخر أَيامه بمساجلة بديع الزمان الهمذانى ومناظرته ومناضلته ، وأَعانه عليه قوم من أَعيان البلدة ووجوهها ، فانخذل الخوارزمى انخذالًا شديدًا ، وكسف باله ، ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ ه .

وكان الخوارزمى ممن يجرى على طريقة ابن العميد فى الكتابة متوخيًا جزالة الأَلفاظ ، مُحتفلًا بصحة المعانى مع مَيل فيه إلى الغريب ، وتقدم له كثير من الرسائل .

بديع الزَّمان الهمذانى

هو أَبو الفضل أَحمد بن الحسين الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع .

منشؤه : نشأَ بهمذان ، ودرس العربية والأَدب ، ونبغ فيهما ، وضرب فى الأَرض يتكسَّب بأَدبه ، ثم أَقام بنيسابور مدَّة أَملى بها أَربعمائة مقامةٍ ، بلفظ رشيق وسجع رقيق ، وعلى منوالها نسج الحريرىُّ ، ثم شجر بينه وبين

الخوارزمي ما كان سبباً في هبوب ريحه ، وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحسبان أن أحداً يجترئ على الخوارزمي .

وبموت الخوارزمي خلا له الجوُّ عند الملوك والأُمراء ، فجول في حواضرهم ، ثم استطوطن هَراة ، وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم باله ، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأَربعين سنة ٣٩٣ هـ ، وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات المشهورة .

ابن زيدون

هو الكاتبُ الشاعر ذو الوزارتين أبو الوليد أَحمد بن عبد الله المشهور بابن زيدون المخزومي الأَندلسي ، ولد سنة ٣٥٤ هـ ، ونشأَ في مدينة قرطبة ، وتأَدَّب على كبار أئمتها ، وقال الشعر وأَجاده ، ولما نُبه شأْنه بين شعراءِ قرطبة ، اتَّصل بأَبي الوليد بن جَهور أَحد ملوك الطوائف فحظى عنده ومدحه حتى أَصبح لسان دولته الناطق ، وحسامها المسلول ، فأَفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور ، فاعتقله ومكث في مَحبسهِ مدَّة استشفع فيها إليه بقصائد أَبدعها ، ورسائل استنفذ فيها جهده ، فما أَلانت له قلباً ، فأَعمل الحيلة في فراره من سجنه ، وخلص إلى المعتضد ابن عباد ملك إشبيلية إذ كان أَشد ملوك الطوائف رغبة ، فيه وأَكثرهم تمسكا بالأُدباءِ ، فأَلقى إليه مقاليد وزارته ، وأَصبح صاحب أَمره ونهيه ، ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان له كما كان أَبوه ، وأَغدق عليه برَّه ونعمته .

ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ .

القاضي الفاضِل

هو أَبو على عبد الرحيم البيساني اللخمي ، ولد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ هـ ، وتعلم على أَبيه وغيره ، قدم مصر وهو شابٌّ ، وتولى رئاسة ديوان الإِنشاءِ في أَواخر الدولة الفاطمية .

وتعلم فى ديوان ابن حديد قاضى الإسكندرية ، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستقدم أيام الظافر إليها وكان من كتاب ديوانه ، ولازم خدمة أكابر القضاة و الكتّاب فى الديوان وأخذ عنهم ، وحاكاهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسعة اطلاعه ، وغزارة مادته وسرعة بديهته ، وصفاء خاطره .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردّد بين مصر والشام فى الحروب الصليبية ، ودبر المملكة أحسن تدبير – وبقى فى الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزر لابنه العزيز على مصر ، ثم وزر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ . ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع له فى توليته خطابة الكرك وهى :

أدام الله السلطان الملك الناصرَ وثبته ، وتقبل عمله بقبولٍ صالحٍ وأثبته ، وأرغم أنف عدوه بسيفه وكبتهُ .

خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ، ولما نبا به المنزلُ عنها وقل عليه المرفق منها وسمع هذه الفتوحات التى طبق الأرض ذكرها ، ووجب على أهلها شكرها – هاجر من هجير عيذاب وملحها ، سارياً فى ليلة أملٍ كلها نهار فلا يسأل عن صبحها ، وقد رغب فى خطابة الكرك وهو خطيب وتوسّل بالمموك فى هذا الملتمس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام ، وعن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائل ضعيف ، ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف – والسلام .

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة إلى التدوين قد اشتدت فى مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك الإسلام ، فهب العلماءُ إلى تهذيب ما كتب فى الصحف المتفرقة ، وما حفظوه فى

الصدور ، ورتبوه وبوبوهُ وصنفوه كتباً ، وكان من أَقوى الأَسباب لإِقبال العلماءِ على التصنيف حث الخليفة (أَبى جعفر المنصور) عليه ، وحمله الأَئمة والفقهاءَ على جمع الحديث والفقه ، ولم يقتصر على مُعاضدة العلوم الإِنسانية ، بل أَوعز إِلى العلماءِ والمترجمين أَن ينقلوا إِلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب ، وتابعه فى ذلك أَولاده وأَحفاده ، حتى زخرت بحور العلم ، واخترعت الفنون ، وتفرعت المسائل ودونت الكتب فى كل فن .

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين فى القرن الأَول وبعض الثانى من النهضة عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة إِلى رواتها ، وبعضها يروى بلفظ أَصحابها غالباً كما فى الشعر والخطب والرسائل ، وبعضها بلفظ الراوى كما فى أَخبار الفتوح والتاريخ والقصص ، ثم ظهرت بعد ذلك فى العلوم الشرقية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل ، والتفريع والشرح والاختصار ، وجمع الفروع تحت كليات عامة ، فلم يكن للمولفين بُد من حذف أَسانيد الروايات ، وترك المحافظة على نقلها بلفظها إلا فى الحديث ونحوه .

أَما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هى تفسير أَلفاظها الأَعجمية بالعربية ، ولم تكن ترجمتها جيدة فى (عصر المنصور) ثم صُحِّحت ترجمتها فى زمن (الرشيد والمأْمون) ثم لما أَتقن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم ، وكانت أَول أَمرها بليغة مفهومةً ، ثم عمّوها على بعض الفقهاءِ المكفرين لهم والمغرين الأُمراءِ بقتلهم حتى أَصبحت عبارة كتب الفلسفة والتوحيد أَصعبَ ما يقرأُ باللسان العربى .

العلوم اللسانية ونشأَتها

العلوم اللسانية هى الأَدب ، والتاريخ ، والعروض ، والنحو ، واللغة ، والبلاغة

علم الأَدب ــ كانت كتبه فى أَول هذا العصر رسائل يبحثُ كل منها فى ضرب خاص من ضروبه ، كرسائل ابن المقفع ، ورسائل سهل بن هرون : فى الأَخلاق، وكتاب النوادر ، وكتاب الأَراجيز ، وكتاب الشعر للأَصمعى، وكتاب الشعر والشعراء لأَبى عُبَيدة ، وإذا تابعنا من يقول إن ابن المقفع هو الذى ابتدع كتاب (كليلة ودِمْنة) ونحله الهند والفرس : كان هذا الكتابُ أَول كتاب ظهر فى (الأَدب العربى) الخاص بموضوع واحد ، وأَول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة : منه كتاب (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) للجاحظ ، واقتفى أَثره أَحمدُ بن طَيْفور فى كتابه العظيم (المنظوم والمنثور) فى أَربعة عشر جزءًا ، ثم أَبو العباس محمد المُبرِّد فى (الكامل ، والروضة) ، ثم أَبو حنيفة الدينورى وأَبو بكر محمد الصولى ، وابن قتيبة صاحب (أَدب الكاتب) . وابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) ، وأَبو على القالى صاحب (الأَمالى) ، وأَبو الفرج الأَصبهانى صاحب (الأَغانى) ، وغيرهم ، ومن أَشهر المؤلفين فى الأَدب : الجاحظ ، وأَحمد بن عبد ربه ، والحريرى ، وها هى ترجماتهم .

الجاحظ

هو إمام الأَدب أَبو عثمان عمرُو الجاحظ بن بحر محبوب الكنانى البصْرى وُلد حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأَ بها فتناول كلَّ فن : ومارس كل علم عُرِفَ فى زمانه مما وُضع فى الاسلام ، أَو نُقل عن الأُمم الأَوائل ، فأَصبح له مشاركة فى عِلْمِ كل مايقع عليه الحسن أَو يخطر بالبال ، فهو راويةٌ متكلمٌ فيلسوفٌ ، كاتبٌ مُصنفٌ ، مترسلٌ شاعر ، مورخٌ عالم بالحيوان والنبات والموات ، وصّافٌ لأَحوال الناس ووجوهِ معايشهم واضطرابهم وأَخلاقهم وحِيَلهم ــ إلا أَنه غلب عليه أَمران : الكلام على طريقه المُعتزلة ؛ والأَدب المزوجُ بالفلسفة والفُكاهة ، وكان غاية فى الذكاء ، ودقة الحس ، وحُسن الفراسة ،

وكان سمْحًا جوادًا كثير المواساة لإخوانه ، وكان على دمامة خَلقِه وتناقض خُلقه خفيف الرُّوح فكه المجلس غاية فى الظرف وطِيبِ الفكاهة وحلاوة الكلام — وهو على الجملة أحد أفذاذِ العالم وإحدى حُجج اللسان العربى . وأقام الجاحظ أكثر عُمره بالبصرة يعيش معيشة الأُدباءِ والعلماءِ ، محبوباً لولاتها وأَعيانها ، محبُوًّا منهم بالعطايا والمنح ، بما يُصنِّفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم المختلفة — وكان كثير الانتجاع للخلفاءِ (ببغداد ، وسُرَّ مَنْ رأى) حتى فُلج بالبصرة وبقى مفلوجاً مدة إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران (أُم الرشيد) سنة ٢٥٥ هـ ، وله أكثر من مائتى كتاب .

أَحمد بن عبد ربه

هو أَديبُ الأَندلس وشاعرها أَبو عمر أَحمد بن محمد بن عبد ربه القُرطبى وُلد سنة ٢٤٦ هـ ونشأً بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربية فنبغ فى جميعها وحفظ منها ما لم يحفظه أَحد من علماءِ زمانه ، وقرأَ رسائلَ المحدثين من المشارقة ، وما ترجم من كتب الأَوائل فى أكثر العلوم ، وأَودعَ زُبْدَة ذلك فى كتابه (العقْد الفريد) وكان يشتغل فى حداثته بالشعر ، ويجرى فى مضمار اللهو والطرب ، ونظم فى ذلك من القصائد والمُقطعاتِ الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبى على صلفه وكبره حين سمع شعره يسميه (مليح الأَندلس) ثم أَقلع فى كبره عن صبْوته ، وأَخلص لله فى توبته . فاعتدَّ أَشعاره التى قالها فى الغزل واللهو عملا باطلا ، وعمِل على أَعاريضها وقوافيها قصائد فى الزُّهد يُعارضها بها ، وسماها (المُمحِّصات) ونال من خلفاءِ بنى أُمية بالأَندلس قبولًا ، وحل عندهم فى المكان الأَسمى ، وبقى بقرطبة رئيسا مسوَّدا ، حتى فلج ، وعاش بعد ذلك عدَّة سنين ، ثم مات بها سنة ٣٢٨ هـ .

الحريرىُّ

هو أَبو محمد القاسم بن محمد بن عثمان الحريرى البصرى ، المولود سنة ٤٤٦ هـ

الكاتب الشاعر اللغوى النحوى صاحب البدائع المأثورة فى مقاماته المشهورة التى نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الهمذانى. وأنشأ خمسين مقامة، أتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون الأدب وأمثال العرب وحكمها، بعبارة مُسجَّعة مُزينة بأنواع البديع، ولا سيما الجناس، ترغيباً للطلاب فى حفظ اللغة وأدبها، وتفكيهاً لهم بمطالعتها، ونحل وقائعها (أبا زيد السروجى) وهو أعرابىٌّ فصيحٌ من سروج، كان قد قدم البصرة وأعجبه بها علماؤها، وسمى راويها عنه (الحارث بن همَّام) - يريد نفسه - وَأَهْدَاها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسى، وله غير المقامات شعر كثير ورسائل بديعة وكتب فى النحو واللغة [منها كتابه (دُرة الغَوَّاص فى أوهام الخواص) و (ملحة الإعراب فى النحو) وتوفى بالبصرة سنة ٥٢٢ هـ.

فن التاريخ

أول ما وضع فى التاريخ باللغة العربية الكتاب الذى وضعه عُبيْدُ ابن شرية لمعاوية، وفى صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً فى التاريخ بأقسامه التى من أشهرها:

(١) فن السِّيرِ والمغازى؛ وأشهر من ألف فيه من الأوائل: محمد بن إسحاق.

(٢) فن الفتوح؛ وأشهر من ألف فيه منهم: الواقدى، والمدائنى، وأبو مخنف.

(٣) فن طبقات الرجال، وأشهر علمائه: ابن سعد كاتب الواقدى، والبخارى

(٤) فن النَّسب؛ وأشهر قدماءِ علمائهِ: الكلبى، وابنه.

(٥) فن أخبار العرب وأيامها؛ وأشهر علمائه: أبو عُبيدة، والأصمعى.

(٦) قصص الأنبياء؛ وكتب فيه كثيرون.

(٧) تاريخ الملوك؛ ومن أقدم مَنْ كتب فيه: ابن قتيبة الهيثم بن عدِى، وابن واضح اليعقوبى، ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبرى الجامع كتابه هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية.

وحاكاه بعده ابنُ الأَثير فى تاريخه (الكامل) .

العروض والقافية

أَولُ من اخترع علم العروض «الخليل بن أَحمد» من غير سابقة تعلُّم على أُستاذ أَو تدرُّج فى وضع ، بل ابتدعهُ ، وحصر فيه أَوزان العرب فى خمسة عشر بحرًا ، وزاد عليه تلميذُ تلميذِه الأَخفش بحرًا آخر ، ثم لم يزد عليهما أَحدا يُعْتد به .

أَما القافية ، فقد كان العلماءُ قبل الخليل يتكلمون فيها ، ولكن الخليل هو أَول من فصَّل الكلاظم فيها ، وجعلها علمًا مدوناً .

النحو

جاءَت الدولة العباسية والنحو علم يُدْرس فى المعاهد ، ولكن البصريين سبقوا الكوفيين فى الاشتغال به ، كما سبقهم الكوفيون فى الاشتغال بالشعر وعلم الصَّرْف .

ومن أَكبر الأَئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذَّبوه من البصريين أَبو عمر ابن العلاءِ وتلميذه الخليل ، وتلميذ الخليل «سيبويه» الواضع لأَول كتاب جامع فى النحو ؛ ثم بعده «الأَخفش» شارح كتابه .

ومن الكوفيين : مُعاذ الهراءُ ، والرُّؤاسى ، وتلميذهما الكسائىُّ ، وتلميذه الفراءُ .

علم اللغة

ويسمى «متن اللغة» ونعنى به معرفة معانى أَلفاظها المفردة ، وأَوَّل ما وضع الأَئمة فيه رسائل وكتباً صغيرة فى موضوعات خاصة ، فلما ظهر الخليل أَحصى أَلفاظ اللغة بطريقة حسابية فى كتاب ورتبه على حروف المعجم مقدِّماً حروف الحلق ، مبتدئاً منها بالعين ، ولذلك سمى معجمه (كتاب العين) ثم أَلف أَبو بكر بنُ دريد معجمه العظيم الذى سماه (الجَمْهرة) مرتباً

على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن ، وأدرك عصر الأزهرى فألف كتاب (التهذيب) على ترتيب الخليل ، ثم وضع الجوهرى كتابه المسمى (بالصحاح) على ترتيب الجمهرة وابن سيده الأندلسى كتابه (المحكم) على ترتيب الخليل ،وابن فارس كتابه (المجْمل) والصاحب بن عباد كتابه (المحيط) وهذه هى أُصول كتب اللغة وما بعدها من (العباب ، والتكملة ، ومجمع البحرين) للصاغانى ، و (النهاية) لابن الأثير ، و (لسان العرب) لابن مكرم و (المصباح) للفيومى ، و (القاموس) للفيروزابادى ، فهو جمع لها أو اختصار منها .

علوم البلاغة ـ المعانى والبيان والبديع

أول كتاب دون فى علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لأبى عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماءُ ولا يعلم أول من ألف فى المعانى بالضبط ، وإنما أثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ فى (إعجاز القرآن) وغيره ، وأول من دون كتباً فى علم البديع ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وقبل ذلك كان البديع يستعمل فى الشعر عملا ، وبقيت هذه العلوم تتكامل ، ويزيد فيها العلماءُ حتى جاءَ فحل البلاغة عبد القاهر الجرجانى فألف فى المعانى كتابه (دلائل الإعجاز) وفى البيان كتابه (أسرار البلاغة) وجاءَ بعده السكاكى فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم) .

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى الأزدى البصرى ، مخترع العروض ومبتكر المعْجمات ، وواضع الشكل العربى المستعمل حتى الآن .

ولد سنة مائة هجرية بالبصرة ، ونشأ بها ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه ، وأكثر الخروج إلى البوادى ، وسمع الأعراب الفصحاء ، فنبغ فى العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، وكان غاية فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، ولقن ذلك تلميذه سيبويه .

ومما يشهد له بحدة الفكر وبعد النظر ، اختراعه العروض علماً كاملا ، لم يحتج إلى تهذيب بعده ، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب « العين » وتدوينه كتاباً دقيقاً فى الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال بلهو ، وزاد فى الشطرنج قطعة سماها « جبلا » لعب بها الناس زمناً ، وبقى الخليل مقيما بالبصرة طول حياته ، زاهداً متعففاً مكبًّا على العلم والتعليم – حتى مات فى أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٠ هـ . بصدمة فى دعامة مسجد ارتج منها دماغه .

سيبويه

هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر – إمام البصريين ، وحجة النحويين .

ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة ، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه ، فعيبت عليه لحنة لحنها فى مجلس شيخه ، فخجل وطلب النحو ، ولازم الخليل ، وأخذ عن غيره أيضاً ، وكان الخليل يؤثره على أصحابه ، فدون جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره فى كتابه الذى لم يجمع قبله مثله – ولولا هذا الكتاب الذى رواه عنه ، وشرحه تلميذه الأخفش ، ما كان لسيبويه خبر يشهر لوفاته كهلا ، ولقلة من أخذ عنه هذا الكتاب ، ولأنه لايعرف له كتاب غيره وبحسبك هو ، ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٨٠ – وسنه نيف وأربعون سنة .

الكسائى

هو أبو الحسن على بن حمزة – أحد القراء السبعة ، وإمام الكوفيين فى النحو واللغة – نشأ بالكوفة ، وتعلم على الكبر بعد لحنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم ، فلازم أئمة الكوفة حتى أنفد ما عندهم ، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس فى حلقته ، وأعجبه علمه ، فقال له : من أين علمك هذا ؟ فقال من بوادى الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج إليها ، وأنفد خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب ، سوى ماحفظ عنهم ، ولما رجع من البادية وجه إليه المهدى فخرج إلى بغداد فحظى عنده ، وضمه إلى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيد مودب ولده الأمين ،

وكان يجلسه هو والقاضى محمد بن الحسن الشيبانى صاحب الإمام الأعظم أبى حنيفة على كرسيين مميزين بحضرته ، وما زالا على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد إلى الرِّىِّ وهما فى صحبته فماتا فى يوم واحد فبكاهما ، وقال : دفنت الفقه والعربية بالرِّىِّ ــ وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد ــ وكان يروى الشعر ، وليس فيه جيد نظر .

العلوم الشرعية

التفسير ــ لم يُدوَّن فى كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا فى عصر الدولة العباسية ، وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين المراد من آياته ، وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية ،أو أنشئت فى صدرها طبقة سفيان بن عُيينة ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، وإسحاق بن رَاهَويه ، ومقاتل بن سليمان ، والفراء .

كتب الحديث

أول كتاب جمع فى الحديث الكتاب الذى أمر الخليفة الأموى « عمر ابن عبد العزيز » بتدوينه ولم يعرف له خبر بعد ، ثم أخذ العلماءُ يدونون فيه بحض الخليفة أبى جعفر وأولاده ، فدون الإمام مالك « مُوطأه » ولما اشتدت رغبة الناس فى طلب الحديث وضع كثير من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالإسلام كثيرا من الأحاديث ، فتجرد لها الأئمة الأعلام ، وبينوا صحيحها من فاسدها ، كإسحاق بن راهويه وتلميذه محمد بن إسماعيل البخارى الذى دون كتابه فى الأحاديث الصحاح فقط ، وتبعه تلميذه مسلم ابن الحجاج ، والإمام أحمد بن حنبل ، وأصحاب الكتب الستةِ الصحاح ؛ وهم : الترمذى ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والبخارى ، ومسلم .

هذه هى أُصول الكتب الصحيحة فى الحديث .

الإمام البخارى

هو أَبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة؛ إمام المحدثين ؛ وصاحب « الجامع الصحيح » أَجل كتب الإسلام وأَفضلها بعد كتاب الله العزيز ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤ ؛ ونشأ بها يتيما فحفظ القرآن وأَلم بالعربية وهو صبى وحُبب إليه سماع الحديث ، فكان سماعه من علماءِ بخارى وهو لم يناهز البلوغ ، حتى حفظ عشرات الأُلوف من الأَحاديث ودخل من أَجلها أَكثر ممالك المشرق ، وأَخذ عنه علماؤها وأَئمتها ، ومنهم أَحمد بن حنبل ، وتفقه مبدئيا على مذهب الشافعى ، واستخرج كتابه « الجامع الصحيح » من ستمائة أَلف حديث ، فى ست عشرة سنة ، جمع فيه تسعة آلاف حديث مكررًا بعضها بتكرر وجوهها ، وقال : إنى جعلته حجة بينى وبين الله ، فأَجمع علماءُ السنة على أَنه لم يكن فيها أَصح منه ، ومات سنة ٢٥٦ .

علم الفقه

لما كان المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر نص القرآن لايستوعِبان كل أَحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان ، كان الاجتهاد ضروريا فى الدين ، وجاءَت الدولة العباسية وأَهل الحجاز يرجحون جانب الأَخذ بالحديث لكثرة رواته بينهم ، وإمامهم فى مذهبهم « مالك بن أَنس » وأَهل العراق يرجحون الأَخذ بالقياس ، وإمامهم فى مذهبهم « أَبو حنيفة » لكثرة ما وضعه متزندقة العراق فى الحديث ثم لما دخل أَهل الحجاز العراق ، وتساوى الفريقان فى معرفة الحديث عملوا بهما ونشأ من ذلك عدة مذاهب أَشهرها (مذهب أَبى حنيفة ، ومذهب مالك ، ومذهب الشافعى ، ومذهب أَحمد بن حنبل) وهذه المذاهب الأَربعة هى التى ارتضاها معظم الأُمة فى أَمر دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أَئمة مجتهدون فيه .

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق ، ولد سنة ٨٠ ﻫ من سلالة فارسية ، ونشأ بالكوفة ، وعاصر بعض الصحابة ، وأخذ كل علمه عمَّن شافه الصحابة ونقل عنهم واستنبط. فقهه من القرآن الكريم وما صح عنده من الحديث مع استعمال الرأى والقياس ، وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجدًا وقراءة للقرآن الكريم ، وأكثرهم ورعاً وتوخياً للكسب من وجه حِل ، رضى أن يعيش تاجر خز ، ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء ، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بنى أمية ، ثم المنصور فأَبى ، فسجنه وآذاه ، حتى قيل إنه مات فى سجنه ، وكان يعتذر بأنه لا يأْمن نفسه أن تزل ، وقرأ عليه علماءُ الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسن ، وأبى يوسف ، وزفر ، ومات ببغداد سنة ١٥٠ ﻫ .

الإمام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، وسيد فقهاءِ الحجاز ، وهو عربى من سلالة أقيال حِمْير ، ولد سنة ٩٥ ﻫ بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاءِ والعباد ، ورحل إليهم وأخذ عنهم ، وما زال يدأب فى التحصيل وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله فى أرضه ، وضرب به المثل ، فقيل : « لا يفتى ومالك بالمدينة » وعرف الخلفاءُ قدره فأجلوه ، حتى أن الرشيد رحل هو وأولاده إليه بالحجاز ليسمع « موطأه » فسمعه وأغدق عليه .

وكان مالك أول أمره فقيرًا ، فلما كثرت مِنحُ الخلفاءِ له حسن حاله ، فأظهر نعمة الله عليه ووصل أهل العلم وأشركهم فى ماله ، ومنهم « الشافعى » .

وأما أخلاقه من حيث الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تجل عن الوصف حتى إنه كان لايركب دابة فى المدينة إجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتوفى سنة ١٧٩ هـ بالمدينة ـ ودفن بالبقيع .

الإمام الشافعى

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، عالم قريش وفخرها ، وإمام الشريعة وحبرها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف . ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها فقيرا تربيه أمه ، ويواسيه ذوو قرابته من قريش ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ، ورحل إلى البادية فى تطلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئًا كثيرًا ، ثم تفقه وحفظ (موطأ مالك) وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ثم رحل فى هذه السن إلى (مالك) وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام ، وأضافه وخدمه بنفسه ، ثم رجع إلى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحح عليه الأصمعى شعر الهذليين ، ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ ، فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه ، وفى سنة ١٩٩ هـ أو سنة ٢٠٠ هـ خرج إلى مصر وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته ، وبها أملى مذهبه بجامع عمرو ، وتوفى بها سنة ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل

هو الإمام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى .

ولد ببغداد من سلالة عربية سنة ٢٦٤ هجرية ، فتعلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث ، واختار نيفاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه (المسند) واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأى ، وظهرت فى مدته فتنة (خلق القرآن)

فامتحن بها فى مجلس المعتصم ليجيبهم إلى القول بخلق القرآن ، فلم يفعل ، فضُرب حتى أُغمى عليه ، وبقى مدة مريضاً ، ثم عُوفى واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد ـ حتى مات سنة ٢٤١ هـ .

علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظاهر الكتاب والسنة ، وما وقع فيهما من المتشابه ، أو أوهم التشبيه المنافى لتنزيه المعبود توقفوا فيه خوف أن يحيد بهم فهمهم فى التأويل عن القصد ـ غير أن ذلك لم يُقنع من دخل فى الإسلام فكثر جدلهم ، واضطر العلماءُ أن يُعارضوهم ، وساعدهم الخلفاءُ ، وأولهم المهدى الذى حرضهم على تدوين علم الكلام « التوحيد » فافترق الراضى عن مذهبهم من علماءِ الكلام فرقتين . فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسُموا (الجماعة) أو أصحاب الحديث ، وفرقة اعتزلتها وخالفتها فى بعض المسائل وسُموا (المعتزلة) أو أصحاب العدل ، وجرى رجالُ الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعرى فألف مذهبه الكلامى الذى سمى بعد بمذهب الأشاعرة . وغلب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة « وبقى كثير منها إلى الآن » ومذاهب الخوارج وبقى منهم إلى عصرنا بقية فى الجبل الأخضر من برقة ، وفى جزيرة جربة على ساحل تونس وببلاد البحرين .

أبو الحسن الأشعرى

هو أبو الحسن على بن إسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين وُلد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها ، وأخذ علم الكلام عن أبى على الجبائى شيخ المعتزلة ، وتبعه فى الاعتزال ، واحتج له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هداه البحث أخيرًا فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاءِ ومن

المعتزلة غالٍ فى نظره ، فتوسط ، وتغيب عن الناس مدة ألف فيها كتبه فى نُصرة أَهل السنة ، والرد على أكثر عقائد المعتزلة ، وكان شافعى المذهب .

توفى سنة ٣٢٤ هـ وممن نصر مذهبه الفخر الرازى ، وقاربه فى مذهبه القاضى أَبو منصور الماتريدى .

الإمام الغزالى

هو أَبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى الشافعى ، حُجة الإسلام ، ولد سنة ٤٥ هـ ونشأَ بُطوس وتعلم بها مبادئ العلوم ، ثم رحل إلى نيسابور ، ولازم إمام الحرمين الجوينى ، وهو يومئذ عالم الشافعية فى الشرق ، فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر مُتكلمى الأَشاعرة وفقهاءِ الشافعية ، ولما مات الجوينى ذهب إلى بغداد ولقى الوزير نظام الملك صاحب المدرسة النظامية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم ، وأَقر له فحول العراق بالفضل ، فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أَربع سنوات ــ ثم حجَّ وذهب إلى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أَنبيائها ثم دخل مصر وأَقام بالإسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس ، واشتغل بتأْليف الكتب الجليلة وفى مقدِّمتها كتاب «إحياءِ علوم الدين» ثم ألزم التدريس بنيسابور ، ثم عاد إلى وطنه حيث أَمضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر ، حتى مات بالطابران قصبة طوس سنة ٥٠٥ هـ .

* * *

نشأة العلوم الكونية المنقولة
وترجمتها وأَشهر المترجمين والمشتغلين بها

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أَربعة علوم : المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والإلهيات ، وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة ، والكيمياء ، وفن المواليد الثلاثة ، والطب والصيدلة والفِلاحة .

وتشمل الرياضيات : علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات (الميكانيكا) علم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن متعلقاته علم الجغرافيا الرياضية ، ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأَخلاق وفنون الموسيقى .

وتشمل الإلهيات: علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدركات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوُى النفسية والجنِّ والملائكة ، ونحو ذلك .

وهذه العلوم فطرية فى الإنسان من حيث إنه متفكر متمدين لا تختص بها أُمة دون أُخرى ، فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أُمة أَصبحت ذات حضارة ولذا ترجم المسلمون بعضها فى عصر بنى أُمية ، واستقدم «المنصور العباسىُّ» كثيراً من الأَطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود فى الطبّ والفلك والسياسة .

ولما جاء عصر المنصور فتر أَمرُ الترجمة إلى زمن الرشيد والبرامكة فحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ؛ وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور .

ثم جاء عصر (المأْمون) فزخرت بحور الترجمة ، وبعث إلى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة والحجاج ابن مطر ، وحُنين بن إسحاق ؛ فاختاروا كتباً حملوها إلى بغداد وترجمت ، وتعلمها الناس وصححوا أَغلاطها ، واستدركوا عليها ولم يمض قرن من تأْسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون فى هذه العلوم كلها ؛ وظهر بينهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحقُ فلاسفة اليونان ومن هؤلاء فيلسوف الإسلام والعرب (أَبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصبَّاح الكندى) وتلميذه أَحمد بن الطيب السرخسى ؛ وبنو موسى بن شاكر محمد وأَحمد والحسن أَشهر رياضى هذا العصر : وأَول المخترعين من المسلمين فى الحيل والهندسة ؛ ومحمد بن موسى الخوارزمى مخترع علم الجبر والمقابلة ومذيع الحساب

الهندى بين العرب ؛ ثم ذهب طورُ الترجمة والتصحيح وتلاه طورُ التأليف والتكميل والاختراع فأَتى به بالعجب العُجاب أَبو نصر محمد بن طرخان الفارابى الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون ؛ والتى استنبط الأَفرنج بمحاكاتها آلة المعزف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وأَبو بكر محمد ابن زكريا الرازى الطبيب الكيميائى الشهير المتوفى سنة ١٦٤ هـ ، والشيخ الرئيس حكيم المشرق أَبو على الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وأَبو الريحان أَحمد بن محمد البيروتى الفلكى الرياضى المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

وكان لدولة الفواطم فى مصر اشتغال بهذه العلوم ، فاشتهر فى دولتهم فى الفلك والرياضيات ابن يونس ، وفى الطب ابن رضوان وغيرهما .

ولم يُعن أَهل الأَندلس بهذه العلوم عناية أَهل المشرق ، وأَشهر من نبغ منهم فيها أَبو الوليد القاضى أَحمد بن رُشد ، وأَبو القاسم الزهراوى ، ومن كتب هؤلاءِ الأَئمة وأَمثالهم اقتبس أَهل (أَوربا) كثيرًا من أُصول مدنيتهم الحاضرة.

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاءِ والوزراءِ ، والقوّاد سوقٌ نافقة ، حتى عند روساءِ الأَعاجم من الديلم والترك ، ودام كذلك إلى انتهاءِ الدولة العباسية ، وبهذه العناية العظيمة بل وكثرة قائليه تفنن الناس وأَدخلوا عليه فنوناً لم تُعهد فيه واستعملوه فى كل غرض حتى التعبد به ، وتشكل أَسلوبه ، وتنوعت معانيه بما يُطابق أَغراض استعماله .

ولم يقتصر الشعر على الموالى فى صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أَعراب البادية أَحياناً ، ومن سلائل العرب بالأَمصار الأُخرى ، غير أَن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالى مثل بشار ، وأَبى نواس ، ومسلم ، وأَبى العتاهية ، وابن الرومى .

ومن أَشهر شعراءِ الأَمصار من العرب أَبو تمام ،والبحترى، وابن المعتز ، والمتنبى

وأبو فراس وأبو العلاء المعرى ، وابن هانى الأندلسى ، والشريف الرضى :

(١) بشارُ بنُ برْد

هو أبو معاذ بشار المرَعّث بن برد ، أشعر مخضرمى الدولتين ، ورأْس الشعراء المحدثين وممهد طريق الاختراق والبديع للمتفننين ، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فُرس طخارستان من سبى المهلب بن أبى صفرة فنشأ بشارٌ فيهم ، واختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة ، حتى خرج نابغة زمانه فى الفصاحة والشعر ، وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء لايسلم من لسانه خليفةٌ ولا سُوقة ، لا يأْلف ولا يُؤلف .

شعره : قد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأْس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع ، وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء ، وأنه أول من جمع فى شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين . وفتق عن المعانى الدقيقة والأخيلة اللطيفة ، حتى عُدَّ شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ، ومجازا يعبر عليه الشعر من مرابع البداوة إلى مقاصير الحضارة ومات مقتولا سنة ١٦٧ هـ ، ومن شعره فى المشورة والحكم والنصائح قوله :

إذا بلغ الرأْى المشورة فاستعن ... برأْى نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافى قوةٌ للقوادم
وما خير كفٍّ أمسك الغلُّ أُختها ... وما خيرُ سيف لم يؤيد بقائم
وخلِّ الهوينى للضعيف ولا تكن ... نؤوماً فإن الحُرَّ ليس بنائم

وقوله :

ظلُّ اليسار على العباس ممدود ... وقلبهُ أبدًا بالبخل معقودُ
إن الكريم ليُخْفى عنك عسرته ... حتى تراه غنيًا وهو مجهودُ
وللبخيل على أمواله عللٌ ... زرق العيون عليها أوجُه سودُ
إذا تكرهت أن تُعطى القليل ولم ... تقدر على سعةٍ لم يظهر الجُود

بث النوال ولا تمنعك قلته ... فكلّ ما سدَّ فقرًا فهو محمود

وقال :

إذا كنت فى كل الأُمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذى لا تُعاتبه

فعش واحدًا أو صِلْ أخاك فإنه ... مُقارفُ ذنب مرَّةً ومُجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذَى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقال :

خليليَّ إن المالَ ليس بنافع ... إذا لم ينلْ منه أَخ وصديقُ

وكنتُ إذا ضاقت علىَّ محلةٌ ... تَيمَّمتُ أُخرى ما على مضيقُ

وما خابَ بين الله والناس عامل ... له فى التقى أو فى المحامِدِ سُوقُ

وما ضاق فضلُ اللهِ عن متعفف ... ولكن أَخلاقَ الرجال تضيقُ

(٢) أبو نواس

هو أبو الحسن بن هانئ ، الشاعر المتفنن ، والجاد الماجن ، وصاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأْس المحدثين بعدبشَّار ، وهوفارسيٌّ الأَصل ، ولدبقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ، ونشأَ يتيما ، فقدمت به أُمه البصرة بعد سنتين من مولده ؛ فتعلم العربية ورغب فى الأَدب ، فلم تعبأْ أُمه بحاله وأَسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لايفترُّ عن معاناة الشعر ، إلى أَن صادفه عند العطار (والبةُ ابن الحباب) الشاعر الماجنُ الكوفى ، فى إحدى قدماته إلى البصرة ، فأَعجب كل منهما بالآخر ، فأَخرجه والبةُ معه إلى الكوفة فبقى معه ومع ندمائه من خلعائها ؛ وتخرج عليهم فى الشعر وفاقهم جميعا ، وقدم بغداد فبلغ خبره (الرشيد) فأَذن له فى مدحه فمدحه بقصائد طنانة ، ثم انقطع إلى مدح محمد الأَمين الخليفة العباسى ، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد عام ١٩٨ هـ وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المحضر ، كثير الدعابة ، حاضر البديهة ، متيناً فى اللغة والشعر والأَدب ..

شعره : أَجمع أَكثر علماءِ الشعر ونقدته وفحولُ الشعراءِ على أَن (أَبا نواس) أَشعر المحدثين بعد بشّار وأَكثرهم تفنناً وأَبدعهم خيالا ، مع دقة لفظ ، وبديع معنى وأَنه شاعر مطبوع برَّز فى كل فن من فنون الشعر ، وامتاز بقصائده الخمريات ، ومقطعاته المجونيات ، وأَراجيزه الطرديات (أَقواله فى تبكيره إلى الصيد ومطاردته) وكان شعره لِقاح الفساد ، والقدوة السيئة لنقله الغزل من أَوصاف المؤنث إلى المذكر ، وإبداعه وصف الخمر ، فكان نموذج سوءٍ لمن تأَخر ، ومن ذلك قوله :

دَعْ عنك لومى فإن اللوم إغراءُ وداونى بالتى كانت هى الداءُ
صفراءُ لاتنزلُ الأَحزانُ ساحتها لو مسَّها حَجرٌ مَستهُ سراءُ
رقَّت عن الماءِ حتى ما يلائمها لطافةً ، وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مَزجْتَ بها نورا لمازجها حتى تولد أَنوار وأَضْواءُ

ومن قوله لما حضرته الوفاة :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمتُ بأَن عفوكَ أَعظم
إن كان لايرجوك إلا مُحسن فبمن يَلوذُ ويستجير المجرم ؟
أَدعوك ربِّ كما أَمرت تَضرُّعاً فإذا رددْت يدى فمن ذا يرحم؟
ما لى إليك وسيلةٌ إلا الرَّجا وجميل عفوك ثم إنى مسلم

(٣) مسلم بن الوليد

هو صريع الغوانى أَبو الوليد مسلم بن الوليد الأَنصارى ، أَحد الشعراءِ المفلقين ، قال الشعر فى صباه ، ولم يتجاوز به الأُمراء والروساء ، مكتفيًا بما يناله من قليل العطاءِ ، ثم انقطع إلى يزيد بن مزيد الشيبانى قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة (هارون الرشيد) ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأْيهم فيه ، ولما أَصبح الحلُّ والعقد بيد ذى الرياستين (الفضل بن سهل) وزير المأْمون فى أَول خلافته قرَّبه وأَدناه وولاه أَعمالا بجرجان ، ثم الضياع

بأَصبهان ، واكتسب منهما مئات الأُلوف وأَنفقها فى لذاته وشهواته ، ولما مات الفضلُ لزم منزله ونسك ، ولم يمدح أَحدًا حتى مات بجرجان سنة ٢٠٨ ﻫ .

شعره : أَول من تكلف البديع فى شعره ، واستكثر منه فى قوله : ، ومزجَ كلام البدويين بكلام الحضريين ، فضمنَهُ المعانى اللطيفة ، وكساه الأَلفاظ الظريفة ، فله جزَالة البدويين ، ورقة الحضريين .

ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلبى :

نفسى فداؤك يا داوُد إذ علقَتْ أَيدى الردى بنَواصى مضمرِ القودِ
تجود بالنفس إن ضَنَّ الجواد بها والجودُ بالنفس أَقصى غاية الجُودِ

وقوله :

دلت على عيبها الدنيا وصدَّقها ما استرجع الدهرُ مما كان أَعطانى
ما كنت أَدَّخرُ الشكوَى لحادثة حتى ابتلى الدهر أَسرارى فأَشكانى

(٤) أبو العتاهية

هو أَبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد ، أَطبعُ أَهل زمانه شعرا ، وأَكثرهم قولا ، وأَسهلهم لفظًا ، وأَسرعهم بديهة وارتجالا ، وأَول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد فى الدنيا ، والنهى عن الاغترار بها ، وأَكثر من الحكمة .

وُلِدَ بعين التمر قرب الأَنبار سنة ١٣٠ ﻫ ، ونشأَ بالكوفة فى عمل أَهله وكانوا باعة جرار ، إلا أَنه ربأَ بنفسه عن عملهم ، وقال الشعر فى صباه ، وامتزج بلحمه ودمه ، فذاع صيته وسلك طريق خُلعاء الكوفة ، ثم قدم بغداد ومدح المهدى ، ثم عرضتْ له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر ، حتى حبسه الرشيد لعدم تلبيته ما اقترحه عليه من القول فيه ، ثم أَطلقه بعد أَن أَجاب طِلبَتهُ ، وعاد إلى قول الشعر على عادته ، وترَك الغَزل والهجاء ، وبقى على ذلك مدة الرشيد والأَمين وأَكثر أَيام المأْمون ، حتى مات سنة ٢١١ ﻫ ببغداد

شعره : يمتاز بالسهولة المتناهية بالنسبة لأهل عصره . ومن قوله يمدح المهدى :

أَتته الخلافة مُنقادةً إليه تُجَرِّر أذيالها
فلم تكُ تصلحُ إلا له ولم يكُ يصلحُ إلا لها
ولو رامها أَحَدٌ غيرُه لزُلزلت الأَرض زلزالها
ولو لم تعطه بنات القلو ب لما قبِلَ الله أعمالها
وإن الخليفة مِن بغضِ (لا) إليه ليُبغضُ من قالها

وكتب على البديهة فى ظهر كتاب :

أَلا إننا كلنا بائدٌ وأَىُّ بنى آدم خالدُ
وبدؤهم كان من ربهم وكل إلى ربِّهِ عائدُ
فياعجباً كيف يُعصى الإلـــه أَم كيف يجحده الجاحدُ
ولله فى كلِّ تحريكة وفى كلِّ تسكينة شاهدُ
وفى كلِّ شىءٍ له آية تدلُّ على أَنه الواحد

(٥) أَبو تمام

هو أَبو تمام حبيب بن أَوْس الطائى، أَسبق ثلاثة الشعراءِ الذين سارت بذكرهم الرُّكبان ، وخلد شعرهم الزمان ، ثانيهم البحترى ، وثالثهم المتنبى .

وُلد من سلالة عربية سنة ١٩٠ بقرية جاسم من أَعمال دمشق ، ونُقل صغيرًا إلى مصر ، فنشأَ بها فقيرًا وكان يسقى الماءَ بالجرَّة فى جامع عمرو . وتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ فى قوله ، ثم خرج إلى مقر الخلافة فمدح المعتصم وحظِىَ عنده ، ومدح وزيره محمد بن الزيات ، والحسن بن وهْب ، الذى وَلاه بريد الموصل فأَقام بها إلى أَن مات سنة ٢٣٢ هـ .

شعره : يعد أَبو تمام رأْس الطبقة الثالثة من المحدثين انتهت إليه معانى المتقدمين والمتأَخرين ، وظهر والدنيا قد مُلئت بترجمة علوم الأَوائل وحكمتها

من اليونان والفرس والهند ، فحصُف عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها ، وهو الذى مهد طريق الحكم ، والأمثال للمتنبي وأبى العلاء وغيرهما ، ولذلك كان يقال : إن أبا تمام والمتنبي حكيمان ، والشاعر هو البحترى .

وأجاد أبو تمام فى كل فن من فنون الشعر ، أما مراثيه فلم يعلق بها أحد جاش صدرُه بشعر ، وأشهرها القصيدة التى رثى بها محمد بن حُميد الطائى ، ومنها :

كذا فليجلَّ الخطْب وَليفدح الأَمر ... فليس لعينٍ لم يفِضْ ماؤها عذر
تُوُفِّيت الآمالُ بعد محمدٍ ... وأَصبح فى شغل عن السفر السفْر
وما كان إلا مالَ مَنْ قلَّ مالهُ ... وذخرًا لمن أَمسى وليس له ذخر
وما كانَ يدرى مُجتدِى جُود كفه ... إذا ما استهلت أَنه خُلق العسر
أَلا فى سبيل اللهِ مَن عُطلت له ... فِجَاج سبيلِ الله وانثغر الثّغر
فتَى كلما فاضَت عيون قبيلة ... دماً ضحكت عنه الأَحاديث والذكر
فتَى دهره شطران فيما ينوبه ... ففى بأْسِه شطرٌ وفى جوده شَطر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصرِ إن فاته النصر
وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفهِ ... من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمْر
وقد كان فوت الموت سهلا فَردَّه ... إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْر
ونفسٌ تعَاف العارَ حتى كأَنما ... هو الكفر يوم الرَّوْع أَو دونه الكفر
فأَثبت فى مستنقع المَوتِ رَحْلهُ ... وقال لها من تحت أَخْمصِك الحشر
غَدا غدْوَةَ والحمد نسج رِدائه ... فلم ينصرف إلا وأَكفانه الأَجر
تردَّى ثيابَ الموت حمرًا فما دجا ... لها الليل إلا وهى من سندس خضر

(٦) البحترى

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ــ أشعر الشعراء بعد أبى نواس .

وُلد سنة ٢٠٦ هـ بناحية منْبِج فى قبائل طيء وغيرها من البدو الضارِبين فى شواطى الفرات ، ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحةُ العرب ، ولازم وهو فتًى أَبا تمام وعليه تخرج ، ثم خرج إلى العراق وأَقام فى خدمة (المتوكل والفتح ابن خاقان) محترماً عندهما إلى أَن قتلا فى مجلس كان هو حاضره ، فرجعَ إلى منبِج بين أَعراب طيء ، وبقى يختلف أَحياناً إلى رؤساءِ بغداد ، وسُرَّ من رأى ، حتى مات سنة ٢٤٨ هـ .

وكان على فضله وفصاحته من أَبخل خلق الله وأَقذرهم ثوباً ، وأَكثرهم فخرا بشعره ، حتى كان يقول إذا أعجبه شعره : (أَحْسنتُ والله !) ويقول للمستمعين : ما لكم لا تقولون أَحسنت . والكثير على أَنه لم يأْت بعد أَبى نواس مَن هو أَشعر منه .

شعره : كله بديع المعنى ، حسن الديباجة ، صقيل اللفظ، سلِس الأسلوب كأَنه سيلٌ ينحدر إلى الأَسماع محمودًا فى غرَض سوى الهجاءِ ، ولذلك اعتبره كثير من أَهل الأَدب هو الشاعر الحقيقى ، واعتبروا أَمثال أَبى تمام والمتنبى والمعرى حُكماء ، ولسهولة شعره ورقته كان أَكثر الأَصوات التى يتغنى بها فى زمنه من شعره المطبوع فى ديوان حافل . ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ، ويصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر :

بالبر صُمت وأَنت أَفضل صائم ... وبسنةِ الله الرضية تُفطر
فانعم بيوم الفطر عِيدًا إنه ... يوم أَغرٌّ من الزمان مُشهَّر
أَظهرْت عِز المُلك فيه بجحفل ... لجب يُحاط الدينُ فيه ويُنصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عُددًا يسير بها العديد الأَكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدَّعى ... والبيض تلمع والأَسِنَّة تزهر
والأَرض خاشعة تميد بثقلها ... والجوُّ معتكر الجوانِب أَغبر

والشمس طالعةٌ توقد فى الضحى طوْرًا ويُطْفئها العجاج الأَكدر
حتى طلعتَ بِضوءِ وجهك فانجلت تلك الدُّجى وانجاب ذاك العثير
فافتنّ فيك الناظرون فإِصْبع يومى إِليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها من أَنعم الله التى لا تُكفر
ذكروا بطلعتك النبيَّ فهللوا لما طلعت من الصفوف وكَبَّروا
حتى انتهيْت إِلى المصلى لابساً نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيْت مشْيَة خاشعٍ متواضع لِله لا يزهى ولا يَتكبر
فلو أَنَّ مشتاقاً تكلفَ فوق ما فى وسعه لسعَى إِليك المنبر
أَبديت من فصلِ الخطاب بحكمة تُنْبى عن الحق المبين وتخبر
ووقفتَ فى بُرْدِ النبيِّ مذكرًا بالله تنْذِرُ تارةً وتبشِّرُ

(٧) ابن الرُّومى

هو أَبو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى مولى بنى العباس ، الشاعر المكثر المطبوع ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعانى المخترعة ، والأَهاجى المقْذِعة .

وُلد ببغداد سنة ٢٢١ ﻫ ونشأَ بها ، وأَقام كل حياته بها ، وكان كثير التطيُّر جدًّا ، وكان القاسم بن عُبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وفلتاتِ لسانه ، فسلط عليه من دس له السم فى الدسم إِلى أَن مات سنة ٢٨٣ ﻫ ببغداد .

شعره : قال الشعر فى كل غرض ، ولا سيما الوصف والهجاء ، ونَبغَ فى الشعر نبوغاً لم يقصر به كثيرًا عن درجة البُحترى ، وربما فاقه فى اختراع المعانى النادرة أَو توليدها من معانى من سبقه بشكل جديد ، ووضعها فى أَحسن قالب ، ومن جيِّد قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءهُ
لو لم يُقدِّر فيه بُعد المستقى عند الورُود لما أطال رِشاءه

(٨) ابن المعتز

هو أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسى أشعر بنى هاشم وأبرع الناس فى الأوصاف والتشبيهات .

ولد سنة ٢٤٩ هـ فى بيت الخلافة وتربى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرد وثعلب ومهر فى كل علم يعرفه أئمة عصره ، وفلاسفة دهره ، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتابها ، وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة ، خشية أن يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك ، وولوا المقتدر صبيًّا ، ثم حدثت فتن عظيمة ، فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة فلما رأى غلمان المقتدر أن الأمر سيخرج من أيديهم تآمروا على قتله ، وخُنق من ليلته سنة ٢٩٦ هـ ، وشعره سهل العبارة مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع ، يعرفُ فيه نضرة النعيم .

(٩) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى المتنبي الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، وخاتم الثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ فى محلة كندة ، ونشأ بها ، وأولع بتعلم الشعر من صباه وخرج إلى بادية بنى كلب فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظم شأنه بينهم ، حتى وشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية بأن أبا الطيب ادعى النبوة فى بنى كلب ، وتبعه منهم خلق كثير ، ويخشى على ملك الشام منه ، فخرج لؤلؤ إلى بنى كلب وحاربهم ، وقبض على المتنبى وسجنه طويلا ثم استتابه وأطلقه .

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له ، ثم تكسب بالشعر مدة انتهت بلحاقه بسيف الدولة بن حمدان ، فمدحه بما خلد اسمه أبد الدهر .

ثم قصد كافورًا الإخشيدى أمير مصر ومدحه ، ووعده كافور أن يقلده إمارة أو ولاية ـ ولكنه لما رأى تغاليه فى شعره وفخره بنفسه عدل عن أن يوليه ، وعاتبه بعضهم فى ذلك فقال : ياقوم من ادَّعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أما يدعى المملكة بعد كافور ؟ فحسبكم ـ فعاتبه أبو الطيب واستأذنه فى الخروج من مصر فأَبى ، فتغفله ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ ، وخرج منها يريد الكوفة ، ومنها قصد عضد الدولة بن بويه بفارس مارًّا ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأَجزل صلته وعاد إلى بغداد ، وخرج إلى الكوفة فخرج عليه أَعراب بنى ضبة وفيهم فاتك بن أَسد وكان المتنبي قد هجاه هجاءً مقذعاً ، فقاتلهم قتالا شديدًا حتى قتل المتنبي وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ ه .

شعره : لا خلاف عند أَهل الأَدب فى أنه لم يبلغ بعد المتنبي فى الشعر من بلغ شأْوه أَو داناه ، والمعرى على بعد غوره ، وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وشدة تعمقه فى المعانى والتصورات الفلسفية يعترف بأَبى الطيب ويقدمه على نفسه وغيره ، ويؤخذ هذا من قوله :

إذا رأَيتَ نُيوب الليثِ بارزة ... فلا تَظنن أَن الليث يبتسمُ
أَعيذُها نظراتٍ منك صادِقة ... أَن تحسبَ الشحم فيمَن شحمهُ ورم
أَنا الذى نظر الأَعمى إلى أَدَبى ... وأَسمعت كلماتى من به صمَم
وما انتِفاع أَخى الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأَنوار والظلم
يا من يعزُّ علينا أَن نُفارقهمْ ... وُجْداننا كل شىءٍ بعدكم عدم
إن كان سرَّكم ما قال حاسِدنا ... فما لجرحٍ إذا أَرضاكم أَلمُ

وبيننا لو رَعَيْتم ذاك مترفة ... إن المعارف فى أهلِ النُّهى ذِمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعْجزكم ... ويكْره الله ما تأْتون والكرم
إِذا ترَحَّلت عن قوم وقد قدرُوا ... أَلّا نُفارقهم فالرَّاحلون هُم

وقوله :

ذو العَقْل يَشقى فى النعيم بعقْله ... وأَخُو الجهالةِ فى الشقاوة ينعم
لا يخدعنّك مِنْ عدوٍّ دمعُه ... وارحم شبابك من عدوٍّ تُرْحَم
لا يسلم الشرف الرَّفيع من الأَذى ... حتى يُرَاق على جوانبه الدَّم
والظلْمُ منْ شِيم النفوس فإن تجد ... ذَا عفة فلعلة لا يَظْلِم
ومِنَ البليَّةِ عذل من لا يرعوِى ... عن غيّه وخطابُ من لا يفهم
ومِن العداوَةِ ما ينالُك نفْعه ... ومِنَ الصَّداقة ما يَضرُّ ويُؤلم

وقوله :

ما كنت أَحسب قبل دَفنِكَ فى الثرى ... أَن الكواكِبَ فى التّرَاب تمور
ما كنت آمل قبل نعشك أَن أَرى ... رضْوى على أَيدى الرِّجال يسير
خَرجوا بهِ والكُلُّ باك حوْلَه ... صعقات موسى يَوْم دكَّ الطور
حتى أَتوا جدثاً كأَنَّ ضريحه ... فى كلِّ قلْب مُوجد محفور
كفل الثناءُ له بردِّ حياتهِ ... لما انطوى فكأَنه منشور

(١٠) ابن هانئ الأَندلسى

هو القاسم محمد بن هانئ الأَزدِيُّ الأَندلسى ، شاعر المغرب ومتنَبِّيه ، ولد بإشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولما نبه شأْنه اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر الأموى ، ومدحه بغرر القصائد ، فأَحله منزلة سنية ، وأَغدق عليه العطايا ، فأَكب على اللهو والطرب والاستهتار ، واتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بالفلسفة .

ولما شاع ذلك عنه نقم عليه أَهل إشبيلية ، وأَشركوا عاملها فى التهمة

وكادوا يهمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية ، فاجتاز البحر إلى عدوة المغرب ، ومدح ولاته من قبل المعز الفاطمى ، ثم نُمى خبره إلى المُعز فوجه فى طلبه ، فوفد عليه بإفريقية ، ومدحه فاصطفاه واتخذه شاعر دولته .

ولما فتح جوهر مصر ، وبنى القاهرة ، ورحل إليها المُعز ليتخذها دار ملكه شَيَّعه ابن هانئ ، ورجع لأَخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه ، ولما وصل إلى برقة مات بها سنة ٣٦٢ ، وعمره ٣٦ سنة .

شعره : لم ينبغ فى شعراءِ جزيرة الأَندلس ولا بر المغرب جميعه من يفوق « ابن هانئ » فى صناعة الشعر أَو يساويه ، فقد كان عندهم فى الشهرة والإِجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبى عند المشارقة ، ومن قوله فى وصف الخيل :

وصوَاهِلٍ لا الهضْبُ يوم مُغارها هضْب ولا البيد الحزونُ حزونُ
عُرفت بساعة سبقها لا أنها عَلقت بها يوم الرهان عُيونُ
وأَجلُّ عِلْم البَرْق فيها أَنها مَرَّت بجانحتيه وهى ظنونُ

ومن قوله الموهم الكُفْر فى مطلع قصيدة يمدحُ بها المعزَّ :

ما شئت لا ما شاءَتْ الأَقْدارُ فاحْكُمْ فأَنت الواحِد القهَّارُ

(١١) أَبو العلاءِ المعرى

هو أَبو العلاءِ أَحمد بن عبد الله بن سُليمان المعرى التَّنُوخى ، الشاعر الفيْلسوف ولد بمَعَرَّة النعمان سنة ٣٦٣ ، وجُدِر فى الثالثة من عمره فكُفَّ بصره ،وتعلم على أَبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ كل مايسمعه من مرة واحدة ، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة ، ودخل بغْداد ، وأَقبلَ عليه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ إقبالا عظيما ثم جفاه ، ولما رجع إلى المعرة أَقام ولم يبرح منزله ، ونَسك وسمى نفسه رهين المحبَسيْن : (مَحْبس العمى ، ومحْبس المنزل) وبقى فيه مُكبًّا على التدريس والتأْليف ، ونظْم الشعر مُقتَنعا بعشرات من الدنانير فى العام يستغلها من عقار لهُ مجتَنبا أَكلَ الحيوان ومايخرج منه مدة ٤٥ سنة مُكتفياً

بالنبات والفاكهة والدِّبس ، متعللا بأَنه فقير ، وأَنه يرحم الحيوان . وعاش عَزباً وعَمَّر إلى أَن مات سنة ٤٤٩ من الهجرة بالمعرَّة وأَوصى أَن يُكتب على قبره :

هذا جنَاهُ أَبِي عـــلىَّ وما جَنَيْتُ على أَحد

شعره : وله كثيرٌ من الشعر يُناقِض بعضه بعضاً فى حقيقة العالم والشرائِع والمعبود ، وللناس فى اعتقاده أَقوال كَثيرة ، والظاهر أَنه كان شاكًّا متحيرا ، وهو أَحكم الشعراءِ بعد المتنبي ويُفضل عليه فى الغريب والأَخيلة الدقيقة والطبيعيات والاجتماعيات والأَخلاق ، والقوانين ونظام الحكومات ، والفلسفة والشرائع والأَديان ، ولذلك يفضله الإفرنج عليه ، وهو فى هذه الأُمور معدوم النظير ، ومن مراثيه الجيدة قوله :

غير مُجدٍ فى مِلتِى واعتقادى نَوحُ باكٍ ولا ترنم شادِ
وشبيةٌ صوتُ النعى إذا قيـــسَ بصوت البشير فى كل نادِ
أَبَكت تلكمُ الحمامة أَم غَنّــتْ على فرع غُصنها المياد
صاح هذه قبورنا تملأُ الرَّحْـــب فأَين القبور من عهد عاد
خفف الوطءَ ما أَظن أَديمَ الـــأَرض إلا من هذه الأَجسادِ
وقبيح بنا وإن قدم العهـــدُ هوانُ الآباءِ والأَجْدَادِ
سر إن اسطعت فى الهواءِ رويدًا لا اختيالًا على رُفاتِ العبادِ
ربَّ لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزَاحُم الأَضدادِ
ودفين على بقايا دفين فى طويل الأَزمان والآبادِ
فاسأَل الفرْقدين عَمن أَحسَّا من قبيل وآنسا من بلادِ
كم أَقاما على زوال نهار وأَنارًا لمدلِج فى سوادِ
تعبٌ كلها الحياة فما أَعْجـــبُ إلا من راغِبٍ فى ازديادِ
إن حُزْناً فى ساعة الموت أَضعا ف سرورٍ فى ساعةِ الميلادِ
خُلِق الناس للبقاءِ فضَلتْ أُمة يحسبونهم للنفادِ

إنما يُنقلون من دار أعما ل إلى دارِ شِقوَة أو رشادِ
ضجعةُ الموت رقْدَةٌ يستريح الـــجسمُ فيها والعيش مِثلَ السهادِ

ومنها :

بَانَ أَمرُ الإلٰهِ واختلف النا س فداعٍ إلى ضلالٍ وهادِ
والذى حارت البريةُ فِيهِ حيوان مُستَحْدثٌ مِن جمادِ
فاللبيبُ اللبيبُ من ليس يَغتـــر بِكونٍ مَصيره للفسادِ

وله :

ضحكنا وكان الضحك مِنا سَفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تُحَطِّمنا الأَيام حتى كأَننا زُجاجٌ ولكن لا يُعاد لنا سبكُ

(١٢) ابن خفاجى الأَندلسى

هو أَبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجى (شاعر شرقى الأَندلس) وأَشهر وُصَّاف الطبيعة . ولد بجزيرة شَقر من أَعمال بلنسية شرقى الأَندلس سنة ٤٥٠ هـ ، فتعلم ونظم الشعر ، وكتب الرسائل الإخوانية البليغة ، وما زالت شمسُ أَدبه فى صعود حتى صار واحد زمانه فى الأَندلس ، وغلب على شِعرِه وصف الحوادث الجوية ، ومناظر الطبيعة بأَخيلة جميلة وتشبيهاتٍ بديعة . وله غزلٌ رقيقٌ ، ومدح بارع ، ورثاء بليغ .

شعره : يمتاز بالجزالة وكثرة المعانى وازدحامِها فى اللفظ ، حتى يحتاج فى فهمها إلى التأَمل على خلاف مذهب الأَندلسيين . وتوفى سنة ٥٣٣ هـ .

ومن قوله يصف زهرة :

ومَائِسةٌ تُزْهى وقد خلع الحيا عليها حلى حُمرًا وآرية خُضرا
يَذوبُ لها ريق الغمائمِ فِضة ويجمُدُ فى أعطافها ذهبًا نضرا

وقوله :

يا أَهْلَ أَنْدلس لِلهِ دَركم ماءٌ وظلٌّ وأَنْهار وأَشجار

ما جنةُ الخلد إلا فى دياركم ولو تخيرت هذى كنتُ أختارُ
لاتحسبوابعدذا أنتدخلواسقرًا فليس تدخلُ بعد الجنة النارُ

وقال فى ذم علماءِ السوءِ من المسلمين والنصارى :

درسُوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس
وتَزهدوا حتى أصابوا فرصةً فى أخذ مال مساجدٍ وكنائِسِ

(١٣) الطغرائى (١)

هو مؤيد الدين الأُستاذ العميد فخر الكتاب أَبو إسماعيل الحسين بن محمد الطغرائى ، صاحب (لامية العجم) وهو أَصبهانى الأَصل ، برع فى الكتابة والشعر حتى كان أَوحد زمانه ، ولم ينبغ بعده فى الشرق من يُضاهيه ، وترقَّت به الحال فى خدمة سلاطين آل سلجوق إلى أَن صار وزيرًا للسلطان مسعود بن محمد السلجوقى صاحب الموصل ، ولما قهره أَخوه السلطان محمود كان أَول من اعتقل الوزير أَبو إسماعيل الطغرائى ، فدسَّ بعض حسدته من رؤساءِ الكتاب إلى السلطان محمود أَنه ملحد ، فقتله ظلمًا سنة ٥١٣ هـ .

ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عيون الشعر ، وقد كان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ هـ .

(١٤) البهاءُ زهير

هو الوزير الشاعر الكاتب أَبو الفضل بهاءُ الدين زهير بن محمد بن على المهلبى الأَزدى المصرى ، صاحب السهل الممتنع ، والغزل الرقيق ، والعتاب الرفيق .

ولد بوادى نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ، ونشأَ بمصر ببلدة قوص ، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أَيوب ، وخرج معه فى خدمته إلى بلاد الشام والجزيرة ،فلما نُكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضوائهم إلى ابن عمه الملك

(١) الطغرائى من يكتب الطغراء (وهى الطرة) وكانت تكتب فى الدولة السلجوقية فوق البسملة بخط معلق فيهـا نعـوت السـلطان وألقـابه .

الناصر، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله، حفظ البهاء عهد صاحبه، ولم يخدم غيره، وأقام بنابلس حتى استردَّ الصالحُ ملك الديار المصرية فقدم إليها فى خدمته، واتخذه وزيرًا ــ حتى مات بوباء فى شوال سنة ٦٥٦ هـ.

شعره: كانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره الذى هو أسهل نظمًا ولفظاً.

الرواية والرُّواة

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية، واختص كل فريق من الناس برواية شىء ــ فلما دوِّنت الكتب فى عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه فيها، وأخذ أمر الرواية يضمحل شيئًا فشيئًا فى أكثر العلوم، ولا سيا الأدب ثم اقتصر فى الرواية على تصحيح النطق والأداء ــ ولكل رواةٌ مشهورون.

وأما رُواة الأدب والشعر خاصة فأشهرهم «حماد» الراوية الكوفى (وخلف الأحمرُ البصرى) وأبو عمرو الشيبانى الكوفىُّ، والسكرى البغدادى.

ومن رُواة الأدب بجميع فنونه لغة وشعرا وأخبارًا ــ أبو عمر بن العلاء وأبو عبيد معمر بن المثنى، والأصمعى، وأبو زيد الأنصارى، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن سلام الجمحى، وغيرهم؛ وهاك ترجمة أشهرهم فى الرواية:

الأصْمعى

هو شيخ رُواة الأدب، الإمام الثبت الحجة الثقة التقىُّ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع الباهلى البصرى.

ولد سنة ١٢٣ هـ ــ ونشأ بالبصرة، فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة، وأخذ عن فصحاء الأعراب، وأكثر الخروج إلى البادية، وشافه الأعراب وساكنهم، وتعلم من (خلف الأحمر) نقد الشعر ومعانيه، وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة: إنى أحفظ اثنى عشر ألف أرجوزة، فقال له رجل: منها البيت والبيتان، فقال: ومنها المائة والمائتان، وعَمر حتى أدرك زمن «المأمون» وأراد وزيره أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن، ومات سنة ٢١٦ هـ، وله مؤلفات كثيرة

العصر الرابع عشر : الدول المتتابعة التركية ٦٥٦ ــ ١٢٢٠ هـ

حالة اللغة العربية وآدابها فى ذلك العصر

لما اكتسح التَّتار مملكة الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا وشرقى أَوربا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أَسلموا ، وشرعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم ، وترغيبهم فى التأْليف ، فأَفاد ذلك فى إدامة الحركة العلمية فى الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العُجْمَة منهم ، أَما علوم العربية وآدابها فلم يكن لها مَباءَة ترجع إليه إلا البلاد العربية كالشام ومصر ، غير أَن اللغة التركية العثمانية أَصبحت هى الغة الرسمية للأَعمال الديوانية والسياسية فى جميع الممالك العثمانية ، فزاحمت اللغة العربية ودخل فى اللغة أَثناءَ دولتى المماليك والعثمانيين كثير من الأَلفاظ التركية والفارسية .

النثر ــ لغة التخاطب

كادت تحل محل اللغة العامية العربية (فى أَعالى الجزيرة وشرقى العراق) اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشيء من الأَلفاظ العربية .

أَما فى بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع لغلبة العناصر العربية فيها ، ثم أَخذت العناية بها فى الانحطاط

الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أَواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجمع والأَعياد ، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات ، وبقيت لغة الخطابة اللهجة العربية وحدها ، أَو مع الترجمة إلى الأَعجمية .

الكتابة ، الكتابة الخطية

درج الخط فى هذا العصر فى الطريق التى مهدها ابن مُقلة ، وابن البواب وياقوت الملكى ، وياقوت المستعصمى ، واستعملت فيه أَكثر أَنواعه ، وما زال

الخط يجرى فى مضماره ، حتى قبض على عنانه مُتكمسبو الترك العثمانيين ، فأَبدعوا فى تحسينه مما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق ، ومن أَشهرهم الشيخ حمد الله الأَماسى إمام الخطاطين العثمانيين ، وجلال الدين ، ودرويش على ، والحافظ عثمان المتوفى سنة ١١١٠ هـ .

الكتابة الإنشائية ـ كتابة الرسائل

اتبعت فى كتابة الرسائل أَثناءَ هذا العصر طريقة القاضى الفاضل التى أَساسها المعانى الخيالية ، والتزام السجع والمحسنات البديعية ، وعضد هذه الطريقة من كتاب هذا العصر ـ شهاب الدين محمود الحلبى المتوفى سنة ٧٥٥ هـ ـ ومحيي الدين بن عبد الظاهر وابن فضل الله العمرى وأَولاده ، وبقيت هذه الطريقة مرعية فى مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك ، وصدر حكومة العثمانيين ، ولما غلبت التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأَصبحت رسمية فى الحواضر والأَمصار أَخذ شأن الكتابة العربية فى الاضمحلال .

الكُتَّاب

(١) القاضى محيي الدين عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامى المصرى ، ولد سنة ٦٢٠هـ ، ورباه والده ، وبرع فى كتابة الرسائل ، سالكا طريقة القاضى الفاضل ، وخدم فى ديوان الإنشاءِ مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه ، وبعض أَيام المنصور قلاوون ، ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الله من واضعى اصطلاح الإنشاءِ ونظام ديوانه الذى ظل مرعيًّا فى مصر والشام حتى نسخه النظام التركى العثمانى ، وتوفى سنة ٦٩٢ ، وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن فى تعزيته على موت ابنه ، ويظهر التجلد على فقده :

ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، لا نأسف معه على فائت ، ولا نأسى على مفقود ، وإذ علم الله (سبحانه وتعالى) حسنَ الاستنابة إلى قضائه ، والاستكانة إلى عطائه ، عوض كلَّ يوم ما يقول المبشر به ، هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغلظ. أكبادًا ممن له قلب ، لايبالى بالصدمات كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقرت أو جلت ، ولا بالأزمات إن هى توالت أو تولت ، ولا بالجفون إن ألفت ما فيها من الدموع والهجوع وتخلت ، ويخافُ من الدهر من لاحلبَ أشطره ، ويأسفُ على الفائت من لايأتِ الخطوب الخطرة ، على أن الفادح يموت الملك الصالح (رضى الله عنه) وإن كان منكباً ، والنافح بشجوه ، وإن كان مبكياً ، والنائح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسف مذكياً ، فإن وراءَ ذلك من تثبيت الله عز وجل ما ينسفهُ نسفا ، ومن إلهامه الصبرُ مايجدد لتمزق القلوب مابه ترفا ، وبكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحا .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمرى

هو الشاعر الكاتب المصنف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيي بن فضل الله العمرى ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب (مسالك الأبصار) ولد بمدينة دمشق سنة ٤٠٠ هـ ؛ وتفقه وتأدب على أبيه وغيره وتوفى سنة ٤٧٩ هـ ومن إنشائه فى وصف (قِط. زباد) من رسالة طويلة : « (وقط. الزباد) الذى لا تحكيه الأسود فى صورها ، ولا تسمح غزلانُ المسك بما يخزُنه من عرفه الطيب فى سررها كم تنقل فى بيوت طابت موطناً ، ومشى من دار أصحابه فقال : (ربنا عجل لنا قطنا) »

(٣) لِسان الدين بن الخطيب

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف

بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأَحمر ملوك غرناطة ، وكان وزيرا لأَبى الحجاج يوسف ولد سنة ٧١٣ ﻫ بمدينة غرناطة ، وتأَدب وتفقه واجتمع له من الحكمة والأَدب ملكة يلذ بها أُدباءُ الأَندلس كتابة وشعرا وتصنيفاً وسياسة ، ومات مقتولا سنة ٧٩٠ ﻫ .

ومن قصار رسائله : رسالة فى الشوق ، كتبها إلى ابن خلدون ، وهى بعد الديباجة : أَما السوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأَما الصبر فصل به أَية درج ، بعد أَن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدَّة تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الأَرج ، وأَنى بالصبر على إبر الدَّبر ؟ ومطولة اليوم والشهر ، حتى حكم القهر ، وهل للعين أَن تسلو سلو المقصر ، عن إنسانها المبصر ؟ أَو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائى والمشاهد . وفى الجسد مُضغة يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ؟ وإذا كان الفراق هو الحمام الأَول ، فعلام المعول ؟ أَعيت مراوضةُ الفراق على الراق . وكانت لوعة الاشتياق أَن تفضى إلى السياق :

تركتمونى بعد تشييعكم أَوسع أَمر الصبر عصيانا
أَقرعُ سنى ندماً تارة وأَستميح الدمع أَحياناً

التدوين

أَلف علماءُ هذا العصر تـآليف جمة أَخلفت على العربية بعض ما أَباده التتارُ والصليبيون من الكتب النفيسة . ويرجع أَكثر الفضل فى ذلك إلى علماءِ العصر والشام وجالية الأَندلس . أَما أَعاجمُ المشرق وإن أَلفوا فى العلوم الإِسلامية والفلسفة فإن تـأْثير بيئتهم الأَعجمية جعل كتبهم صعبة التناول ، ضعيفة الأَثر .

الأَدب

قد كان لأُدباءِ القاهرة من الكتاب السبقُ فى وضع الكتب الجامعة التى

تبحث فى عدة علوم أدبية أو ملحقة بها ، ومن هؤلاء : شهاب الدين النوَيرى صاحب نهاية الأَرب ، وابن فضل الله العُمرى صاحب مسالك الأَبصار ، وشهاب الدين القلقشندى صاحب صبح الأَعشى . وممن أَلف فى الأَدب بمناح مختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والعرر ، وشهاب الدين الحلبى صاحب منازل الأَحباب ، وحسن التوسل إلى صناعة الترسل ، وشهاب الدين أَحمد الأَبشيهى صاحب المتطرف ، والنواجى صاحب حَلبة الكميت .

بقية العلوم الإسلامية

لما أَباد التتار بقية العلماء والنحاة فى الشرق ، كاد أُفق المشرق والشام ومصر يصفو من النحاة وأَهل اللغة ، لولا أَن تداركها الله بدخول التتار فى الإسلام ومعاضدتهم هم والدول التى خلفتهم للعلم والعلماء ، بجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأَندلس والمغرب قبيلَ حادث التتار وبعده كابن مالك والشاطبى وأَبى حيان وابن منظور الإفريقى ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أَفاضل كانوا كواكب العصور المتأَخرة فدوَّنوا العلم وحفظوه لمن أُتى بعدهم ممن نشأُوا فى العصور المظلمة .

كتابة التدوين والتصنيف

أَما كتابة التدوين فكانت فى المتون ونحوها موجزة جدًّا ، وكانت فى الشروح والمطولات مبسوطة . ومن أَشهر المؤلفين فى هذا العصر : ابن خلكان ، وابن خلدون ، والسيوطى ، وابن مكرم ، والفيروزابادى ، وعز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ـ وابن حَجر العسْقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ـ وابن هشام النحوى المتوفى سنة ٧٦١ هـ ـ ولسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ـ وسعد الدين التفتازانى سنة ٧٩١ هـ ـ والسيد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ـ والشهاب الخفاجى .

(١) ابن خلكان

هو قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبى إبراهيم بن أبى بكر خلكان الإربلى ولد سنة ٦٠٠ ﻫ بمدينة إرْبل ، وأقام بها إلى سنة ٦٢١ ﻫ ، ثم رَحل إلى حلب ومكث بها سنين ، ثم عاد إلى دمشق ، وأقام بها مدة ، ثم أقام بمصر ، وتولى القضاء بها وفيها ألف أكثر تاريخه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام ــ إلى أن مات سنة ٦٨١ ﻫ . ثم تمم عليه محمد بن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ ﻫ كتابه (فوات الوفيات) .

(٢) ابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ولد بتونس سنة ٧٣٢ ﻫ ، وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن أكابر العلماء ، وقرأ الكتب العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب ، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطر شاربه ، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بنى الأحمر ، فحظى عندهم .

وألف تاريخه فى خلال أربعة أعوام ، ومقدمته التى لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج ، فدخل مصر سنة ٧٨٤ ﻫ ، زمن سلطانها برقوق ، ثم استقدم أهله وولده من المغرب ، فغرقت بهم السفينة ، فأقام بمصر حزينًا ، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ ﻫ إلى أن مات سنة ٨٩٨ ﻫ .

(٣) جلال الدين السيوطى

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخضيرى السيوطى ، ولد سنة ٨٤٩ ﻫ ، ونشأ يتيما وحفظ القرآن وعمره دون الثمانى ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته ، وابتدأ فى التصنيف وسنه ١٧ سنة ، ثم لازم الأشياخ وطلب العلم فى بقاع الأرض ، ونبغ فى كثير من العلوم ، وتولى التدريس والإفتاء ، ولم يكن أشهر منه فى زمنه وقد ترك للناس أكثر من ثلثمائة مصنف وتوفى سنة ٩١١ ﻫ بالقاهرة .

الشعر

لما كان أكثر الملوك والأمراء فى هذا العصر أعاجم بالفطرة كان ميلهم إلى الشعر العربى غير طبيعى ، ولذلك انقرض الشعر العربى من أواسط آسيا ، وبقيتْ صبابةٌ منه بالعراق والجزيرة ، وبقى على شىء من الرونق فى الشام ومصر والأندلس والمغرب . غير أنه قل التكسب به فيها ، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة فى الدواوين صناعة ، واستعملوا الشعر فى تملق الملوك والرؤساء وفى إظهار التفصح والتسلية ، فهجر قوله فى الأغراض الهامة ، وعُدِل به إلى أغراض أُخرى .

الشعراءُ

ظهر فى هذا العصر شعراءُ كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الأنصارى المتوفى سنة ٦٦٢ هجرية : وجمال الدين بن نباتة المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية ، وشهاب الدين التلعفرى المتوفى سنة ٦٧٥ هجرية ، والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٩٥ هجرية ، والإمام البوصيرى المتوفى سنة ٦٩٥ هجرية وابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية ، وأبو بكر بن حجة الله المتوفى سنة ٨٣٧ هجرية ، وصفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ هجرية ، وفخر الدين بن مكانس المتوفى سنة ٨٦٤ هجرية ، وابن ممتوق الموسوى المتوفى سنة ١١١١ هجرية .

١ ــ البوصيرى

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى البوصيرى ، صاحب البردة والهمزية ، ولد بدلاص ، ونشأ ببوصير ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب ، فقال الشعر البليغ فى جده وهزله ، ومن شعره الجيد قوله فى بردته :

أمِن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعًا جرى فى مقلة بدم

أَم هبت الريحُ من تلقاءِ كاظمة   وأَومض البرقُ فى الظلماءِ من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم
أَيحْسَبُ الصب أَن الحب منكتم   ما بين منسجم منه ومُضطرم

ومنها :

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على   حبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هوَاهَا وحاذر أَن توليه   إن الهوى ما تولى يصْم أَو يَصِم
وراعِها وهى فى الأَعمال سائمة   وإن هى استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرءِ قاتلة   من حيث لم يدرِ أَن السم فى الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع   فرب مخمصة شر من التخم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأَت   من المحارم والزم حمية الندم

ومن قصيدته الهمزية فى مدح النبي عليه الصلاة والسلام التى أَولها :

كيف ترقى رُقِيك الأَنبياءُ   يا سماء ما طاولتها سماءُ
يُسَاوُوك فى عُلاكَ وقد حا   ل سنًا منك دونهم وسناءُ

وتوفى البوصيرى سنة ٦٩٥ هـ بالإسكندرية ، وقبره بها مشهور يزار .

٢ – صفِيُّ الدين الحِلِّى

هو عبد العزيز بن على الشهير بابن سرايا الطائى الحلى شاعر الجزيرة .

ولد سنة ٦٧٧ هـ ونشأً بمدينة الحلة من مدن الفرات ، فتأَدب ونظم الشعر وتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، ويعتبر صفى الدين من أَئمة البديع المبتدعين فى أَنواعه المغالين فى استعماله من شعورهم بلا كثير تكلف ، وهو أَول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأَنواع البديع المسماة بالبديعيات ، مثال بردة البوصيرى ومن قوله فى الأَدب :

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن   عجلا بنطقك قلما تتفهم
لم تعط مع أُذنيك نطقا واحدًا   إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

وله :

بقدر لغات المرءِ يكثُرُ نفعه فتلك له عِند الشدائد أعوانُ
تهافتْ على حِفظِ اللغات مجاهدا فكل لِسان فى الحقيقة إنسانُ

٣ ـ ابن نُباتة المصرى

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نُباتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك ، ولد سنة ٦٨٦ ﻫ ونشأً بالقاهرة ومات سنة ٧٦٧ ﻫ ، ومن شعره قوله :

يا مشتكى الهمِّ دعْه وانتظر فرجاً ودارِ وقْتك من حِينٍ إلى حِينِ
ولا تُعانِدْ إذا أصبحت فى كدَرٍ فإنما أنت من ماءٍ ومن طِين

٤ ـ ابن معتوق الموسوى

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوى ، شاعر العراق فى عصره ، وسابقُ حلبته فى رقة شعره ، ولد سنة ١٠٢٥ ﻫ ونشأً بالبصرة .

وابن معتوق من كبار شعراءِ الشيعة ، مدح عليا والشهيدين بما يخرج عن حد الشرع والعقل ، ومات سنة ١١١١ ﻫ .

ويمتاز شعره بالرقة وكثرة المجازات ، حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جملة .

العصر الخامس : عصر النهضة الأخيرة

محمد على ـ سنة ١٢٢٠ ﻫ

قدم « محمد على » إلى مصر ضابطاً فى الحملة التى وجهتها تركيا لإخراج الفرنسيين من مصر ، وكان راجح العقل ، استطاع أن يجمع حوله أعيان المصريين وكبار علمائهم بلطف معاملتهم وحُسن معاشرتهم ، فأَحبوه وآثروه ، وأعانوه على الحكومة التركية حتى قلدته ولاية مصر وهى لذلك كارهة .

وكان أول هم لمحمد على فى ولاية الحكم أن يتخلص من المماليك ، فأوقع بجمهرتهم فى القلعة سنة (١٨١١ م) .

بعد ذلك وجه همته إلى أن ينشئ جيشا له كل ما للجيوش الحديثة ، فأنشأ فى قصر ابن العينى مدرسة حربية إعدادية سنة ١٨٢٥م وجمع فيها التلاميذ من طوائف مختلفة إلا المصريين ، غير أن هذه التجربة أخفقت فاضطر إلى أن يجعل أكثر التلاميذ بعد من المصريين ، وكانت لغة التعليم الأساسية هى التركية ، وكانت تدرس إلى جانبها العربية وغيرها ، وكان قد سبق فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الأوربية لدراسة الفنون الجندية .

ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب فى جهة أبى زعبل من ضواحى القاهرة ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين .

مدرسة الطب

علمت أن همة محمد على اتجهت بادى الأمر إلى إنشاء جيش منظم مجهز بجميع الوسائل الحديثة ، ولم يكن فى مصر إلى ذلك الوقت أطباء اللهم إلا نفر قليل من الإفرنج لتطبيب مرضى الجاليات الأجنبية ، وكانت إذا نشِبت المعارك الحربية يدعى بالحلاقين ليأسوا الكلوم ويضمدوا الجروح ، لهذا عمد محمد على إلى إنشاء مدرسة طبية بجهة أبى زعبل فى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦م) يقوم بإزائها مستشفى كبير ، ودعا لها بأساتذة من الإفرنج ، وكان التعليم فى هذه المدرسة شاقاً مجهداً ، فإن أساتذتها لم يكونوا يعرفون العربية ، وطلابها لا علم لهم باللغات الأفرنجية فدعت هذه الضرورة إلى أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون .

إيقاظ محمد على الشرق بحسن بلائه فى السياسة والحرب .

استمكن سلطان محمد على بما أعد من جيش قوى فى البر ، وأسطول عظيم فى البحر ، وعلم عال يأخذ به أبناء البلاد ، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مما يرد من الغرب ، ومشروعات للرى ضاعف بها استثمار الأرض ، وغير ذلك من وسائل

الإصلاح ، ولقد استعانت به تركيا فى إخماد الفتن فى أطراف بلادها ، كما استعانت به فى حروبها مع الدول الأُخرى ، كما تمكن بجيشه من فتح السودان كما اقتطع شطرا من أملاك تركيا بعد أن شجر الخلْف بينه وبينها ، وكاد يظفر بحاضرة مُلكها لولا أن تـألَّبت عليه الدول الأُوربية وحُلْن بينه وبين غايته .

أما الأُسطول الضخم الذى بناه محمد على ، فقد أحرقته تلك الدول غيلة فى واقعة (نافارين) .

ولقد أتى بالعلماء والأَساتذة وأهل الفنون من أُوربا ، وبعث البعوث إلى بلادها ، وأقام المدارس فى مصر على نهج مدارسها ، وتقدم بترجمة ما يُحتاج إليه فى وسائل الحياة المختلفة ، وبهذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب .

إسماعيل وإتمامه بناء جدّه

قبض محمد على باشا فى سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩م) بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثها فيها من الموت بعثاً ، وأنهضها نهضة قوية تلفَّتت لها وجهُ التاريخ ، وما كاد المُلك يصيرُ إلى حفيده عباس الأَول حتى خبت تلك النهضة فأُغلقت المدارس ، وعُطلت المصانع وفترت تلك الحركة العظيمة التى تناولت جميع مرافق الحياة فى البلاد ، وكذلك كان شأْنُ خلفه سعيد ابن محمد على طول أيام حُكمه ، حتى إذا انتهت ولايةُ مصر فى سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٣ م) إلى إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد على تـأثر فى سبيل الإصلاح بخطى جده العظيم وراحَ يُتِمُّ ما بُنِىَ لمجدِ مصر ، ونهض بوجوه الإصلاح التى تقوم عليها الثروة والقوة والعلم والعظمة فى كل البلاد .

مظاهر النهضة الحديثة فى العلم والأَدب ؛

لم يكن للبَعوث العلمية التى أوفدها محمد على فى مُبتدأ الامر إلى أَوربا شأْن جليل ، وأَولها كان فى سنة (١٨١٣م) على أنه مابرح يُوالى إرسال البعوث

حتى كانت سنة١٢٤٢هـ(١٨٢٦م) إذ أوفد إلى أوربا بعثة عظيمة يزيدُ عددُ طلابها على الأربعين ، أحرزوا قبل سفرهم قدرًا صالحاً من التعليم والتثقيف ، وظل بعد هذا يُوفد البعوث العلمية إلى مختلف البلاد الأوربية للتبحر فى العلوم والفنون ، ولم يَقْنَع بهذا بل أقام فى باريس نفسها (مدرسة) جمعت نحو الأربعين طالباً ، فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده .

الترجمة والتأليف

كان أول عهد مصر بالترجمة فى هذا العصر ، ما قام به أولئك المترجمون الذين جاء بهم محمد على ليودُّوا بالعربية إلى طلبة مدرسة الطب ما كان يُلقيه عليهم أساتذتهم من الدروس باللغة الأجنبية ، فلما أخرج بعض هؤلاء الأساتذة بلغاتهم كتباً ورسائل فى فنون الطب ، وأُريد ترجمتها إلى العربية جاء محمد على بطائفة ممن تفقهوا فى العربية لمعاونة أولئك المترجمين على تحرير العبارة وضبط المصطلحات العلمية ، بقدر ما اتسع له علمهم بالعربية ، وما عثروا عليه من مصطلحاتهم ، وكان هذا عملا شاقاً مضنياً .

وكانت جمهرة المترجمين أول الأمر من الأطباء ، لأن الطب أوَّلُ العلوم الحديثة التى عُنىَ بدراستها فى مصر بعد العلوم الحربية ، ثم توالت الترجمة فى العلوم والفنون الأخرى على يد من تخرَّجوا فيها من الطلاب .

أما التأليف فى العلوم الحديثة فكان فى مبتدأ الأمر ضئيلا ، وكان أكثره من وضع الأجانب الذين جاء بهم محمد على ليبتغى بهم وسائل الإصلاح المنشود .

على أن المصريين قد جعلوا يُقبلون على مُعالجة ، وخاصة من عهد إسماعيل حتى بلغ اليوم غاية محمودة ، وما زالت البلاد تتطلع منها إلى المزيد[1] .

---

(١) ومن أبرع من برعوا (فى أثنـاء هذه النهضـة) فى التـأليف والترجمة فى فنون الطب والصيدلة ، مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم ، إبراهيم بك النبراوى ١٢٧٩ هـ (١٨٩٧ م) وأحمد بك حسن الرشيدى =

حالة اللغة العربية وآدابها فى هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية فى أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال ، فلما استولى محمد على باشا على مصر رأى — كما علمت سابقاً — أن يُربِّى من يكون خيرَ واسطة لنقل المعارف الأوربية اليها ، فبعث إلى أوربا بثلاثة بعوث علمية ، فى أزمنة مختلفة ، كوّنت بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط ، فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة فى العلوم المختلفة ، فأحدث ذلك فى اللغة العربية انقلاباً عظيما ،

= ١٢٧٢هـ (١٨٦٥م) ، ومحمد على باشا البقلى ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) واحمد بك ندى ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) وسالم باشا سالم ١٣١١هـ (١٨٩٣م) ، ومحمد الدرى باشا ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) ، وممن برعوا كذلك فى العلوم الرياضية ترجمة وتأليفا محمد بك بيومى ١٢٦٨هـ (١٨٥١م) ، وتهجت باشا ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) ، ومحمود باشا الفلكى ١٣٠٣ (١٨٨٥م) ، وشفيق بك منصور ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) ، ومختار باشا المصرى ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) ، واسماعيل باشا الفلكى ١٢١٩هـ (١٩١١م) .

ومن خير من الفوا فى العلوم المختلفة فى صدر هذه النهضة : الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) ، والشيخ شهاب الدين المصرى ١٣٧٤ هـ (١٨٥٧م) ، ورفاعة بك رافع الطهطاوى ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣م) ومحمد قدرى باشا ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥م) ، وأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥ هـ (١٨٧٨م) ، والشيخ عبد الرحمن نجا الأبيارى ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) ، والشيخ حسين المرصفى ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) والشيخ محمد بيرم ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) ، وعلى مبارك باشا ١٣١١هـ (١٨٩٣م) ، والشيخ محمد العباسى المهدى ١٣١٥هـ (١٨٩٩م)، وعثمان بك جلال ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م)، وأمين فكرى باشا ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) ، والشيخ ابراهيم اليازجى ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥م) وقاسم بك أمين ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨م) ، وعمر بك لطفى (١٩١٤م) وعلى ابو الفتوح المتوفى سنة (١٩١٣م) ، ومحمد بك النجارى ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) ، واحمد فتحى زغلول باشا ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) ، وجرجى زيدان بك (١٩١٤م) واسماعيل سرهنك باشا (١٩٢٤م) ، والشيخ محمد بك الخضرى (١٩٢٦م) .

ولا شك فى أن هذه النهضة الحديثة مدينة فى مستهلها لشيخ المترجمين على الاطلاق رافع بك كما أنها مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين المصلح العظيم على مبارك باشا .

واكتسبت من سعة الأَغراض والمعانى والأَلفاظ العلمية والأَساليب الأَجنبية وطرق البَرْهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة ، ورأى الأُدباء أنه صارت لهم دولة منظمة مُتحضرة تتقبل منهم بقبول حَسَن كل مايحسبونه نتيجة كَدهم ، وثمرة أَفكارهم ، فالتفوا حولها ، وصار أَيضاً للدولة كُتَّاب وشعراءُ ومُنشئون ، ومن الأَسف أَن هذه النهضة لم يستمر سيرها فى مصر كما استمر فى الشام بل ركدت ريحها فى زمن عباس باشا الأَول ، وزمن سعيد باشا ، ثم تَنَسَّمت فى عصر إسماعيل وما لبثت أَن صارت رخاءً طيبة فأَعاد سيرة جده فى نشر العلم ، وظهرت ثمرة أَعماله فى حياته ، وكانت مصر تُوشك أَن تكون قطعة من أوربا .

النثر ـ المحادثة ـ أَو لغة التَّخاطب

كانت العاميَّة فى أَوائل هذه العصور غاية فى الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين ، ودخل فى عبارتهم كثير من الفصيح ، انتقل ذلك لمعاشريهم من الأُميين ، وبعض النساء ، ومما ساعد على ذلك جعْلُ التقاضى باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات .

الخطابة

كان المصريون والسوريون فى أَوائل هذا العصر لايستعملون الخطابة فى غير الأَغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأَفكار فى عصر إسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجىءالسيد جمال الدين الأَفغانى إلى مصر ،والتفَّ لفيف حوله من أُدباء المصريين والسوريين ، فأَدخلهم فى عداد جمعيته ، وأَلفَ منهم أَندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها من الأُمور الدينية والسياسية والاجتماعية ، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر ، وفشت بعد عصر إسماعيل فى زمن توفيق باشا وعباس حلمى باشا ، ومن أَشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم المتوفى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦م) والشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥م) ومصطفى كامل

المتوفى عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨م) وسعد باشا زغلول المتوفى عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٧م) والشيخ عبد العزيز جاويش باك المتوفى عام١٩٢٧م وغيرهم ، حتى بلغت الخطابة فى عصرنا هذا مبلغاً عظيما .

الكتابة الخطية

وقف الخط فى سبيل تقدمه على الحد الذى رسمته له الطبقة الناشئة فى القرن العاشر ، والحادى عشر ، والثانى عشر : من خطّاطى الترك ، وكل من نشأً بعدهم فإنما هو متبع طريقتهم. وأشهرهم . عبد الله زهدى ، وهو الذى خط بالقلم الجليل جدران المسجد النبوى ، وجدران سبيل والدة عباس باشا الأول بالصليبية بالقاهرة ، ومحمد مونس أفندى ، وتخرَّج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطى قطرنا المصرى .

الكتابة الإنشائية

مضى العصر المتقدِّم وليس لكتاب الدواوين فى أواخره شأن يُذكر ، لجعل التركية هى اللغة الرسمية ،وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير فى الممالك العثمانية إلا قليلا ، وشرعت تتغير فى مصر ، ثم لما انشئت المدارس النظامية ، نشأت طبقة من كُتاب الدواوين رقُّوا كتابتها ، وقد هجر السجع الذى أكثر منه الأقدمون إلا أن (عبد الله باشا فكرى) أشهرَ المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألَمَّ به فى كثير من مكاتباته الرسمية . وقد سبق كثير من رسائله فى فن المكاتبات ، أما كتابة التأليف والصحف فأخذت تنحُو منحى كتابة ابن خلدون فى مقدمته ، ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير (الوقائع الرسمية) والإشراف على تحرير الجرائد ترقت كتابتها كثيرا ، ودرجت فى سبيل التقدم إلى الآن .

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التى أُلفت أو ترجمت فى مصر علمية ، لشدة احتياجها لها ، أما سوريا فكانت حالة الأدب فيها فى النصف الأول من العصر الحاضر خيرا منها

فى مصر ، ولكن مصر نهضت فى النصف الثانى ، واسترجعت حياتها الأدبية ، وأُدخلت دراسة أدب اللغة فى مدارسها ، وألف فيه عدة كتب ، وانحط شأن سوريا فى العربية فلم ينبغ فى اللغة من السوريين فى السنوات الأخيرة من يضارع سابقيهم ، ومن أشهر العلماء الأزهريين فى هذا العصر : الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المتوفى فى ١٢٤٠ (١٨٢٥م) والشيخ حسن العطار المتوفى فى ١٢٥٠ (١٨٣٤م) ومن غير الأزهريين من أهل النهضة الحديثة : رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلى مبارك باشا المتوفى فى ١٣١١ (١٨٩٣م) وجمال الدين الأفغانى المتوفى فى ١٣١٤ (١٨٩٧م) وجورجى بك زيدان المتوفى فى ١٣٣١ (١٩١٤م) وأحمد فارس الشدياق اللبنانى المتوفى فى ١٣٠٥ (١٨٨٧م) والدكتور يعقوب صرّوف صاحب مجلة المقتطف المتوفى فى١٣٤٦ (١٩٢٧م) وولى الدين بك يكن المتوفى فى ١٣٢٩ والشيخ محمد عبد المطلب المتوفى فى ١٣٥٠ (١٩٣١م) والشيخ محمد بك الخضرى المتوفى فى (١٩٢٦م) والشيخ أحمد مفتاح المتوفى فى ١٣٢٩ وفتحى باشا زغلول المتوفى فى (١٩١٤م) والشيخ نجيب الحداد المتوفى فى (١٨٩٩م) وعبد الله باشا فكرى ، والشيخ حسين المرصفى المتوفى فى ١٣٠٧ (١٨٨٩م) والشيخ ناصف اليازجى المتوفى فى ١٢٨٧ ، وإبراهيم بك المويلحى المتوفى فى ١٣٣٣ ، ومحمد بك المويلحى المتوفى فى (١٩٣٠م) وقاسم بك أمين المتوفى فى ١٣٢٦ ، والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى المتوفى فى (١٩٢٤) والشيخ إبراهيم اليازجى المتوفى فى ١٣٢٣ (١٩٠٦م) وحفنى بك ناصف المتوفى فى ١٣٣٧ والشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى فى ١٣٣١ (١٩١٣م) وأديب إسحاق المتوفى فى ١٣٠٣ (١٨٩٢م) ومصطفى بك نجيب المتوفى فى ١٣٣٠ وإسماعيل باشا صبرى ، وبطرس البستانى المتوفى فى ١٣٠١ (١٨١٣م) وسليم باشا تقلا المتوفى فى ١٣١٠ (١٨٩٢م) .

وهاك ترجمت بعض زعماء النهضة الحديثة :

(١) رفاعة بك الطهطاوى المتوفى سنة ١٢٩٠ ه

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعة بك الحسينى الطهطاوى ، شيخ المترجمين ، وإمام النهضة الحديثة ، ولد بطهطا من أسرة شريفة ، وتأدب وتعلم فى الجامع الأزهر ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش ؛ ولم يلبث أن اختاره محمد على باشا إماماً ومعلماً لأول بعث علمى أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ ه ، فراقته علوم أوربا وعظمتها فأكب بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ ه اختاره محمد على باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبى زعبل . واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار فى إنشاء جريدة «الوقائع المصرية» وتحريرها ثم نقل إلى مدرسة المدفعية (الطبجية) ثم صار مديرا لمدرسة الألسن والترجمة ، ثم انتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى إدارة مجلة (روضة المدارس المصرية) وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفى عام ١٢٩٠ ه تاركا لمصر كتباً ورجالا هم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألفه كتاب «نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز» .

(٢) عبد الله فكرى باشا المتوفى عام ١٣٠٧ هـ ــ ١٨٨٩ م]

عبد الله فكرى بن محمد بليغ الضابط ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهرى ، وهو من أركان النهضة الأدبية فى الديار المصرية . ولد عام عام ١٢٥٠ ه ، وأكب على تعلم علومه بالأزهر ، مشتغلا أيضاً باللغة التركية ، واستخدم من أجلها مترجما للعربية والتركية فى عدة مناصب ، آلت إلى نقله إلى حاشية سعيد ثم إسماعيل باشا ، فعهد إليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك ثم تقلب فى جملة مناصب آخرها نظارة المعارف عام ١٢٩٩ ه ، وبقى بها حتى زمن الثورة العربية . فسقط مع الوزارة ، واتهم فى الثورة فقبض عليه ، ثم اتضحت براءته فأطلق ورد إليه معاشه ؛ بعد أن استعطف الخديوى توفيق باشا بقصيدة طويلة وتوفى عام ١٣٠٧ ه (١٨٨٩ م) .

وكان فكرى باشا كاتباً بليغاً ، سلك فى كتابته طريقة كتَّاب القرن الرابع كالبديع الهمذانى ، والخوارزمى من التزام السجع القصير ، القليل التكلف ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصفى مدرس دار العلوم : (لو تقدم به الزمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان) .

(٣) على مبارك المتوفى عام ١٣١١ هـ ــ ١٨٩٣ م

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرِّخ المؤلف المترجم ، المربى العظيم على ابن مبارك بن سليمان بن إبراهيم مؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية .

ولد عام ١٢٣٩ هـ ، وكان والده يُرسله إلى مُعلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه ، وهَرب من المعلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتَّاب حتى عثر فى بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبى زعبل ، فصحبهم ودخل المدرسة ثم اختير فى جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العينى . وعمره ١٢ عاما ، ودرس الرياضة فبرع فيها فاختير طالباً بمدرسة الهندسة ، فأكمل فى خمسة أعوام دَرس فن الهندسة ، وأرسل إلى أوربا عام ١٢٦٠ هـ ليتمم علومه بها فمكث نحو أربعة أعوام درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدَّم لعباس باشا الأَول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبهُ وعهد إلى رياسة ديوانها ، فقام به خير قيام ، وألف بعض الكتب الدراسية ، فكان أول من نظم المدارس المصرية ، وتزاحمت عليه المناصب فكان مديرًا للسكك الحديدية وناظرًا للمعارف وللأشغال وللأَوقاف والقناطر الخيرية ، فقام بذلك جميعًا فى آن واحد خير قيام ؛ ومن أعماله العظيمة إنشاء دار الكتب وإنشاء مدرسة دار العلوم ليوفق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ومات عام ١٣١١ هـ ــ ١٨٩٢ م .

(٤) الشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ ــ ١٩٠٥م

هو المصلح الكبير المجتهد الكاتب الخطيب الإمام الشيخ محمد عبده

أحد أركان النهضة العربية وموسسى الحركة الفكرية ، ولد عام١٢٥٦ هـ بإحدى قرى مديرية الغربية ، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ، ثم رغب فى التعليم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدى ، ثم انتقل إلى الأزهر ونبغ فى علومه ــ ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغانى سنة ١٢٨٦ ، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة لزمهُ الشيخ محمد عبده ، وكان أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته ، والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ واختير سنة ١٣٩٥ مدرساً للأدب والتاريخ العربى بدار العلوم ، ومدرسة الألسن ، ثم اختير لإصلاح لغة (الوقائع المصرية) ثم صار رئيس تحريرها ــ وفى هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها ــ وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية ، ونُفى من مصر إلى سورية ، وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس ، فأنشآ معاً جريدة (العروة الوثقى) ثم عفا عنه الخديوى وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية ، ثم مفتياً للديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل فى إصلاحه ، وما زال كذلك حتى توفى سنة ١٢٢٣ .

(٥) الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ ــ ١٩١٧ م

هو الشيخ الوقور ، اللغوى ، الحجة ، التقى الشيخ حمزة فتح الله .

وُلد رحمه الله بثغر الإسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩م) ونشأ بها . وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم فى سلك طلبة العلم بجامع الشيخ إبراهيم باشا ــ ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن فى قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل ، وحفظ الغريب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، وأختير (فى منتصف العقد الثالث من عمره) محررًا فى إحدى الصحف التونسية فمكث هناك حوالى ثمانى سنوات اكتسب فيها الدُّربة على كتابة

الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر فوجد نار الثورة العرابية مستعرة ، فانضم إلى حزب الخديوى توفيق ، وكتب وخطب فى تأييده ، وبعد أن انتهت الثورة العرابية استخدم فى وزارة المعارف ، ومكث بها زهاء ثلاثين سنة ، متنقلا بين التفتيش والتدريس ، حتى مات سنة ١٩١٨ م .

علمه وأعماله : كان الشيخ كثير القراءة فى كتب اللغة ، والأدب ، والحديث ، شديد الحفظ والذكر ، قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعرا ، أو مثلا ، أو قصة ، وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكها على سنن العربية الفصيحة وهو أعلم من شاهدناه باللغة والأدب والصرف .

عهد إليه بالتدريس فى دار العلوم ، فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ والمبرد والقالى والمرتضى ، وأظهر ما كان ذلك فى (مواهبه الفتحية) .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية فى مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها ، فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدَّخيل ، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك فى كتابة التلاميذ ويتحفهم بمرادفة تارة ، ويرشدهم إلى المظان أخرى ، فيتنبه بذلك الغافل .

أخلاقه : كان الشيخ حليما رحيما ، تقيًّا ورعاً ، لا تأخذه فى الله لومة لائم .

وكان يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله خصهما بكل مزية .

مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته ، كتاب المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية وباكورة السلام فى حقوق النساء فى الإسلام ، ورسالة التوحيد ، وكتيب فى المفردات الأعجمية التى فى القرآن الكريم ، وغير ذلك .

شعره وكتابته : كان بدوى الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه ، وتراكيبه ، وأساليبه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء ، فمنه قوله :

كم جامح بالثريا راضه سفر ... فوق الثرى بين أكوار وأقتاب

إن الثواء ثواء والقصور قبو ر العاجزين ولا إبْراءَ للخابى
ومن بغى نيل مجد وهو فى دعةٍ فقد بغى من صفاة دَر أحلاب
والمرءُ فى موطن كالد رفى صدف والتِّبر فى معدنٍ والنَّبع فى غاب
والسيفُ مثل العصا لمن كان مُغتمدًا وزامرُ الحى لا يحظى باطراب
وأزهدُ الناس فى علم وصاحبه أدنى الأَحبة من أهل وأَصحاب

باحثةُ البادية السيدة ملك حِفنى ناصف المتوفاة سنة ١٣٣٧ ﻫ

هى : المفكرة ، الكاتبة ، الشاعرة ، السيدة ملك حفنى ناصف .

ميلادها ونشأَتها : ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م ؛ ولما ميزت أرسلها والدها إلى إحدى المدارس الأَولية ، ثم إلى المدرسة السنية فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهى أول سنة تقدمت فيها الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها فى قسمها العالى ، واختيرت مُدرسة فى مدارس البنات بالقاهرة ، وفى سنة ١٩٠٧ م تركت التعليم العلمى واشتغلت بالتعليم العملى فى بيت زوجها .

أَخلاقها وأَعمالها : كانت مدة دراستها خير نموذج لقريناتها ، من أَخلاق سامية ، وسريرة صافية ، ونفس أَبيَّة ، ومثابرة على العمل .

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لالسبب ، سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتى يتركن بُيوتهن إلى من لا يحسن القيام عليها والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن فى الفقر المدقع ، والبلاء الشديد ، وكانت إذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ، وتعرف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم .

كل أُولئك لتكون لها رأياً صحيحاً ، وفكرًا ناضجاً فى تربية البنات ، إصلاح حال الأُمهات ، وظلت تستسهل فى ذلك الصعب ، وتستحلى المرَّ .

وكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجل مالا ينافى الشرع الشريف ، وألاتكون زينتها مشغلة لها ولاعبئًا ثقيلا ينوءُ به بعلها ، ولها فى ذلك خُطب فى محافل نسوية ، كان لها تأْثير فى عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة ، وكان بيتها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشرقيات يستترن به فى الوقوف على مبلغ رُقى المرأة المسلمة ، وما ينتظرن من شئونها المستقبلة ، ولم يكن شىء من ذلك كله لنسيها مايجب لزوجها ، والبر بذوى قرباها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر ، وأشد ماكان برها لوالدها

آثارها العلمية :

(١) كتابها الذى أسمته (النسائيات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته فى (الجريدة) خاصًّا بالمرأة . (٢) حقوق النساءِ ، وهو كتاب لم يطبع بعد : أنجزت منه ثلاث مقالات : الأُولى فى الموازنة بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة المتدينة الغربية فى الحقوق المالية ، والثانية فى حقوق المرأة المسلمة من جهة إدارة الأعمال العامة ، والثالثة فى المرأة المسلمة من جهة الانتخاب . (٣) رسالة اضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد فى مايو عام ١٩١١ م بمصر الجديدة ضمنتها آراؤها السديدة فى وسائل ترقية المرأة المصرية .

ثم عاجلتها الحمى الأسبانية عام ١٣٣٨ ه فاحتضرت وهى فى ريعان شبابها ويانع عمرها ، فتركت بفقدها فى العالم النسوى المصرى فراغاً لم يُشغل بعد .

كتابتها : إن الناظر فى كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة صحيحة الألفاظ عربية الأسلوب ، خالية من تصنع السجع ، وترى ذلك واضحاً فى كتابها (النسائيات)

شعرها : قالت الشعر وهى فى الحادية عشرة من عمرها . وكان بدء أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه فى المدرسة تارة جدًّا ، وتارة هزلا ؛ وشعرها حسن الديباجة ، جميل الأسلوب يعد فى الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر .

وهاك نموذجاً من نثرها وشعرها ـ رسالة كتبتها من رمل الإسكندرية لصديقة لها ـ وهى :

«عزيزتى السيدة بلسم

أُحييك ، ولولا برودة البحر لالتهبت إليك شوقاً ، ولولا تصبرى لطرت إليك حباً ، وإنى لم ينسنى صفاء السماء صفاء ودك ، ولارقة النسيم رقة حديثك إنما شجانى وذكرنى ، ولم أكن ناسية .

حبيبتى : ليتك معى ترين الطبيعة بجمالها ، ترين البحر يزخر كالرعد والأمواج تتلاطم زرافات ووحداناً ، صفاء فى البحر ، وصفاء فى السماء ، كأنهما قلبان ، وتسمعين تغريد الطيور ، وحفيف الأشجار ، إنها لعمرك مناظر تلهى المرء ، ولكن هيهات لمثلى أن تلهو ، وهى ما يكنه الدهر ، وما يخبئه الليل والنهار ، تقبلى منى أحر قبلاتى ، وأوفر أشواقى » .

ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية .

سيرى كسيرى السحب لا تتأنَّ ولا تتعجَّلى
لا تكتسى أرض الشوا رع بالإزار المسبلِ
أمَّا السُّفور فحكمهُ فى الشرع ليس بمُعضلِ
ذهب الأئمة فيه بـــين مُحرِّم ومُحَلِّل
ويجوز بالإجماع منهـــم عند قصد تأهُّل
ليس النِّقاب هو الحجـــاب فقصِّرى أو طوِّلى
فإذا جهلت الفرق بينهمـــا فدنك فاسألى
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى
لا أبتغى غير الفضيـــلة للنساء فأجملى

الشعر

كانت حالة الشعر فى النصف الاول من هذا العصر لاتزيد شيئا مذكورا على

ما كانت عليه فى العصر الماضى ، إذ كانت حكومة (محمد على باشا) فى فى أَول أَمرها تركية الصبغة ، وكان هو أُميًّا لايحل عنده الأَدب محل العلم الذى عليه مدار تأْسيس المملكة ، ولكن الشعر أَخذ بعد ذلك فى الترقى .

وسارت مصر فى طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن (إسماعيل باشا) وكان هو متأَدباً ، وعصره غاصاً بالأُدباءِ ، فتقدم الشعر فى عصره خطوات تمثلت فى شعر السيد على أَبى النصر ، والشيخ على الليثى ، ثم طفر طفرة إلى عظيم الشعراءِ (البارودى) .

ولم يزل للعلم والعلماءِ مع ذلك المقام الأَول فى مصر ، حتى كان العصر الحاضر ، ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه ، فهب أَهله يتفكهون بالأَدب وكتابته والتأْليف فيه ويستمعون الشعر ، ويحضرون المجامع العظيمة لإنشاده ، فأَقبل الشعراءُ على نظمه فى كل أَغراضه القديمة والحديثة ، ونحو به نحو الشعر الإفرنجى من وصف المناظر الطبيعية ، وأَحوال الوجدان ، والعواطف النفسية ، وكثير من الشعراءِ بعد البارودى ، لم يحاك القدماءُ فى ندب الديار ، ووصف الظعائن ، وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القطار ، والكهرباء ، والمسرة ، والبرق ، ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراءِ فى مصر والشام والعراق ، إلا أَن المصريين سبقوا السوريين بمراحل فى هذا العصر .

ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت ، خلوه من تكلف البديع والجناس ، والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحولة يشبه شعر أَهل القرن الرابع والخامس .

نماذج من النظم

قال المرحوم السيد على أَبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨٠ م :

بصادر آمالى ووارد خاطرى ... كلفتُ فيا نفسى الأَبية خاطرى

ولا تجزعى إن هال خطب فربما تدين الأَمانى لامرئٍ غير قادر
وكونى على حمل الأَذى مستعدة فكم عادل أَرخى العنان لجائر
ولا تشتكى الأَيام إلا لمنصف فلاخير فى الشكوى إلى غير ناصر
ومن لم يكن ذا هِمَّة هاشمية أَخافته فى الهيجا بروق البواتر

وقال محمود صفوت الساعاتى المتوفى سنة ١٢٩٨ﻫ يمدح شريف مكة ويعاتبه :

ترنو النجوم بلحظها البراقِ والجو فى الإرعاد والإبراق
فإذا تبسمت البروق لغِبطة بكت السماءُ بدمعها المهراق
عاملتمونى بالجفاءِ رويدكم الورد ذو أَرج بلا إحراق
مالى أَراكم تنكرون مكانتى الشمس لا تخفى مع الإشراق
قلدتم غيرى الجميل وقلتم حسبُ المغرِّد زينةُ الأَطواق
أَسديتم الجدوى له وسددتم طرق الرجاء علىَّ بالإطراق
إن لم يكن مثلى يُسىءُ ومثلكم يغضى فأَين مكارم الأَخلاق

وفى الحكم للمرحوم الشيخ على الليثى المتوفى سنة ١٣١٣ ﻫ ـ ١٨٩٦م :

كل حال لضدِّه يتحوَّلْ فالزم الصبر إذ عليه المعولْ
يا فؤادى استرح فما الأَمر إلا ما به محكم القضاء تنزل
قدرٌ غالب وسرٌّ الخفايا فوق عقل الأَريب مهما تكمل
رب ساعٍ لحتفه وهو ممن ظنَّ بالسعى للعلا يتوصَّل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدين المتوفى سنة ١٢٧٥ ﻫ يرثى إبراهيم باشا :

صبراً على ما قد مضى إذ لا مخلِّص من قضا
كيف التصبر والمنا يات ذات غَضب مُنتضى
أَرْدت بإبراهيم مذ بلغ المقام المُرْتضى
وإليه آل الأَمر فى حكم (الإيالة) وانقضى

فمضى وقلت مورِّخاً (الله يرحم من مضى)
٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠ ١٢٦٤ هـ

حفنى ناصف بك المتوفى ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م

هو القاضى الفاضل الشاعر الكاتب ، محمد حفنى ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ خليل بن ناصف ، ولد ببركة الحج من أَعمال القليوبية سنة ١٢٨٢ هـ يتيما فقيرًا ، فكفلته جدته أُم أَبيه .

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يفرط فى ضربه ، ففر ماشياً على قدميه إلى الأَزهر وجود فيه القرآن ، وحفظ فيه المتون ، ودرس فقه الشافعى ، وعلوم اللسان العربى واشتغل بالأَدب والشعر فبرع فيهما حتى أَصبح من شعراءِ الأَزهر المعدودين ، وكان أَول الناجحين من الطلبة المقبولين فى دارالعلوم ، وبقى أَولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير مدرساً وضابطا لمدرسة الخرس والعميان ، ثم نقل إلى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن ، ثم نقل مدرساً بمدرسة الحقوق ، وفى أَثناءِ ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأْليف سلسلة كتب سهلة ، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فأَلف خمسة كتب لم يزل العمل فى التعليم جارياً عليها ثم نقل إلى القضاءِ الأَهلى ، فمكث يترقى فى درجاته مدة عشرين سنة ، كان فى خلالها مثال العدل والنزاهة ، ونقل من وكالة محكمة طنطا الأَهلية مفتشاً أَول للغة العربية بوزارة المعارف .

وتوفى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ودفن يوم الأَربعاء بمقبرة الإِمام ، وكان رحمه الله من أَطيب خلق الله حديثًا ، وأَرقهم فكاهة ، وأَملحهم نادرة وأَحضرهم جواباً ، مع دعابة فيه .

شعره : لم ينكر الأُدباءُ عليه أَنه أَبو الطبقة التى نشأَت بعد طبقة البارودى ، وعبد الله باشا فكرى ، وكل من نبغ بعدُ ممن انتهت إليهم الرياسة فى الشعر فعليه تعلم ، وله قلد ، حتى أَصبحوا شعراءَ هذا الزمان .

وأكثر شعره من النوع السهل الممتنع ، الكثير الملح المطربة والنكت الأدبية المعجبة ، حتى فى المراثى ، لتمثيلها فى صورة جديدة بديعة ، فمن ذلك قوله :

أتقضى معى إن حان حينى تجاربى وما نلتها إلا بطول عنائى
وأبذلُ جهدى فى اكتساب معارفٍ ويفنى الذى حصلتُه بفنائى
ويُحزنُنى ألا أرى لى حيلة لإعطائها من يستحق عطائى
إذا ورَّث الجُهال أبناءهم غِنًى وجاهاً فما أشقى بنى الحكماء

ومن شعره أيضاً يخاطب أحد الرؤساء :

أحييتَ آمالى وكنت أمتها من طول مالقيتُ من إخوانى
أدلى بإخلاصى لهم وأذود عن أعراضهم بجوارحى ولسانى
محضتهم ودىَّ فلما أيسروا كانت بداية أمرهم نسيانى

مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

هو مصطفى بن على أفندى المهندس ، المولود بالقاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤م ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية ، ثم انتقل إلى مدرسة والده عباس باشا الأول ، وفى أثناء وجوده فى هذه المدرسة توفى والده فانتقل إلى مدرسة القربية ، فأتم فيها الدراسة الإبتدائية سنة ١٨٨٧ م ثم تحول إلى المدارس الثانوية ، ونال فى نهايتها شهادة البكالوريا بتفوق باهر ، وذكاء نادر، مما لفت إليه نظر المرحوم على باشا مبارك ناظر المعارف ، فاختصه بمرتب شهرى يصرف إليه مساعدة له ، وكان منظوراً إليه بعين الإجلال والاحترام من إخوانه ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن الإلقاء ، وفصاحة اللسان ، وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته فى المسائل العلمية والاجتماعية ، والكل يعجبون به ، ويتوقعون له مستقبلا مجيداً ، ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهارا ، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلا فكان يتلقى دروسهما حتى نال الكفاية منهما ،

ذهب إلى (طولون بفرنسا) وأدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية ، وفى أثناء دراسته للحقوق تنبه خاطره إلى المسائل السياسية ، وأصبح همه إنقاذ مصر من الاحتلال ، وكان يتردد على الجرائد الوطنية ، فيكتب فيها آيات الوطنية ، وأنشأ المجلة المدرسية ، وألف كتاب المسألة الشرقية ، ورواية فتح الأندلس ، وكتاباً فى حياة الأمم والرق عند الرومان ، وكلها ترمى إلى تحبيب الاستقلال ، وإحياء الشعور الوطنى فى أفكار المصريين ، واجتمع مصطفى بالمرحوم « عبد الله النديم » الخطيب المفوه والكاتب البليغ ومشعل نار الوطنية من قبل ، فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليمات العظيمة ، وأضاف ذلك إلى معلوماته الماضية ، ونهض نهضة الأسد إلى فريسته ، وأذكى أوار الوطنية فى عقول الشباب الناهض ، وتطورت مصر الفتاة إلى يومنا هذا فى مراقى التقدم والنجاح ، وقد طار صيته فى الآفاق ، وأنشأ جرائد اللواء العربى والفرنسى والإنكليزى لهذا الغرض ، وتوفى يوم الأربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م وخطبه الطنانة كثيرة معروفة لانطيل بذكرها .

محمد بك فريد المتوفى سنة ١٩١٩ م

هو المخلص الأمين ، محمد بن أحمد باشا فريد ، والدته أميرة من فضليات سيدات الخلفاء العباسيين ، وكان ميلاده فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤هـ ، وعاش ٥٢ سنة ، ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا ، ثم دخل المدارس الثانوية وفاز بشهادة البكالوريا ، ثم دخل مدرسة الحقوق حتى نال الشهادة النهائية فى شهر مايو سنة ١٨٨٧ م ، وعقب ذلك عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الخديوى عباس باشا بالرتبة الثانية ، ثم تدرج فى وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية ، وفى خلال ذلك كان يكاتب أمهات الصحف العربية والإفرنجية ، حتى استقال

من خدمة الحكومة فى ٢١ نوفمبر عام ١٧٩٦م ، واشتغل بالمحاماة ، وانضم بكل قواه إلى الحزب الوطنى لتحرير مصر والسودان ، ولازم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل ، وقد ألف كتاب البهجة التوفيقية فى تاريخ العائلة الخديوية ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وتاريخ الرومان ؛ وأنشأ مجلة « الموسوعات » وكتب آلاف المقالات فى المؤيد واللواء والصحف الأوربية ، وألقى مئات من من الخطب فى بلاد الشرق والغرب ، وتعرف بكثير من ساسة العالم .

ولما شعر المرحوم مصطفى كامل باشا بدنو الأجل ، جمع رجال الحزب الوطنى وأوصاهم بانتخاب « فريد » بعده رئيساً ، فقام برياسته خير قيام ، وقد ضحى بنفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حباً فى الوطن ، حتى مات غريباً فى يوم الاثنين ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩م ، ونقلت جثته من بلاد ألمانيا لدفنها بالقاهرة ، فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه عام١٩٢٠م ، وشيعت باحتفال مهيب ، ورثته صحافة العالم شرقاً وغرباً .

فممن رثاه المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى عام ١٣٥٩هـ ، قال من قصيدة طويلة :

من ليوم نحنُ فيه لغَدْ ... مات ذو العَزْمة والرأْى الأَسَدْ
أَيها النيلُ لقد جلَّ الأَسى ... كنْ مدَادًا لى إذا الدَّمعُ نَفدْ
فلقدْ ولى فريدٌ وانطوى ... ركْنُ مصر وفتاها والسندْ
خالِد الآثارِ لا تخشَ البلَى ... ليس يَبلَى من له ذكر خَلدْ
قل لصَبٍّ النيل إن لاقيتَهُ ... فى جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصرًا لاتنيِ عن قصْدها ... رغم ما تلقى ، وإن طال الأَمدْ
فاسترح واهْنأْ فى غِبْطة ... فلقَدْ بذرت الحب والشعب حصَدْ

(٧) سعد باشا زغلول

هو الزعيم الأكبر سعد بن الشيخ إبراهيم زغلول المولود ببلدة إبيانه بمديرية الغربية عام ١٢٧٧هـ ، قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف ، وحضر علوم اللغة والأدب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع ، وغيرها على فطاحل العلماء ثم تعين محررًا لجريدة « الوقائع المصرية » الرسمية بالداخلية ، ثم انتقل معاوناً بنظارة الداخلية فى مدة وزارة « محمود سامى باشا البارودى » ثم تعين مديرا لقلم قضايا مديرية الجيزة ، وذلك مدة اشتداد الثورة العرابية ، ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضوًا فى لجنة تنقيح قانون الجنايات بالاستئناف ، ثم اختاره اللورد « كرومر » أن يكون وزيرًا للمعارف . ثم وكيلا للجمعية التشريعية إلى أن تطورت الحالة الوطنية فى القطر المصرى ، فانتخبته الأمة وكيلا عنها فى مطالبة انجلترا بالجلاء عن مصر والسودان .

ومن كلماته المأثورة فى الوطنية :

١ ـ لا استعباد ، لا استعمار ، لاحماية ، ولا رقابة ، لا تداخل لأحد فى شأن من شووننا ، هذا ما نريد ، وهذا مالا بد أن نحصل عليه .

٢ ـ أقسم بالوطنية وعزتها : لو كنت أعرف أنى أقود أمة بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا إدراك ، كما يصفها أعداؤها ما رضيت أن أكون قائدًا لها .

٣ ـ إن قوتنا ليست مستمدة من الخارج ، بل هى نفوسنا ، فلتكن نفوسنا قوية تصل إلى غايتنا .

٤ ـ الإرادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ذللت كل صعب ، ومحت كل عقبة ، وقهرت كل مانع مهما كان قويا ، ووصلت عاجلًا أو آجلا إلى الغاية المطلوبة .

٥ ـ لا يمكن أن نعتبر للحكوميين مذهباً ، لأن المذهب يقتضى مبادى وقواعد ، أمَّا هم فقاعدتهم القوة ، وما يعتمد على القوة لايصح أن يسمى مذهباً .

ومن كلماته المأثورة فى الحرية وحدودها :

١ ـ كل أمر يقف فى طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقًا ، مهما كان مصدره عاليًا ، ومهما كان الآمر به .

٢ ـ كل تقييد للحرية لابد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظلماً .

٣ ـ الصحافة حرَّة ، تقول فى حدود القانون ما تشاءُ وتنتقد من تريد ، فليس من الرأى أن نسألها لم تنتقدنا ،بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ماتنتقدنا عليه .

٤ ـ نحن نحب الحرية ، ولكنا نحب أكثر منها أن تستعمل فى موضعها ،

٥ ـ جميل جدًّا أن يقال لا تحجروا على الناس ، ولا تقيدوا حريتهم ، وإنها لنغمة لذيذة يحسن وقعها فى الأسماع والقلوب ، ولكنا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم ، بل نريد حماية الحق وصيانته من أن يتمتَّع به غير صاحبه من حيث يُحرم منه صاحبه .

ومن آرائه فى التشريع :

١ ـ كل شريعة توسس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة .

٢ ـ لاتصدقوا أن هناك قاعدة يرجع إليها القاضى فى تقدير العقوبة ، أو أن هناك ميزاناً تُوزنُ به الجزاءات ، وإنما هى أُمور اجتهادية يلهم بها القاضى إلهاماً .

٣ ـ الحقُّ فوق القُوَّة ، والأُمَّة فوق الحُكومة .

٤ ـ إننا إذا احترمنا أمرًا للحكومة ، نحترمه لأنه نافع للأُمة ، لا لأنه صادر من تلك القوة المسيطرة .

٥ ـ يجب أن نَنقاد للقانون ، وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلة ، بل عزًّا وشرفاً .

٦ ـ إن كانت الحكومة تريد أن نكون فى صَفِّها ، مُدافعين عنها فما عليها إلا أن تتبع الحق والعدل ، وتحترم القانون .

٧ ـ يُعجبنى الصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون .

٨ ـ الذى يلزمنا أن نفاخر به هو أعمالنا فى الحياة لا الشهادة التى فى أيدينا .

٩ ـ أُعاهدكم عهدًا لا أَحيد عنه على أن أموت فى السعى إلى استقلالكم ، فإن فزتُ فذاك ، وإلا تركت لكم تتميم ما بدأْت به .

هذا قليل من كثير لا نحيط به جميعا ، خصوصاً خطبه المطولة الممتعة التى تكاد أن تكون فى درجة الإعجاز ، ولا غرابة فى ذلك . فقد كان معروفاً بالشجاعة والصراحة يمتلك فى يده أعنة الأَلفاظ وأعذبها وأَخفها وقعا على النفوس عن أَقسى المعانى وأخشنها بأَرق الألفاظ وأعذبها وأَخفها وقعًا على النفوس والأَسماع ، خصوصاً وأنه قدير على التأْثير على نفس السامع ، وامتلاكه أَزمة الأَهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب ، واقتداره على إسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أَو القانونية أَو الأَخلاقية أَو السياسية إلى قاعدتها العامة التى توضع طريقا وتكشف الغامض منها .

ولقد كان مُشرِّعا يبحث النظامات ويدققها ، وسياسيًّا يبارز خصمه مبارزة الرجل الذى يحسن تقليب الحسام بين يديه ، فلا كلماته تخرق حجب الآداب ، ولا تتجاوز حدّ اللياقة ، لقد كان كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على آكام الزهر فلا يرتفع صوت ، ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين وأكثر ، حتى وافاه القدر المحتوم فى أواخر أَغسطس سنة ١٩٢٧ م ، وعمره نحو ٦٧ سنة ، وقد خلفه زعامة حزب « الوفد المصرى » حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا .

(٨) مصطفى النحاس

هو مصطفى بن الشيخ محمد النحاس من أعيان بندر سمنود .

ولد (مصطفى النحاس) من أبوين كريمين عريقين فى الحسب والنسب ، فى يونيه سنة ١٨٧٩ م .

وتربى تربية منزلية قويمة طبعته على الأمانة والاستقامة والنزاهة وأنشأته على الخير والعدل والصلاح والتقوى ، فشب على مكارم الأخلاق من الصغر :

رضَع الأَخلاق من أَلبانِها إن للأَخلاق وقعاً فى الصغر

وما بلغ السادسة من عمره إلا وهو يزاول مبادى التعلم فى أحد مكاتب البلدة ، وما تجاوز العاشرة من عمره إلا وكان حافظاً لجميع القرآن الكريم حفظًا جيدًا ، ثم ارتحل به والده إلى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية بنظارة أمين سامى فى ذاك الوقت ، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر ، وعكف على دروسه حتى كان فى كل امتحاناته أول فرقته ، وبعد إتمام الدراسة الابتدائية التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقسم الداخلى ، وأظهر جدًّا واجتهادًا وتفوقاً ونبوغاً منقطع النظير ، حتى المرحلة الأخيرة التى كللت بنجاح عظيم ، لفت نظر روسائه إليه ، حتى وصل خبره إلى اللورد « كتشنر » الذى رغب فى رؤيته ، ثم التحق بمدرسة الحقوق ، وتخرج منها فى يونيه سنة ١٩٠٠م ، واشتغل بالمحاماة إلى أوائل سنة ١٩٠٤ ، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية وظلّ يخدم العدالة نيفاً وخمسة عشر عاماً ، حتى نادى المغفور له (سعد زغلول) بوجوب المطالبة بحق مصر والاستقلال فانضم إليه ، وانضوى تحت لوائه ، وأخذ يسعى فى تحرير وطنه بكل إخلاص وتضحية عظيمة .

وقد تقلد رياسة الحكومة المصرية ست مرات .

الأُولى عام ١٩٢٨م ، والثانية عام ١٩٣٠م ، والثالثة عام ١٩٣٦م ، والرابعة عام ١٩٣٧م بعد جهاده الذى نالت فيه مصر استقلالها التام ، وإلغاءِ الامتيازات الأَجنبية .

هذه لمحة وجيزة من تاريخ حياة مصطفى النحاس (محاميًا ، وقاضيا ، وخطيباً ، وخصما سياسيًا ، ووزيرًا ، ورئيساً للوزارة) .

ومن خطبه :

« لاشك أَن من يتولى الدفاع عن حقوق الأَفراد وحريتهم مدفوعاً بواجب مهنته وشعور التقديس لطائفته إنما هو مسوق حتما للاشتراك فى الدفاع عن حقوق المجموع وحريات المجموع ، لأَن حقوق المجموع وحريات المجموع إنما هى مجموع حريات الأَفراد وحقوق الأَفراد » .

ومن قوله :

(١) ليس مثل الصراحة سياسة ناجمة فى وقت الخطر .

(٢) إن القلوب إذا اتصلت لا تقوى على فصلها قوة مهما فتكت أَو بطشت .

(٣) ما كان لقوة فى الوجود أَن تمحق آمال شعب ، ولا أَن تبدد وحدة أُمة .

(٤) إنما الموت فى سبيل الأَوطان حياة .

(٥) ليس مصير الأُمم لعبة فى أَيدى اللاعبين ولا هو تجربة فى أَيدى المجربين.

(٦) إن للحق قوة معنوية هى من روح الله يقذفها على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق .

(٧) مصر أُمة جديرة حقا بأَن تكون مصدر السلطات .

(٨) إن الأَمر فى قضية الأُمة أَمر الأُمة وحدها لا كلمة لسواها ولا معول على غير رضاها .

(٩) الأُمم الحية لا تغلبُ وقد تعود مصر أَن تقهر قاهريها ، وللدهر قُلَّبٌ إن صفا اليوم لشخص فى غد يتقلبُ .

(١٠) اضطهاد الأَحرار يزيدهم تمسكا بالحرية أَضعافاً مضاعفة .

(١١) إذا كان اعتناق المبدأ القويم فضيلة فإن الثبات على هذا المبدأ هو فضيلة الفضائل .

(١٢) إن الأُمة هى الأَول والآخر ، وهى الأَصل الذى يجب أَن ترجع إليه كل الأُمور .

(٩) الغازى مصطفى كمال

أَشهر حماة الشرق ، وداهية أَقطاب السياسة الغازى (مصطفى كمال) المولود فى سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ ــ ١٨٨٠م ، ولما بلغ السنة السادسة من عمره أَدخله والده مدرسة ابتدائية ، وما لبث أَن تركها على أَثر وفاة والده ، ثم انتقل إلى قرية أُخرى مع والدته بها خاله الذى كفله ، وعهد إليه القيام بحراسة الحقول والاشتغال بالزراعة مدة فأَوجست والدته خِيفة من ضياع إِبَّان شبابه بدون جدوى ، وصحت عزيمتها على إرساله إلى دار جدته فى (سلانيك) ودخل فى (المدرسة الملكية الإعدادية) غير أَنه لم يوفق للتعلم بها ــ وذلك لشغفه بحب (المدرسة الرشدية العسكرية) الابتدائية ، فدخلها وأَخذ يتبحر فى الرياضيات ، ويناقش أُستاذه المدعو (مصطفى بك) القائل له : إن بين اسمى واسمك اشتباها ، فيجدر أَن أُضيف إلى اسمك لفظة (كمال) للتمييز بيننا ، وقد أَتم الدراسة فى هذه المدرسة العسكرية الابتدائية ، وفاق زملاءه فى العلوم الرياضية بحيث لم يصادف أَية صعوبة فى امتحان المدرسة الإعدادية العسكرية الثانوية فى (مناستر) وتزود بقسط وافر فى اللغة الفرنسية ، وفى خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركى (المشهور (عمر ناجى بك) فارتشف من مَنهله العذب ، وتأَدب بأَدبه ، ودرس عليه

آداب اللغة التركية ، وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة التى تنجذِب نفسه إليه وترتاح به ، رغم النصائح التى كان يلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم : « إذا أردت أن تكون جُنديًّا حقيقيًّا فاترك الأَدب وخيال الشعراءِ » وبعد إتمامه الدراسة فى تلك المدرسة سافر إلى الآستانة سنة ١٣١٣ هـ ، والتحق بالمدرسة الحربية ، وكان شغفه عظيم بالعلوم والأَدب ، ومزاولة الخطابة وأَساليبها فتولد من ذلك توقه إلى حُبِّ الاشتغال بالسياسة ، خصوصاً وقد وقعت فى يده كتب الوطنى العظيم (نامق بك كمال) فطالعها مرارا ، ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت فى عقيدته (الوطنية) وكان ذلك فى عهد المرحوم (السلطان عبد الحميد) الداهية العظيم ، ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برُتْبة (مُلازم ثان) ، ولما انتقل إلى مدرسة أَركان حرب بَدأَ يتعرف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكتنف إدارة البلاد وسياستها من السُّوءِ والفساد ، فكان أَول ما فكر فيه أَن يُفهم زملاءَه البالغ عددهم نحو ٥٠٠٠ طالب ، موقف البلاد الإدارى والسياسى .

وقد فكروا جميعا فى تأْسيس جريدة تكون لسان حالهم ، وقد أَخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأَبحاثها غير أَن (إسماعيل) مفتش المدارس وقف على حركتهم ثم وَشَى بهم إلى السلطان ، وقال له : إن ناظر المدرسة (رضا) هو المسئول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأَقنعه بعدم وجود حركة سياسية . واستمر مع رفاقه على إصدار جريدتهم حتى سنى مدرسة أَركان حرب .

وبعد أَن خرج من المدرسة برتبة (يوزباشى) فى أَركان الحرب العامة واستأْجر لنفسه مكاناً خاصًّا فى (بك أوغلى) رغبة فى استئناف العمل وعقد الاجتماعات ، أَصدر القرارات لصالح الوطن ، ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى اعتقل بضعة أَشهر ، ثم أُطلق سَرَاحُهُ وأَصرَّ على اشتغاله بالسياسة حتى نَفتْهُ الحكومة إلى ولاية الشام للخدمة فى الجيش ، وقد أَسس هناك (جمعية الحرية) وأَسس لها

فروعًا فى بيروت ويافا والقدس ، وفى كل مدينة حلَّ فيها ونزل بها ، ولما كان انتشار مبادى الجمعية غير ممكن فى تلك المدن عزَم على السفر إلى (مقدونيا) حيث هناك الأَرض صالحة لبذر تلك المبادى ، والعمل على إنمائها وإنباتها نباتاً حسناً ، وأَطلع جمعيته على رأْيه ، وعلى ذلك سَعَى أَفرادها وتمكن من إصدار إذن يسْتَطيعُ به السفر فى بادى الأَمر إلى (أَزمير) وعلى إثر ذلك أَرسل رسالة خاصة إلى (شكرى باشا) المعروف بوطنيته الحارة ، وطلب منه مساعدته ، ولما شد الرحال إلى مقدونيا ، وركب البحر غَيَّرَ وجهته إلى مصر ، ومنها إلى بلاد اليونان ، ثم إلى سلانيك رغبة فى إخفاءِ أَغراضه عن أَعين الجواسيس وقد أَسَّس فى مدينة سلانيك فرعاً عامًّا للجمعية ، وما كانت حكومة الآستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أَعماله حتى سافر إلى (يافا) وعلى أَثر ذلك ظهرت مسأَلة العقبة ، فاستصدرت جميعة الحرية أَمرًا بتعيينه على الحدود المصرية .

وقد مكث فى سوريا ثلاثة أَعوام ، ثم طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا ، فقوبل طلبه بالقبول ، وعلم بعد وصوله إلى سلانيك أَن جمعية الحرية غيَّرت اسمها باسم جمعية (الاتحاد والترقى) وما وافى إعلان الدستور حتى برز إلى ميادين السياسة بفضل إعلانه جميع الأَسرار .

ولما نشبت الثورة الرجعية فى الآستانة سنة ١٩٠٩ م أَخمدها واستتبَّ الأَمن ، ثم تعين بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس .

وكان كثيرًا ما يكتب لإِصلاح شأْن الجيش ، فكان ذلك من الأَسباب الجوهرية التى بعثت بعض القواد القدماءِ على حقدهم عليه ، وكان جزاؤه تعيينه قائدًا للأَلاى الثلاثين ، فجاءَ هذا التعيين على عكس غرضهم الأَساسى ؛ إذ أَفسح له مجالا واسعا لالقاءِ بعض المحاضرات الفنية وشرح أَساليب الخطط الحربية للضباط والقواد ، ثم بعد ذلك دعته حكومة الآستانة ، وعينته ضمن أَركان الحرب العامة فيها ، وقام بصحبة المرحوم

(شوكت باشا) بالحركات الحربية لإخماد الثورة فى بلاد ألبانيا .

وقد ذهب متنكرا إلى مصر على أثر إعلان الحرب الإيطالية سنة١٩١١م وسافر منها إلى بنغازى ، ثم عاد إلى الآستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار ، وتعين رئيسا لأركان الحرب ، بعدها عاد إلى الآستانة ، وتعين مُلحقاً عسكريًّا فى سفارة (صوفيا) عاصمة بلغاريا ، ومكث هناك مدة سنة كاملة.

ولما نشبت الحرب العامَّة سنة ١٩١٤ م تعين قائداً للفرقة السادسة عشرة فى (تكفور طاغ) ثم تعين قائدًا لفيلق ديار بكر ، وبعدهما تولى قيادة الجيوش وعُين بعد ذلك قائدًا للقواتِ الحجازية ، ثم عاد إلى ديار بكر ، ومنها عاد إلى الآستانة وأخذ القيادة على عاتقه ، وحصل بينه وبين كبار القواد الألمانيين مناقشات أدَّت إلى استقالته ، وسافر من الآستانة مع (ولى العهد) إلى ألمانيا ، وفيها تقابل مع القائدين (هند نبورج ، ولوندرف) .

وقد صحت عزيمته على ترك الآستانة والتَّوغل فى داخلية البلاد ، وقد بذل جهده فى العمل على انقاذ الوطن خاصة والشرق عامة ، وبينما كان مشتغلا بتهيئة الأسباب لذلك ؛ إذ تلقى أمرًا بتعيينه قائدًا ومفتشا لجيش (الصاعقة) مع ضرورة ذهابه إلى الأناضول ، فتقبَّل ذلك بالسرور العظيم ، وقام إلى الأناضول ، وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معا لذلك الجيش ، وكان ذلك من أهم العوامل الفعَّالة للوصول إلى تحقيق إنقاذ الوطن ، ولما شعرت الحكومة بخطئها استدعى فى الحال إلى الآستانة ، فرفض واستقال ، وسعى فى جمع نُوَّاب الأُمة فى الأناضول ، وقد افتتح المجلس الوطنى الكبير يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ م ، وأخذ فى مباشرة الأعمال والقيام بواجب البلاد ، وكان شغله الشاغل (كيف تمثل إرادة الأُمة أحسن تمثيل؟؟) .

وقد تم له ما أراد ، ففاز بالنصر والسداد ، وفق الله أمثاله إلى ما فيه صلاح العباد ، وقد اجتمع بين يديه إمارة السيف والقلم ، وخطبه أشهر من أن تذكر .

ومن أقواله فى حُبِّ الوطن العزيز : إن وطننا العزيز لايموتُ ولن يموت ، وإذا فرضنا المحال وسلمنا بموته (لا قدر الله) فكاهل الكرة الأَرضية لن يستطيع حمل تابوته الجسيم . نعم لا يسقط مُهشما ، مقطع الأَوصال ، ما دام فرد منا يتنسم نسيم الحياة .

ومن آرائه فى تعليم المرأة : تعليم المرأة (أُم الوطن) وتثقيف عقلها بالعلوم الدينية والمعارف الأَهلية من أهمِّ ما ترمى إليه نهضتُنا العلمية الوطنية .

ومن وصفه للفلاح : سيد تركيا ، بل سيد العالم الحقيقى (الفلاح) لأَنه هو العنصر الأَول فى تكوين عناصر الأُمة وكيانها ، والوطن بدونه لاشئ ، بل الوطن هو ، فيتعين أَن نعتنى به عناية خاصة ، وأَن نضع قبل كل شئ سعادته نصب أَعيننا.

شعراء العصر الحاضر

(١) محمود سامى باشا البارودى

هو ربُّ السيف والقلم ، أَمير الشعراءِ ، وشاعرُ الأُمراءِ (محمود سامى باشا ابن حسن حسنى بك البارودى) أَحد زعماء الثورة العرابية ، وأَشعر الشعراء المتأَخرين بالديار المصرية ــ وُلد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتأَدب وأُدخل المدرسة الحربية ، ومازال يترقى حتى وَلّاهُ الخديوى توفيق نظارتى الحربية والأَوقاف ، ثم وُلى رياسة مجلس النظار قُبيل الثورة العرابية ، فلما اضطرمت نيران الثورة أَرغمه زعماؤها على اصطلاءِ نارها فخبَّ فيها ووضعَ ، وحُكم عليه بعد انقضائها بالنفى إلى جزيرة (سيلان) حتى عَمىَ ، وشفع فيه ، فأَذِن له بالقدُوم إلى مصر ، بعد مُضى ١٧ سنة من منفاه ، وبقى فى منزله يشتغل بالأَدب إلى أَن مات سنة ١٣٢٢ هـ ــ ١٩٠٤ م ، ومن قوله :

والدهر كالبحر لاينفك ذا كدر   وإنما صفوه بين الورى لُمَعُ
لو كان للمرءِ فكر فى عواقبه   ما شان أَخلاقه حرصٌ ولا طمع

وكيف يُدرِك ما فى الغيب من حدث	من لم يزَل بغرور العيش ينخدعُ
دَهْرٌ يغرٌّ وآمال تسرٌّ وأَعْمَـــارٌ تمرٌّ وأَيام لها خِدَعُ
يسْعى الفتى لأُمور قد تضرٌّ به	وليس يعلم ما يأْتى وما يدعُ
يا أَيها السَّادِر المزورٌّ من صلف	مهلًا فإِنك بالأَيام مُنخدعُ
دع ما يُريب وخُذ فيما خُلقت لهُ	لعلَّ قلبك بالإِيمان ينتفعُ
إِنَّ الحياة لثوْبٌ سوف تخلعه	وكل ثَوبٍ إِذا ما رث ينخلعُ

ومن قوله فى الحماسة والفخْر (وهو آخر ما قاله) :

أَنا مَصدرُ الكلِم البوادى	بين المحاضر والنَّوَادى
أَنا فارسٌ أَنا شاعرٌ	فى كلِّ مَلحَمة ونادى
فإِذا ركبت فَإِنَّنى	زيْد الفوَارس فى الجلاد
وإِذا نطقْت فإِنَّنى	قسٌّ بن ساعدة الإِيادى

وقال يصف هرمى الجيزة وأَبا الهول :

سل الجيزة الفيحاءَ عن هرمى مصر	لعلك تدرى عيب ما لم تكن تدرى
بناءَانِ ردًّا صولة الدهر عنهما	ومن عجب أَن يغلبا صولة الدهر
أَقاما على رغم الخطوب ليشهدا	لبانيهما بين البرية بالفَخْر
فكم أُمم فى الدهر بادتْ وأَعصرٍ	خلت وهما أعجوبة العين والفكر
تلوح لآثار العقول عليهما	أَساطير لا تنفك تتلى إِلى الحشر
رُمُوزٌ لو استطلعت مكنون سرها	لأَبصرتَ مجموعَ الخلائق فى سطر
فما من بناءٍ كان أَو هو كائن	يُدانيهما عِندَ التَّأَمل والخبر
يُقصرُ حُسناً عنهما صرحُ بابل	ويعترف الإِيوان(١) بالعجز والبهر
كأَنهما ثديان فاضا بدرَّة	من النيل تروى غلة الأَرض إِذ تجرى

(١) هو ايوان كسرى كان بهوا عظيما فى قصره بالمدائن وسقفه ازج معقود وبه سمى قصر الأبيض .

وبينهمَا بلهِيب[١] فى زِىٍّ رابِض — أكب على الكفين منه إلى الصدر
يُقلِّب نحو الشرق نظرة وامقٍ — كأَنَّ له شوقاً إلى مَطلع الفجْرِ
مصانعُ فيها للعلومِ غوامض — تَدل على أَن ابن آدم ذو قدْرِ
رسا أصلها ، وأمتد فى الجوِّ فرْعُها — فأَصبح وكرًا للسُّماكين[٢]والنَّسر[٣]

(٢) أحمد شوقى المتوفى سنة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م

أَشهر شعراء العربية فى العصر الحاضر ، وأَقدرهم على التصورات البديعية ، هو شاعر النيل المرحوم أَحمد شوقى بك ، ابن أَحمد شوقى بك ، المولود بمصر سنة ١٢٨٥ هـ ـ ١٨٦٨ م .

شعره : ينظم بين أَصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ، وحيث يشاءُ ، لايجهد فكره ، ولايكده فى معنى أَو فى مبنى . فأَما المعنى فيجيئه على مرامه أَو على أَبعد من مرامه ، ولا ينضب عنده ، لأَنه يستخلصه من عقل فوّار الذكاء ومعارف جامعة إلى أَفانين الآداب ، فى لغات الإفرنج والأَعراب ، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التى يحفظ منها غير يسير ، إلى مُشاركات علمية وتنبيهات فنية ، استفادها من مطالعته فى صنوف الكتب واتخذها عن ملاحظاته ومسموعاته فى جولاته بين بلاد الشرق والغرب . وأَما المبنى فله فيه أَذواق متعددة بتعدد مقامات القول ، ترى فيه من نسج (البُحترى) ومن صياغة (أَبى تمام) ومن وثبات (المتنبى) ومن مفاجآت (الشريف) ومن مُسلسلات (مِهيار) . ومن قوله (يصف هَيكل أَنس الوجود) :

أَيها المنْتحِى (بأَسوان) دارًا — كالثُّريَّا تُرِيدُ أَنْ تَنْقَضَّا

---

(١) اسم لأبى الهول عرف به صدر الاسلام . ولعل أبا الهول محرف عنه .

(٢) السماكان : نجمان نيران فى السماء أحدهما السماك الرامح والثانى السماك الأعزل .

(٣) النسر : كوكبان . الواقع والطائر . وفى النسر تورية .

اخلع النعل واخفض الطرف واخشع لا تحاول من آية الدهر غمضا
قف بتلك (القصور) فى اليمِّ غَرْقى مُمسِكًا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماءِ بضًّا(١) سابحاتٍ به وأَبديْنَ بضا
مشرفات على الزّوال وكانت مشرقات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون مازال غضًّا
رب (نقشٍ) كأَنما نفض الصا نِعُ منه اليدين بالأَمس نفضا
و (دهان) كلامع الزيت مَرَّتْ أَعْصرٌ بالسراج والزيت وضا(٢)
و (خُطوطٍ) كأَنها هُدُب ريمٍ(٣) حسنت صنعة وطولا وعَرضا
و (ضحايا) تكاد تمشى وترعى لو أَصابت من قدرة الله نَبضا
و (محاريب) كالبُروج بنتها عزماتٌ من عزْمة الجنِّ أَمْضى(٤)
شيِّدت بعضها الفراعين زُلْفى(٥) وَبنى البعضَ أَجنبٌ يترضى(٦)
و (مقاصِيرَ) أُبْدِلتْ بفُتَات المسـك ترباً وباليواقيب قضاً(٧)
حظها اليوم هدَّةٌ وقديماً صرِّفَت فى الحظوظ رَفعًا وخَفضاً
سقت العالمين بالسعد والنحـس إلى أن تعاطت النَّحس محضا(٨)
صنعة تدهش العقول وفنٌّ كان إتقانه على القوم فرضَا
يا قصورا نظرتها وهى تقضى(٩) فسكبتُ الدموع والحق يُقضى
أَنت سطرٌ ومجد مصر كتاب كيف سام البلى كتابك قضا
وأَنا المُحتفى بتاريخ مصر من يصن مجد قومه صان عرضا
رُبَّ سِرٍّ بجانبيكِ مزال كان حتى على (الفراعين) غَمضا

---

(١) بضا : البض ، الرخص : الجسد . (٢) وضا : وضاء .
(٣) ريم : غزال . (٤) أمضى : أحد . (٥) زلفى : تقريبا .
(٦) يترضى : يطلب الرضا . (٧) قضا : حصا .
(٨) محضا : خالصا . (٩) تقضى : تفنى .

قل لها فى الدعاء لو كان يجدى ... تاسماء الجلال لا صرتِ أرضا
حار (فيك) المهندسون عقولا ... وتولت عزائم العِلم عرضى
أين ملك حيالها وفريد ... من نظام النعيم أصبح فضًّا(١)
أين (فرعون) فى المواكب تترى ... يركض المالكين كالخيل ركضا
ساق للفتح فى الممالك عرضاً ... وجلا للفخار فى السِّلم عرضا
أين (إيزيس) تحتها النيل يجرى ... حكمت فيه شاطئين وعرضا
أسدل الطرف كاهن ومليك ... فى ثراها وأرسل الرأْس خفضا
يعرض المالكون أسرى عليها ... فى قيود الهوان عانين جرضى(٢)
ما لها أصبحت بغير مجير ... تشتكى من نوائب الدهر عضا
هى فى الأماسر بين صخر وبحر ... ملكة فى السجون فوق حضْوَضى(٣)
أين (هوروس) بين سيف ونطع ... أهذا فى شرعهم كان يُقضى؟
ليت شعرى قضى شهيد غرام ... أم رماه الوشاة حقدًا وبغضاً
رب ضرب من سوط فرعون مض(٤) ... دون فعل الفراق بالنفس مضا
وهلاك بسيفه وهو فان ... دون سيف من اللواحظ ينضى(٥)
قتلوه فهل لذاك حديث ... أين راوِى الحديث نثرًا وقرضا؟
يا إمام الشعوب بالأمس واليو ... م ستعطى من الثناء فترضى
(مصر) بالنازلين من ساح معن(٦) ... وحمى الجود حاتم الجود أفضى
كن ظهيراً(٧) لأهلها ونصيراً ... وابذل النصح بعد ذلك محضا
قل لقوم على (الولايات) أيقا ... ظٍ إذا ذاقت البرية غمضا
شيمة النيل أن يفى وعجيب ... أحرجوه فضيع العهد نقضا

---

(١) فضا : مفضوض . (٢) جرضى : مغمومين .
(٣) حضوضى : جبل فى البحر . (٤) مض : مرجع .
(٥) ينضى : يسل . (٦) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب . (٧) ظهيرا : نصيرا .

حاشه[١] الماءُ فهو صيد كريم ليت بالنيل يوم يسقط غيضا[٢]
شيدوا المال ، والعلوم قليلٌ أنقذوه بالمال والعلم نقضا[٣]

وقال أيضاً فى استنهاض هِمم العمال من قصيدة :

أيها العمالُ أفنوا العمـ ـرَ كدًّا واكتسابا
واغمرُوا الأَرض فلوْلا سعيكم أمست يبابا[٤]
أتقنوا الصنعة حتّى تـأْخذوا الخلد اغتصابا
إن للمتقن عند اللـ ـه والناس ثوابا
أتقنوا يحببْكم اللـ ـهُ ويرفعكم جنابا
أرضِيتم أَن تُرَى مصـ ـر من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماءً للصناعات وغابا
أيها الغادون كنـ ـحل ارتيادا وطلابا
فى بكور الطير للرز ق مجيئًا وذهابا
اطلبوا الحقَّ برفق واجعلوا الواجب دابا
واستقيموا يفتح اللـ ـه لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللـ ـه أو تُرضوا الكتابا
إنها رجسٌ فطوبى لامرىءٍ كفَّ وتابا
تُرْعش الأَيدى ومن ير عش من الصناع خابا
إنما العاقل من يجعل للدهر حسابا

(١) حاشه : من حاش الصيد ، أخرجه فى كل مكان .
(٢) غيضا : من غاض الماء غيضا ، نقص أو غار فذهب فى الأرض .
(٣) نقضا : النقض ما انتقض من البناء ، أى انتكث .
(٤) الأرض اليباب : الخراب .

وقال أيضاً فى وصف الصحافة من قصيدة :

لكل زمان مضى آيةٌ وآية هذا الزمان الصحف
لسانُ البلاد ونبض العبا د وكهف الحقوق وحرب الجنف(١)
تسيرُ مسير الضحى فى البلا دِ ، إذا العلم مزّق فيها السدف(٢)
وتمشى تعلمُ فى أُمة كثير بها لا يخُط الأَلِف !
فيا فِتية الصحف صبرًا إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإن السعادة غيرُ الظهو ر ، وغير الثراء ، وغير الترف
ولكنها فى نواحى الضمـــــير إذا هو باللؤم لم يُكتنف
خذوا القصد واقنعوا بالكفا ف وخلوا الفضول يغلها السرف(٣)
ورومُوا النبوغَ فمن ناله تلقى من الحظ أسنى التحف
وما الرزق مجتنِبٌ حرفة إذا الحظ لم يهجر المحترف
إذا آخت الجوهرىَّ الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له فى الصدفْ(٤)
وإن أعرضت عنه لم يحلُ فى عُيونِ الخرائد(٥) غير الخزف

(٣) المرحوم محمد حافظ إبراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ بن إبراهيم أفندى فهمى المولود سنة ١٢٨٨ هـ . يقول الشعر فى كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ويتعب فى قرض قريضه تعب النحات الماهر فى استخراج تمثال جميل من حجره .

يؤثر الجَزالة على الرِّقة ، وله فيها آيات ، يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأَبيات قبل المطلع ، شأْن الصانع القدير الذى

(١) الجنف : الحيف . (٢) السدف : الظلام .
(٣) الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة ، وغالها السرف يغولها : أبى عليها . (٤) اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير .
(٥) الخرائد : العذارى .

يبدأُ بأَصعب ما بين يديه ، آمناً أن تهن عزيمته دون الإجادة بعد ، عالماً أَن الكلام لا بد أن يأْتيه فى أى مقام طبعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أَساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخير نفائس مفرداتها ، وأَعلاق حلالها . له غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى ، وفى أَقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فإذا فاته الابتكار حيناً فى التصور لم يفته الابتكار حيناً فى التصوير ، أَولع بالاجتماعيات فقال فيها وأَجاد ما شاء .

فهو على الجملة أَحد الثلاثة الذين هم نجوم الأَدب العربى فى مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته ، وإضاءته وأَثره الخالد .

أَما شعره فشعر البيان ، وإن من البيان لسحرًا ــ ومن شعره الاجتماعى قوله :

كم ذا يُكابد عاشق ويُلاقى ... فى حُب مصر كثيرة العشاق
إنى لأَحملُ فى هواكِ صبابة ... يامصر ، قد خرجت عن الأَطواق
لهفى عليكِ ، متى أَراكِ طليقة ... يحمى كريم حماكِ شعبٌ راق
كلفٌ بمحمود الخلال مُتيَّمُ ... بالبذلِ بين يديكِ والإنفاق
إنى لتطربنى الخلالُ كريمة ... طربَ الغريب بأَوبةٍ وتلاق
ويهزُّنى ذكر المروءة والندى ... بين الشمائل هزة المشتاقِ
ما البابلية فى صفاء مزاجها ... والشربُ بين تنافس وسباق
والشمس تبدو فى الكئوس وتختفى ... والبدرُ يشرق من جبين الساقى
بألذ من خُلقٍ كريم طاهر ... قد مازجتهُ سلامة الأَذواق
فإذا رُزقتَ خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مقسمُ الأَرزاقِ
فالناسُ هذا حظه مالٌ ، وذا ... علم ، وذاك مكارم الأَخلاق
والمال إن لم تدخرهُ محصنا ... بالعلم كان نهاية الإملاق

والعلمُ إن لم تكتنفه شمائلٌ ... تُعليه كان مطيَّة الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفعُ وحدهُ ... ما لم يُتوجُ ربه بخلاقِ
مَن لى بتربيةِ النساءِ فإنها ... فى الشرق علةُ ذلك الإخفاقِ
الأُم مدرسة ، إذا أَعْددتَها ... أعددت شعباً طيب الأَعراق
الأُم روضٌ إن تعهدهُ الحيا ... بالرى ، أورق أَيَّما إيراق
الأُم أُستاذ الأَساتذة الأُلى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أَنا لا أَقول : دعوا النساءَ سوافرًا ... بين الرجال يجلنَ فى الأَسواق
يدرجن حيث أَردن ، لا من وازِ ... ع يحذرن رقبته ولا من واقِ
يفعلن أَفعال الرجال لواهياً ... عن واجبات نواعس الأَحداق
فى دورهنَّ شؤونهن كثيرة ... كشئون ربِّ السيف والمزراق
كلا ، ولا أَدعُوكمُ أَن تسرفوا ... فى الحُجب والتضييق والإرهاق
ليست نساؤُكم حلى وجواهرًا ... خوف الضياع تصان فى الأَحقاق
ليست نساؤكم أَثاثا يُقتنى ... فى الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الأَزمانُ فى أَدوارها ... دُولا ، وهن على الجهود بواق
فتوسطوا فى الحالتين وأَنصفوا ... فالشر فى التقييد والإطلاق
رَبوا البنات على الفضيلة ، إنها ... فى الموقفين لهن خير وثاقِ
وعليكُم أَنْ تستبين بناتكم ... نور الهدى ، وعلى الحياة البواقى

(٤) المرحوم إسماعيل صبرى المتوفى سنة ١٩٢٣ م

هو أَحد شعراءِ الطبقة الأُولى فى هذا العصر ، ويمتاز بجمال مقطعاته وعذوبة أسلوبه إلى ما لا يُجاريه فيه مُجار .

وأَكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله ، من مثل حادثة يشهدها ، أَو خبر ذى بال يسمعه ، أَو كتاب يطالعه ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين عادة إلى أَربعة إلى ستة ، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة .

وهو شديد النقد لشعره ، كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ ، وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسبه ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٤م ، وتوفى سنة ١٩٢٣ م .

ومن قوله يصف الأهرام :

لا القوم قومى ولا الأعوان أعوانى ... إذا وَنى يوم تحصيل العلى وان
ولست إن لم تؤيِّدنى فراعنةٌ ... منكم بفرعون عالى العرش والشَّان
ولست جبارَ ذا الوادى إذا سلمت ... جبالهُ تلك من غارات أعوانى
لاتقربوا النيلَ إن لم تعملوا عملًا ... فماؤه العذبُ لم يُخلق لكسلان
ردوا المجرَّة كدًّا دون مورِده ... أو فاطلبوا غيره ريًّا لظمآن
وابنوا كما بَنتِ الأجيالُ قبلكم ... لا تتركوا بعدكم فخرًا لإنسان
أمرتكم ، فأطيعوا أمر ربكُم ... لايَثنِ مُستمعا عن طاعة ثانِ
فالملكُ أمرٌ وطاعات تسابقه ... جنباً إلى جنب إلى غايات إحسان
لاتتركوا مُستحيلًا فى استحالته ... حتى يُميط لكم عن وجه إمكان
مقالة قد هوت عن عرشٍ قائلها ... على مَناكب أبطال وشُجعان
مادت لها الأرض من ذُعر ودان لها ... ما فى المقطم من صخر وصوانِ
لو غير فرعون ألقاها ملإ ... فى غير مصر لعدَّت حُلم يقظان
لكن فرعون إن نادى بها جبلًا ... لبَّت حجارتُهُ فى قبضة البانى
وآزرته جماهيرٌ تسيل بها ... بطاحُ واد بماضى العزم ملآنِ
يبنون ما تقفُ الأجيال حائرة ... أمامه بين إعجاب وإذعان
من كل ما لم يَلد فكر ولا فتحت ... على نظائره فى الكون عينانِ
ويُشبهون إذا طاروا إلى عمل ... جنا يطيرُ بأمر من سُليمان
برا بذى الأمر لاخوفاً ولاطمعاً ... لكنهم خلقوا طُلاب إتقانِ

أَهرامُهم تلك ، حي الفنَّ متخذًا من الصخور بروجاً فوق كيوانِ
قد مر دهرٌ عليها وهى ساخرة بما يُضعضعُ من صرح وإيوان
لم يأخذِ الليلُ منها والنهار سوى ما يأْخذُ النمل من أَركان ثهلان
كأَنها والعوادى فى جوانبها صرعى بناءُ شياطين لشيطانِ
جاءت إليها وفود الأَرض قاطبة تسعى اشتياقاً إلى ما خلد الفانى
فصغرت كل موجود ضخامتها وغضَّ بنيانها من كل بنيان
وعاد مُنكرُ فضل القوم معترفاً يُثنى على القوم فى سِر وإعلان
تلك الهياكل فى الأَمصار شاهِدةٌ بأَنهم أَهلُ سبْق ، أَهل إمعان
وأَنَّ فِرعونَ فى حولٍ ومقدرة وقوم فرعون فى الإِقدام كفآنِ
إذا أَقامَ عليهم شاهدًا حجرٌ فى هيكل قامت الأُخرى ببرهانِ
كأَنما هى والأَقوامُ خاشعةٌ أَمامها صُحفٌ من عالم ثان
تستقبل العين فى أَثنائها صُورٌ فصيحة الرَّمز دارت حول جدرانِ
لو أَنها أعطيت صوتاً لكان له صدى يُروعُ صمَّ الإِنسِ والجان
أَين الأُلى سجلوا فى الصخر سيرتهم وصغروا كل ذى مُلك وسُلطان
بادوا ، وبادَت على آثارهم دولٌ وأَدرجوا طىَّ أَخبار وأَكفانِ

(٥) خليل مطران

هو شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأَهرام ، ولد عام ١٨٧١ م ببعلبك وتعلم بها ، ثم قدم مصر عام ١٨٩٣ ، واشتغل بمكاتبة الصحف ، وأَنشأَ باسمه «المجلة المصرية» عام ١٨٩٩ م ، وأَنشأَ أَيضاً «جريدة الجوائب المصرية» ، وله ديوانه المسمى «ديوان الخليل» .

شعره : مجمع الصور ، وملعب الخيال ، ونفسه كالصحيفة الحساسة ،

ينطبع عليها كل ما يمر بها . بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم ، بل وجه البحيرة الصافى يحركه كل ريح .

ومن قصيدة له يصف الأسطول الإيطالى لسواحل الشام ويستنهض الهمم :

بلادى لا يزال هواك منى كما كان الهوَى قبل الفطَام ِ
أقبِّل منك حيث رَمى الأَعادى رَغاماً طاهرا دون الرغام ِ
وأَفدِى كلَّ جُلمود فنيتٍ وهى بقنابل القوم ِ اللئام ِ
لحَى الله المطامعَ حيث حلتْ فتلك أَشد آفات السلام ِ
تشوبُ الماء وهو أَغرُّ صافٍ وتمشى فى المشارب بالسقام ِ
أَقول : وقد أَفاق الشرقُ ذُعرًا من الحال الشبيهة بالمنام
على صخبِ المدافع فى حُماةٍ ورقص الموت بين طَلى وهام ِ
أَقول بصوته لِحماة دار رمَاها من بنَاةِ الغرب رام
أُباةَ الضيم من عرب وترْك نسورَ الشمّ آساد الموامى
قروم العصر فرساناً ورَجْلا نجوم الكرّ من خلف اللثام ِ
بنا مرض النعيم فنسِّمُونا وَغًى يشفى من الصفو العَقام ِ
بنا بردُ المكوثِ فأَدفئونا بحمى الوثْبِ حيث الخطب حام
بنا عطل السماع فشنفونا بقعقعة الحديد لذى الصدَام ِ
على هذا الرجاء ونحن فيه نسير مُوفقينَ إلى الأَمام ِ

وقال أَيضاً فى «نابليون» وهو يَرْقب السماءَ فى آخر أَيامه :

قالوا لنابليون ذات عَشية إذ كان يَرقبُ فى السماءِ الأَنجما
هل بعد فتح الأَرض من أَمنية فأَجاب أنظر كيف أفتتح السما !

أبواب الشعر العربى ــ الباب الأول فى المديح

قال أُمية بن أَبى الصلت المتوفى فى أَول ظهور الإسلام حامدًا شاكرًا الإله

لكَ الحمدُ والنَّعماءُ والملكُ رَبَّنا ... فلا شيء أَعلى منك مجدًا وأَمجدُ
مليكٌ على عرش السماءِ مُهيمنٌ ... لعزَّته تعنو الوُجوه وتَسجدُ
فسبحان من لا يعرف الخلقُ قدره ... ومن هو فوق العرش فرْد موحدُ
هو الله بارى الخلق والخلق كلهم ... إِماءٌ له طَوعا جميعًا وأَعبُدُ
مليكُ السماوات الشِّدَاد وأَرضها ... يدوم ويبقى ، والخليقة تنفَدُ

وقال أَيضاً فى الكونيات وذكر الفناءِ وما يلقاه الناس بعد ذلك :

إِلٰه العالمين وكل أَرض ... وربُّ الراسيات من الجبالِ
بناها وابتنى سبعًا شدادًا ... بلا عمدٍ يُرَيْنَ ، ولا رجال
وسوَّاها وزَينها بنور ... من الشمس المضيئة والهلالِ
ومن شُهب تلألأ فى دُجاها ... مراميها أَشدُّ من النصالِ
وشق الأَرض فانْبجَست عيوناً ... وأَنهارًا من العذْب الزلال
وبارك فى نواحيها وزَكى ... بها ما كان من حرث ومال
فكل مُعمرٍ لابد يوماً ... وذى دنيا يصير إِلى زوَالِ
ويفنى بَعدُ جِدتهِ ويَبلَى ... سوى الباقى المقدس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عُراة ... إِلى ذات المقامع والنِّكالِ
فنَادوا وَيْلنا ويلا طويلا ... وعجوا فى سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميِّتين فيستريحوا ... وكلهم بحرِّ النار صالى
وحل المتقون بدار صِدْق ... وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنَّوا ... من الأَفراح فيها والكمالِ

وقال محمود سامى البارودى مادحاً سيد الأُمة ، من قصيدة كشف الغمة :

(محمد) خاتم الرُّسل الذى خَضعت ... له البرِيةُ من عُرب ومن عجمِ
سميرُ وحى ومجنى حكمة ونَدى ... سماحةٌ وقرى عاف ورىٌّ ظَمِ

قد أَبلغ الوحيُ عنه قبل بعثته   مسامع الرسل قولا غير منكتم
فذاك دعوة إبراهيم(١) خالقهُ   وسر ما قاله عيسى(٢) من القِدَم
أَكْرِم به ، وبآباءٍ مُحجَّلةٍ   جاءت به غُرة فى الأَعصر الدُّهم
قد كان فى ملكوت الله مُدَّخرًا   لدعوة كان فيها صاحبَ العلم
نور تنقل فى الأَكوان ساطعهُ   تنقلَ البدر من صُلْبٍ إلى رحم

وقال شوقى مادحاً أَفضل الخلق على الإطلاق من قصيدة نهج البردة :

(محمدٌ) صفوةُ البارى ورحمتهُ   وَبُغيةُ الله من خلق ومن نسم
وصاحبُ الحوض يوم الرسل سائلة   متى الورود ؟ وجبريل الأَمين ظمى
سناؤه وسناءُ الشمسِ طالعةٌ   فالجرمُ فى فلكٍ والضوءُ فى علم
قد أَخطأَ النجم ما نالت أَبُوته   من سؤدد باذخ فى مظهرٍ سنم
نموا إليه فزادوا فى الورى شرفاً   وربَّ أَصْل لفرع فى الفخار نمى
حوَاهُ فى سبحات الطهر قبلهم   نوران قاما مقام الصلب والرحم
لما رآه بحيرًا قال نعرِفهُ   بما حفظنا من الأَسماء والسيم

وقال أَبو تمام مادحا المعتضد بالله :

إلى قطبِ الدنيا الذى لو بفضله   مدحت بنى الدنيا كفَتْهم فضائله
من البأْس والمعروف والجود والتقى   عيالٌ عليه رزقهن شمائله
هو البحر من أَىّ النواحى أَتيتهُ   فلجتُهُ المعروف والجودُ ساحله
تعَود بسط الكَفِّ حتى لو انه   ثناها لقبض لم تطعه أَنامله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه   لجادَ بها فليتق الله سائله

(١) يشير الى قوله تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

(٢) يشير الى قوله جل ذكره : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

وقال مادحاً المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة :

السيفُ أَصدق أنباءً من الكتبِ ... فى حَدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعِبِ
بيض الصَّفائح لا سود الصحائف فى ... مُتونِهن جلاءُ الشك والرِّيب
فتحٌ تفتح أَبْواب السماء له ... وتبرز الأَرض فى أَثوابها القشبِ
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضُحى ... يشله وسطها صبحٌ من اللهبِ
حتى كأَن جلابيب الدجى رغبت ... عن لونِها أَو كأَن الشمس لم تغبِ
أَجبته معلنا بالسيف مُنصلتًا ... ولو أَجبت بغير السيف لم تجبِ
خليفة الله جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإِسلام والحسب
إِن كان بين صروف الدهر رحم ... موصاةٍ أَو ذمام غير مُنقضبِ
فبين أَيامِك اللاتى نُصرت بها ... وبين أَيام بدر أَقرب النَّسب

وقال أَبو العلاء المعرى :

إِليك تناهى كل فخرٍ وسؤدَدٍ ... فأَبْلِ الليالى والأَنام وجدِّدِ
لجدك كان المجد ثم حويته ... ولابنك يبنى منه أَشرَفُ مقعد
ثلاثة أَيام هى الدهر كله ... وما هن غير الأَمس واليوم والغدِ
وما البدر إِلا واحدٌ غير أَنه ... يغيب ويأْتى بالضِّياء المجددِ
فلا تحسب الأَقمار خلقًا كثيرة ... فجملتها من نَيِّر متردِّدِ
وللحسن الحسنى وإِن جاد غَيْرُهُ ... فذلك جودٌ ليس بالمتعمدِ

وقال أَبو الطيب المتنبي مادحاً سيف الدولة :

ضاق الزمان ووجه الأَرض عن ملك ... مِلء الزمان ومِلء السهل والجبل
فنحن فى جذل والروم فى وجلٍ ... والبرُّ فى شغل والبحر فى خجل
ليت المدائح تستوفى مناقبه ... فما كليبٌ وأَهل الأَعصر الأُول
خُذْ ما تراه ودع شيْئًا سمعت به ... فى طلعة البدر ما يغنيك عن زُحل

وقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فإن وجدت لساناً قائِلاً فقُل
إن الإمام الذى فَخرُ الأَنام به ... خير السيوف بكفى خيرَة الدول
تمسى الأَمانىُّ صرعى دون مبلغه ... فما يقولُ لشىءٍ ليتَ ذلك لى

وقال أَيضاً يمدحُ أَبا شجاع :

لا خَيلَ عندك تهديها ولا مالُ ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحالُ
واجز الأَميرَ الذى نُعماه فاجئةٌ ... بغير قولٍ ونُعمى الناس أَقوال
فربما جزت الإحسان مُوليه ... خريدةٌ من عذارى الحى مكسالُ
وإن تكن محكمات الشكل تمنعنى ... ظهور جرى فلى فيهن تصهال
وما شكرتُ لأَن المال فرحنى ... سِيان عندى إكثارٌ وإقلال
لكن رأَيتُ قبيحًا أَن يَجادلنا ... وإننى بقضاء الحق بخالُ
فكنت مُنبتَ روض الحزن باكره ... غيثٌ بغير سباخ الأَرض هطالُ
غيثٌ يُبينُ للنظار موقعهُ ... إن الغيوث بما تأْتيه جُهال
لا يُدرك المجد إلا سيدٌ فطنٌ ... لما يشق على الساداتِ فعالُ
لا وارثٌ جهلت يمناهُ ما وهبت ... ولا كسوبٌ بغير السيف سئال
قال الزمانٌ له قولا فأَفهمه ... إن الزمان على الإمساك عذالُ
تدرى القناة إذا اهتزَّت براحته ... أَن الشقىَّ بها خيلٌ وأَبطالُ
كفاتك ، ودخول الكاف منقصةٌ ... كالشمس قلت وما للشمس أَمثال
القائدُ الأَسد غذتها براثنه ... بمثلها من عِدَاهُ وهى أَشبال

وقال أَيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث عام ٣٤٣ هـ :

على قدرِ أَهل العزم تأْتى العزائمُ ... وتأْتى على قدرِ الكرام المكارم
وتعظمُ فى عين الصغير صغارها ... وتصغر فى عينِ العظيمِ العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك مالا تدعيه الضراغمُ
يفدى أتم الطير عمرًا سلاحه نسور الفَلا أَحداثها والقشاعمُ
وما ضرها خلقٌ بغير مخالب وقد خلقت أَسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أَىُّ الساقيين الغمائم
سقتها الغمائم الغرُّ قبل نزوله فلما دنا منهل سقتها الجماجم
بناها فأَعلى والقنا تقرع القنا وموجُ المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثلُ الجنون فأَصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دَهْر ساقها فرَددتها على الدين بالخطى والدهر راغم
تبيدُ الليالى كل شىء أَخذته وهُنَّ لما يَأْخذن منك غوارم
وكيف ترجى الروم والفرس هدمها وذا الطعنُ آساس لها ودعائم

وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

تعزت امَّ حزرة ثم قالت : رأيت الواردين ذوى امتناح
ثقى بالله ليسَ له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
سأَشكرُ إن رددت علىّ ريشى وأنبتَّ القوادم فى جناحى
أَلستم خير من رَكب المطايا وأَنْدَى العالمين بُطون راح

وقال أَيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه :

كم باليامة من شعثاءِ أَرمَلة ومن يتيم ضعيف الصَّوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده كالفرخ فى العشِّ لم ينهض ولم يطر
يدعوك بعدك ملهوف كأَن به خبلا من الجن أَو مَساً من البشر
إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أَخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
أَتى الخلافة أَو كانت له قدرًا كما أَتى ربه مُوسى على قدر
هذى الأَرامِلُ قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأَرمل الذَّكر ؟

وقال أَيضاً يمدحه :

يعودُ الفضلُ منك على قريش وتفرجُ عنهم الكُربَ الشدادا
وقد أَمَّنْت وحشهُم برفق ويعيي الناسَ وحشك أَن يصادا
وتدعو الله مجتهدًا ليرْضى وتذكر فى رَعيَّتِكَ المعادا
وما كَعْبُ ابن مامة وابن سُعْدى بأَجودَ منك يا عمرُ الجوادا

وقال الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٩ هـ مادحا الأَمير أَبا الفضل الميكالى :

لك فى المفاخر معجزاتٌ جمة أَبدًا لغيرك فى الورَى لم تجمع
بحران بحرٌ فى البلاغة شابَهُ شعر الوليد وحُسنُ لفظ الأَصمعى
وترسُّل الصابى تزين عُلوه خط ابن مقةَ ذو المحَل الأَرفع
كالنور أَو كالسحر أَو كالبدر أَو كالوَشى فى برد عليه موشع
شكرًا فكم من فقره لك كالغنى وافى الكريم بُعَيد فَقر مدقع
وإذا تفتقَ نورُ شعرك ناضرا فالحسن بين مرصع ومصرع
أَرجلت فرسان الكلام ورضـ ـت أَفْرَاسَ البديع وأَنت أَمجد مبدع
ونقشت فى فص الزمان بَدائعاً تزرى بآثار الربيع الممرع

وقال أَبو محمد اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح :

أَقسمت بالفائز المعصوم معقده فوز النجاة وأَجر البر فى القسم
لقد حمَى الدين والدنيا وأَهلهما وزيره الصالح الفُرَّاج للغمم
اللابس المجد لم تنسج غلائله إلا يد الصانعينِ السيف والقلم
وقد ملكته العوالى رق مملكة تعير أَنف الثريا عزة الشمم
أَرى مقاماً عظيمَ الشأْن أَوهمنى فى يقظتى أَنه من جملة الحلم
ليت الكواكب تدنو لى فأَنظمها عقود مدح فما أَرضى لكم كلمى
خليفة ووزير مدَّ عدلهما ظلا على مفرقِ الإسلام والأُمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما فما عسى يتعاطى هاطلُ الديم

وقال المرحوم حافظ إبراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهنئه :

رأَيتكَ والأَبصارُ حولك خُشع فقلت أَبوحفص ببرديك أَم على
وخفضتَ من حزنى على مجد أُمة تداركتها والخطبُ للخطب يعتلى
طلعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها فى الفوزِ قدح ابن مقبل
وجردت للفتيا حسام عزيمة بحديه آياتُ الكتاب المنزل
محوتَ به فى الدين كل ضلالة وأثبت ما أَثبتَّ غيرَ مضلل
لئن ظفر الإفتاء بفاضل لقد ظفر الإسلامُ منك بأَفضل

الباب الثانى فى الفخر والحماسة

قال السموأل بن عادياء المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة :

إذا المرءُ لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل(١)
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناءِ سبيل(٢)
تُعَيّرنا أَنَّا قليلٌ عديدنا فقلت لها : إن الكرامَ قليل(٣)
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول(٤)
وما ضرَّنا أَنَّا قليل وجارنا عزيز وجارُ الأَكثرينَ ذليل(٥)
لنا جبل يحتله من نجيرُهُ منيع يردُّ الطرف وهو كليل(٦)

---

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة : والمعنى أن الانسان اذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأى ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا .

(٢) وان هو لم يحمل الى آخر البيت : أى من لم يصبر النفس على مكارهها فلا سبيل له الى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم ضيم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونه تذللا . (٣) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والأول المختار . (٤) الشباب : جمع شاب كالشبان ، وقوله : أراد تتسامى فحذف احدى التاءين ، والكهول جمع كهل ضد الشبان . (٥) وضرنا يجوز فى أما أن تكون نافية ، والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير . (٦) قيل انه أراد يذكر الجبل العز والسمو : وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذى يقال له الأبلق الفرد بناه أبوه ، وقيل بناه سيدنا سليمان عليه السلام .

رسَا أَصله تحت الثرى وسما به | إلى النجوم فرْع لا يُنالُ طويلُ(١)
هو الأَبلق الفردُ الذى شاع ذكره | يعز على من رامه ويطولُ(٢)
وإن لقوم لا نرى القتل سُبَّة | إذا ما رأَته عامر وسلول(٣)
يقربُ حب الموْت آجالنا لنا | وتكرههُ آجالهم فتطولُ(٤)
وما مات منا سيد حتف أَنفه | ولا ظل منا حيث كان قتيل(٥)
تسيلُ على حد الظبات نفوسنا | وليست على حد الظبات تسيلُ(٦)
صفونا فلم نكدرْ وأَخلص سرنا | إناث أَطابت حملنا وفحولُ(٧)
علوْنا إلى خير الظهور وحطنا | لوقت إلى خير البطون نزولُ(٨)
فنحن كماءِ المزن مافى نصابنا | كهام ولا فينا يعد بخيلُ(٩)
وننكرُ إن شئنا على الناس قولهم | ولا ينكرون القوْل حين نقول(١٠)
إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ | قؤولٌ لما قال الكرام فعول(١١)

---

(١) رسا أصله الى آخر البيت يريد به أنه أثبت جبل فى الأرض وأعلى طود عليها . (٢) الأبلق الفرد الذى شاع ذكره هو حصن السموال بناه أبوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصيدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت تمرد مارد وعز الأبلق .

(٣) السبة العار ، وعامر وسلول قبيلتان ، يقول : اذا حسب هؤلاء القتل عارا عدته عشيرتى فخرا . (٤) يقرب الى آخر البيت يشير به الى أنهم يغتبطون لاقتحامهم المنايا وأن عامرا وسلولا يعمرون لمجانبتهم الشر كراهة للموت وحبا للحياة . (٥) يقال مات فلان حتف أنفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ، قيل ان أول من تكلم بقولهم حتف أنفه هو النبى صلى الله عليه وسلم . (٦) الظبات : جمع ظبة وهى حد السيف . قيل أراد بالظبات السيوف كلها فأضاف الحد اليها أى انهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون الا بالسيف ولا يقتلون بالعصى ولا بالحجارة كما يقتل رعاع الناس . (٧) المراد بالسر هنا الأصل الجيد .

(٨) علونا الى آخر البيت يشير به الى صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم . (٩) كماء المزن يريد بذلك . تشبيه صفاء انسابهم بصفاء المطر والنصاب الأصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد .

(١٠) ولا ينكرون الى آخر البيت معناه أنهم لشدة بأسهم وحماستهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم . (١١) يعنى أن السيادة مستقرة فينا حتى اذا خلا منا سيد قام سيد يقول ماتقول الكرام ويفعل ماتفعل .

وما أُخمدت نارٌ لنا دون طارق ... ولا ذَمَّنا فى النازلين نزيل(١)
وأَيامُنا مشهورة فى عَدُونا ... لها غُررٌ معلومة وحُجُول(٢)
أَسيافنا فى كل شرق ومغربٍ ... بها من قِرَاع الدَّارِ عين فُلولُ(٣)
مُعوَّدة أَلا تسلَّ نصالها ... فتغمد حتى يُستباحَ قبيلُ(٤)
سَلِى إن جهلت الناس عنا وعنهم ... فليسوا سواءً عالمٌ وجهول(٥)
فإن بنى الديان قطبٌ لقومهم ... تدورُ رحاهم حولهم وتجول(٦)

وقال عنترة العبسى المتوفى سنة ٧ قبل الهجرة :

لعمرك إن المجد والفخر والعلا ... ونيل الأَمانى وارتفاع المراتب
لمن يتلقى أَبطالها وسراتها ... بقلب صبور عند وقع المضارب
ويبنى بحدِّ السيف مجدًا مشيدًا ... على فلك العلياء فوق الكواكب
ومن لم يروِّ رُمْحهُ من دم العِدَا ... إذا اشتبكت سُمْر القنا بالقواضب
ويعطى القنا الخطى فى الحرب حقه ... ويبرى بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة ... وإن مات لا يجرى دموع النوادب
فضائلُ عزم لاتباعُ لضارع ... أَسرار عزمٍ لا تذاع لعائب
برزْتُ بها دهرًا على كل حادث ... ولا كحل إلا من غُبار الكتائب

---

(١) وما أخمدت نار لنا يشير بذلك الى أنهم لكثرة كرمهم يديمون ايقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم يثنى عليهم كل نزيل.

(٢) الحجول : جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة فى أعدائنا فهى بين الأيام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل .

(٣) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين أصحاب الدروع . (٤) القبيل : الجماعة من آباء شتى وجمعه قبائل يقول عودت أسيافنا أن لا تجرد من أغمادها فترد فيها الا أن يستباح بها قبيل ، وفى رواية قتيل . (٥) عنا وعنهم ويروى عنا فتخبر معناه ان كنت جاهلة بنا فسلى الناس تخبرى بحالنا فالعالم والجاهل مختلفان

(٦) القطب الحديد المفروس فى الطبق الأسفل من الرحى يدور عليه الطبق الأعلى منها ، والمعنى أن أمر قبيلهم لا يستقيم ولا يتم الا بها مثل الرحى لا يتم أمرها الا بالقطب .

إذا كذَب البرق اللموع لشائم فبرقُ حسامى صادق غير كاذب
سكتُّ فغرَّ أَعدائى السكوتُ وظنُّونى لأَهلى قد نسيت
وكيف أَنامُ عن سادات قوم أَنا فى فضل نعمتهم رُبيتُ
وإن دامت بهم خيل الأَعادى ونادَوْنى ، أَجبت متى دُعيتُ
بسيف حدُّه موْجُ المنايا ورُمحٌ صدرهُ الحتف المميت
خلقت من الحديد أَشد قلباً وقد بلى الحديد وما بليت
وإنى قد شربت دم الأَعادى بأَقْحاف الرؤوس وما رويت
وفى الحرب العَوان ولدت طفلا ومن لبن المعامع قد سقيت
فما للرمح فى جسمى نصيب ولا للسيف فى أَعضاى قوت
ولى بيت علا فلك الثريَّا تخرُّ لعظم هيبته البيوت

وقال أَيضاً فى الحماسة والفخر يوم المصانع :

إذا كشف الزمان لك القناعا ومد إليك صرف الدهر باعا
فلا تخش المنية والتقيها ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تختر فراشاً من حرير ولا تبكِ المنازل والبقاعا
وحولك نِسوة يندبن حزناً ويهتكن البراقع واللفاعا
يقول لك الطبيب دواك عندى إذا ما جسَّ كفك والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داءٍ يردُّ الموت ما قاسى النزاعا
وفى يوم المصانع قد تركنا لنا بفعالنا خبرا مُشاعا
أَقمنا بالذوابل سوق حرب وصيرنا النفوس لها متاعا
حصانى كان دلال المنايا فخاض غمارها ، وشرى وباعا
وسيفى كان فى الهيجاءِ طبيباً يداوى رأْس من يشكو الصداعا
أَنا العبد الذى خبّرت عنه ، وقد عاينتنى فدع السماعا

ولو أَرسلتُ رمحى مَع جبان لكانَ بهيبتى يلقى السِّباعا
ملأْتُ الأَرض خوفاً من حسامى وخصمى لم يَجِدْ فيها اتساعا
إذا الأَبطال فَرَّت خوف بأْسى ترى الأَقطارَ باعاً أَو ذراعا

وقال أَيضاً فى الفخر والحماسة :

أُعادى صرف دَهْر لا يُعادَى وأَحتملُ القطيعة والبِعادا
وأَظهرُ نُصْحَ قَوْم ضيعونى وإنْ خانت قلوبهمُ الودادا
أُعلِّل بالمنى قلباً عليلًا وبالصبر الجميل وإن تمادى
تعيرنى العِدا بسوادِ جلدى وبِيضُ خصائلى تمحو السوادا
وردتُ الحربَ والأَبطالُ حَوْ لى تهزُّ أَكفها السُّمْرَ الصعادا
وخضتُ بمهجتى بحر المنايا ونارُ الحرب تتقد اتقادا
وعُدْتُ مُخضباً بدمِ الأَعادى وكربُ الركض قد خضب الجَوادا
وسيفى مُرهَف الحدين ماض تقدُّ شفاره الصَّخْر الجمادا
ورمحى ما طعنتُ به طعيناً فعاد بعينه نظرَ الرشادا
ولولَا صارمى وسنان رُمحى لما رفعت بنو عبس عمادا

وقال يتوعَّد النعمان بن المنذر ملك العرب ، ويفتخر بقومه :

لايحملُ الحقدَ مَنْ تعلو به الرتبُ ولا ينال العلى منْ طبعه الغضبُ
للهِ درُّ بنى عبس لقد نسلوا من الأَكارم ما قد تنسلُ العربُ
قد كنت فيما مضى أَرعى جمالَهم واليوم أَحمى حماهم كلما نُكِبُوا
لئن يعيبُوا سوادى فهو لى نَسَبٌ يومَ النزال إذا ما فاتنى النسبُ
إن كنت تعلم يا نُعْمَان أَنَّ يدى قصيرةٌ عَنْك فالأَيامُ تنقلب
إن الأَفاعى وإن لانَتْ ملامسها عند التقلب فى أَنيابها العطب
اليوم تعلم يا نُعْمان أَىَّ فتًى يلقى أَخاك الذى قد غرَّه العصب

فتى يخوض غِمارَ الحرب مُبتَسِما ... وينْثنى وسنانُ الرُّمْح مختَضِبُ
إن سلَّ صارمه سالتْ مضاربُه ... وأشرق الجوُّ وانشقت له الحُجب
والخيلُ تشهد لى أنى أكفكفها ... والطعن مثل شرار النار يلتهب
إذا التقيت الأَعادى يوْمَ معركة ... تركت جمعهم المغْرور ينتَهَب
لىَ النُّفوس وللطير اللحوم وللـ ... ـوحش العظام وللخيالة السلب
لا أَبعدَ الله عن عَيْنىِ غطارِفةً ... إنْسًا إذا نزلوا جنًّا إذا ركبوا
أُسود غاب ولكن لا نيوب لهم ... إلا الأَسنَّة والهندية القضب
تعدو بهم أَعوَجِيات مضمرة ... مثل السراحين فى أَعناقها القبب
ما زلْت أَلقى صدور الخيل مندفقاً ... بالطعن حتى يضج السرْج واللبب
فالعمْى لو كان فى أَجفانهم نظروا ... والخرس لو كان فى أَفواههم خطبوا
والنقع يوم طرادِ الخيل يشهد لى ... والضرب والطعن والأَقلام والكتب

وقال أَيضاً فى إغارته على بنى حريقة :

حَكم سيوفك فى رقاب العذل ... وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة ... خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعص مقالته ولا تحفل بها ... واقدم إذا حقَّ اللقا فى الأَول
واختر لنفسك منزلا تعلو به ... أَو مت كريماً تحت ظلّ القسطل
إن كنت فى عدد العبيد فهمتى ... فوق الثريّا والسِّماك الأَعزل
أَو أَنكرت فرسان عبسى نسبتى ... فسنان رمحى والحسام يقر لى
وبذابلى ومهندى نلت العلى ... لا بالقرابة والعديد الأَجزل
ورميت رمحى فى العجاج فخاضه ... والنار تقدح من شفار الأَنصل
خاض العجاج محجلا حتى إذا ... شهد الوقيعة عاد غير محجل
ولقد نكبت بنى حريقة نكبة ... لما طعنت صميم قلب الأَخيل
وقتلت فارسهم ربيعة عنوة ... والهيذبان وجابر بن مهلهل

لا تسقِنى ماءَ الحياة بذِلة ... بل فاسقنى بالعزِّ كأْس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم ... وجهنمٌ بالعزِّ أطيب منزل

وقال هِبَة الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٦٣٥ ﻫ :

سِوَاى يهاب الموت أو يرهب الردى ... وغيرىَ يهوى أن يعيش مُخلَّدا
ولكننى لا أَرهبُ الدهر إن سطا ... ولا أَحذَر الموت الزُّؤام إذا عدا
ولو مَدَّ نحوى حادث الدهرِ كفه ... لحدَّثتُ نفسى أن أَمُد له يدا
توقدُ عزمى يترك الماءَ جَمرة ... وحلية حلمى تتركُ السيف مبرَدا
وفرط احتقارى للأَنام لأَننى ... أَرى كل عار من حُلى سؤددى سُدَا
ويأْبى إبائى أن يرانىَ قاعدًا ... وإنى أَرى كلَّ البرية مقعدا
وأَظمأُ إن أَبدى لِى الماء مِنَّة ... ولو كان لى نهرُ المجَرةِ مَورِدا
ولو كان إدراكُ الهدى بتذلل ... رأَيت الهدى أَلا أَميل إلَى الهدى
وقد ما بغيرى أَصبح الدهر أَشيباً ... وبى وبفضلى أَصبح الدهر أَمْرَدا
وإنك عبد يازمانُ وإننى ... على الرغم مِنى أن أُرَى لكَ سَيدا
وما أَنا راضٍ أَننى واطِىءُ الثرى ... ولى هِمةٌ لا ترتضى الأُفق مقعدا
ولو علمت زهرُ النجوم مكانتى ... لخرَّت جميعًا نحو وجهى سُجَّدا
أَرى الخلقَ دونى إذ أَرانى فوقهُم ... ذكاءً وعلماً واعتلاءً وسؤدَدا
وبذلُ نوالى زاد حتى لقد غدَا ... من الغيظ منه ساكن البحرُ مُزبِدا
ولى قلم فى أَنملى إن هَززته ... فما ضَرَّنى أَلا أَهُز المُهَنَّدا
إذا صال فوق الطرس وقع صريره ... فإن صليل المَشرفىّ له صدا

وقال حسان بن ثابت الأَنصارى المتوفى سنة ٥٤ ﻫ :

لعمر أَبيك الخير يا شعث ما نبا ... على لسانى فى الخطوب ولا يدى
لسانى وسيفى صارمان كلاهما ... ويبلغُ مالا يبلغُ السيف مذودى
وإن أَكُ ذا مال كثير أَجُدْ به ... وإن يُهتَصرْ عُودِى على الجهد يحمد

فلا المال يُنْسِينى حيائى وعفتى ... ولا واقعات الدهر يفللن مبردى
وإنى لمعْط ما وجدت ، وقائلٌ ... لموقِدِ نارى ليلة الريح أَوقد
وإنى لقوَّالٌ لذى البَث مرحبًا ... وأَهلا إذا ما جاءَ من غير مرصد
وإنى ليدعونى الندى فأَجيبه ... وأَضربُ بيض العارضِ المتوقد
وإنى لحلوٌ تعترينى مرَارةٌ ... وإنى لترَّاكٌ لما لم أُعوَّدِ
وإنى لمزجٍ للمطى على الوَحى ... وإنى لتراك الفراش الممهد

وللفرزدق :

لنا العزة القعساءُ(١) والعدد الذى ... عليه إذا عدَّ الحصى يتخلف(٢)
ومنا الذى لا ينطقُ الناس عنده ... ولكن هو المستأْذن المتصرف(٣)
تراهم قعودًا حوله وعيونهم ... مكسرة أَبصارُها ما تصرَّف(٤)
ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا(٥) ... وإن نحن أَومأْنا إلى الناس وقفوا(٦)
ولا عز إلا عزنا قاهر له ... ويسأَلنا النصف الذليل فتنصف(٧)
وما قام عنا قائم فى ندِيِّنا(٨) ... فينطق إلا بالتى هى أَعرَف(٩)

وقال وقد نزل فى بادية وأَوقد نارًا فرآها ذئب فأَتاه فأَطعمه وأَنشد :

وأَطلس عَسَّالٍ وما كان صاحباً ... دعوتُ بنارى موهناً فأَتانى(١٠)

---

(١) العزة القعساء أى القوة والمنعة الشامخة الثابتة .

(٢) يعنى عددنا كثير ، وعدد الحصى أقل منه . (٣) يعنى منا من لا يتكلم فى مجاسه الا باذنه ولا يفعل الا بأمره . (٤) يعنى ما تنظر يمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته . (٥) يعنى نحن سادة اشراف تمشى أمام الناس . (٦) يعنى اذا أشرنا الى النـــاس أن قفوا أوقف بعضهم بعضا طوع اشارتنا . (٧) ويطلب منا الضعيف النصفة والعدل فنمكنه من ذلك . (٨) الندى كفنى والنادى مجتمع القوم .

(٩) يعنى لا ينطق الا حيث يحسن الكلام واذا نطق جاء بالقـول الصـادق الذى لا يمكن لأحد أن ينـكره . (١٠) الأطلس : الذئب الخبيث الذى فى لونه غبرة مائلة السواد ، والعسال الذى يضطرب فى عدوه ويهز رأسه . الموهن : الساعة الأولى بعد نصف الليل أى دعوته بسبب ايقاد النيران فى الساعة الأولى بعد نصف الليل فجاء الى .

فلما دنا قلتُ ادنُ دونك إننى ... وإياك فى زادى لمشتركان(١)
فبتُّ أقدُّ الزاد بينى وبينه ... على ضَوْءِ نارٍ مرةً ودخان(٢)
وقلت له لما تكَشَّرَ ضاحكا(٣) ... وقائم سيفى فى يدى بمكان(٤)
تعشَّ فإن عاهدتنى لا تخوننى ... نكن مثل من ياذئب يصطحبان(٥)
وأنت امرؤٌ ياذئب والغدر كنتما ... أُخَيَّين كانا أُرضِعا بلبان(٦)
ولو غيرَنا نبهت تلتمس القِرَى ... رماك بسهم أَو شباة سنان(٧)

وقال الشريف الرضى(٨) :

لغير العُلى منى القلى والتجنب ... ولولا العلى ماكنت فى الحب أَرغب
إذا الله لم يعذرك فيما ترُومه ... فما الناسُ إلا عاذل ومؤنب
ملكْتُ بحلمى فرصة ما استرقَّها ... من الدهر مفتول الذراعين أَغلب
لئن تلك كفى ما تطاول باعُها ... فلى من وراءِ المجد قلب مذرّب
فحسبى أَنى فى الأَعادى مبغض ... وأَنى إلى عز المعالى محبب
وللحلم أَوقاتٌ ، وللجهل مثلها ... ولكن أَوقاتى إلى الحلم أَقرب
يصول علىَّ الجاهلونَ وأَعتلى ... ويُعجم فىَّ القائلون وأُعْرِب

---

(١) أى لما جاء وقف فقلت له اقترب وخذ اشارة الى اعطائه الزاد .
(٢) أقد أى أقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحما بدليل القد .
(٣) لما تكشر لما أبدى ضاحكا أى كأنه يضحك . (٤) يعنى ومقبض سيفى ثابت فى يدى . (٥) يعنى اذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معى كالمصطحبين . (٦) يعنى مع أنى أعرف أنك والغدر متلازمان لا تفترقان ومعناه أن شيمته الغدر .
(٧) تلتمس القرى تطلب الضيافة وشباة السنان حده .
(٨) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن موسى الأبرش الشريف الملقب بالرضى ذى الحسين نقيب الطالبيين المولود سنة ٣٠٦هـ وتوفى سنة ٤٠٦ هـ ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكربلاء ، ودفن عند أبيه ، ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام أبى العباس أحمد المقتدر :

عطفا أمير المؤمنين فاننا ... فى درجة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى ... أنا عاطل منها وانت مطوق

يرْون احتمالى غصة ويزيدهم لواعِجَ ضغن أَننى لستُ أَغضبُ
وأَعرض عن كأْس النديم كأَنها وميضُ غمام غائر المزنِ خُلَّبُ
وقور فلا الأَلحانُ تأْسرُ عزمتى ولا تمكر الصهباءُ بى حين أَشربُ
ولا أَعرفُ الفحشاءَ إلا بوصفها ولا أَنطق العَوراءَ والقلبُ مغضبُ
لسانى حصاةٌ يقْرَع الجهل بالحجا إذا نال منى العاضهُ المتوثب
ولست براض أَن تمسّ عزائمى فضالات مايعطى الزمان ويسلب
عرائبُ آداب حبانى بحفظها زمانى وصرفُ الدهر نعم المؤدبُ
تعلم فإن الجود فى الناس فطنة تقوم بها الأَحرار والطبع أَغلب

وقال العميد مويد الدين الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ ه :

أَبى الله أَن أَسمو بغير فضائلى إذا ما سما بالمال كلُّ مُسودِ
وإن كرُمت قبلى أَوائل أسرتى فإنى ، بحمد الله ، مبدأ سُؤدَدِى
وما منصب إلا وقدرى فوقه ولو حط رحلى بين نسر وفَرقد
إذا شرُفت نفس الفتى زاد قدره على كل أَسنى منه ذكرًا وأَمجد
كذاك حديد السيف إن يصْف جوهرا فقيمته أَضعافه وَزْنُ عسجدِ
وما المال إلا عارةٌ مستردةٌ فهلا بفضلى كاثرونى ومحتدى؟
إذا لم يكن لى فى الولاية بسطة يطولُ بها باعى وتسطُو بها يدى
ولا كان لى حكم مطاع أَجيزه فأَرغم أَعدائى وأَكبت حُسَّدِى
فأَعذر إن قصرتُ فى حق مجتد وآمن أَن يعتادنى كيدُ معتد
ولولا تكاليف العلى ومغارم ثقال ، وأَعقاب الأَحاديث فى غد
لأَعيت نفسى فى التخلى مرادها فذاك مرادى مذ نشأت ومقصدى

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أَبى لهب :

مهلا بنى عمنا ، مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لاتطمعوا أَن تهينونا ونكرمكم   وأَن نكفَّ الأَذى عنكم وتؤذونا
مهلا بنى عمِّنا من تحت أَثلتنا   سيروا رويدًا كما كنتم تسيرونا
الله يعلم أَنَّا لا نحبُّكم   ولا نلومكم إن لم تحبونا
كل له نيةٌ فى بغض صاحبه   بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وقال محمد بن عبد الله الأَزدى :

لا أَدفع ابن العم يمشى على شفا   وإن بلغتنى من أَذاهُ الجنادعُ
ولكن أُواسيه وأَنسى ذنوبهُ   لترجعه يوماً إِلىَّ الرواجعُ
وحسْبُك من ذُلّ وسوء صنيعة   مناواة ذى القربى وإن قيل قاطع

وقال حطان بن المعلى :

أَنزلنى الدهرُ على حكمه   من شامخ عال إلى خفض
وغالنى الدهرُ بوفر الغنى   فليسَ لى مالٌ سوى عِرْضِى
أَبكانىَ الدهر ويا رُبما   أَضحكنى الدهر بما يُرضِى
لولا بُنَيَّاتٌ كزغب القطا   رُدِدْنَ من بعض إلى بعض
لكان لى مضطربٌ واسعٌ   فى الأَرض ذات الطول والعرض
وإنما أَولادُنا بيننا   أَكبادُنا تمشى على الأَرض
لو هبت الريح على بعضهم   لامتنعت عينى من الغمض

وقال أَوسُ بن حبناء :

إذا المرءُ أَولاكَ الهوان فأَوله   هواناً وإن كانت قريبا أَواصرهُ
فإن أَنت لم تقدر على أَن تهينه   فَذَرهُ إلى اليوم الذى أَنت قادره

وقال سعد بن ناشب :

وتفندنى فيما ترى من شراستى   وشدَّة نفسى أُم سعد وما تدرى

فقلت لها إن الكريم وإن خلَا ليلقى على حال أمرّ من الصبر
وفى اللين ضعف وفى الشراسة هيبةٌ ومن لم يُهبْ يحمل على مركب وعر
وما بى على من لان لى من فظاظة ولكنى فظٌّ أبى على القسر

وقال إبراهيم النبهانى :

تعزّ فإن الصبر بالحرِّ أجملُ وليس على ريْب الزمان مُعوّلُ
فلو كان يغنى أن يُرى المرءُ جازعاً لحادثة ، أو كان يَغْنى التذلل
لكان التعزِّى عند كل مصيبة ونائبة بالحر أَولى وأَجمل
فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمامهُ وما لامرىء عما قضى الله مُزحَل
فإن تكن الأَيام فينا تبدَّلت ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت مِنَّا قناة صليبة ولا ذللتنا التى ليس تجمل
وقينا بحسنِ الصبر منا نفوسنا فصَحَّت لنا الأَعراض والناس هزل

وله :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم قبلى من الناس أَهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ومات أَكثرنا غيظاً بما يجد
أَنا الذى يجدونى فى صدورهم لا أَرتقى صدرًا منها ولا أَردُ

وقال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما أَنت فاعله إن التخلق يأْتى دونه الخلقُ
وموقف مثل حد السيف قمت به أَحمى الذمار وتومينى به الحَدَقُ
فما زلقتُ ولا أَبديت فاحشة إذا الرجال على أَمثالها زَلقوا

وقال تـأَبط شرًّا :

إذا المرءُ لم يحتل وقد جدَّ جدُّه أَضاع وقاسى أَمره وهو مدبر

ولكن أَخو الحزم الذى ليس نازلا   به الخطب إلا وهو للقصدِ مُبصر

وقال حبيب بن أَوس أَبو تمام الطائى :

أَنا ابن الذى استرضع الجود فيهم   وقد ساد فيهم وهو كهلٌ ويافعُ
نجومٌ طواليع جبال فوارع   غيوث هواميع سيول دوافعُ
مضوا وكأَن المكرمات لديهم   لكثرة ما أَوصوا بهن شرائع
فأَى يد فى المحل مدت فلم يكن   لها راحةٌ من جودهم وأَصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا   فضاع وما ضاعت لدينا الودائع
بها ليل لو عاينت فيضَ أَكفهم   لأَيقنت أَن الرزق فى الأَرض واسع
إذا خفقت بالبذل أَدواح جودهم   حداها الندى واستنشفتها المدامع
رياح كريح العنبر الغضِّ فى الندى   ولكنها يوم اللقاء زعازع
هى السم ما تنفك فى بلدة   تسيلُ به أَرماحهم وهو ناقع
أَصارت لهم أَرض العدو قطائعًا   نفوس لحسد المرهفات قطائع
بكل فتى ما صاب من روع وقعة   ولكنه قد شبن منه الوقائع
إذا ما أَغاروا فاحتووا ما معشر   أَغارت عليهم فاحتوته الصنائع
فتعطى الذى تعطيهم الخيل والقنا   أَكف لإرث المكرمات موانع

وقال أَبو فراس الحمدانى(١) المتوفى سنة ٣٥٧ هـ :

ووالله ما قصرت فى طلب العلا   ولكن كأَن الدهر عنى غافل

---

(١) هو الحارث بن أبى العلاء سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفى سنة ٣٥٧ هجرية عن عمر ٣٧ سنة ، وكان فرد دهره وشمس عصره أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، فلله دره شاعرا من قبل ومن بعد ، وأنشد وهو يحتضر يخاطب ابنته :

ابنتى لا تجزعى   فكل حى الى ذهاب
نوحى على بحرة   من خلف سترك والحجاب
قولى اذا كلمتنى   فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا   س لم يمتع بالشباب

مواعيد آمال حتى ما انتجعتها ... حلبت بكيات وهن حوافلُ
تدافعنى الأَيام عما أُريده ... كما دفع الدين الغريم المماطلُ
فمثلى من نال الأَعادى بسيفه ... ويا ربما غالته عنها الغوائل
وما لى لا تمسى وتصبح فى يدى ... كرائم أَموالِ الرجال العقائل
أحكم فى الأَعداءِ عنها صوارماً ... أحكمها فيها إذا ضاق نازل
وما زال محمىٍّ الحمائل عنوة ... سوى ما أَفلت فى الجفون الحمائل
ينال اختيار الصفح عن كل مذنب ... له عندنا ما لا تنال الوسائل
لنا عقب الأَمر الذى فى صدوره ... تطاول أَعناق العدى والكواهل
أَصاغرنا فى المكرمات أَكابرٌ ... وآخرنا فى المآثرات أَوائل
إذا صُلت صولا لم أَجد لى مُصاولًا ... وإن قلت قولا لم أَجد من يقاول

وقال: إنا إذا اشتد الزما ... نُ وناب خطبٌ وادلهمْ
ألفيت حول بيوتنا ... عدد الشجاعة والكرم
للقا العدَا بيض السيو ... ف وللندى حمر النعم
هذا، وهذا دأْبنا ... يودَى دمٌ ويُراق دَم

وقال:

وإنىَ لنزَّالٌ بكل مخوفة ... كثيرٌ إلى نزالها النظرُ الشزرْ
وإنى لجرارٌ لكل كتيبة ... معودة أَلا يحل بها النصر
ولا رَاحَ يطغينى بأَثوابه الغنى ... ولا بات يثنينى عن الكرم الفقر
وما حاجتى فى المال أَبغى وفوره ... إذا لم أَفر عرضى فلا وفرَ الوفر
أَسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى ... ولا فرسى مهر ولا ربَّة غمر
ولكن إذا حُم القضاءُ على امرىءٍ ... فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أُصيحابى الفرار أَو الرَّدى ... فقلت هما أَمران أَحدهما مرٌّ
ولكننى أَمضى لما لا يعيبنى ... وحسبك من أَمرين خيرهما الأَسر

ومنها : يُمنُّونَ أَن خَلوْا ثيابى وإنما ... علىّ ثياب من دمائهم حمرُ
وقائم سَيفٍ فيهم دق نصلُهُ ... وأَعقاب رمح حطمَ الصدرِ
سيذكرنى قومى إذا جدَّ جدَّهم ... وفى الليلة الظلْماءِ يفتقدُ البدر
ولو سد غيرى ماسددت اكتفوا به ... وما كان يغنى التبر ولو نفقَ الصفر
ونحن أُناسٌ لا توسُّطَ بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أَو القبر
أَعزُّ بنى الدنيا وأَعلى ذَوى العلا ... وأَكرم من فوقَ التراب ولا فخر

وقال : غيرى يغيِّره الفعال الجافى ... ويحول عن شِيَم الكريم الوافى
لا أَرتضى ودًّا إذا هو لم يدم ... عند الجفاءِ وقلة الإِنصافِ
إن الغنىَّ هو الغنى بنفسه ... ولو أَنه عارى المناكب حافِ
ما كلُّ فوقَ البسيطة كافياً ... وإِذا قنعتَ فبعض شيءٍ كافِ
وتعاف لى طَمع الحَريص فتوّتى ... ومروءَتى وقناعتى وعَفافى
ومكارمى عدد النجوم ومنزلِى ... مأْوى الكرام ومنزل الأَضيافِ

وقال : أتدعو كريماً من يجود بمالهِ ... ومن جاد بالنفس النفيسة أَكرم
إذا لم يكن يُنجى الفرار من الردى ... على حالةٍ فالصبر أَرجى وأَحزمُ
لعمرى لقد أَعذرتَ لو أَن مُسعدًا ... وأَقدمت لو أَن الكتائب تُقدِم
وما عابك ابن السابقين إلى العلا ... تأَخر أَقوامٍ وأَنت مُقدم
ومالك لا تَلقى بمهجتكَ القنا ... وأَنت من القوم الذين هُم هُم

وقال أَبو الطيب المتنبي فى سنة ٣٥٤ هـ :

أُطاعن خَيلا من فوارسها الدهر ... وحيدًا وما قولى كذا ومَعى الصبر
وأَشجع منّى كلَّ يوم سَلامتى ... وما ثبتت إلا وفى نفسها أَمر
تمرَّسْت بالآفات حتى تركتها ... تقول أَمات الموت أَم ذعِر الذعر
وأَقدمْت إقدامَ الأَتِىّ كأَن لى ... سوى مهجتى أَو كان لى عندها وتر

ذَرِ النفس تأْخذْ وسعُها قبل بينها — فمُفترق جاران دارُهما العُمْر
ولا تحسبن المجدَ زِقا وقينة — فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريبُ أَعناق الملوك وَأَن ترى — لك الهبوات السُّود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دَوِيًّا كأَنَّما — تداول سمع المرءِ أَنمله العشْرُ
إِذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص — على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن يُنفق الساعاتِ فى جميع ماله — مخافة فقر ، فالذى فعلَ الفقرُ

وقال صفى الدين الحلِّى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ :

سَل الرِّماح العوالى عن معالينا — واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا
لقد سعينا فلم تضعُف عزائمنا — عما نروم ولا خابت مساعينا
قوم إذا استُخصموا كانوا فراعنةً — يوما وإن حكموا كانوا موازينا
إِذا ادعَوْا جاءَت الدنيا مُصدِّقة — وإن دَعَوْا قالت الأَيام آمينا
إنا لقوم أَبت أَخلاقنا شرفاً — أَن نبتدى بالأَذى من ليس يوذينا
بيض صنائعنا سودٌ وقائعنا — خضر مَرابعنا حُمر مواضينا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى — ولو رأَينا المنايا فى أَمانينا

وقال أَبو العلاءِ المعَرِّى :

أَلا فى سبيل المجد ما أَنا فاعل — عفافٌ وإقدام وحزم ونائل(١)
أَعندى وقد مارست كل خَفية — يصدق واشٍ أَو يخيب سائل(٢)
تُعد ذُنوبى عند قوم كثيرة — ولا ذنب لى إلا العلا والفضائل(٣)

---

(١) أى قد جمعت بالعفة والشجاعة والحزم والجود ، وسلوك هذا الطريق هو المجد أى أن أفعالى كلها واقعة فى سبيل المجد ثم فصل أفعاله ، وعدها وكانت كلها من خلال المجد . (٢) أى بعد أن جربت الأمور التى تخفى وعرفتها لا أصدق الساعى بينى وبين اخوانى بالافساد أو أخيب من يرجو معروفى ويطلب نائلى اى أنى لا أفعل ذلك استفهام بمعنى الانكار . (٣) أى ذنوبى كثيرة عندما لا يناسبه حالى وذلك لقصوره ونقصه ولا ذنب لى الا فضائلى وعلو شأنى .

كأَنى إذا طلت الزمان وأَهْله رَجعتُ وعندى للأَنام طوائل(١)
وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم بإِخفاء شمسٍ ضوْءُها متكامل(٢)
يُهِمُّ الليالى بعض ما أَنا مضمر ويُثْقِل رضوَى دون ما أَنا حامل(٣)
وإِنى وإِن كنتُ الأَخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأَوائل(٤)
وأَغدو ولو أَن الصباح صوارم وأَسْرِى ولو أَن الظلام جحافل(٥)
وإِنى جَواد لم يحلّ لِجامُه ونَصلُ يَمانٍ أَغفلته الصياقل(٦)
فإِن كان فى لبْسِ الفتى شرف له فما السيف إِلَّا غمْده والحمائل(٧)
ولو سَنطِق لم يَرْض لى كنْه منزلى على أَننى بين السماكين نازل(٨)

---

(١) الطوائل : جمع طائل وهو الثروة ، يقول متى فقت اهل العصر بالنضائل أو أبغضونى وعادونى وصرت كأنى وترت الناس وأن عندى لهم ديونا يطالبونى بها . (٢) أى يجهد حسادى فى ستر حالى واخفاء أمرى وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتى فى البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد اخفاء شمس قد تكامل ضوءها وشعاعها أى لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن فكذلك اخفاء ذكرى غير ممكن .

(٣) الليالى فى موضع نصب لأنه مفعول به ، وسكن لضرورة الشعر أى يهم بعض ما أضمر من الهموم الليالى . (٤) أى انى وان كنت الذى آخر زمانه أفعل من الأمور العجيبة ما عجزت الأولون زمانا عن مثاله أى سبقت الأوائل فى المساعى وان تأخر زمانى .

(٥) لا يصرفنى عن همى أمر من الأمور بل أغدو أول النهار لحاجاتى ولو كان الصباح سيوفا لم يثننى عن قصدى والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيئته وأسرى فى الليل المظلم لما يهمنى ولا تمنعنى ظلمة الليل عن قصدى ولو كان جحافل وهى جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش وبالعكس . (٦) يصف اعتزاله الأمور وايثاره ملازمة الخمول والتنزه عن الأعمال مع استعداد للانهاض الى معالى الأمور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يمنى قد صدىء لطول عهده بالصقل ، أى كما تعطل الجواد عن تحلية لجامه وطول عهد السيف بالصقل . (٧) أى ليس الشرف فى ملابسة الأعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان ذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله . وليس كذلك وانما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلى بأوصاف الشرف ومعالى المجد . (٨) أى منطقى لا يرضى لى بغاية منزلتى هذه مع ارتفاعها وعلوها فانها قد بلغت السماكين بل يقتضى أعلى وأشرف منها .

لدى مَوْطن يشتاقه كل سيد ويقصرُ عن إدراكه المتناول(١)
ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيًا تجاهلتُ حتى ظُنّ أنى جاهل(٢)
فواعجباً كم يَدَّعِى الفضل ناقص ووا أسفاً كم يُظهر النقص فاضل(٣)
وكيف تَنام الطيرُ فى وكناتها وقد نُصِبَتْ للفرْقدين الحبائل(٤)
ينافس يومى فِىَّ أمسى تشرفاً وتحسُدُ أسحارى على الأصائل(٥)
وطال اعترافى بالزمان وصرفهِ فلستُ أُبالى مَن تغول الغوائل(٦)
فلو بَان عُنْقى ما تأسف منكبى ولو مات زندى مابكتْه الأنامل(٧)
إذا وصف الطائى بالبخل مادر وعَيَّرَ قُسًّا بالفهاهة باقل(٨)
وقال السُّهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى يا صبح لونك حائل(٩)

---

(١) أى منزلى عند محل يتمنى كل سيد أن يبلغه ويرقى الى حده . ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول اليه (٢) أى لما كثر الجهل فى الناس وعز العلم والفضل وجهل قدرها تكلفت الجهل وسترات فضلى تشبها بأهل زمانى حتى ظن بى جاهل مثلهم .

(٣) يتعجب من ادعاء الناقص التحلى بالفضل زورا ـ ويتأسف من اظهاره النقص مع فضله تشبها بالجاهلين فى زمانه (٤) الوكنات : جمع وكنة وهى الموضع الذى ينام فيه الطير والحبائل جمع حبالة وهى الشبكة التى ينصبها للصيد ضرب لنفسه مثلا بالفرقدين علوا ولغيره بالطير فى أوكارها . (٥) ينافس يفاخر أى أن الوقت الذى أكون فيه يتشرف بى ، فسائر الاوقات يحسد الوقت الذى أكون فيه فصار أمسى المنقضى يحسد يومى الحاضر لكونى فيه ـ وكذلك نحسد الاصائل الاسحار التى اكون فيها

(٦) طالما عرفت الزمان وأحواله ، ونالت منى حوادثه وصروفه ، وتمرنت نفسى على نوائبه فصرت لا أجزع على المصائب ولا أبالى بمن تنزل نوازل الدهر . (٧) يهون على نفسه خطوب الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو أصيب عضده وبان لم يتأسف أى لم يجزع منكبه عليه ، ولو مات زنده لم تبك أنامله عليه من أن الكف لا تبطش الا بواسطة قوة الزند وما داناه (٨) يعنى بالطائى حاتما الطائى وقد سار به المثل فى الجود ، ومادر لانه سقى ابله من بعض الحياض فلما شربت ابله وصدرت عن الماء ملح فى الحوض ومدر الحوض أى لطخه بالطين لئلا يشرب منه غيره فسمى مادرا ، وقيل أبخل من مادر (٩) السها كوكب خفى تمتحن به الابصار ، أو حين ينعكس الامر بأن يصف السهى الشمس بالخفاء مع بهائها ، ويصف الدجى الصبح بأن حائل اللون أى متغير .

وطاولت الأَرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرت الشهب الحصى والجنادل(١)
فياموت زُر إن الحياة ذميمةٌ ويانفسُ جدِّى إن دهرَك هازل(٢)

وقال المرحوم محمود سامى باشا البارودى :

ولى شِيمةٌ تأْبى الدنيا وعزمةٌ ترد لُهام الجيش وهو يمورُ
إذا سرت فالأَرض التى نحن فوقها مرادٌ لمهرى والمعاقلُ دور
فلا عَجبٌ أَن لم يصرنى منزل فليس لعقبان الهواء وُكور
همامة نفس ليس ينفى ركابها رواح على طول المدى وبُكور
معودَةٌ أَلا تكف عُنانها عن الجدِّ إلا أَن تتم أُمور
لها من وراءِ الغيب أُذْنٌ سميعة وعينٌ ترى مالا يراه بصير
وفيت بما ظنَّ الكرام فراسةً بأَمرى ومثلى بالوفاء جدير
وأَصبحت محسودَ الخِلال كأَننى على كل نفس فى الزمان أَمير
إذا صُلت كفَّ الدهر من غلوائه وإن قلت غُصَّت بالقلوب صدور
ملكت مقاليد الكلام وحكمةً لها كوكبٌ فخم الضياء منير
وإنى امرؤٌ صعب الشكيمة بالغٌ بنفسىَ شأْوًا ليس فيه نكير

وقال أَيضاً :

سواى بتحنانِ الأَغاريد يطرب وغيرىَ باللذات يلهو ويلعب
وما أَنا ممن تأْسر الخمر لُبه ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أَخو همٍّ إذا ما ترجَّحت به سورةٌ نحو العلا راح يدْأَب
نفى النومَ عن عينيه نفسٌ أَبيةٌ لها بين أَطراف الأَسنةِ مَطلب

(١) أى اذا كانت الارض تباهى السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب فى العلو . (٢) أى اذا كانت الامور معكوسة على وصف لم تبق رغبة فى الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى المامه ليقطع الحياة الذميمة التى لا يحمدها صاحبها لما يرى من الامر المحال : يأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعنيها غير معرجة على شيمة الدهر فى تلونه وعدم ثباته .

لُبانة نفسٍ أَصغرت كل مأْربِ فكلّفتِ الأَيامَ ما ليس يوهَبُ
إذا أَنا لم أُعطِ المكارمَ حقها فلا عزَّنى خالٌ ولا ضَمنى أَبُ
ومن تكن العلياءُ همة نفسه فكل الذى يلقاهُ فيها محببُ

وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفاه سنة ١٣٢٠ هـ :

بيدِ العفاف أَصون عِزّ حِجابى وبعصمتى أَسمو على أَترابى
وبفكرة وقّادةٍ وقريحةٍ نَقّادة ، قد كملْتُ آدابى
ما ضَرنى أَدبى وحسن تعلمى إلا بكونى زهرةَ الأَلبابِ
ما عاقنى خجلى عن العَليا ، ولا سدْلُ الخمار بلمّتى ونقابى
عن طىِّ مضمار الرهان إذا اشتكت صعْبَ السباق مطامح الركابِ
بل صَولتى فى راحتى ، وتفرُّسى فى حسنِ ما أَسعى لخيرِ مآبِ

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزنانى المتوفى سنة ١٩٣٤ م :

أَرِقتُ وأَصحابى خليُّونَ نُوَّمُ وما أَنا ذو ثأْر ولا أَنا مُغرمُ
ولكن همًّا بين جنبيَّ هاجَهُ علىَّ ذوو القربى ، عفا الله عنهمُ
فإن يكُ حُلمى مدَّ أَعناق جهلهم فلا زلْتُ فيهم يجهلون أَحلمُ
وما أَنا ممن يغلبُ الجهل حِلمه وينزو على الأَعراض أَو يتهجّمُ
ولكن صفوحٌ حين اظلمُ قادرًا وإن كنت فى بعض الأَحايين أَظلمُ
فإن كان حُلم القادرين مذلةً فإنى ذليل غير أَنى مُكرَّم
همُوا ثَلموا عِرضى لغير جَريرة سوى أَنهم منى وأَنى منهمُ
أَوَطِّى أَكنافى لهم وأَحوطهم من الدهر لا أَشكو ولا أَتبرمُ
يطولُ علىَّ الليل إن طال ليلهم ومهما يَطل ليلى فهم عنه نُوَّمُ
ويُنكرُ أَدناهم على فضائلى وما ضرنى إنكاره وهو يعلمُ

الباب الثالث فى شكوى الزمان والحال

قال الشَّنْفَرى[١] المتوفى سنة ٥١٠ هـ :

أَقيموا بنى أُمِّى صدور مَطِيِّكم   فإنى لقوم سواكمْ لأَمْيَل[٢]
فقد حمت الحاجات والليل مُقْمِرٌ   وشدَّتْ لطياتٍ مطايا وأَرحل[٣]
وفى الأَرض منا ى للكريم عن الأَذى   وفيها لمن خافَ القِلى مُتعزَّلُ[٤]
لعمركما فى الأَرض ضيقٌ على امرئٍ   سرَى راغباً أَو راهباً وهو يعقِل[٥]
ولى دُونكم أَهلون سيدٌ عَملَّسٌ   وأَرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جَيأَل[٦]

(١) هو ثابت بن أوس الأزدى الشاعر المشهور من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ م والشنفرى هو العظيم الشفتين وهو شاعر الأزد من العائدين من لا تلحقه الخيل ، منهم هذا وسليك بن سليكة ، وعمر بن برق ، وأسير بن جابر ، وتأبط شرا ــ وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بنى سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول الشنفرى لطرفك ثم يرميه فيصب عينه ، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذى أمسكه أسير بن جابر أحد العدائين وقد رصد له حتى نزل فى مضيق ليشرب الماء فوقف له فأمسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتلى مائة والله أعلم بذلك .

(٢) مطا : جد فى السير ، والمطية الدابة تمطو فى سيرها جمعها مطايا ومطى (٣) حم الأمر حما قضى . والطيات جمع طية وهى النية
(٤) نأى عنه بعد ، والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتعزل عنه تنحى
(٥) (المعنى) وحياتك أن الأرض لا تضيق على الانسان العاقل الذى يستعمل عقله فى ادراك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الأسد والذئب والعملس بفتح العين والميم واللام المشددة القوى على السير السريع والذئب الخبيث والأرقط النمر ، والزهلول كعصفور الاملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذى هو بمنزلة عرف الفرس ، وجيألة ممنوعتان من الصرف وجيل بلا همزة الضبع .

هُم الأَهل لا مُستودعُ السِّرِّ ذائع لديهم ولا الجانى بما جرَّ يخذل(١)

وكل أَبى باسل غير أَننى إذا عرضت أُولى الطرائد أَبْسل(٢)

وإن مدت الأَيدى إلى الزاد لم أَكن بأَعجلهم إذ أَجشع القوم أَعجل(٣)

وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم ، وكان الأَفضل المتفضل(٤)

وإنى كفانى فقد من ليس جازياً بحسنى ولا فى قربه متعلل(٥)

ثلاثة أَصحاب : فؤاد مشيع ، وأَبيض إصليت ، وصفراءُ عيطل

هتوف من الْمُلْس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل(٦)

إذا زل عنها السهم حنت كأَنها مرزأَة ثكلى ترن وتعول

ولست بمهياف يعشى سوامه مجدعة سقبانها وهى بهل(٧)

---

(١) جر على نفسه وغيره جريرة أى ذنبا والجريرة الذنب والخيانة .

(٢) الأبى كعلى من يكره الدنايا ولا يحتمل الضيم والباسل الاسد الشجاع والطريدة ما طردته وأبعدته من ناحية وضممته اليك من الصيد والفرسان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص وأسوؤه أخذ الانسان نصيبه والطمع فى غيره (٤) المعنى : وما دعانى الى ذلك الا توسعى بالفواضل اليها عن أفضل القوم وهو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلان شجعه ويأتى أيضا بمعنى خرج معه ليودعه . والاصليت السيف الصقيل الماضى والعطل القوس الطويلة العنق الصلبة المتن .

(٦) قوس هتوف ذات صوت حنون ، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة أو كل حلقة مستديرة فى سيف أو سرج أو غيره ، ونيطت اليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزاة المصابة بالرزايا ، والثكلى الفاقدة أولادها ، وأعول ركع صوته بالبكاء والصياح المعنى : قوس طنانة رنانة من نبات مزينة بالحلى ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالى فهى تبكى وتعول لفقده .

(٧) المهياف : السريع العطش ، والسوام : الابل الراعية ، وناقة باهل لاصرار عليها ولاخطام ولاسمة لها ، يقال : بهلت الناقة حل صرارها أو مجدعة محبوسة على غير علف وسبقان جمع وهو ولد الناقة .

ولا جُبَّاء أَكْهى مربٌ بِعِرْسه ... يطالعها فى شأْنِهِ كيفَ يفعل(١)
ولا خَرِقٍ هيقٍ كأَنّ فؤاده ... يظلُّ به المكاء يعلو ويَسْفل(٢)
ولا خالفٍ داريَّةٍ مُتعزِّلٍ ... يروح ويغدو داهناً يتكحل(٣)
ولست بعلٍ شَرُّهُ دون خيرهِ ... أَلف إذا ما رُعته اهتاج أَعزلُ(٤)
ولست بمحياز الظلام إذا انتحت ... هدى الهوجل العسيف يهماء هوجلُ(٥)
إذا الأَمعزُ الصوَّانُ لاقى مناسمى ... تطاير منه قادحُ ومُفَلَّلُ(٦)
أُديمُ مطال الجوع حتى أُميته ... وأَضرب عنه الذكر صفحاً فأَذهل(٧)

(١) جبأ كنصر: جبن والأكهى الجبان الضعيف ومرب بعرسه أى زوجته لزمها وقعد معها كأرب ، المعنى: ولست بالجبان الضعيف الذى يلازم قرينته ويطالعها على أمره ويأخذ رأيها فيه . (٢) الخرق: ككتف الذى يندهش ويبهت لأقل شىء والهيق الواحد من النعام ويسمى بالظليم ، والمكاء كرمان: نوع من الطير . (٣) يقال فلان خالفه اهل بيته وخالفهم بمعنى أنه غير نجيب لا خير فيه اذ أنه يقعد بعدهم ويأتى حالف بمعنى أحمق والدارية الملازم لبيته . (٤) العل الصغير الجسم الضعيف والألف الرجل الثقيل اللسان العيى بالامور والاعزل الخالى من السلاح ، المعنى: ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتبكون فى الأمور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف

(٥) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده ، الهوجل المفازة البعيدة لا علم بها ، والناقة بها من هوج من سرعتها والرجل الأهوج والدليل والعسيف صيغة مبالغة من عسف فى السير خبط فيه خبط عشواء ، واليهماء عند أهل البادية السيل والجمل الهائج الصئول ، وعلى ذلك يمكن أن يقال ناقة يهماء .

(٦) المعز: الصلابة ، ومكان أمعز: صلب وأرض معزاء: صلبة ، والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، والمنسم كمجلس خف البعير ، والمفلل المكسر والمراد بالقادح هنا الذى يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر .

(٧) صفحا اما مصدر من صفح عنه مفعول له على معنى أصرف عنه التذكرة اعراضا عنه واما ظروف بمعنى الجانب على معنى أنحى التذكر عنه جانبا كما تقول ضعه جانبا .

وأستفُّ تُرْبَ الأَرض كي لا يرَى له ... عَلَيَّ من الطوْل من امرؤ متطوِّل(١)
ولولا اجتناب الذَّامُ يُلفَ مَشرَب ... يُعاش به إلا لديَّ ومأْكل(٢)
ولكن نفساً حرة لا تُقيمُ بي ... على الضيمِ إلا ريثما أَتحول(٣)
وطوى على الخمص الحوايا كما انطوت ... خُيوطة ماريٍّ تُغار وتفتل(٤)
وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا ... أَزلُّ تهاداه التَّنائف أَطحل(٥)
غدا طاوياً للرِّيح يعرض هافياً ... يخوت بأَذناب الشعاب ويعسل(٦)
فلما لواهُ القوت من حيث أُمه ... دعا ، فأَجابتهُ نظائر نُحَّل(٧)
مُهللةٌ شيبُ الوجوه كأَنها ... قِدَاحٌ بكفَّىْ ياسِرٍ تتقلقل(٨)

---

(١) الطول : الفضل والانعام وتطول عليه امتن وأنعم (٢) الذام العيب والذم ، المعنى : ولولا أنى أخشى العار والمذمة التى تلحق الباذلين ماء وجوههم لأجل المأكل والمشرب لكان عندى من أشكالها وألوانها كل ما تشتهيه الأنفس

(٣) الضيم : الذل ، وريثما معناها مقدار ما .

(٤) الخمص : الجوع والحوايا جمع حوية كغنيمة ما تحوى وانطوى بعضه على بعض من الأمعاء والخيوطة جمع خيط ، ومارى اسم صانع مشهور يفتل الخيوط وأغار شد الفتل ، المعنى : وأضمر أمعائى بالجوع حتى تصير مثل الخيوط يشد فتلها مارى المشهور بفتل الخيوط : (٥) الزهيد : القليل والأزل السريع والمصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده ، التنوفة المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس ، وان كانت معشبة وجمعها تنائف ، والطحلة لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل وذئب أطحل لونه الطحلة (٦) عدا طاويا أى بكر بالضرب فى الأرض جائما ويعارض الريح يسابقه وهافيا مسرعا وخات البازى انقض على الصيد وخات الرجل اختطف ، وأذناب الشعاب أطراف الأراضى التى بين الجبال ، وعسل الذئب يعسل عسولا وعسلا : اشتد اهتزازه فى عدوه .

(٧) لواه القوت فتله وضمره . وأمه قصده . ونظائره نحل يعنى أمثاله

(٨) المهلة الضامرة المنقوشة ، والقداح جمع وقدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله .

أَو الخشرمُ المبعوث حثحف دَبْره محابيضاً أَرساهن سامُ مُعسلُ(١)

مُهرتةٌ فوه كأَن شدوقها شُقوق العصى كالحاتٌ وبُسل(٢)

فضج وضجت بالبراح كأَنها وإِياه نوحٌ فوقَ علياءَ ثكل(٣)

وأَغضى وأَغضت واتَّسى واتست به مراميل عزَّاها وعزته مرمل(٤)

شكاوشكت ثم ارعوى بعد وارعوت ولصبرٌ إن لم ينفع الشكو أَجمل(٥)

وفاء وفاءت بادرات وكلها على نكظ مما يكاتم مجمل(٦)

وتسرب أَسآرى القطا الكدر بعدما سَرت قرباً أَحشاؤها تتصلصلُ(٧)

(١) الخشرم كجعفر جماعة النحل وامير النحل ومأواها ، وحثحث كحث حض وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ، ومحابيض جمع محبض كمنبر عود يشتار به العسل أو يطرد به الدبر ، وهى هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى الى محابيض ، ورأسى وقف وأوقف وسام مرتفع ومعسل : طالب العسل .

(٢) المهرتة الواسعة ، والفوه جمع الأفوه هو والواسع الفم أو الذى يخرج أسنانه من الشفتين ، والشدوق أطراف الفم من باطن الخدين ، وكالحات شديدة العبوس ، وبسل كريهات المنظر .

(٣) البراح كسحاب المتسع من الأرض التى لا زرع بها وشجر .

(٤) أغضى على الشيء سكت ، واتسى اقتدى والمرمل الذى نفد زاده ، وعزاها سلاها على مصابها ، المعنى : ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على جوعها وسلته على مخمصته .

(٥) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع منه ، المعنى : شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الرجوع ـ والصبر أحسن من الشكوى التى لا تفيد .

(٦) فاء رجع ، وبادرات مسرعات ، والنكظ محركة الجوع الشديد .

(٧) أسآر : جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب . القطا : نوع من الطير صوته قطاقطا وهو ثلاثة أضرب كدرى وجونى وغطاط ـ فالكدر الغبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق وهو ألطف من الجونى ، والجونى السود المبطون والاجنحة وهو أكبر من الكدرى ، والغطاط كسحاب الغبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الاجنحة طوال الارجل والاعناق

هممتُ وهمت ، وابتدرنا وأَسدلت وشمر منى فارطٌ متمهِّلُ(١)
فوليتُ عنها وهى تكبو لعقره يباشره منها دقونٌ وحوصلُ(٢)
كأَن وغاها حجرتيه وحوله أَضاميمُ من سفر القبائل نزَّل(٣)
توافين من شتى إليه فضمها كما ضم أَذوادَ الأَصاريم منهل(٤)
فعبَّت غشاشاً ثم مرت كأَنها مع الصبح ركبٌ من أَحاظة مجفل(٥)
وآلِفُ وجه الأَرض عند افتراشها بأَهدأَ تنبيه سناسن قحلُ(٦)

= لطاف لا تجتمع أسرابا بل أكثر ما يكون ثلاث واثنتان الواحدة غطاطة ويقال ان القطا يطلب الماء على مراحل عديدة أبلغها بعضهم الى عشرين .

(١) سدل ثوبه وشعره وأسدله : أرخاه وأرسله ، وفرط القوم يفرطهم فرطا وفراطة فهو فارط تقدمهم الى الورد لاصلاح الحوض والدلاء .

(٢) تكبو تنكب على وجهها . والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء فى أقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين ، والحوصلة للطير كالمعدة للانسان ، المعنى : وقد انصرفت عنهم بعد ما رويت وتركتها تغمس بأذقانها وحواصلها فى الماء لترتوى من شدة العطش الذى أصابها من اجهادها نفسها فى الطيران .

(٣) الوغى كالغنى الصوت والجلبة ، والحجرة الناحية والاضاميم جمع اضامة بكسر الهمزة وهى الجماعة والسفر القوم المسافرون ، والمعنى : كان جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر .

(٤) توافين اليه تلاحقن الى الماء وشتى أى من جهات متفرقة والاذواد جمع ذود وهو جماعة الابل والأصاريم جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الأعراب .

(٥) العب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الجماعة فى شربها ، وغشاشا أى عبا قليلا عجلا غير مرئى وأحاظة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير اليه ينسب مخلاف أحاظة باليمن والمحدثون يقولون وحاظة وأجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها .

(٦) الأهدأ المنكب المسترخى اللحم أو تنبيه ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقحل مجردة من اللحم .

وأعدلُ منحوضاً كأن فصوصه ‏ ‏ كعابٌ دحاها لاعب فهى مُثَّلُ(١)

فإن تبتئس بالشنفرى أمُّ قسطل ‏ ‏ لما اغتطبت بالشنفرى قبل أطْول(٢)

طريدُ جنايات تياسرنَ لحَمهُ ‏ ‏ عقيرته لأيها حم أول(٣)

تنامُ إذا ما نام يقظى عيونها ‏ ‏ حثاثاً إلى مكروههِ تَتغلغل(٤)

وإلفُ هموم ما تزال تعودُه ‏ ‏ عيادًا كحمى الربع أو هىَ أثقل(٥)

إذا وردتْ أصدرتها ثم إنها ‏ ‏ تؤوب فتأْتى من تحت ومن علُ(٦)

---

(١) أعدل معناه أسوى وأفرش لرأسى وأجعل لها وسادة ومنحوضا يعنى ساعدا قليل اللحم : والفصوص المراد بها هنا الأصابع والكعاب لعب على شكل الاقماع ودحاها بمعنى بسطها . ومثل معناها مائلة وقائمة بين يدى اللاعب .

(٢) تبتئس تحزن وأم قسطل الحرب واغتبطت سرت وقرت عينا .

(٣) كان من عادات العرب غير المحمودة اذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويجعلوا لها سهاما بعضها ذوات أنصباء وبعضها غفل بلا نصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون السهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الأنصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هى لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقام لهم : يسر ، والناقة التى تذبح فيه يقال لها جزر . ويقال لها عقيرة لأنها تعقر وتنحر ويقال تياسروا أى أخذ الأنصباء من اللحم ، ويقال حم بمعنى دنا وقرب .

(٤) تنام أى الجنايات والمراد أصحابها وحثاثا سراعا وتتغلغل تدخل بشدة . (٥) الالف والأليف الحليف المعاود ، والعودة الرجوع مرة بعد أخرى وربعت عليه الحمى جاءت ربعا يعنى ترددت عليه فى كل أربعة أيام مرة تتركه فى الثلاثة وتأتيه فى الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع .

(٦) تؤوب ترجع ، والمعنى : كلما ثارت على جيوش الهموم وأحاطت بى من كل جانب رددتها عنى بعزم ماض وصبر جميل .

فإما ترانى كابنة الرَّمل ضاحياً ... على رقة أَحفى ولا أَتنعلُ(١)

فإنى لمولى الصبر أَجتاب بزَّه ... على مثل قلب السمع والحزم أَفعل

وأَعدمُ أَحياناً وأَغنى ، وإنما ... ينالُ الغنى ذو البعدة المتبذلُ(٢)

فلا جزع من خلة متكشف ... ولا مرح تحت الغنى أَتخيل(٣)

ولاتزدهى الأَجهال حلمى ولا أَرى ... سئولا بأَعقاب الأَقاويل أَنمل(٤)

وليلة نحسن يصطلى القوس ربها ... وأَقطعه اللاتى بها يَتنبل(٥)

دغشت على غطش وبغش وصبتى ... سُعار وإرزيزٌ ووجر وأَفكل

فأَيمتُ نسواناً وأَيتمتُ ولِدَة ... وعدت كما أَبدأَت والليل أَليلُ(٦)

---

(١) فاما ترانى باهمال أن حملا على لو كقراءة فاما ترين بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية ، وضحا بارزا للشمس ، وعلى رقة معناها سوء العيش ، ومولى الصبر أو اليه ، واجتاب القميص لبسه ، والبز الثياب ، والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون انه لا يموت حتف أنفه كالحية وأنه فى عدوه أسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا .

(٢) أعداما وأعداما بالضم افتقر وذو البعد بالضم أى صاحب الابتعاد فى الأرض ، والمتبذل من لا يصون نفسه .

(٣) الجزع نقيض الصبر ، الخلة الحاجة والفقر والمرح البطر والاختيال المعنى : الفقر لا يظهر على ترحا والغنى لا يبدى منى مرحا .

(٤) تزدهى : تستخف والأجهال جمع جهل شذوذا لأن قياسه أجهل وجهل الى أنه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحرف اللين ، والباء فى بأعقاب بمعنى عن ، والأنمل : النمام وهو نمل ونامل ومنمل كمجاس ومنبر ونمال كشداد ، ونمام ، وقد نمل كنضر وعلم ، وأنمل نم .

(٥) اصطلى استدفأ والأقطع جمع قطع وهو القضيب تبرى منه السهام وتنبل بالأقطع اتخذها نبلا ، ودغش عليه كمنع هجم وفى الظلام دخل ، والغطش الظلمة والبغش المطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والأرزيز برد صغار كالمنح ، الوجر والحقد والفل والغيظ والأفكل الرعدة :

(٦) أيمت نسوانا يعنى قتلت رجالهن فتركتهن بلا أزواج ، وأيتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعنى قتلت آباءهم ، وأبدأت بدأت والليل اليل يعنى طويل الظلمة .

وأَصبح عنى بالغميصاءِ جالسا فريقان مسئولٌ وآخر يسأَلُ(١)
فقالوا : لقد هرَّت بليل كلابُنا فقلنا أَذئْب عس ، أَم عس فرعل(٢)
فلم يكُ إلا نبأَةٌ ثم هومت فقلنا قطاة ريعَ ، أَم ريع أَجدل
فإن يكُ من جن لا برح طارقاً وإن يك إنساً ما كها الإنس يفعل
ويوم من الشعرَى يذبُّ لعابه أَفاعيه فى رمضائه تَتململُ(٣)
نصبتُ له وجهى وذا الكنُّ دونه ولا ستر إلا الأَنحمى المرَعبل
وضاف إذا هَبت الرِّيحُ طيرَت لبائد عن أَعطافه ما ترَجل
بعيدٌ بمسِّ الدهن والفلىُ عهده له عبس عاف من الغسلِ محولُ(٤)

(١) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد بن الوليـد رضى الله عنه ببنى خـذيمة .

(٢) هر الكلب هريرا صوت صوتا دون النباح وعس طـاف بالليـل والفرعل بالضم ولد الضبع والنبأة الصوت الخفى وهوم هز رأســه من النعاس ، والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا والأجدل الصقر وريع أخيف ولا برح معناه لقد أتى بالبرح وهو الشدة وها فى كها ضمير القصة دخلت عليه الكاف شذوذا .

(٣) الشعرى نجم يطلع فى شدة القيظ واللعاب معناه هنا ما تراه فى شدة الحر كأنه منحدر من السماء اذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئـة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضا لعاب الشمس ، والرمضاء الأرض الشديدة الحرارة وتململ تقلب والكن السير والأنحمى برد معروف والمرعبل الممزق ، وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائد جمع لبدة وهى الشعر المتراكم وأعطافه جوانبه وترجل تمشط ، المعنى : وكـم يوم من أيام الشعرى التى تتصاعد فيها الأبخرة وتتململ فيهـا الأفاعى من شدة الحر عرضت له وجهى بغير ســـتر ومشيت فيــه ولا شىء على جلدى الا ثوب ممزق وشعر مسترسل اذا هبت عليه الريح لم تطير منه الا لبائد فى كل جانب منه لم تمسه الأمشاط .

(٤) الفلى تفلية الرأس من القمل . والعبس محركة ما تعلق بأذناب الابل من أبوالها وأوبارها يجف عليها ، وعاف من الغسل لم يغسل والمحول الذى أتى عليه الحـول .

وخرْق كظهر الترس قفر قطعتهُ بعاملتين ظهرُه ليس يعملُ(١)
فألحقتُ أُولاه بأُخراهُ موفيًا على قنة أَقعى مرارًا وأَمثل(٢)
تـرودُ الأَراوى الضخم حولى كأَنَّها عذارى عليهن الملاءُ المذيل(٣)
ويركدن بالآصال حولى كأَننى من العصم أدفى ينتحى الكيح أعقل(٤)

وقال الطغرائى يواسى معين الملك فى نكبته :

فصبرًا معين الملك إن عنّ حادث فعاقبةُ الصبر الجميلِ جميلُ
لا تيأَسن من صنع ربك إنه ضنينٌ بأَن الله سوف يديل
فإن الليالى إذ يزول نعيمها تبشر أَن النَّائبات تزول
أَلم تر أَن الليل بعد ظلامه عليك لإسفار الصباح دليل
وأَن هِلال النضو يقمر بعد ما بَدا وهو شخْت الجانبين ضئيل
فقد يعطف الدهر العسير قياده فيشفى عليل أَو يبل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعد ما تساقط ريش واستطار نسيل
ولا غرو إن أَخنت عليك فإنما يُصادم بالخطب الجليل جليل

(١) الخرق الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أى ليس يسلك .

(٢) أوفى عليه : أشرف ، والقنة بضم القاف قلة الجبل وأقعى فى جلوسه تساند الى ما وراءه ومثل قام منتصبا .

(٣) الرود الذهاب والمجىء والأراوى جمع روية بالضم والكسر وهى أنثى الوعول والعذارى جمع عذراء وهى البكر ، والملاء بضم الميم نوع من الأردية والمذيل طويل الذيل .

(٤) الركود والسكون والثبات ، والآصال جمع أصيل وهو العشى بضم جمع أعصم هو الوعل الذى فى موضع المعصم منه بياض ، والأدفى الذى يميل قرناه ناحيتى ظهره وينتحى يتعمد : والكيح ناحية الجبل ، وأعقل ممتنع فى الجبل .

ما أَنْت إلا السيفُ يسكنُ غمدُهُ ليشقَى به يَوْم النزالِ قتيلُ
أَما لك بالصِّدِّيق يوسف أُسْوة فتحملَ وطءَ الدَّهْر وهو ثقيلُ

وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى وهو فى منفاه :

محا البينُ ما أَبقتْ عيونُ المهامِنِّى فشبتُ ولم أَقض اللبانة من سنِّى
عناء ويأْسٌ واشتياقٌ وغُرْبةٌ أَلا شدَّ ما أَلقاه فى الدهر من غُبنِ
فإن أَكُ فارقت الديارَ فلى بها فوادٌ أَضلتهُ عيون المها عنِّى
بعثت به يوْمَ النوى إِثْرَ لحظةٍ فأَوقعه المقدار فى شركِ الحُسنِ
فهل من فتى فى الدَّهر يجمع بَيننا فليس كلانا عن أَخيه بمُستغنى
ولما وقفنا للوداع وأَسبَلتْ مدَامِعنا فوق الترائب كالمزن
أَهبت بصبرى أَن يعودَ فخاننى وناديتُ حِلمى أَن يثوبَ فلم يغنِ
وما هى إلا خطوَةٌ ثم أَقلعت بنا عن شطوط الحَى أَجنحة السفن
فكم مُهجة من زفرة الوَجد فى لظى وكم مُقلةٍ من غزرة الدمع فى دجن
وما كنتُ جرَّبت النوى قبل هذه فلما دهتنى كدت أَقضى من الحزن
ولكنَّنى راجعت حلمى ورَدَّنى إِلى الحزم رأى لا يحومُ على أَفنِ
ولولا بُنيَّاتٌ وشيبٌ عواطلٌ لما قرعت نفسى على فائت سِنى

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم :

لم يبق شيء من الدنيا بأَيدينا إلا بَقيةُ دمع فى مآقينا
كنَّا قِلادة جيد الدهر وانفرَقت وفى يمين العلا كنَّا رياحينا
كانت منازِلنا فى العزِّ شامخة لا تشرقُ الشمس إلا فى مغانينا
وكان أَقصى مُنى نهر المجرة لو من مائهِ مزجت أَقداح ساقينا
والشهبُ لو أَنها كانت مُسخَّرة لِرجم من كان يبدو من أَعادينا
فلم نزل وصُروف الدهر ترمُقنا شررًا وتخدعنا الدنيا وتُلْهينا
حتى غدونا ولا جاهُ ولا نشبٌ ولا صديقٌ ولا خِل يُواسينا

وقال أيضاً فى شكوى الزمان والحال :

سعيت إلى أن كِدتُ أنتعل الدَّما وعُدتُ وما أعقبت إلا التندُّما
سلامٌ على الدنيا سلامَ مُودِّع رأى فى ظلام القبر أُنساً ومغنما
تبلُّغ بالصبر الجميل وبالأَسى زماناً وجادته المنى فتأدَّما
أَضرَّت به الأُولى فهام بأُختها وإن ساءت الأُخرى فوَيْلاه منهما
فهُبى رياح الموت نكْباءَ واطفئى سراج حياتى قبل أن يتحطَّما
فما عصَمتنى من زمانى فضائلى ولكن رأيت الموت للحرِّ أَعصما
فياقلب لاتجزع إذا عضك الأَسى فإنك بعد اليوم لن تتألَّما
وياعين قدآن الجمودُ لِمدمعِى فلا سيل دمْع تسكبين ولا دما
ويا يدُ ما كلفتك البسط مرَّةً لذى منة أَولى الجميل وأنعما
فلله ما أَحلاكِ فى أَنْمل البِلى وإن كنت أَحلى فى الطروس وأَكرما
ويا قدمى ما سرْت بى لِمذلةٍ ولم ترتقِ إلا إلى العز سلما
فلا تبطىء سيرًا إلى الموت واعلمى بأَن كريمَ القوم من مات مكرما

وقال السيد أحمد الهاشمى يشكوما أصاب الشرق :

قضيت شبيبتى وبذلت جُهدى فلم تكن الحياةُ كما أُريد
إلى كم أَستحثُّ النفس عزماً وكم أَسعى ، وغيرى يستفيدُ ؟
نَهضتُ ، فقيل : أى فتى ؟ فلما خبرْت الأَمر أَعجبنى القعُود
وإنى بعد مجهدةٍ وقومى كضاربة وقد برد الحديد
وحيدٌ بينهم ولعلَّ يوماً عصيباً فيه يفْتقدُ الوحيدُ
لنا فى الشرق أَوْطانٌ ، ولكن تضيقُ بنا كما ضاقت لُحُود
تنازع أهلها فلكلِّ حزبٍ حِمًى ، ولكل مملكة عميدُ
نقيم بها على ذُل وفقر ونظماً لا يسُوغ لنا الورود
أَكاذيب السياسة بَينةٌ تكِيد بها الحكومة ما تكيد

وعود كلها كذبٌ وزور ... فكم وإلام تخدَعُنا الوعود؟
إذا ما الملك شِيد على خداعٍ ... فلا يبقى الخداعُ ولا المشيد
ومن لم يتخذْ مُلكاً صحيحاً ... فلا تُغنى الممالك والحدود
وقالوا دولةٌ نشأَت حديثاً ... تؤيدها السياسة والعهود
كذبتم ما لنا فى الأَمر شىءٌ ... فقولوا : إننا شعب عبيد
وقالوا : أُمة نهضت تُداعى ... بحق كاد طالبهُ يَبيد
تفرَّق أَهلها ومضى بنوها ، ... وفى أَرواحهم عزم عتيد
أَرى الأَمل الذى نحيا عليه ... أَضاءَ من الصباح له عمود
خذوا بنفوسكم طُرُق المعالى ... فدهركمُ عِصامىٌّ عتيد
وجُرْح الشرق يضمده بَنُوه ... وهل يتلاءَم الجُرح القصيد ؟
نيام أَغرقوا فى النوم حتى ... أشيع بأَنهم شعب بليد !
أَرى الحرية اختضبت دِماءً ... وقد خفقتْ لطالبها بنود
وأُقسِمُ أَن عاشقها زعيم ... بخطبتها ولو قطع الوَريد
رخيصٌ كل ما بذلوه فيها ... ولا تغلو النفوس ولا النقود
إذا جُعلت لها الأَرواح مهرًا ... فإن لمجدها كتب الخلود
يسوم المجد طالبه بِغالٍ ... ولا يطغى به الثمن الزهيد
إذا سهل النزول إلى حضيض ... يشق إذا إلى القمم الصُّعود

قال أحمد شوقى بك يشكو ما أَصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب الكبرى :

قم ناجِ « جِلِّق » وانشد رسم من بانوا ... مَشت على الرسم أَحداثٌ وأَزمان
هذا الأَديم كتاب لا كِفاءَ له ... رث الصحائف ، باقٍ منه عنوان
الدين والوَحى والأَخلاق طائفة ... منه وسائرُهُ دنيا وبُهتان
ما فيه إن قلبتْ يوماً جَوَاهره ... إلا قرَائح من راد وأَذهان
بنو أُميَّة للأَنباءِ ما فتحوا ... وللأَحاديث ما سادوا وما دانوا !

كانوا ملوكا سريرُ الشرقِ تحتهمُ ... فهل سأَلت سرير الغرب ما كانوا؟
عالين كالشمس أَطراف دولتها ... فى كل ناحية ملك وسلطان
ياويح قلبى مهما انتاب أَرسمهم ... سرى به الهم أَو عادته أَشجان
بالأَمس قمت على الزهراءِ أَندبهم ... واليوم دمعى على الفيْحاءِ هتان
فى الأَرض منهم سماوات وأَلوية ... ونيراتٌ وأَنواء وعقيان
معادن العز قد مال الرغام بهم ... لو هان فى تُربه الإبريزُ ما هانوا
لولا دمشق لما كانت طُليطلةُ ... ولا زهت ببنى العباس بَغْدان(١)
مررت بالمسجد المحزون أَسأَله ... هل فى المصلى أَو المحراب مروان
تغيَّرَ المسجد المحزون واختلفت ... على المنابر أَحرار وعبدان
فلا الأَذان أَذانٌ فى منارته ... إذا تعالى ولا الآذان آذان
آمنت بالله واستثنيت جنته ... دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبَّت خمائلها ... الأَرض دار لها الفيحاءُ بُستان(٢)
جرَى وصفَّق يَلقانا بها بردَى ... كما تلقاك دون الخُلد رَضْوان(٣)
دخلْتها وحواشِيها زُمرُّدةٌ ... والشمس فوق لُجَينِ الماءِ عقيان(٤)

---

(١) احدى لغات كثيرة فى بغداد .

(٢) الفيحاء : من أسماء دمشق والخمائل جمع خميلة وهى الشجر الكثير الملتف .

(٣) يقول : ان مكان « بردى » من دمشق كمكان رضوان خازن الجنان من جنة الخلد ، فهو دليل ضيوفها اليها ، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوى اليها السعادة . ومقاصف لا تبلغها الهموم وقوله : جرى وصفق ، من قولهم ، صفق فلان الشراب ، أى حوله من اناء الى اناء ليصفيه وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غسان فى البريص . وهى غوطة دمشق ، فقال :

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

والحورُ فى (دمر) أَوحول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان(١)
و (رَبْوة) الوادى فى جلباب راقصة الساق كاسيةٌ والنحر عريان(٢)
والطير يصْدحُ من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان(٣)
وأَقبلت بالنبات الأَرض مختلفاً أَفوافه ، فهو أَصْباغٌ وأَلوان(٤)
وقد صفى (بَردى) للريح فابتردتْ لدى سُتور حواشيهن أَفنان(٥)
شيّدوا لها الملك وابْنوا رُكن دولتها فالملك غرسٌ وتجديد ، وبنيان

وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين الزركلى فى سورية الشهيدة من قصيدة :

الأَهل أَهلى والديار ديارى وشعار «وادى النَّيِّرَين» شعارى

---

(١) الجور فى صدر البيت شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق ، وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن ، لأن أعالى هذه الأشجار مكسوة أوراقها وسائرها عريان ، و « دمر » و « الهامة » من متنزهات دمشق فى وادى بردى .

(٢) يقول ان ربوة هذا الوادى على خلاف ما فيها من أشجار الحور . فاذا كانت الأشجار كاسية النحور عارية السوق فان جبال الربوة كاسية الساق بما فيها على سفحها من أشجار ومرج وأزهار بينما نحرها عريان لتجرد أعالى تلك الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور و « الربو » هى متنزه دمشق الغريب وصفها الله تعالى فى القرآن الحكيم بقوله (ربوة ذات قرار ومعين) قال ياقوت فى معجم البلدان : هى موضع ليس فى الدنيا أنزه منه (٣) العيون عيون الماء يسمع خريرها مع ألحان البلابل والعصافير فى الجبال والأودية . (٤) جمع فوف نوع من الثياب والمراد هنا الزهر .

(٥) بردى هو نهر دمشق . وينبع من جبال الزبدانى على مسافة أربعين كيلو مترا ونيف من دمشق فى شمالها الغربى ، وينحدر فى وادى بردى حتى اذا بلغ ينبوع (الفيجة) انضم هذا اليه . ثم ينفصل عنه (نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق فى لحف جبل قاسيون وينفصل عنه بعد ذلك نهر ثورا فيجرى فى جنوب نهر يزيد ، ثم ينفصل عن بردى نهر (بانياس) والقنوات ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة ، حتى اذا ارتوت منه بساتينها وضواحيها الشرقية انصب فى بحيرة المرج ، وكان الشربانيون يسمون بردى (نهر أبانا) وسماه اليونان (خريستو ورئه) أى مجرى الذهب .

ما كان من أَلَم « بجلق » نازل ... وارِى الزناد . فزندُه بى وارِى
إن الدَّم المهرَاق فى جنباتها ... لدمى ، وإن شِفارَها لشفارى
دمعى لما منيت به جارٍ هنا ... ودمى هناك على ثرَاها جارى
يا وامِضَ البرق اطمئن وناجنى ... إن كنت مُطَّلعاً على الأَسرار
ماذا هناك ؟ فإن صوتاً راعَنِى ... والصوت فيه جفوة الإِذعارِ
النار مُحدِقةٌ « بجلّق » بَعدَما ... تركتْ « حُماة » على شفيرٍ هار
تنساب فى الأَحياءِ مُسرِعة الخطى ... تأْتى على الأَطمار والأَعمار
والقوم منغمسون فى حمئاتها ... فتكا بكل مُبَرَّءٍ صَبَّار
الطفل فى يَدِ أُمه غرض الأَذى ... يُرمَى ، وليس بخائِضٍ لِغمارِ
والشيخ متكئاً على عُكازهِ ... يُرمَى ، وما للشيخ من أَوزار

وقال أَيضاً سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب :

يا ساهر الليل ، ما للبرق يأْتلق ... والمُزنُ تُرعِدُ والأَنواءُ تصطفِق
هل بالطبيعة ما بى ؟ أَم أَلَمَّ بها ... ما بالديار ، فثارت كلها حنق
مُرْبَدَّةً لم يهِمْ فى جوها قمر ... ولا تنفَّس فى أَطرافها فلق
قدّت من الليل سِربالا يجللها ... وحف الذبول فلم يسفر لها أَفَق
مرأَى يمثل هول الحزن مختبطاً ... بين الجوانح مُدَّت دونه الطرق
أَبصرت بالعين ما استشعرت من كمد ... فى النفس لج به التبريح والأَرقُ
ويح الهموم كم أَرختْ أَعِنتِها ... شعثاً تدفق أَرسالا وتستبقُ
هوجاءُ تسمع منها كلما اقتربت ... صوت السلاسل فوق الصخر تنزلق
تهوى إلىَّ وأَهوى مُطبقين معاً ... حتى نصرَّع ملتفين نعتنق
هاجت وهجت فكانت ثم ملحمة ... دارت وسال دمى يجرى به العرقُ

* * *

الباب الرابع فى وصف الشعر

آراءُ الحكماء والشعراء فيه

إن من الشعر لحكمة . قال أفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : «سمى الشاعر شاعرًا لفطنته» . (الأخفش)

وُجِدَ الشعر حيث وجد السحر شقيقان ليس يفترقان . (إلياس فياض)

إن المنشئ يولد مطبوعاً على الإنشاء ، كما يولد الشاعر مطبوعا على النظم . والشعراءُ لِسان حال الأمة ، وتراجمة شعورها ، وعنوان إحساسها ، والشعر العصرى أضاف إلى معارفنا معانى جديدة يرقى بها الخيال ، وتتسع بها التصورات المبنية على الحقائق . (الهلال)

الشعراءُ زينة المجالس . (الأمين بن هارون الرشيد)

الشاعر العربى الذى يمكن أن يترجم أكثر شعره من غير أن تفقده الترجمة جَمَاله هو شاعر الحقائق . (الدكتور شبلى شميل)

الشعر عاطفة ذائبة ، أو فكرة متوقدة ، أو خاطرة عميقة سبكت فى قالب موزون الكلام والنغمة . (الآنسة مى)

ما الشعر إلا تصوير الخيال ، والشعر النفسى فى شكل الأشعار التى تدنيه من أفهام الناس ، فقدر الشعر ورقته وبلاغته يكون على قدر تنبه إحساس الشاعر ورقة عواطفه . (وسيلة محمد)

الشعر إلهٌ قديم مات ودفن فى العواطف الراقية ، فجعل شعور النفس كفناً له كلما تحركت العواطف ولمس الكفن استيقظ. ذلك الإله وملأ الدنيا أنيناً مدهشاً . (توفيق مفرح)

ولولا خلالٌ سنها الشعر مادَرى   بغاة العلا كيف تبنى المكارم

أَرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذى

تبقيه   أرواح   له   عطرات

وما المجدُ لولا الشعر إلا معاهدٌ　　وما الناس إلا أعظمٌ نخرات
(أبو تمام)

أَجلُّ الشعر ما فى البيت منه　　غرابة نكتة أو نوع لطف
وبئسَ الشعر بيت ليس فيه　　أماكن غير حيطان وسقف

للشعر فى كل عصر مَركِبٌ خشِنٌ　　لا يستقلُّ عليه الراكب الواهن
(ناصف اليازجى)

ليس شعرًا إلا الذى كلَّ بَيتٍ　　فيه معنى يدعو إلى الأسماع
(خليل اليازجى)

وخيرُ الشعر ما أوحاه طبعٌ　　فكان له بأفئدة دبيب
معانيه قد اتسقت بلفظ.　　يكاد لفرط رِقتِهِ يذوب
(عيسى المعلوف)

الشعر كالمِرآةِ يُرْ　　سم فيه عقل الناظم
(إبراهيم الحورانى)

وما الشعر الا الشهدوالسحروالطلى　　يجلى المنى يرقى العقول ويسكر
وما الشعر لا أدرى وأدرى لأننى　　تصوَّرتُهُ لكنه لا يصوَّر
(فائز السمعانى)

أنصت فكل لسان شاعر هزج　　حتى الكواكب والأقمار والشهب
(المقتطف)

لا يحسنُ الشعر إلا وهو مبتكرٌ　　وأى حسن لشعر غير مبتكر
وأجْودُ الشعر ما يكسوه قائله　　بِوَشْى ذا العصر لا الخالى من العصر

وهو الشعر لا أعتاضُ عنه بغيره　　ولا عن قوافيه ، ولا عن فنونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه　　فما بعده للمرءِ غير جنونه
(معروف الرصافى)

انظم الشعرَ ولازم مذهبى ... فى اطِّرَاحِ الرفد لا تبغ النحل
فهوَ عنوانٌ على الفضل وما ... أَحسَنَ الشعر إذا لم يبتذلْ

(ابن الوردى)

الشعرُ دُرٌّ والخيال بحور ... والفكر فُلك فى العباب يَمُورُ
والشعر ما ابتكر الذكاءُ مولدًا ... معنى له يرتاحُ منك شعور
فإذا أَتى نظماً فتلك صناعةٌ ... أُخرى جلاها الطبعُ والتحريم

(سليم عنحورى)

وقول دعبل بن على الخزاعى يصف الشعر الخالد :

يقول : إن ذاق الرَدى مات شعره ... وهيهات ! عمر الشعر طالت طوائله
سأَقضى ببيت يحمد ، الناس أَمرهُ ... ويكثر من أَهل الرواية حامله
يموتُ ردىء الشعر من قبل أَهله ... وجيده يبقى ، وإن مات قائله

العناية بلغة الشعر لعدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بِتُّ أَجمع بينها ... حتى أُقوِّمُ ميلها وسِنادَها
نظر المُثقِّفِ فى كعوب قناتهِ ... حتى يقيم ثقافهُ مُنْآدها

سحر البيان لأَبى تمام :

كشفْتُ قناع الشعر عن حُرِّ وجهه ... وطيرته عن وكره وهو واقعُ
بِغرّ يراها منْ يراها بسمعه ... ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسعُ
يود ودادا أَن أَعضاءَ جسمه ... إذا أُنْشِدتْ شوقا إليها مسامع

وصف قصيدة لابن الرومى :

نظم الفكرُ دُرَّها غير مثْقو ... بِ ، إذا الدُّرُّ شين بالتثقيب
لم يعبها سوى قواف تشاغلْ ... نَ عن المدح فيك بالتشبيب
يطرب السامعين أَيسر ما فيه ... ا وإن أَنشدت فلا تطريب
سودت فيك كل بيضاءَ تسوي ... دًا تراه العيون كالتذهيب

لو يناغى بيانها العُجْمُ يوماً عرَّب العجم أيما تعريبِ

سير الشعر للمتنبى :

وما الدَّهْرُ إلا مِنْ رُوَاة قصائدى إذا قلت شعرا أصبح الدهرُ مُنْشدًا
فسار به من لايسيرُ مُشمِّرًا وغنى به من لا يغنى مغردا
أَجِزْنِى إذا أَنْشدْتُ شعرًا فإنما بشعرى أتاك المادحُون مردِّدا

سهولة الشعر لبشار :

عميتُ جنينًا ، والذكاءُ من العمى فجئتُ عجيب الظن للعلم موئلاً
وغاض ضياءُ العين للعلم رافدا لقلب إذا ما ضيَّع الناس حصَّلا
وشعر كزهر الروض لاءمت بينه يقول إذا ما أَحزن الشعر أَسهلا

شعر هوجو لحافظ :

ما ثُغورُ الزهر فى أكمامها ضاحكاتٍ من بُكاءِ السُّحُبِ
نظمَ الوسمىُّ فيها لؤلؤا كثنايا الغيدِ أَو كالحبب
عند منْ يَقْضى بأَبهى منظر من معانيه التى تلعب بى

وله أَيضاً يصف طيارة :

يجرى بسابحةٍ تشـ ـق سبيلها شقَّ الإزارْ
وتكاد تقدح فى الأَثـ ـير فيستحيل إلى شرارْ
مِثْلَ الشهاب انْقضَّ فى آثار عفريت وطار
فإذا عَلتْ فكدعوة الْـ ـمُضطرِّ تخترقُ الستار
وإذا هَوتْ فكما هوت أنثى العقاب على الهِزار
وتُسِفُّ آونة وآ ونةً يحيدُ بها أزورار
فيخالها الراؤون قد قرت وليس بها قرار
لعب الجواد أَقلَّ ليـ ـثاً من ربيعة أَو نزار

أو كالقلوب من الحما ئم فوق ملعبه استطار
وكأنها فى الأُفق حـ ين يميل ميزان النهار
والشمس تُلقِى فوقها حلل اصفرار واحمرار
ملك تمثله لنا السـ ـما فيأخذنا انبهار

وقال أيضاً المرحوم حافظ إبراهيم يصف زلزال صقلية سنة ١٩٠٩ م :

نبئانى إن كنتما تعلمان ما دَهى الكون أيها الفرقدان
غضب الله أم تمردت الأر ض فانحت على بنى الإنسان
ليس هذا سبحان ربى ولا ذا لك ولكن طبيعة الأكوان
غليانٌ فى الأرض نفس عنه ثورانٌ فى البحر والبركان
وب أين المفرّ والبحر والبر على الكيد للورى عاملان ؟
كنت أخشى البحار والموت فيها راصدٌ غفلة من الرُّبان
سابحٌ تحتنا مطلٌّ عليه حائم حَولنا مُناءٍ مدانى(١)
فإذا الأرض والبحار سواءٌ فى خلاق كلاهما غادران(٢)

وقال البحترى يصف سيفاً :

يتناول الروح البعيد مناله عفوًا ويفتح فى القضاءِ المقفل
يغشى الوغى فالترس ليس بحده من حده والدِّرع ليس بمعقل
ماض وإن لم تمضه يد فارس بطل ومصقولٌ ، وإن لم يصقل
مصغ إلى حكم الردى فإذا مضى لم يلتفت ، وإذا قضى لم يعدل
متوقدٌ يبرى بأول ضربة ما أدركت ، ولو أنها فى يذبل
فإذا أصابَ فكل شيءٍ مقتلٌ وإذا أُصيب فما له من مقتل

وقال فقيد الأدب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى يصف القلم :

(١) مناء مدان : مقارب . (٢) الخلاق : الحظ أو الدين وانما يكون ذلك فى الخير ولكن الشاعر توسع فى استعمال الكلمة .

كم أثار اليراعُ خطباً كميناً   وأمات اليراع خطباً مُثارا
قطراتٌ من بين شقيه سالت   فأسالت من الدِّما أنهارا
كان غُصناً فصار عودًا ولكن   لم يزل بعد يحمل الأثمارا
كان يستمطرُ السحاب فحال الأَ   مر فاستمطر العقول الغزارا

وقال المرحوم أحمد شوقى يصف أبا الهول :

أَبا الهول ، طالت عليك العصر   وبُلِّغت فى الأَرض أقصى العمر(١)
فيالِدة الدَّهر لا الدَّهرُ شـ   ـابَ . ولا أَنت جاوزت حدَّ الصغر(٢)
إلامَ ركوبك متن الرما   ل لطىِّ الأَصيل وجوب السحر(٣)
تسافرُ متنقلاً فى القرُو   نِ ، فأَيَّان تُلقى غُبارَ السفر ؟
أَبينك عهدٌ وبين الجبا   ل ، تزولان فى الموعد المنتظر ؟(٤)
أَبا الهول ، ماذا وراء البقا   ءِ ، إذا ما تطاول غير الضجر ؟(٥)
عجبت للقمان فى حرصِه   على لبدٍ والنسورُ الأُخر(٦)

---

(١) العصر : الدهر فالعصر جمع عصر بسكون الصاد ومعنى طول الدهر على أبى الهول أنه عمر أعماراً طوالا ، والعمر بضم العين والميم لغة فى العمر . (٢) فيالدة الدهر : فيا أخا الدهر وقرينه فكأنك والدهر توأمان خلتما معا فى أوان ، ولا أنت جاوزت حد الصغر : أى برغم أنك بلغت فى الأرض أقصى العمر . (٣) الام ركوبك : انه تصوير شعرى بديع لتصوير أبى الهول راكبا متن الرمال يطوى الليل والنهار ويسافر متنقلا فى القرون والأدهار ، وجوب : فى معنى طى . (٤) فى الموعد المنتظر : يوم يزول كل شىء أى اليوم الآخر . (٥) ماذا وراء البقاء : يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبى سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش   ثمانين حولا ، لا أبالك ، يسأم

(٦) هو لقمان بن عادياء ، وتزعم العرب أنه هو الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستقى لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين عمر سبع بقرات سمر من أطيب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر ، أو بقاء عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الأبقار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن اخ له يا عم ما بقى من عمرك الا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد . ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر =

وشكوى لبيد لطول الحياة ولو لم تطل لتشكى القصر (١)
فإن الحياة تفل الحديـ ـدَ إذا لبسته ، وتبلى الحجر
ولو وجِدت فيك يا ابن الصَّفا ةِ لحقت بصانعك المقتدر (٢)
أبا الهول ، ما أنت فى المعْضلا تِ ! لقد ضلت السبل فيك الفكر (٣)
تحيرت البدو ماذا تكو ن ، وظلت بوادى الظنون الحضر (٤)
فكنت لهم صورة العنفوا ن ، وكنت مثال الحجى والبصر (٥)

= فيجعله فى جوبة الجبل الذى هو أصله كيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو اكثر فاذا مات اخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها الا السابع فأخذه فوضعه فى ذلك الوضع وسماه لبداً وكان أطولها عمراً ، فضربت العرب به المثل : فقالوا طال الأبد على لبد فعاش لقمان ، كما زعموا ، ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وهذا ، ولقمان بن عادياء غير لقمان الحكيم وغير اليهودى الذى آتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحة لتنوء بالعصبة أولى القوة ، كلا الاثنين مذكور فى القرآن الكريم .

(١) « وشكوى لبيد » أى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة الخ كان لبيد من المعمرين روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين سنة . وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية — أما شكواه التى ألمع اليها فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحيـاة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟!

يقول اذا لم يكن وراء البقاء المتطاول الا الضجر فانى أعجب للقمان فى حرصه على أن تطول حياته وللبيد الذى وان مل الحياة وسئم من طولها فانه لا محالة كان أكثرها شكاه اذ هى لم تطل لأن حب الحياة جبلة وغريزة مركوزة فى الطباع .

(٢) « وجدت » أى الحياة « يا ابن الصفاة » الصفاة الحجر الصلد الذى لا ينبت شيئا وفى المثل فلان ما تندى صفاته : وفى الحديث لا تقرع صفاة أى لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه الحجر « لحقت الخ » أى لأدركك الموت .

(٣) ما انت فى المعضلات ، خبرنى أى معضلة أنت فى المعضلات وأى معمى مخفى .

(٤) تحيرت : يقول حار الناس قاطبة فى أمرك حاضرهم والبادى .

(٥) صورة العنفوان لما ينطوى عليه جسمك الذى صور على صورة أسد من معانى القوة ومثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الانسان من معانى الفطنة والبصر بالأمور .

وسِرُّك فى حُجبِهِ كلما ... أَطلت عليه الظنونُ استترْ (١)
وما راعهم غير رأسِ الرجا ... لِ على هيكلٍ من ذواتِ الظفر
ولو صُوروا من نواحى الطبا ... ع توالوا عليك سِباعُ الصور (٢)
فيا رُبَّ وجهٍ كصافى النمير ... ر تشابه حامِلُه والنَّمر
أَبا الهول ، ويحك لا يُستقـ ... ل مع الدهر شيءُ ولا يحتقر (٣)
تهزَّأت دهرًا بديك الصبا ... حِ فنقرَ عينيك فيما نقر (٤)
أَسال البياض وسلَّ السوا ... د وأَوغلَ مِنقارُه فى الحُفَرْ
قعدت كأَنك ذو المحبِسيـ ... نِ قطيع القيام سليب البصر (٥)
كأَن الرمال على جانبيك ... وبين يديك ، ذنوبُ البشر
كأَنك فيها لواءُ القضا ... ء على الأَرض أَو ديدبان القدر (٦)
كأَنك صاحبُ رَمل يرَى ... خبايَا الغيوب خلال السطر (٧)

---

(١) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتما ومخفيا فى حجبه . والناس من أمرك فى ظلام . (٢) ولو صوروا أى ما كان ينبغى أن يروع الناس منك أن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحى شيمهم وطبائعهم لتولوا عليك كأنهم وحوش ، فيارب وجه كصافى النمير الماء الناجع فى الرأى أو النامى أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته . (٣) لا يستقبل لا يعد قليلا وهذا البيت كالتمهيد لما بعده . (٤) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبى الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبى الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح ، هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول انه ورد فى بعض الآثار لا تسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة (٥) « المحبسين » المحبس الموضع الذى يحبس فيه ، وكان يقال عن ابى العلاء المعرى رهين المحبسين أى رهين عماه وبيته : فكأنه من عماه فى المحبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكوته فى محبسين . (٦) « ديدبان » فارسية معربة أصلها ديده بان ومعنى ديده العين وبان ذو اى الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندى المكلف بالحراسة .

(٧) « السطر » السطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر .

أَبا الهول ، أَنت نديمُ الزما نِ نجيُّ الأَوانِ سميرُ العصر(١)
بَسطت ذراعيك من آدم ووليت وجهكَ شطرَ الزمر(٢)
تُطلُّ على عالمٍ يستهِـــلُّ وتوفى على عالمٍ يُحتضر(٣)
فعينٌ إلى من بدَا للوجُو دِ ، وأُخرى مشيعةٌ من عبر(٤)
فحدث فقد يُهتدى بالحديـــث وخبر فقد يُوتسى بالخبر
أَلم تبلُ فرعون فى عزهِ إلى الشمس مُعتزياً والقمر(٥)
ظليل الحضارة فى الأَولِـــينَ ، رفيع البناءِ ، جليل الأَثر(٦)

(١) « نجى الأوان » النجى بوزن فعيل الذى تساره — وفى الحديث « اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك » هو المناجى المحدث للانسان .

(٢) « من آدم » أى من قديم « الزمر » جمع زمرة الجماعة من الناس والمراد هنا الناس جميعا . (٣) « يستهل » يعنى يقدم على الدنيا من استهل الصبى بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة « يحتضر » حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت . (٤) وأخرى مشيعة من عبر ممن مضى . (٥) « ألم تبل فرعون » بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر كالنجاشي للملوك الحبشة وقيصر للملوك الرومان وفرعون أصلها فى الهيروغليفية مركبة من بى وهى أداة التعريف كأل ، ورع أى الشمس فتكون كلمة واحدة ورع أو راهوا معبود العتو والجبوت وما فى معناهما من مدلولات كلمة فراعنة عند العرب ، قوى حاكم جبار يقاتل احتفاظا بالحياة ، وابقاء على الكون ومن هنا كان واذن لا يقصد بفرعون فرعونا معينا ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول « الى الشمس معتزيا » يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو فى عزة حتى لكأنه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى الى شيء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صور أوزريس « الشمس » وازيس « القمر » لأنهم من أصنامهم فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة . (٦) « ظليل الحضارة » مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون فى ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الاقامة فى الحضر خلاف البدو والبادية وهى المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لها بها قرار .

يؤسس في الأرض للغابريـ ن ويغرس للآخرين الثمر(١)
وراعك ما راع من خيل قمبـ يز ترمي سنابكها بالشرر(٢)
جوارف بالنار تغزو البلا د ، وآونة بالقنا المشتجر
وأبصرت إسكندراً في الملا فشيب العلا في الشباب النضر(٣)

(١) « للغابرين » الغابر من الأضداد فيكون بمعنى الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت أما ان فرعون يخلو ذكر الماضين باقامة الآثار لهم والتماثيل ويغرس للآتين ما يجنون ثمرة من دور العلم والعرفان وما اليها ، وإما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدى ويثمر .

(٢) « قمبيز » هو ابن قورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس العظيمة ومعلوم أن الفرس من الدول التي غزت مصر واستولت عليها حينا من الدهر قال المؤرخون أخذ الفرس في غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين تولى الملك « أبسمتيك الثالث » أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم « قمبيز » بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرهت نفس أبيه قورش العظيم الى اخضاعها وكانت مصر اذ ذاك حصينة غاية في المنعة ، يقول مؤرخوا الاغريق أن أحد الجنود اليونانية هو الذي خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة « بلوز » « الفرما » بحرا وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيرا وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته الى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق‌م ، ولما ولي ملك مارس دارا الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراما كبيرا لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيرا من المدارس وفتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة « مرثون » في حربه مع الاغريق فخرجوا عن طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق.م ، ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق.م (٣) « اسكندر » هو الاسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم . قال المؤرخون بعد أن هزم الاسكندر الفرس =

تبلج في مصرَ إكليلهُ فلم يَعْدُ في الملك عُمر الزَّهرْ
شاهدت قيْصَر كيف استبد وكيف أذلَّ بمصر القصر ؟
وكيف تجبَّرَ أعوانه ؟ وساقوا الخلائق سوق الحُمُرْ ؟
وكيف ابْتُلُو بقليل العديد من الفاتحين كريم النَّفر
رمَى تاجَ قيصر رَمْىَ الزجاج ، وفل الجُمُوعَ وثلّ السرور(١)
فدعْ كلّ طاغية للزّمان فإنَّ الزمان يُقيم الصَّعرْ(٢)
رأَيت الدياناتِ في نظْمها وحين وهى سلكُها وانتثر(٣)

= في واقعة أفسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم الى مصر وقد كان الفرس استدعوا حاميتها منها بسبب حربهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر الى « بلوز » « الفرما » سنة ٣٣٢ ق.م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت أبوابها ودخلها دون عناء حتى أن الوالي الفارسي لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب ، ومن ثم سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون ، فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية ، ولما رأى الاسكندر أن قرية « راقودة » وهي قرية صغيرة كانت بقرب الاسكندرية ذات موقع بحري موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الاسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للاسكندر في مصر خرج الى فتوحاته الأخرى في المشرق ، وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ق.م وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ولم يقم بمصر كما ترى الا قليلا ، فذلك حيث يقول في البيت التالي « فلم يعد في الملك عمر الزهر » وخلف الاسكندر على مصر البطالسة وما زالوا بها الى أن استولى الرومان عليها « اكليله » تاجه .

(١) « رمى » يرتد هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل الجموع : هزمها وثل السرر كسرها والسرر جمع سرير والمراد بها العروش التي يجلس عليها القياصرة .

(٢) « الصعر » ميل في العنق وانقلاب الوجه الى أحد الشقين ، وقد صعر خده أماله من الكبر ، قال المتلمس .

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر يعد الطغاة يقال أقمت الشيء فقام أى استقام :

(٣) « في نظمها ، وحين وهى سلكها » في حالتي قوتها وضعفها .

تشادُ البيوتُ لها كالْبُرو ج إذا أخذ الطرفُ فيها انحسر(١)
تلاقى أساساً وشُمّ الجبا لِ كما تتلاقى أُصولُ الشجر(٢)
وإيزيس خلْف مقاصيرها تخطى الملوكُ إليها السُّتر(٣)
تُضيءُ على صفحات السما ءِ وتشرقُ فى الأرض منها الحُجَرْ
وآبيسُ فى نيره العالمو ن ، وبعضُ العقائد نير عسر(٤)
تساسُ به مُعْضلات الأُمُو رِ ويُرْجى النعيمُ وتخشى سَقر
ولا يشعرُ القوْمُ إلَّا به ولو أخذته المدى ما شعر
يظل أبو المسك عبداً له وإنْ صاغ أحمدُ فيه الدرر(٥)
وآنست موسى وتابوته ونور العصا والوَصايا الغرر(٦)
وعيسى يَلم رداءَ الْحَيا ءِ ومَرْيمُ تجمعُ ذيلَ الخفر(٧)

(١) « انحسر » كل والبصر يحصر أقصى عند بلوغ النظر .

(٢) « تلاقى » تتلاقى بحذف احدى التائين أى أنها راسخة رسوخ الجبال .

(٣) « ايزيس » هى من معبودات قدماء المصريين وهى أخت أوزيريس وزوجته فى الوقت نفسه وأم هوربوس وهابوقراط .

(٤) « وآبيس » هو العجل أبيس . رووا أن نيفون اله الشر تغلب أخيرا على أوزيريس اله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى وكانوا يعتقدون أن العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من القمر وله علامات ظاهرة فى جسده فانه يكون أسود اللون وفى جبهة سمة بيضاء مربعة مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه .

(٥) « أبو المسك » كافور الاخشيدى ، و « أحمد » أبو الطيب المتنبى .

(٦) تابدته ونور العصا والوصايا الفرر ، التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به فى النيل وعصا موسى وما كان منها من الأيات والوصايا العشر كل أولئك معروف فلا حاجة بنا الى الافاضة فيه .

(٧) وعيسى يلم رداء الحياء . يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياء ومثله فى ذلك العذراء .

وعمرٌو يسوقُ بمصر الصحاب ويُزْجى الكتاب ويحدو السور(١)
فكيف رأيت الهدى والضلا ل ودنيا الملوك وأُخرى عُمرَ
ونبذ المُقوْقس عهد الفُجو ر وأَخذ المُقوْقس عهد الفجر
وتبْديله ظُلمات الضَّلا لِ بِصُبْح الهداية لما سفر
وتأْليفه القبط والمسلمي نَ كما أُلفت بالولاءِ الأُسر(٢)
أَبا الهول ، لو لم تكن آية لكانَ وفاؤكَ إحدى العبر(٣)
أَطلت على الهرمين الوقو ف كثاكلةٍ لا تريم الحُفر(٤)
ترجى لبانيها عودة وكيف يعودُ الرَّميم النخِر؟(٥)
تجوس بعين خلال الديا ر وترمى بأُخرى فضاءَ النهر(٦)
ترُومُ بمنفيس بيض الظبا وسمر القنا والخميس الدثر(٧)
ومهد العلوم الخطير الجلا ل وعهد الفنون الجليل الخطر
فلا تستبين سوى قرية أَجد محاسنها ما اندثر(٨)

---

(١) يقول وقد رأيت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويرجى كتاب الله وآياته .

(٢) وتأليفه أى المقوقس (الأسر) جمع الأسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون . (٣) احدى العبر احدى الآيات . (٤) أطلت الخ بيان لوفاء أبى الهول كثاكلة : يقول انك فى اطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ، ولا تزايله فالثاكلة هى التى فقدت ولدها ، ولا تريم أى لا تبرح .

(٥) « لبانيهما » أى لبانى الهرمين . (٦) « تجوس » تطوف وتتخلل و « النهر » النهر واحد الأنهار يعنى النيل . (٧) « وتروم » تنشد وتطلب « بمنفيس » منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة وهى عاصمة ملك الفراعنة والذى بناها هو مينا مؤسس الأسرة المالكة الأولى وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر .

(٨) « أجد محاسنها ما اندثر » يقول ان طلولها الدوارث ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها .

تكاد لإغراقها فى الجمو د إذا الأَرض دارت بها لم تدُر
فهل من يُبلغُ عنا الأُصو ل بأَن الفروع اقتدت بالسير ؟
وأَنا خطبنا حسانَ العلا وسقنا لها الغالى المدخر ؟
وأَنا ركبنا غمار الأُمور وأَنا نزلنا إلى المؤتمر
بكل مبين شديد اللدا د وكلٍّ أَريب بعيد النظر
نطالبُ بالحقِّ فى أُمة جرى دمُها دونه وانتشر
ولم تفتخر بأَساطيلها ولكن بدستورها تفتخر
فلم يبقَ غيرك من يخفـ ف ولم يبق غيرك من لم يطر
تحرك أَبا الهول ، هذا الزَّما نُ تحرك ما فيه ، حتى الحجر

وقال أَيضاً المرحوم أَحمد شوقى بك يصف حياة النحل وحالته ومملكته :

مملكةٌ مُدبَّرَه بامرأَة مُؤَمَّره
تحمل فى العمال والـ صناع عِبْءَ السيطره
فاعجب لِعمال يولـ ون عليهم قيصرَه
تحكمهم راهِبةٌ ذكارةٌ مُغيِّره(١)
عاقدةٌ زنارَنا عن ساقها مُشمره
تلثَّمت بالأَرجُ وانِ وارْتدته مئزره
وارتفعت كأَنها شرارة مُطيَّره
ووقعتْ لم تختلج كأَنها مُسمره(٢)
مخلوقة ضعيفة من خُلقٍ مُصوَّره
ياما أَقل ملكها وما أَجل خطره

(١) التغيير : ترديد الصوت بالقراءة .
(٢) الاختلاج : الاضطراب .

قف سائل النحل بأَىٍّ عقل دبَّره ؟
يُجبك بالأَخلاق وهى كالعقول جوهره
تغنى قوى الأَخلاق ما تغنى القوى المفكره
ويرفعُ الله بها من شاءَ حتى الحشره
أليس فى مملكة النحل لقوم تبصره ؟
مُلك بناه أَهله بهمَّة ومجدرَه(١)
لو التمست فيه بَطال اليدين لم تره
تقتلُ أَو تنفى الكسالى فيه غير منذره
تحكم فيه قصره فى قومها موقره
من الرجال وقيودِ حكمهم محررَه
لا تورثُ القوم ولو كانوا البنين البرره
الملك للإناثِ فى الدستور لا للذكره(٢)
نيرة تنزل عن هالتها لنيره
فهل ترى تخشى الطماع فى الرجال والشره(٣)
فطالما تلاعبوا بالمهجِ المصيره
وعبروا غفلها إلى الظهور قنطره
وفى الرجال كرم الضعف ولؤم المقدِره
وفتنة الرأْى وما وراءَها من أَثره
انثى ولكن فى جناحيها لباة مخدرَه(٤)

(١) يقال هذا الأمر مجدرة ذاك أى جديرا به .
(٢) الذكرة : الذكور .
(٣) الطماع : الطمع .
(٤) اللباة : اللبؤة وهى أنثى الأسد .

زائدة عن حوضِها طاردة من كدَّره
تقلَّدات إبرَتها وادَّرعت بالحبرَه
كأنَّها تُركِيةٌ قد رابطت بأنقرَه
كأنَّها (جاندرك) فى كتيبة مُعسكره
تلقى المغيرَ بالجُنو دِ الخُشنِ المنمرة
السابغين شِكةً(١) البالغين جَسره(٢)
قد نَثرتهم جُعبة ونفضتها مِئبره(٣)
من يبن مُلكا أو يذُد فبالقنا المجرَّره
إن الأُمور همةٌ ليس الأُمور ثرثره
ما الملك إلا فى ذرى الـ أَلوية المنشَّره
عرينُه مُذ كان لا يحميه إلا قسوره(٤)
رب النيوب الزرق والـ مخالب المذكره
مالكةٌ عاملةٌ مُصلحةٌ مُعمره
المال فى أتباعها لا تستبينُ أَثره
لا يعرفون بينهم أَصلا له من ثمره
لو عرفوه عرفوا من البلاءِ أَكثره
واتخذوا نقابة لأَمرهم مُسيره
سُبحان من نزه عنـ ـه ملكهم وطهره
وساسهُ بحرة عاملة مُسخره
صاعدة فى معملٍ من معمل مُنحدره

(١) الشكة : السـلاح .
(٢) الجسرة : الجسارة .
(٣) المئبرة : بيت الابر .
(٤) القسورة : الأسد .

واردة دَسكرة صادرة عن دسكره(١)
باكرة تستنهضُ الـ عصائب المبكرة(٢)
السامعين والطائعيـ ن المحسنين المهرَه
من كل من خط البنا ء أو أقامَ أسطره
أَو شد أصل عقده أو سدَّه أو قوَّره(٣)
أَو طاف بالماء على جُدراته المجدَّره(٤)
وتذهبُ النحلُ خفا فاً وتجيءُ مُوقره
جوالب الشمع من الـ خمائل المنَّوره
حوالب الماذى(٥) من زهر الرياض الشيره(٦)
مشدوده جيوبها على الجنى مُزرَّرَه
وكلٌّ خرطوم أَدَا ةُ العسل المقطره
وكلٌّ أنف قانئٍ فيه من الشهدِ بره(٧)
حتى إذا جاءت به جاست خلال الأَدوَرَه(٨)
وغيبتهُ كالسلا ف في الدِّنان المحضره(٩)
فهل رأَيت النحل عن أَمانة مقصرَه ؟
ما اقترضت من بقلة أَو استعارت زهره
أَدَّت إلى الناس به سكرة بسكره

(١) الدسكرة : القرية . (٢) العصائب : جمع عصابة .
(٣) قور للشيء قطعه من وسطه خرقا مستديرا .
(٤) المجدرة : أي المشيدة . (٥) الماذى : العسل .
(٦) الشميرة : الحسان .
(٧) البرة : الحلقة في الأنف .
(٨) الأدورة : الديار يراد بها الخلايا هنا .
(٩) السلاف : أفضل الخمر .

وقال أيضاً أحمد شوقى يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته :

قِفى يا أُخت (يُوشع) خبِّرينا أَحاديث القُرون الغابرِينا(١)
وقُصِّى من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلمينا(٢)
فمثلك من رَوَى الأَخبار طُرًّا ومن نسب القبائل أَجمعِينا(٣)
نرى لك فى السماءِ خضيبَ قرن ولا نحْصى على الأَرض الطعينا(٤)
شبت على الثياب شواظ نار ودرت على المشيب رحى طحونا(٥)
تعنين الموالد والمنايا وتبنين الحياة وتهدمينا(٦)
فيالكِ هرَّة أَكلَتْ بَنيها وما ولدوا وتنتظر الجنينا(٧)
أَأُم المالكينَ بَنِى (أَمون) ليهنك أَنهم نزعُوا (أَمونا)

---

(١) ألخطاب للشمس . وقد أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت ولا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله :

وما أنت الا أنس المليحة اذا بدت دجى فأضاء الأفق من كل موضع
فحدثت نفسى أنها الشمس أشرقت وأنى قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرون الأخيال الماضية .

(٢) قصى : حدثى ، ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » مصارعهم : مهالكهم دولاتهم جمع دولة بضم ففتح وهى الداهية يقال : « جاف الدهر بدولاته » أو بدواهيه .

(٣) طرا جميعا دون أن تترك منها شيئا ، نسب القبائل : ذكر أنسابهم .

(٤) الخضاب : الملون بالخضاب ، القرن : حاجب الشمس : الطعين المطعون .

(٥) الشواظ بالضم والكسر : دخان النار .

(٦) المنايا جمع منية وهى الموت .

(٧) الهرة : القطة ، ويقال فى المثل « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها ، الجنين : الولد ما دام فى الرحم .

ولدت له (المآمين) الدواهى ولم تلد له قط (الأمينا)(١)
فكانوا الشهبَ حينَ الأَرض ليلٌ وحين الناس جدٌّ مضللينا
مشت بمنارهم فى الأَرض (روما) ومن أَنوارهم قبست (أَثينا)(٢)
ملوكُ الدهر بالوادى أَقاموب على (وادى الموكُ) محجبينا(٣)
فرُبَّ مصفد منهم وكانت تساق له الملوك مصفدينا(٤)
تقيد فى التراب بغير قيد وحلَّ على جوانبه رهينا
تعالى الله كان السحر فيهم أَليسوا للحجارة منطقينا(٥)
عدَوا يبنون ما يبقى وراحوا وراءَ الآبداتِ مخلدينا
إذا عمدُوا لمأثرة أَعدوا لها الإِتقان والخلق المتينا
وليس الخلدُ مرْتبة تلقى وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكنْ منتهى همم كبار إذا ذهبتُ مصادرُها بقينا
وسر العبقرية حين يسرى فينتظم الصنائعَ والفنونا
وآثار الرجال إذا تناهت إلى التاريخ خير الحاكمينا

(١) أشار للخليفتين ، الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بنى العباس حزما وعلما ورأيا ودهاء وهيبة وشجاعة ، أى ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون . (٢) روما عاصمة ايطاليا قبست أخذت ، أثينا عاصمة اليونان ، وفيه اشارة الى ما أخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة .

(٣) وادى الملوك هو الشاطىء الغربى للنيل بالأقصر على مسيرة نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها وقد كانوا يبالغون فى العناية بها وابقائها الى حد يفوق الوصف . (٤) مصفدين مقيدين : يصف فراعنة مصر فى مقرهم الأخير ، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة . (٥) منطقين اليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة نشأتهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما عن أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم القاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب .

وأخذك من فم الدنيا ثناءً وتركك فى مَسامعها طنينا(١)
فغالى فى بنيك الصيد غالى فقد حُبَّ العلوُّ إلى بنينا(٢)
شبابٌ قنعٌ لا خيرَ فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا(٣)
فناجيهم بعرش كان صنوًا لعرشك فى شبيبته سَنينا(٤)
وكان العز حيلته وكانتْ قوَائمهُ الكتائب والسفينا
وتاجٌ من فرائده (ابنُ سيتى) ومن خَرزاته (خُوفو) و(مينا)(٥)
علا خدًّا به صعر وأنفا ترفع فى الحوادث أن يدينا(٦)
ولستُ بقائل ظلموا وجاروا على الأَجراءِ أَو جلدوا القطينا(٧)
فإنا لم نوَقَّ النقص حتى نطالبُ بالكمال الأَولينا(٨)
وما (البستيلُ) إلا بنت أمس وكم أَكلَ الحديدُ بها سجينا(٩)

---

(١) الطنين صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك .

(٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبرا وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا ، فقد حب بضم الحاء أى فقد حبب .

(٣) قنع أى قانعون لا يطلبون شيئا وراء ما بلغوا ، الطامحون المتفانون فى طلب المعالى . (٤) الصنو : الأخ الشقيق والابن ، السنين بفتح السين من يكون فى سنك . (٥) ابن سيتى : هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ويلقب بالأعظم لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة الا وعليه اسمه ورسمه وولى الملك صغيرا فى حياة والده ، وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله فى جيش الى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسيا الشمالية وكان فى أيامه (بنتاءور) الشاعر المصرى وله فيه عدة مدائح يصفها بها شجاعته واقدامه

(٦) علا خدا أى ذلك التاج والصعر أن يميل الرجل بخده عن الناس تهاونا أو كبرا . (٧) القطين الخدم أى أنه لا يجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الأبنية . (٨) لم نوق النقص أى لم نحفظ منه . (٩) البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه الى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف =

وربُة بيعة عَزَّت وطالتْ بناها الناسُ أَمْس مُسَخَّرينا(١)
مُشيدة لشافىَ العُمْى (عيسى) وكم سملَ القُسُوس بها عُيُونا(٢)
خليلىَّ اهْبطا الوادى ومِيلا إلى غُرَف الشموس الغاربِينا(٣)
وسِيرا فى محاجرهم رُوَيدًا وطُوفا بالمضاجع خاشعينا(٤)
وخُصَّا بالعمار وبالتَّحايا رُفات المجد من (تُوتنخمينا)(٥)
وقبرًا كاد من حُسْنٍ وطيب يضىءُ حجارة ويضوعُ طينا(٦)
يخال لروعة التاريخ قُدّت جنادلهُ العلا من (طور سينا)(٧)
وكان نزيلُه بالمُلك يُدعى فصار يُقلَّب الكنز الثمينا(٨)
وقُوما هاتفين به ، ولكن كما كان الأوائلُ يهتفونا(٩)
فثم جلالةٌ قرَّت ورامت على مرِّ القرون الأربعينا(١٠)
جلال الملك أيامٌ وتمضى ولا يمضى جلال الخالدينا(١١)

= عظيم وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه لخير بلاده فدخله حيــا وفارقه ميتــا وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (الباستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلــم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا أصوله وأخذت أحجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها فى أمكنة اللآلىء اشارة الى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين .

(١) البيعة بكسر الباء معبد النصارى مسخرين : أى كلفوا عملهم بلا أجرة . (٢) سمل العين فقأها بحديدة محماة وقلعها .

(٣) يريد بالشموس الغاربينا ملوك الفراعنة ، وغرفهم مدافنهم .

(٤) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيال اليمن وهى أحماؤهم أى ما كان يحميه كل منهم . (٥) العمار التحية وهــو أيضا الريحان يزين به مجلس الشراب . (٦) يضوع يتحرك وينتشر أى كادت حجارته تضىء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية .

(٧) الروعة المسحة من الجمال ، الجنادل جمع جندل وهو الحجارة وطورسينا هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى . (٨) النزيل الضيف .

(٩) هاتفين به أى الملك الذى هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته . (١٠) فثم : فهناك الجلالة من عظم القدر ، ورامت أقامت . (١١) أى أن الجلال الصحيح ما خلــد به فى التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء له .

وقُولا للنزيل «قُدوم سعد» وحيا الله مقدمك اليمينا(١)
سلامٌ يوم وارتك المنايا بواديها ويوم ظهرت فينا(٢)
خرجت من القبور خُروج عيسى عليك جلالة في العالمينا(٣)
يجُوبُ البرق باسمك كل سهل ويخترق البخارُ به الحزُونا(٤)
تعَال اليوم خبرنا أكانت نواك سناتٍ نومٍ أم سنينا ؟(٥)
وماذا جُبت من ظُلمات ليلٍ بعيد الصبح يُنضي المدلجينا(٦)
وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت هياكلها وتبلى إن بلينا ؟
وما تلك القباب وأين كانت وكيف أصل حافرها القُرونا ؟(٧)
ممرَّدة البناءِ تختالُ بُرجاً ببطن الأَرض محطوطاً دفينا(٨)
تغطى بالأَثاث فكان قصرًا وبالصور العتاق فكان زونا(٩)
حملتَ العرشَ فيه فهل ترجَى وتأْمل دولة في الغابرينا ؟(١٠)
وهل تلقى المهيمن فوق عرش ويلقاه الملا مترجلينا ؟(١١)
وما بال الطعام يكاد يقدى كما تركته أيدى الصَّانعينا(١٢)

---

(١) اليمين المبارك وهو من اليمن . (٢) وارتك أخفتك .
(٣) خروج عيسى أى كما خرج عيسى من القبر على قول النصارى .
(٤) يجوب يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلى (التلغـراف) الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض . (٥) تعالى اليوم الخ الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك قصدك . (٦) ينضى يهزل المدلجون الذين يسيرون من أول الليل . (٧) وما تلك القباب جمع قبة وهى ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة . (٨) ممردة البناء مملسته . (٩) تغطى أى هذا البناء تغطى الخ والأثاث متاع البيت ، والصور جمع صـورة يريد بها الرسوم التى تحاكى صور الأشياء ، الزون الموضع تجمع فيه الأصنام . (١٠) فى الغابرين فى الباقين وفى القرآن الكريم « فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » ويكون أيضا بمعنى الماضين فهو من الكلمات التى تستعمل للأضداد . (١١) المهيمن من أسماء الله تعالى ، والمترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم .
(١٢) ما بال الطعام ما حاله ، يقدى من قدى الطعام أى طاب طعمه ورائحته .

لم تكُ أَمس تصبر عنه يوماً فكيف صبرت أَحقابا مِئينا ؟(١)
لقد كان الذى حذر الأَوالى وخاف بنو زمانك أَن يكونا(٢)
يحبُّ المرءُ نبش أَخيه حيا وينبشه ولو فى الهالكينا
سلك من الحفائر قبل يومٍ يسل من التراب الهامدينا(٣)
فإِن تكُ عند بعثٍ فيه شك فإِن وراءه البعث اليقينا(٤)
ولو لم يعصموك لكان خيرًا كفى بالموت مُعتصما حصينا(٥)
يُضرُّ أَخو الحياةِ وليس شىءُ بضائره إِذا صحب المنونا

وقال على بن محمد التنوخى واصفاً مكتوباً :

وصحيفة أَلفاظها فى النظم كالدُّرِّ النثيرْ
جاءَت إِلىَّ كأَنها التـ وفيقُ فى كل الأُمور
بـأَرق من شكوى وأَحـ ـسن من حياة فى سرور
لو قابلت أَعمى لأَصبـ ـح وهو ذو طرف بصير
وكأَنها أَملٌ تحقق بعـ ـد يـأْس فى الصدور
أَو كالفقيد إِذا أَتت بقدومه بُشْرَى البشير
أَو كالمنام لساهر أَو كالغنى عند الفقير
أَو كالشفاءِ لمدنِفٍ أَو كالأَمان لمستجير
وكأَنما هى من وصا ل أَو شباب أَو نشور

(١) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر ، المئين جمع مائة
(٢) لقد كان أى لقد حصل الذى حذر الأولى ، والأوالى جمل أول .
(٣) سللت أخرجت منها برفق الحفائر جمع حفيرة وهى الحفرة ، واليوم الذى يسل الهامدين من التراب هو يوم القيامة .
(٤) فان تك عند بعث الخ أى فان تكن الآن تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتى البعث الذى لا تشك فيه وهو بعث القيامة .
(٥) يعصموك يمنعونك من المكروه أى لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل وجلاء هذا المعنى فى البيت الثانى .

لفظ كأسر معاند ... أَو مثل إطلاق الأَسير
وكأَن إِذْ لاح من ... فوق المهارق والسُّطور
ورُد الخُدود إذا انتقلـ ... ـت به على راح الثغور
غررٌ عدَت وكأَنها ... من طلعة الظبى الغرير
من كل معنى كالسلا ... مة أَو كتيسير العسير

وقال أَيضاً واصفاً الخط والكتابة والبلاغة :

خط وقرطاص كأَنهـ ... ـما السوالف والشعور
فى كل مغنى كالغنى ... يحويه مُحتاجٌ فقير
أَو كالفكاك يناله ... من بعد ما يأْس أَسير
وكأَنها الإِقبال جا ... ءَ به من الشفاءِ أَو النشور
وكأَنها شرخ الشباب ... وعيشة الخضل النّضير

وقال البحترى فى الموضوع نفسه :

وإذا دجت أَقلامُه ثم انتحت ... برقب مصابيح الدُّجى فى كتبه
فاللفظ يقربُ فهمهُ فى بعدِه ... منَّا ويبعد نيلُه فى قرْبِهِ
فكأَنها والسمع معقودٌ بها ... شخصُ الحبيب بَدَا لعين محبِّه

وقال الوزير المهلبى فى وصف كتاب :

ورَدَ الكتاب مبشرًا ... نفسى بأَنواع السُّرُور
وفضضته فوَجَدته ... ليلا على صفحات نور
مثل السوالف والخُدو ... د البيض زِينت بالشفور
أَنزلتُه منى بمنْـ ... ـزلة القلوب من الصدور

وقال النجم بن إسرائيل يصف الموز :

أطعمتهُ موزًا شهيًّ المنظر مستحكم النضج ، لذيذ المخبر
كأَن تحت جلدِه المزعفر لفات زبد ، عجنتْ بسكر

وقال البهاءُ زهير يصف الموز أَيضاً :

فى ريحه ، ولونه ، وطعمه كالمسك ، أَو كالتبر أَو كالضربِ
وافت به أَطباقه منضدًا كأَنه مكاحلٌ من ذهب

وقال آخر :

يحكى إذا قشَّرتَه أَنياب أَفيال صغار
ذو باطن مثل الأَقا ح ، وظاهر مثل البهار(١)

الكمثرى :

وكمشراءَ بستان شهى الطعم والمنظرْ
له طعمٌ إذا ذيق كما الوَرْد والسكرْ
كأَن فى شكله ، ولونه وطعمه قوالبُ من سكر

التفاح ـ قال ابن المعتز :

كأَنما التفاح لما بدَا يرفل فى أَثوابه الحمر
شهدٌ بما الورد مستودع فى أَكر من جامد الخمر(٢)
كأَنما حين نحيا به نستنشقُ الند من الجمر(٣)

الخوخ :

كأَنما الخوخ على دَوْحه وقد بدا أَحمرُه العندمى(٤)
بنادق من ذهب أَصفر قد خضبت أَنصافها بالدم

---

(١) الأقاح الأقحوان وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر والبهار نبت أصفر طيب الريح . (٢) الأكر : جمع كره وهى لغة فى الكرة .
(٣) الندى : طيب . (٤) العندم : صبغ أحمر .

وخوخة بستان ذكى نسيمها — من المسك والكافور قد كسبت نشرا (١)
ملبسة ثوباً من التبر نصفه — مصوغٌ ، وباقيه كياقوتة حمرا

المشمش :

ومشمش جاءنا من أعجب العجب — أشهى إلى من اللذاتِ والطربِ
كأنه وهبوبُ الريح ينثرُهُ — بنادقٌ خرطت من خالص الذهب

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

حبذا الشمس على الدوح أضحى — ذا شعاع يستوقفُ الأبصارا
شجر أخضرُ لنا جعل اللـ — ـهُ «تعالى» منهُ كما قال نارا (٢)

الرمان :

رمانة صبغ الزمان أديمها — فتبسمت فى ناضر الأغصان
فكأنما هى حُقة من عسجد — قد أودعت خرزًا من المرجان
غيره – كأنما حقة ، فإن فتحت — فصرت من فصوص ياقوت
غيره – حقاق كأمثال العقيق تضمنت — فصوص بلخش فى غشاء حرير (٣)
غيره – إذا فض عنه قشره فكأنه — فصوص عقيق فى حقاق من الدر
فدُرٌّ ، ولكن لم يدنسه عارض — وماء ولكن فى مخازن من جمر

النخيل ، والبلح :

كأن النخيل الباسقات وقد بدت — لناظرها حسناً قباب زبرجد (٤)
وقد علقت من حولها زينة لها — قناديل ياقوت بأمراس عسجد

وقال السرى الرفاء المتوفى سنة ٣٦٦ ه :

(١) نشر : رائحة طيبة . (٢) يشير الى قوله تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) (٣) البلخش : حجر معدنه بنواحى بلخشان المتاخمة للتركستان ، احمره يشبه الياقوت . (٤) بسق النخل : طال .

فالنخلُ من باسق فيه وباسقة يضاحك الطلعُ فى قِنوَاته الرُّطبا (١)
أضحت شماريخه فى البحر مُطْلعةً إما ثريًّا ، وإما مِعْصما خَضِبا (٢)
تُريكَ فى الظلِّ عِقْياناً فإن نظرت شمسُ النهار إليها خلتها لهبا (٣)

وقال آخر فى البلح الأَخضر :

أَما ترى النخل قد نثرت بلحاً جاءَ بشيرًا بدولةِ الرُّطب
مكاحِلاً من زُمُرُّد خرطت ، مُقمَّعات الرءُوسِ بالذهب (٤)

وفى البلح الأَحمر :

انظر إلى البُسْر قَدْ تَبدَّى ولونه قد حكى الشقيقا (٥)
كأَنما خوصه عليه زَبرْجَدٌ مُثمِرٌ عقِيقا

البطيخ :

رأَيتها فى كف جَلَّابها وقد بدت فى غاية الحسن
كسلة خضراء مختومة على القصوص الحمر فى القطن

وقال أَبو طالب المأْمونى :

ومُبيَضة فيها طرائق خُضرة كما اخضرَّ مَجْرى السَّيل صيب المزن (٦)
كحقة عاج ضُبِّبتْ بزبَرجد حوَت قطع الياقوت فى عصب القطن (٧)

---

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير تمرا أن كانت أنثى ، فان كانت ذكرا لم يصر تمرا بل يؤكل طريا ، أو يترك على النخل أياما حتى يصير فيه شيء أبيض مثل الدقيق فتلقح به الأنثى ، والقنوان : جمع قنو وهو التمر كالعنقود من العنب . (٢) المعصم موضع السوار أو اليد وهو المراد هنا . (٣) العقيان : الذهب الخالص . (٤) مقمعة ذات قمع وهو ما التزق بأعلى التمرة . (٥) البسر : البلح قبل أن يرطب فاذا انتهى نضجه فرطب . والشقيق نبت أحمر فيه بقع سوداء .
(٦) الصيب : المطر ، والمزن السحاب أو أبيضه . (٧) التضبيب : شدة القبض على شيء لئلا ينفلت أى كأنها محاطة بخيوط الزبرجد تمسكها ، والعصب جمع عصبة ، ما يعصب به أى ضرب من القطن .

وقال سبط بن التعاويذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ :

رُبَّ صفراء أَتتنا وهي في أَحسن حُلَّهْ
تعتريها صُفرَةٌ في لونها من غير عِلَّهْ
حُلْوَةُ الريق ، حلال دمها في كل مِلَّهْ
نصفها بدر ، فإن قَسَّمتها فهي الأَهله

غيره : أَلا فانظروا البطيخ وهو مشقق وقد حاز في التشقيق كل أَنيق
ترَوْهُ كَبلُّورٍ بدا في زُمُرد مركبة فيه فصوص عقيق

وقال السرى الرفاء في العنب :

والكرْمُ مشتبك الأَفنان ، توسِعُنا أَجناسه في تساوى شِرْبها عجبا (١)
فكرمةٌ قطرت أَغصانها سبجاً وكرمة قطرت أَغصانها ذهبا (٢)
كأَنما الورق المخضر دونهما غيرانُ يكسوهما من سندس حُجُبا

قصب السكر :

تحكيه سُمْرُ القنا ولكن تراه في جسمه طلاوه (٣)
وكلما زِدْته عذاباً زادك من ريقه حلاوه

النبق :

وسِدْرة كل يوم من حُسْنها في فنون (٤)
كأَنما النَّبْقُ فيها وقد بدا للعيون
جَلَاجِلٌ من نُضَارٍ قد عُلقَت في الغصون

---

(١) الأفنان : الأغصان ، والشرب : الماء . (٢) السبج : خرز أسود . (٣) الطلاوة مثلثة الطاء : الحسن . (٤) السدرة : شجرة النبق .

الجزر : قال ابن المعتز :

انظر إلى الجزَر الذى يحكى لنا لهب الحريق
كمذبة من سندس ولها نِصابٌ من عقيق

وقال ابن رافع القيروانى :

انظر إلى الجزر البديع كأَنه فى حُسْنِه قضُبٌ من المرجان
أَوراقه كزبرجد فى لونها وقلوبه صِيغَتْ من العِقيانِ(١)

اللوز الأَخضر : قال ظافر الحداد :

كأَنما قلوبه من توأَم ومُفرَدِ
جَوَاهرٌ لكنما الأَصداف من زبرجد

التين : قال ابن المعتز :

أَنعم بتين طاب طعماً ، واكتسى حُسْنًا ، وقارب منظرًا من مخبر
فى بَرْدِ ثلج ، فى نقا تبر ، وفى ريح العبير ، وطيبُ طعم السكر(٢)
يحكى إذا ما صُفَّ فِى أَطْباقه خِيما ، ضربْنَ من الحرير الأَحمر

الفستق :

والقلبُ ما بين قِشريَه يلوح لنا كأَلْسُنِ الطيرِ من بين المناقيرِ
غيره : زبرجدة خضراء وسط حريرة بحُقَّةِ عاجٍ فى غِلافِ أديمِ(٣)
غيره : زبرجدة ملفوفة فى حريرة مضمَّنةً دُرا مغشى بياقوت

النارنج : قال ابن المعتز :

وكأَنما النارنج فى أَغصانه من خالص الذهب الذى لم يُخلطِ.(٤)

(١) العقيان : الذهب الخالص . (٢) العبير اخلاط من الطيب ، ونقا مقصور نقاء . (٣) الأديم الجلد أو أحمره ، وهو المراد هنا .
(٤) النارنج : نوعان أحدهما حامض معروف والأخر حلو وهو « البرتقال » .

كرَة رماها الصولجانُ إلى الهوا فتعلقت فى جَوِّهِ لم تَسقُطِ

غيره : انظر إلى منظر تُلهيك بهجتُه بمثله فى البرايا يُضرَبُ المَثَلُ

نادٌ تلوحُ على الأَغصان فى شجر لا النار تطفى ، ولا الأَغصان تشتعل

وقال أَبو الحسن الصقلى :

إذا ميَّلتها الريحُ مالت كأَكرة بَدتْ ذهبًا فى صولجان زبرجد

الليمون : قال ابن المعتز :

يا حبّذا ليمونةٌ تحدث للنفس الطرب

كأَنها كافورة لها غشاء من ذهب

القلم ــ قال ابن المعتز يصفه : القلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولايَمَلُّ استزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائرا ، على أَرض بياضُها مُظلم وسوادها مضىء ، وكأَنه يُقبِّل بساط سلطان ، أَو يفتح نوَّار(١) بستان .

وقال على بن عبيد : القلم أَصمٌّ يسمع النجوى (٢) ، أَعيا من باقل ، وأَبلغ من سُحبان وائل ، بجهل الشاهد ، ويخْبرُ الغائب ، ويجعل الكتب بين الإِخوان أَلْسُناً ناطقة ، وأَعْيناً لاحظة ، وربما ضمَّنتها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الأَلسن المشاهدة .

ومن كلام أَبى حَفص بن بُرد الأَندلسى : ما أَعجب شأْن القلم ! يَشْرَب ظلمة ، ويلفظ نورًا ، وقد يكون قلم الكاتب أَمضى من شباة(٣) المحارب ، وهو سهم ينفذ المقاتل ، وشفرة(٤) تطيح بها المفاصل .

وقال محمود بن أَحمد الأَصبهانى :

أَخرسُ يُنبيك بإِطراقِهِ عن كل ما شئت من الأَمر(٥)

(١) نوار : الزهر أو الأبيض منه . (٢) النجوى : السر .
(٣) الشباة : حد كل شىء (٤) شفرة : سكين (٥) أطرق : أرخى عينيه ينظر الى الأرض .

يُذْرِفُ على قِرْطاسِهِ دمعة يُبدِي بها السرَّ وما يَذْرِي(١)
كعاشق أخفى هواهُ ، وقد نمَّت عليهِ عبْرَةٌ تجرى
تُبصرُه فى كل أحواله عريان يَكسو الناسَ أو يُعْرِى
يُرَى أسيرًا فى دواة وقد أطلق أقواماً مِنَ الأَسْرِ
أخرقُ ، لو لم تَبْرِه لم يَكُنْ يرشق أقْواماً وما يَبْرِ(٢)
كالبحر إذ يَجْرى ، وكالليل إذ يَغْشَى ، وكالصارم إذ يفرى

وقال أحمد بن عبد ربه المتوفى سنة ٢٢٨ هـ :

يُخاطِبُ الغائبَ البعيدَ بما يخاطبُ الشَّاهدَ الذى حضرا
شَخْتٌ ضئيل لفعْله خطرٌ أعظم به فى مُلِمَّةٍ خطرا(٣)
تَمجُّ فكاهُ رِيقه صغرتْ وخطبها فى القلوب قد كبرا
بواقع النفسَ منه ما حذرت وربما جنيتْ به الحذرا
مُهَفْهفٌ تزدهى به صُحف كأنما حليت بهِ دُرَرا

ولابن المعتز فى قلم الوزير القاسم بن عبيد الله :

قلمٌ ما أَراهُ ، أَم فلكٌ يجـ ـرى بما شاءَ «قاسم» ويسيرُ ؟
خاشع فى يديه يلثم قِرْطا ساً كمن قبل البساط شكور
ولطيف المعنى ، جليل ، نحيفٌ وكبير الأَفعال وهو صغير !
كم منايا ، وكم عطايا ، وكم حَتْـ ـف وعيش تضم السطور
نقشت بالدجى نهارًا ، فما أد رى أخط فيهن أم تصويرُ ؟

وقال أبو تمام فى قلم محمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلم الأَعلى الذى بشباته تُصاب من الأَمر الكلى والمفاصل

---

(١) يذرى : يصب . (٢) أخرق : احمق ويبرى يقطع ، وكذا يفرى . (٣) شخت ضامر دقيق وكذا مهفهف .

لُعَابُ الأَفاعى القاتلاتِ لُعابهُ وأَرى الجنى اشتارَته أَيدٍ عواسِلُ (١)
له ريقةٌ طلٌّ ، ولكن وقعها بآثاره فى الشرق والغرب وابل (٢)
فصيح إذا ما استنطقته وهو راكب وأَعجم إن خاطبته وهو راجل (٣)
إذما امتطى الخمس اللطاف وأُفْرغت عليه شعابُ الفكر وهى حوافل (٤)
أَطاعته أَطراف القنا وتقوَّضت لنجواهُ تقويضَ الخيام الجحافل
إذا استغزرَ الذهنُ الجلىُّ وأَقبلت أَعاليه فى القرطاس وهى أَسافل (٥)
رأيت جليلا شأْنهُ (وهو مُرهف ضناً) وسميناً خطبه (وهو ناحل) (٦)

وقال ابن الرومى :

إن يخدمُ القلم السيف الذى خضعت له الرقابُ ، ودانت خوفه الأُمم
فالموت ـ والموتُ لاشىء يُغالبه ـ ما زال يتبعُ ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأَقلام مذْ بريتْ أَن السيوف لها مذ أَرْهفت خدم

وقال المتنبى :

نحيفُ الشوى يعدو على أُمِّ رأْسه ويحفَى فيقوّى عدوه حين يقطع (٧)
يمجُّ ظلاما فى نهار لسانه ويفهم عمن قال ما ليس يسمع

قال ابن نباتة السعدى ، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ :

يرنو إلى الأَفكار غيرَ ملاحظ ويخاطب القرطاسَ غير محابى
ويعلم الآداب أَفهام الورَى وفؤاده صفر من الآداب

وقال مهيار الديلمى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ فى وصف الدولة والأَقلام :

---

(١) الأرى : العسل . اشتاره اجتناه ؛ العواسل جمع عاسلة التى تشتار العسل وتجمعه .
(٢) الطل أخف المطر . والوابل المطر الشديد الضخم القطر .
(٣) أعجم : لا يبين كلامه ؛ راجل : واقف : (٤) الشعاب جمع شعبة ؛ وهى ما عظم من حوافى الأودية والميل فى الرمل . وحوافل : ملأى .
(٥) استغزر : طلب ما فيه من مادة غزيرة .
(٦) مرهف دقيق مرقق . ضنى مرض مرضا يلزمه الفراش على الموت . (٧) الشوى : الأطراف وجلدة الرأس .

وأم بنين استبطنتهُمْ فصدرُها غصيصٌ بهم عند الحضان كظيمُ
يعقونها بالضغط ، وهى عليهمُ عطوفٌ بدرات الرضاع رَءُوم(١)
يخالُ الأفاعى الرقشُ ماضمَّ منهم حشاها ، وهم فيها أخٌ وحميم(٢)
فمن ذى لسان مفصح وهو أخرس ومن بائح بالسر وهو كتوم

وقال أبو الفتوح البستى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم وعدُّوهُ مما يكسبُ المجد والكرم
كفى قلمُ الكتاب عزًّا ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال أعرابى من بنى الحرث بن كعب ، يصف الشمس :

مخبأَة ، أما إذا الليلُ جنها فتخفى ، وأما بالنهار فتظهر(٣)
إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى دُجى الليل وانجاب الحجاب المستر(٤)
وألبسَ عرضُ الارض لوناً كأنه على الأُفق الشرقى ثوبٌ معصفر
تحلت ، وفيها حين يبدو شعاعها ولم يحل للعين البصيرة منظر
بلون ، كدرع الزعفران يشوبهُ شعاع تلألأ ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وابيض منها اصفرارها وجالت كما جال المهيج المسهر(٥)
وجللت الآفاق ضوءًا ينيرها فخرَّ لها صدر الضحى يتَسعَّر
ترى الطلَّ يطوى حين تعلو وتارة تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا غابت لمن يتبصر(٦)
كما بدأت ، إذ أشرقت ، فى مغيبها تعود كما عاد الكبير المعمر
فأفنت قروناً ، وهى فى ذاك لم تزل تموت وتحيا كل يوم وتنشر(٧)

(١) الدر اللبن ، رءوم عطوف . (٢) الرقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة بسواد وبياض والحميم القريب . (٣) جنها : سترها . (٤) انجاب : انكشف . (٥) المهيج : المفزع . (٦) دنفت الشمس : دنت للغروب واصفرت . (٧) تنشر : تحيا .

وقال الطغرائى يصف طلوع الشمس وغروب البدر :

وكأنما الشمس المنيرة إذا بدت والبدر يجنحُ للغروب وما غَرَب
متحاربان لذا مجنٌ صاغه من فضة ، ولذا مجنٌ من ذهب

وقال ابن خفاجه الأندلسى المتوفى سنة **٥٢٢** يصف غروبها فى نهر :

وقد ولت الشمس محتثة إلى الغرب ترنو بطرف كحيل(١)
كأن سناها على نهره بقايا نجيع بسيف صقيل(٢)

وقال ابن طاهر الكرخى أيضاً :

أما ترى الأُفق كيف قد ضرب الغيْمُ عليه من مزْنه قُببا ؟
وحاجبُ الشمس من رفارفها يضرم فيها بنوره لهبا(٣)
كأنه فضة مطرقةٌ أطرافها قد تطوَّسَتْ ذهبا(٤)

وقال ابن مكى أيضاً :

كأن الشمس إذا غرُبت غريق هوى فى البحر أو وافى مغاصا
فأتبعها لهلال على غروب بزورقه ، يريد لها خلاصا

وقال عبد العزيز القرطبى أيضاً :

إنى أرى شمس الأَصيل عليلة ترتادُ من نحو المغارب مغربا
مالتْ لتحجبَ شخصها فكأنها مدَّت على الدنيا بساطاً مُذهبا

وقال ابن الرومى أيضاً :

وقد طفلت شمس الأَصيل ونفضت على الجانب الغربى ورساً مذعذَعا(٥)
ولاحظت النوار وهى مريضةٌ وقدوضعتخدًّاعلىالأَرضأضرعا(٦)

(١) محتثة مسرعة : ترنو تديم النظر . (٢) سناها ضوؤها والنجيع دم يضرب الى السواد . (٣) رفارفها : جوانبها . (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة ، وتطوست : تزينت . (٥) طفلت الشمس احمرت عند الغروب ونفضت نثرت . والورس نبات أصفر والمذعذع المبدد والمفرق . (٦) أضرعا : ذليلا .

كما لحظت عُوَّاده عين مُدنف   توجَّع من أوصابه ما تَوَجعا(١)

وقال ابن أفلج من قصيدة طويلة فى الموضوع نفسه :

والشمس خافضة الجناح مُسِفةٌ   فى الغرب تنساب انسيابَ الأرقط(٢)
أو كالعروس بدت فأسدل دونها   جنبات سبر كالجساد مُخَطط(٣)
وأتى الظلام على الضياء كما أتى   أجلٌ على أمل ، فلم يتأبَطِ

وقال أيضاً شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافى :

نزلت تجرى إلى الغروب ذيولا   صفراء تشبه عاشقاً متبولا(٤)
تهتز بين المغيبِ كأنها   صبٌ تململَ فى الفراش عليلا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة   وبكت مغاربها الدماء أصيلا
وغدت بأقصى الأُفق مثل عرارة   عطشت فأبدت صفرة وذبولا(٥)
غرُبت فأبقيت كالشواظ عقيبها   شفقاً بحاشية السماءِ طويلا(٦)
شفقٌ يروُع القلب شاحبُ لونه   كالسيف ضَمِّخَ بالدِّماءِ مَسْلولا
وقتْ أعَاليهِ وأسفَله الذى   فى الأُفق أُشبع عُصفرًا محلولا

وقال ابن المعتز يصف الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة   قد أثقلتهُ حمولة من عَنبر

غيره : وكأن الهلال نصف سوار   والثريَّا أكفّ تشير إليه

غيره : فخٌ بوَسطِ السماء مُلقى   ينتظر الصيْدَ للنجوم

غيره : انظر إلى حُسن هلالٍ بدا   يهتك من أنواره الحنْدِسا(٧)
كمنجل قد صيغَ من فضة   يحصُدُ من دهر الدجى نرجسا

(١) الأوصاب الأمراض .   (٢) مسفة من أسف الطائر اذادنا من الأرض فى طيرانه وحية رقطاء وهى التى لونها أسود يشوبه بياض أو عكسه .
(٣) الجساد الزعفران .   (٤) متبول : ذاهب العقل .
(٥) العرار نبت طيب الريح .   (٦) الشواظ اللهب لا دخان فيه .
(٧) يهتك يمزق ومن فى كلمة (من أنواره) بمعنى الباء ، والحندس الظلمة .

غيره : يتلو الثريَّا كفاغرٍ شرهٍ   يفتحُ فاه لأَكل عُنقودِ(١)
غيره : فى ليلة أَكل المحاق هلالها   حتى تبدَّى مثل وقف العاج(٢)
غيره : قلت لما هوت لمغربها الشمـ   ـسُ ولاح الهلال للنظارِ
أَقرض الشرق ضده الغرب دينا   را فأَعطاه الرهن نصف سوار

وقال ابن طَباطِبا :

وكأَن الهلال لما تبدَّى   شطرَ طوق المرآة ذى التذهيب
أَو كقوس قد أُحنيت أَو كنؤى   أَو كنون مُهرق مكتوب(٣)

وقال أَبو عاصم البصرى فى الهلال والثريا والزهرة :

رأَيت الهلال وقد خلفت   نجوم الثريا لكى تَلْحَقهْ
فشبَّهه وهو فى إِثْرها   وبينهما الزهرة المشرقه
بقوس لرام : رمى طائرا   فأَرسل فى إِثرِه بندقه

وقال : فى اقتران الثريا بالهلال .

فإِذا ما تقارنا قلت طوْقٌ   من لُجَيْنٍ قد عُلقَتْ فيه دُرَّه

وقال الطغرائى :

فكأَنه وكأَنها فى جنبه   عُنقودةٌ فى زورق من عَسْجَدِ

وقال أَبو الفضل الميكالى :

كأُكرة من فضة مجلوَّةٍ   أَو عليها صولجان من ذهبْ
غيره : وكأَن الهلال تحت الثريا   ملكٌ فوق رأْسه إِكليل(٤)
غيره : كأَنما النجم قرط صيغ من ورق   معلق من هلال الأُفق فى أُذن(٥)

---

(١) فاغر : فاتح فاه .
(٢) المحاق ، مثلثة الميم : آخر الشهر والوقف سوار من عاج .
(٣) النؤى الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، المهرق : الصحيفة معرب) .
(٤) اكليل : التاج . (٥) الورق : بكسر الراء ، الفضة .

وقال شرف الدين الحسين :

كأَن الهلال نزيل السماء وقد قارن الزهرة النيِّرَه
سوارٌ لحسناء من عَسْجَد على قُفله وُضعتْ جوهره

وقال البدر البشتكى فى وصف الهلال والنجوم حوله :

ذُبالة شمع عوَّج الريح ضوءَها فطار لها بالقرْب بعضُ شراره(١)

وقال على بن محمد الكاتب :

بدا مُسْتدق الجانبين كأَن على الأُفق الغربى مخلبُ طائر
ولا لمسرى ليلتين كأَنما تفرَّق منه الغيم عن إثر حافر

غيره : وشمَّرَ عنه الغيمُ ذيلا كأَنما تكشفَ منه عن جناح محلق(٢)

وقال : البدر كالملك الأَعلى وأَنجُمه جنوده ، ومبانى قصره الفلك

ولابن المعتز :

وكأَن البدر لما لاح من تحت الثريَّا
ملكٌ أَقبل فى التَّا ج يُفَدَّى ويُحيَّا

وقال فى البدر مع الشمس :

حتى رأَيت الشمس تتـ لو البدر فى أُفق السماءِ
فكأَنها وكأَنهُ قدحَانِ من خمر وماءِ

غيره : والبدر فى أُفق السماءِ كدرهم ملقى على ديباجة زرقاءِ

وللسلامى :

والبدر فى أُفق السما ءِ كروضة فيها غدير

وللشريف العقيلى :

والبدر فى كبد السماءِ كوردة بيضاء تضحك فى رياض بنفسج

---

(١) الذبالة : الفتيلة . (٢) حلق الطائر : ارتفع فى طيرانه .

غيره : وقد برز البدر المنيرُ ووجهه كجام ِ لُجين فيه آثار عنبر (١)

وقال سهل بن المرزبان :

شبهتُ بدر سمائها لما دنتْ منه الثريا فى قميص سندسى
ملكا مهيباً قاعداً فى روضة حَيَّاه بعض الزائرين بنرجس

وقال أَبو الوأْواءُ الدمشقى يصف البدر طالعاً من خلال السحاب :

والبدر أَول ما بدا مُتَلثماً يُبْدِى الضياءَ لنا بخدٍّ مُسفر (٢)
فكأَنما هو خوذة من فضة قد ركبت فى هامه من عنبر (٣)

وقال الشريف الرضى يصف السماءَ والأَرض والليل والبرق :

سَمائى مُذَهَّبةٌ بالبروق وأَرضى مُفَضَّضةٌ بالحباب
وروْضى مطارِفه غَضَّة تَطرَّز أَطرافها بالذهب
وليل ترى الفجرَ فى عطفه كما شاب بعض جناح الغراب
يغار الظلام على شَمْسِهِ إلى أَن يُوَارِيها بالحجابِ
وتصقل أَنْجُمُهُ العاصفات إذا صدِئَتْ من عمود السحابِ

وقال البُترى يصف الغيث :

ذاتُ ارتجازٍ بحنين الرَّعد مجرورة الذيل صدُوق الوعد (٤)
مَسفوحة الدمع لغير وَجْدٍ لها نسيمٌ كنسيم الورد
ورنةٌ مثل زئير الأَسد ولمعُ برق كسيوف الهند
جاءَت بها ريح الصبا من نجد فانتثرت مثلُ انتثار العقد
فراحت الأَرضُ بعيش رغد مِن وَشى أَنوار الرُّبى فى بُردِ

(١) الجام اناء من فضة . (٢) مضىء : مشرق .
(٣) الخوذة المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس ، والهامة الرأس .
(٤) من ارتجز الرعد اذا دمدم .

كأنما غُدْرانها فى الوَهْدِ يلعبنَ من حبابها بالنردِ(١)

ومن قصيدة لِصَفِيِّ الدين الحلى يصف فيها الربيع :

خلع الربيع على غصون البانِ حللا فواضلها على الكثبان
ونمت فروع الدَّوْحِ حتى صافحت كفل الكثيب ذوائب الأَغصان
وتتوجت هام الغصون وضرجت خدَّ الرياض شقائق النعمان
وتنوعت بُسط الرياض فزهْرهَا متباين الأَشكال والأَلوان
مِن أَبيض يقق أَو أَصفر فاقع أَو أَزرق صافٍ وأَحمر قان
والظلُّ يسرع فى الخمائل خطوه والغصنُ يخطر خطرة النشوان
وكأَنما الأَغصان سوق رواقص قد قُيدَت بسلاسل الريحان
والشمس تنظر من خلال فروعها نحو الحدائق نظرة الغيْران
والأَرض تعجب كيف يضحك والحيا يبكى بدمع دائم الهملان
حتى إذا افترَّتْ مباسم زهرها وبكى السحاب بمدمع هتان
طفحَ السرورُ علىَّ حتى أَنه من عظم ما قد سرَّنى أَبكانى
فاصرف همومك بالربيع وفصله إن الربيع هو الشباب الثانى

وله من قصيدة فى وصف واد :

تعانقت الأَغصان فيه فأَسبلت على الروض أَستارًا من الورق الخضر
إذا ما حبال الشمس منها تخلصت إلى روضه أَلقت سِرَاكاً من التبر

ومن قول أَبى الفتح كشاجم فى وصف الجمر يعلوه الرماد :

كأَنما الجمر والرماد وقد كادَ يُوارى من نارِهِ النورا
وردٌ جنىٌّ القطاف أَحمر قد ذرتْ عليه الأَكف كافورا

(١) النرد لعبة تعرف عند العامة بلعبة « الطاولة » .

ومن قصيدة لأَبى الفرج عبد الواحد الببغا فى وصف جيش :

قاد الجيادَ إِلى الجيادِ عوابساً شعثاً ، ولولا بأْسه لم تنقدِ(١)
فى جحفل كالسيل أَو كالليل أَو كالقطرِ صافح موجُ بحرٍ مُزبِدِ
ردَّ الظلام على الضحى فاسترجع الـــــإظلام مِن ليل العجاج الأَربدِ
وكأَنما نقشت حوافر خيله للناظرين أَهِلة فى جلمدِ
وكأَن طرف الشمس مطروف وقد جُعل العبار له مكان الأَثمدِ

وله من قصيدة فى وصف روضة :

مداهن يحملن طل الندى فهاتيك تبرٌ ، وهذِى عقيق(٢)
تنظم أَوراقها دُرها وتنثر منها التى لا تطيق
يميل النسيم بأَغصانها فبعضٌ نشاوى وبعضٌ مفِيق
ويومٍ ستارته غيمه وقد طرَّزت زَفرفيها البروق
جعلنا البخور دخاناً له ومن شرر الرَّاح فيه حريق
تطلُّ به للشمس محجوبةً كأَن اصطباحك فيه غبوق
على شجراتٍ رافعاتِ الذيو ل لماءِ الجداول منها شهيق

ومن قصيدة للحسن بن على بن وكيع فى وصف روض :

أَسفر عن بهجته الروضُ الأَغرْ وابتسم الدوح لنا عن الزَّهر
أَبدَى لنا فصل الربيع منظرًا بمثلِهِ تفتن أَلباب البشر
وشيًّا ولكن حاكه صانعه لا لا بتذال اللبس لكن للنظر
عاينه طرف السماءِ فانثنى عِشقاً له يبكى بأَجفانِ المطر
فالأَرض فى زىِّ عروس فوقها من أَدمع القطر نثارٌ مِن دُرَرْ

---

(١) الأشعث : الأسود
(٢) الطل : المطر الضعيف .

وشيٌ طواهُ فى الثرَى صوانه حتى إذا ملّ الطيَّ انتشر(١)

وقوله :

انظر إلى زهر الربيع وما جلت فيه عليك طرائف الأَنوارِ
أَبْدَتْ لنا الأَمطارُ فيهِ بدائعاً شهدتْ بحكمة مُنْزِل الأَمطار
وما شئتَ للأَزهار فى صحرائِهِ من درهم بهج ، ومن دينار
وجواهِرٌ لولا تغير حُسْنها جلت عن الأَثمان والأَخطار(٢)

وله أَيضاً :

أَلست ترَى وشِى الربيع المنمنما وما رَصَّع الربعى فيه ونظما(٣)
فقد حكت الأَرضُ السماءَ بنورها فلم أَدر فى التشبيه أَيهما السما
فخضرتها كالجو فى حسن لونه وأَنوارَها تحكى لعينياكَ أَنجما
فمن نرْجِس لما رأَى حسن نقشه تداخلهُ عجبٌ بِهِ فتبسما
وأَبدى على الورد الجنى تطاولا فأَظهرَ غيظ. الورد فى خدِّه دما
وزهر شقيقٌ نازعَ الوَرْدَ فضله فزاد عليه الورد فضلا وقدما
وظلَّ لفرط الحزن يلطمُ خَدَّه فأَظهر فيه اللطمُ جمرًا مضرما
ومن سوسن لما رأَى الصبغ كله على كل أَنوارِ الرياض تقسما
تجلبَبَ من زُرْقِ اليواقيتِ حُلَّةً فأَغرب فى الملبوس منه وأَحكما(٤)
وأَنوار منثور تخلف شكلها فصار بها شكل الربيع متمما

وللقاضى محمد بن النعمان فى وصف الهلال :

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد بدا لست مضينَ من عمره

(١) الصوان الوعاء الذى يصان فيه الشيء . (٢) جمع خطر ، وهو المثل والعديل فى العلو . (٣) الربعى نسبة الى الربيع والمراد به هنـا المطر فى الربيع .
(٤) أغرب : أتى بشيء غريب .

وقد أطاقت بِهِ كواكبه ... حُسْناً فبيته لمعتبره
مثلَ زناد قد صيغ من ذهبٍ ... يقدح نارًا وهُنَّ من شرره(١)
ثمَّ تولَّى يريدُ مغربه ... فى شفقِ الشمس وهى فى أثرهْ(٢)
فخلتهُ غائصاً ببحر دم ... يقذفُ بالرائعاتِ من دُرَرِهِ
فلم أزل وليلتى أراجعه ... لحظى وأبكِى للوقت من قصره
حتى تبدَّى الصَّباحُ منتبهاً ... قبل انتباهِ المخمُورِ من سكره

ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصيبى يصفُ شمعة :

ومَجْدُولة مثلَ صدْرِ القنا ... ة تعرَّت وباطنها مُكتسى
لها مُقْلة هىَ رَوْحٌ لها ... وتاجٌ على الرأس كالْبُرْنُس
إذا رَنقت لنعاس عرا ... وقطعت من الرأس لم تنعس(٣)
إن غازلتها الصّبا حَرَّكت ... لساناً من الذهب الأملس
وتنتج فى وقت تلقيحها ... ضياء يحلى دُجَى الحندس
فنحن من النورِ فى أسعد ... وتلك من النار فى أنحس
توقدها نزهة العيو ... ن ، وَرُؤيتها مُنْية الأَنفسِ
تكيد الظلامَ كما كادَها ... فتفنى ، وتفنيه فى مَجْلِسِ
فيا حامل العود حث العنا ... ويا حاملَ الكأْس لا تحبس
وياصالح(٤) انعم وعش سالماً ... على الدهْرِ فى عزك الأَقعس(٥)

ولأبى الحسن العقيلى فى وصف الصبح والبرق :

الصبحُ ينشرُ فوق مسـ ... ـك الليلِ كافور الضياء
والبرقُ يُذْهِبُ ما تفضـ ... ـضه الغيومُ من السماء

(١) الزناد جمع زند ما تقدح به النار . (٢) الشفق : الحمرة فى الأفق من الغروب الى قريب من العتمة . (٣) كدرت . (٤) اسم الممدوح . (٥) الثابت المنيع

فاشْرَب على ديباج نَبْـــــتٍ قد أحاط بشرب ماءٍ(١)
فالعيشُ فى زمن الرَّبيـــــع رقيقُ حاشية الرِّداءِ

وقال أيضاً فى نارنجة :

ونارنجة بين الرِّياض نظَرْتُها   على غصن رطب كقامة أغْيَدِ(٢)
وإذا مَيَّلتها الريحُ مالت كأكرة   بَدَتْ ذهباً فى صولجان زبرجد

ولابن أبى عمرو الطرازى وصف نار :

نارٌ جرتْ فى غابةٍ   ترْمى العُلَى بالشهب
كأنها جيشُ وَغًى   فرسانهُ من ذهب

ولعلى بن لؤلؤة الكاتب فى الصبح والليل :

رُبَّ صبحٍ كطلعة الوصل جَلَى   جُنح ليل كطلعة الهجرانِ
زار فى حُلة البُزَاةِ فولى الليْـــــلُ عنه فى حُلة الغِرْبانِ

ولأبى العباس الكندى فى الندى على البحر :

كأن الندى فى البحر بحران مائعٌ   على مائع هذا على ذاك مطبق
فهذا لُجَيْنٌ سابحٌ مُترَقْرِقٌ   وذاك لجين فى السماءِ مُعَلقُ(٣)
إذا أبصرته الشمسُ بعد احتجابها   به ساعَةً أبصرته يتمزَّقُ

وللسرى بن أحمد الكندى فى وصف الفجر من قصيدة :

وركائبُ يخرجن من غلس الدُّجى   مثل السهام مَرَقن منه مروقا(٤)
والفجر مصقول الرداء كأنه   جلباب خودٍ أشربته خلوقا(٥)

---

(١) الشراب المورد . (٢) النارنجة واحد النارنج وهو شجرة ورقها أملس ليس بشديد الخضرة يحمل حملا مدورا فى جوفه حماض كحماض الأترج وورده أبيض فى نهاية من طيب الرائحة . (٣) مترقرق : متلألىء.
(٤) خرجن ونفذن من الجانب الآخر . (٥) الخود المرأة الحسنة الخلق الشابة ، والخلوق ضرب من الطيب مائع .

وله من أُخرى فى سحابة :

وبكرٌ إذا جَنَّبَتها الجنوب حسبت العشار تؤمُّ العشارا[١]
ترى البرق يبسم سِرًّا بها إذا انتحب الرعدُ فيها جهارا
يُعارضها فى الهواءِ النسيم فينثرُ فى الأَرض دُرًّا صغارا
فطورًا يشق جُيوب الحيا وطورا يَسُحُّ الدموع الغزارا

وله من أُخرى :

غيوم تمسك أُفق السما ء ، وبرقٌ يكتبه بالذهب
وخضراءُ ينثرُ فيها الندى[٢] فريدًا ندى[٣] مالهُ ثُقبُ
فأَوراقها مثلُ نظم الحلى وأَنهارها مثل بيض القضب
حللتُ بها مع ندامى سلوْا عن الجد واشتهرُوا باللعب
وأَغنتهمُ عن بديع السما ع بدائع ما ضمنته الكتب
وأَحسنُ شىءٍ ربيع الحيا ة أُضيف إليه ربيعُ الأَدب

ولأَبى بكر الخالدى فى وصف الجو وإدبار الليل وإقبال الفجر :

والجوُّ يسحبُ من عليلِ هوائه ثوباً يجودُ بظله المترقرق
حتى رأَينا الليل قوس ظهره هرماً وأَثر فيه شيب المفرق
وكأَن ضوءَ الفجر فى باقى الدجى سيف حلاه من اللجين المحرق

ولسعيد بن هاشم الخالدى يصف المطر والصبح والليل والبرق :

أَما ترى الظل كيف يلمع فى عيون نور تدعو إلى الطرب
فى كل عين للطل لؤلؤة كدمعة فى جفون منتحِب
والصبح قد جردت صوارمه والليل قد همّ منه بالهرب

(١) البكر : السحابة الغزيرة ، جنبتها : دفعتها . العشار : النوق .
(٢) الندى : الكلا (٣) الندى : ما سقط آخر الليل . الفريد : الجوهر النفيس والدر .

والجوُّ في حُلة مُمسَّكة ... قد كتبتها البروق بالذهب

وللمهلبي الوزير في الربيع :

الورد بين مضمخ ومضرج ... والزهْر بين مكللٍ ومتوَّج (١)
والثلج يهبط كالنثار ، فقم بنا ... نلتذ بابنة كرْمَة لم تمزج
طلعَ النهار ولاح نور شقائق ، ... وبدت سطور الورد تلوَ بنفسج
فكأن يومك في غلالة فضة ... والنبت من ذهب على فيروزج (٢)

وللقاضي التنوخي في وحشة الليل والنجوم والسماء :

رب ليل قطعته كصدود ... وفراق ما كان فيه وداعُ
موحِشٌ كالثقيل تقذى به العيـ ... ـنُ وتأْبى حديثه الأَسماع
وكأن النجومَ بين دُجاهُ ... سنن لاح بينهن ابتداع
وكأن السماءَ خيمة وشيٍ ... وكأن الجوزاءَ فيها شراع

وله أيضاً في وصف رياض :

رياض حاكت لهن الثريَّا ... حُللا كان غزلها للرعود
نثر الغيثُ دُرَّ دمع عليها ... فتحلت بمثل در العقود
أُقْحوان معانق لشقيق ... كثغور تعضُّ ورَدْ الخدودِ
وعيونٌ من نرجس تتراءى ... كعيون موْصولة التسهيد
وكأن الشقيق حين تبدى ... ظلمة الصدغ في خدود الغيدِ
وكأن الندى عليها دموعٌ ... في جفون مفجوعة بفقيد

---

(١) مضمخ : ضمخه بالطيب لطخه به حتى كاد يقطر . ضرجه : صبغه بالحمرة . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا . الفيروزج : حجر كريم .

وكتب محمد بن عبد الله السامى إلى صديق له يصف النارنج :

أَتنشط للصبوح – أَبا على – على حُكم المُنَى ورضا الصديق
بنهر للرياح عليه دِرْعٌ تذهَّب بالغروب وبالشروق
إذا اصفرَّت عليه الشمس صبت على أَمواجه ماءُ الخلوق(١)
وجمر شب فى الأَغصان حتى أَضاع الماءَ فى وَهج الحريق
فدُهمُ الخيل فى ميدان تِبرٍ يُصاغ لها كراتٌ من عقيق

وكتب إليه فى صفة نهر حوله أَشجار الجلنار(٢) :

ونهر تمرحُ الأَمواج فيه مراح الخيل فى رَهَج الغُبار(٣)
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نميرَ الماءَ يُمْزجُ بالعقار(٤)
كأَن الماءَ أَرض من لجين مغشاة صفائح من نضار
وأَشجار مُحَمَلة كؤوساً تضاحك فى احمرار واخضرار
وإذا أَبصرن فى نهر سماءً وهبن له نجوم الجلنار

وله قصيدة فى وصف الرياض والبرق :

نسب الرياض إلى الغمام شريف ومحلها عند النسيم لطيفُ
فاشرب وثقل وزن جامِك إنه يوم على قلب الزمان خفيف(٥)
أَو ماترى طرر البروق توسطت أُفقاً كأَن المُزْن فيه شفوف(٦)
اليومُ من خجل الشقيق مضرج خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والأَرض طرس والرياض سطوره والزهر شكلٌ بينها وحروف

ولابن أَبى الرجال يصف روضة صنعاء :

رَوْضةٌ قد صبا لها السعد شوقاً وصفا ليلها ، وطاب المقيلُ

---

(١) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . (٢) الجلنار : زهر الرمان . (٣) الرهج : ما أثير من الغبار . (٤) الخمر . (٥) الجام : اناء من فصة . (٦) الطرر : جمع طرة وهى علم الثوب . المزن : السحاب .

جَوٌّ سَجْسج وفيها نسيم كل غصن إلى لقاه يميل
صح سكانها جمعاً من الدا ء ، وجسم النسيم فيها عايل
إيه! ياماء نهرها العذب صَلصل حبَّذا يا زلالُ منك الصليل
إيه ! يا وُرْقها المرنَّةِ غنى فحياة النفوس منك الهديل
روض صنعاء فقت طبعاً ووصفاً فكثير الثناء فيك قليل
نهرٌ دافقٌ ، وَجَوٌّ فتيق ، زهر فائق ، وظلٌّ ظليل
لستُ أَنسى انتعاش شحْرور غصن طرباً ، والقضيب منه يميل
وعلى رأس دوحة خاطب الورْ ق ، ودمع الغصون طلاًّ يسيل
ولسان الرعود يهتف بالسحا ب فكان الخفيف منها الثقيل
وفمُ السُّحْبِ باسم عن بروق مستطير شعاعها مستطيل

ولابن سكرة الهاشمي وصف روضة :

أما ترى الروضة قد نوَّرَتْ وظاهر الروضة قد أَعشبا
كأَنما الأَرض سماءٌ لنا نقطف منها كوكباً كوكبا

ولابن الراجح الحلي يصف زهرية :

نثرت عقود سمائها الأَنداءُ بيد النسيم ، فللثرَى إثراءُ
وبدت تباشير الربيع كأَنما نشرت مطارفُ وشيها صنعاءُ(١)
والأَرض قد زُهِيتْ بحلي نباتها والجو حلة سحبه دكناءُ(٢)
والروض فى نشوات سكرته وقد طافت عليه الدِّيمة الوطفاءُ
وثنى الحيا عطف الغدير فصفقت أَطْرافه وتغنت الورقاءُ
فكأَن أَعطاف الغصون منابر والورق فى أَوراقها خطباءُ

---

(١) صنعاء : عاصمة بلاد اليمن .
(٢) الدكناء : الضارب لونها الى السواد .

ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي :

ترنح عطف البان فى الحلل الخضر وغنى بألحان على عوده القمرى(١)
وراقت أزاهير الحدائق بالضحى نواظر أحداقٍ بنوّارها النضرِ(٢)
وأشرق خد الوردِ يبدى نضاره وأشرق جيد الغصن فى لؤلؤ القطر
وبات سقيط الطل فى كل روضة ينبه فى أرجائها ناعس الزَّهْر
وما ذهبت شمس الأصيل عشية إلى الغرب حتى أذهبت فضة النهر
وغنت قيان الطير فى كلِّ أيكة وقد راق كحل الطل فى مقل الغدر
أقامت لها دوح الأراك أرائكا وأرخت لها أوراق أستارها الخضر
وأمسى أصيل اليوم ملقى من الضنى على فرش الأزهار فى آخر العمر
بكته حمامات الأراك وشققت عليه الصبا أثواب روضاتها النضر
فكم من نحيب للحمائم بالضحى عليه وللأنواءِ من دمعة تجرى

ولعلى بن أحمد الجوهرى من قصيدة فى وصف الغيث :

رز الصباح علينا شملة السحب ومدَّت الريح منها واهى النطب(٣)
صك النسيم فراخ الغيث فانزعجت ينفضنَ أجنحة من عنبر الزَّغب(٤)

ولأبى معمر بن أبى سعيد الإسماعيلى من قصيدة فى وصف الثلج :

فرحْنا وقد بات السماءُ مع الثرى وغاب أديم الأرض عنا فما يرى
كأن غيوم الجو صُواغ فِضة تواصوْا بردِ الحلى عمداً إلى الوَرى

ولأبى العلاءِ السروى فى وصف روض :

مررنا على الروض الذى قد تبسَّمت ذراه وأوداج السحائب تسفك(٥)
فلم نرَ شيئا كان أحسن منظراً من الروض يجرى دمعه ويضحك

---

(١) القمرى : ضرب من الحمام (٢) أصله بكسر العين وتسكينها للضرورة . (٣) رز : بمعنى نفض والشملة كساء يشتمل به ، وزر شملة السحب كناية عن سقوط المطر . (٤) الزغب : صغار الريش .
(٥) الأوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق .

وله أيضاً فى وصف روض من قصيدة :

أَمَا ترى قضبَ الأَشجار قد لبستْ أنوارها تَتثنى بين جُلاس
منظومَة كسموط الدرِّ لابسة حُسناً يُبيح دم العنقودِ للحاسى(١)
وغرّدتْ خطباءُ الطير ساجعة على منابر من وَردِ ومن آس

وقال أبو الفتح كشاجِم يصف مرآة أهداها :

أُخْت شمس الضحاء فى الحُسن والإشـــراق تنير الإعشاءَ للأَجفانِ
ذات طوق مُشرَّف من لجينٍ أُجريَت فيه صفرة العقيان
فهو كالهالة المحيطة بالبد رِ لستٍّ مَضيْن بعد ثمانِ
وعلى ظَهرها فوَارس تَلهو ببزاةٍ تعدو على غِزْلانِ
عدلت عكسها الشُّعاع فمبْدَا ؤُ إليها ورَجْعه سِيَّانِ
وهى شمسٌ وإن مِثالك يوماً لاحَ فيها فإنها شمسان
أَينما قابلت مِثالك من أَرْ ضٍ ففيها تقابَل النَّيِّرانِ
فأَلقها منك بالذى ما رآه خائفٌ فانثنَى بغير أَمانِ

ولأَبى القاسم الدَّيْنَورِى فى وصف جواد :

ومطهَّم(٢) طرف العِنان(٣) مُعوَّد خَوض المهالكِ كل يوم براز
وإذا تَوغلَ فى ذُرى مُتمنعٍ صعب بعيد العهد بالمجتاز
تركت سنابكه بصمِّ صخورِه أثرًا يلوحُ كنقش صَدْر الباز

وله فى وصف سفرجل وتفاح ورمان :

بعثْت إليكَ ضحى المهْرجا ن بمعشوقة العرْف والمنظرِ

(١) من حسا الشراب اذا شربه شيئا بعد شيء وفى مهلة .
(٢) شبه حسنه وأظهر بهاءه والموصوف محذوف أى الفرس .
(٣) طرف العنان بمعنى خفيف ، والمطهم البارع الجمال والتام من كل شيء .

معطرَة صانها في الحِجا ... ل مطارِفٌ منْ سُندُس أَخضر
وبيضاء رَائقة غضَّة ... مُنقطة الوَجْه بالعصْفر
وحُق عقيق مَلاه الهجيـ ... ـرُ من الجوهر الرَّائِق الأَحمر
وأَقداح تبْر حشت قعرها ... يد الشمس بالمسك والعنبَر
فكنْ ذا قبول لها إنها ... هداها مُقلٌ إلى مكثرِ

وله في صفة النارنج :

أَما ترى شجَر النَّارنْج طالعة ... نجومُها في غُصون لدنة مِيل(١)
كأَنها بين أَوراق تحفُّ بها ... زُهرُ المصابيح في خضر القناديل

ولأَبي الفضل الميكالى في صفة الشقائق :

تصوغ لنا كفُّ الربيع حدائقاً ... كعِقد عقيق بين سمِط لآلِ
وفيهنَّ أَنوارُ الشقائق قد حكتْ ... خدود عذارَى نقطتْ بغوالِي

وله في اقتران الزهرة والهلال :

أَما ترى الزهرة قد لاحت لنا ... تحت هلال لونه يحكى اللهبْ
ككرة من فِضة مجلوَّة ... أَوْفى عليها صَولجانٌ من ذَهبْ(٢)

وله في الفجر :

أَهْلا بِفجر قد نضا ثوب الدُّجى ... كالسيف جُرِّد من سواد قرَابِ

وقال في صفة الندى الساقط على غصون الشجر :

نثر السحاب على الغُصون ذرارةً ... أَهدَتْ لها نورًا يروقُ ونُورا
شابتْ ذوائبُها فعُدْن كأَنها ... أَجْفانُ عين تحْملُ الكافورَا

وقال في الجليد :

رُبَّ جنين من جنِيِّ نمِيرٍ ... مُهتك الأَستار والضمير

(١) ميل : جمع أمل .
(٢) أوفى : أشرف .

سللته مِنْ رَحم الغدير كأنهُ صحائف البلورِ
لو اكرٌ تجَسَّمت من نور أَو قطع من خالص الكافور
لو بَقيتْ سلكا على الدهور لعطلت قَلائِد النُّحور
وأخجلت جَواهر البحور وسُمّيت ضرائر الثغور(١)
يا حُسْنه فى زمن الحدور إذْ فيضه مثل حشا المهجور
يُهدى إلى الأَكباد والصُّدور روحاً تحاكى نفثة المصدور(٢)

ولأَبى طاهر بن الهاشمى فى روضة :

ورَوْضة زارها النَّدَى فغدَت لها من الزهر أنجمٌ زهر
تَنشر فيها أَيدى الربيع لنا ثوباً من الوَشْى حاكه القطر
كأَنما شق من شقائقها على رباها مَطارف خضر
ثم تبدَّت كأَنها حدَقٌ أَجفانها من دمائها حُمر

ولأَبى نصر سهل بن المرزبان فى البدر :

كم ليلة أَحييتها مُؤانِسى طُرف الحديث وطيب حث الأَكؤس
شبهتُ بدرَ سمائها لما دَنت مِنه الثُّريا فى قميص سُندسى
مَلكاً مهيباً قاعدًا فى رَوضة حَياه بعض الزائرين بنرجس

وللحسن بن أَحمد البروجردى فى حوض لبعض الرؤساء :

حَوض يَجود بجوهر متسلسلٍ ساد الجواهرَ كلها بنفاسَته
لا زال عذباً جارياً ببقاءِ من هو مثله فى طبعه وسلاسَته

ولابن أَنيس فى حسام عمر بن معد يكرب :

أَخضر المتنِ بَينَ حَدَّيْه نورٌ من فِرْند تحار فيه العيون

---

(١) ضرائر : جمع ضرة وهى احدى زوجتى الرجل وأراد بضرائر الثغور الأسنان .
(٢) النفثة ما ينفثه المصدور من فيه .

أُوقِدت فيه للصَّواعِق نَارٌ ثم ساطت به الزُّعاف المنونُ(١)
فإذا ما سَللته بَهَر الشَّمْـ ـس ضِياء فلم تكد تستبين
فكأَنَّ الفرِند والرَّونق الجا رى فى صفحتيه ماءٌ معين(٢)
وكأَنَّ المنون نيطت إِليه فهو من كل جانبيه منون
ما يُبالى مَن انْتضاهُ لحرب أَشمالٌ سطت به أَم يمين

وقال ابن عبد ربه فى الرمح والحسام :

بكلِّ رُدَينى كأَنَّ سِنانَه شِهاب بَدَا فى ظُلمة الليل ساطع
تقاصرَت الآجال فى طول مَتْنه وعادت به الآمال وهى فَجَائع
وساءَت ظنون الحرب فى حُسن ظنه فهُنَّ لِحبَّات القلوب قوارع
وذى شطب تقضى المنايا لحكمه وليس لما تقضى المنِيَّة دافع(٣)

وقال أَيضاً فى الحرب :

ومُعترك تهزُّ به المنايا ذكورَ الهند فى أَيدى ذُكورِ
لوامعُ يُبصرُ الأَعمى سَناها ويعمى دونها طرْفُ البصيرِ
يُحَوِّمُ حولها عِقبانُ موت تخطَّفت القلوب من الصُّدُورِ

ومن قوله فى الحرب وأَبطالها :

سُيوفٌ يقيلُ الموْتَ تحت ظباتِهَا لها فى الكُلى وبين الكلى شِرْبُ
إذا اصْطفتِ الرَّايات حُمراً مُتونها ذَوَائبها تهفو فيهفو لها القلب(٤)
ولم تنطق الأَبطال إلا بفعلها فألسنهَا عُجمٌ وأَفعالها عُرْب
إذا ما التقوا فى مأْزق وتعانقوا فلقْيَاهُم طعْن وتعنيفهم ضَرْب

---

(١) هطلت . (٢) جارا . (٣) جمع شطب وهى طرفة السيف أى الواحدة من الخطوط التى فى نصله . (٤) هفت الراية خفقت وهفا القلب ذهب فى أثر الشىء .

ولابن قلاقس فى وصف السحاب والبرق والغيث :

سرى وجَبينُ الجو بالطلِّ يرشح ... وثوبُ الغوادى بالبروقِ موشحُ
وفى طَيِّ أَبراد النسيمِ خَمِيلَةٌ ... بأَعطافها نور المنى يَتَفَتَّح(١)
يضاحك فى مثنى المعاطفُ عارضٌ ... مدامعه فى وجنة الرَّوْض تسفَح
وتورى به كفُّ الصِّبا زند بارق ... شرَارتهُ فى فحمَةِ الليلِ تَقدح

ولأَبى القاسم بن بابك فى الصاحب يصف له إضرام النار فى بعض غياض :

وليلة بتُّ أَشكو الهم أَولها ... وعُدت آخرها أَستنجدُ الطرَبا
فى غيضة من غياض الْحُزن دانية ... مدَّ الظَّلام عَلَى أَوراقها طنبا
حتى إذا النارُ طاشت فى ذوائبها ... عاد الزُّمُرُّدُ من عيدانها ذهبا
مرقت منها وثغر الصُّبْح مُبْتسمٌ ... إلى أَغَرّ يرى الْمذْخُور ما وهبا
يا أَغْزَر الناسِ أَنوَاء ومحتلباً ... وأَشرف الناس أَعراقاً ومُنْتسبا
أَصبحتُ ذا ثقة بالوفر منك وإن ... قال العوَاذِلُ ظَنٌّ ربما كذبا
فحسن ظنى بك استوفى مدى أَملى ... وحُسن رأْيك لى لم يُبق لى أَربا

ومن قصيدة لأَبى سعيد الرُّستمى يصف بها دارًا بناها الصاحب بن عباد :

وساميةِ الأَعلام تلحظ دونها ... سنا النجم فى آفاقها متضائلا
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز ... فأَصبح فى أَرض المدائن عاطلا
تناطح قرى الشمس من شرفاتها ... صفوف ظباءٍ فوقهن موائلا
وأَغنى الورى عن منزل من بنت له ... معاليه فوق الشعريين منازلا
ولا غرو أَن يستحدث الليث بالثرى ... عريناً وأَن يستطرق البحر ساحلا
ولم تعتمد دارًا سوى حومة الوغى ... ولا خدماً إلا القنا والقنابلا

---

(١) الخميلة : الشجر الكثير الملتف والموضع الكثير الشجر .

ووالله ماأَرضى لك الدهر خادماً ولا البدر مُنْتاباً ولا البحرَ نائلا
ولا الفلك الدَّوَّار داراً ولا الورى عبيدًا ولا زُهْر النُّجوم قبائلا
فإن الذى يبنيهِ مثلكَ خالدٌ وسائر ما يبنى الأَنامُ إلى بلى

ولشاعر القطرين خليل مطران فى وصف روض :

أَيها الرَّوض كن لقلبى سلاماً وملاذًا منَ الشقاءِ الملازم
زهرٌ وابلٌ كأَنى أَراهُ ثملا من أَنفاسهِ فى الكمائم
وغديرٌ صافٍ أَقامَ سياجاً حولهُ بَاسِقٌ من الدَّوح قائم
تتناغى بيض من الطير فيه سابحاتٌ وتحتها النَّجم عائم
كيفما سرن فالطريق عقودٌ نظمت من مَحاجرٍ ومباسم
حَبَّذَا البدرُ مُؤنساً يَتجلى كحَبيب بعدَ التغيب قام
حبذا رَسمهُ البرايا كأَنى ما ترى العينُ فى صحيفةِ راسم
حبذا الماءُ والمصابيحُ فيه كَبنان يزينها بخواتم
جنة بانت المكاره عنها وهى بِكر مِن الأَذى والمحارِم
إنما أَهلها طيور حسان إن دعاها الصباح قامت تُنادم
وضياءٌ يموج فى الماءِ حتى لتراهُ كأَنه مُتَلاطم
ومُرُوج مدبجاتَ كوشى أَتقنت صنعه حسان المعاصم
وغصون تهزُّهَا نسمات كمهودٍ تهزهُنَّ رَوائم(١)

وقال البحترى واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء :

تفننت فى الكتابة حَتَّى عطل الناس فن عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ما شـ ـك امرؤٌ أَنه نظام فريد

---

(١) جمع الرائمة وهى الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له .

وبديع كأنه الزهر الضا حِك فى رونق الربيع الجديد
مُشرق فى جوانب السمع ما يُخْ لقَه عودُه على المستعيد
ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حججٌ تخرس الألد بألفا ظ فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافى هجنت شعر جرْول ولبيد
حُزْن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد
وركِبن اللفظ الغريب فأدرك ن به غاية المرادِ البعيد
كالعذارى غدون فى الحلل البيـ ض إذا رحن فى الخطوط السُّود

ووصف أعرابى تزوج امرأتين ما وقع له منهما فقال :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت : أصير بينهما خرُوفا أنعم بين أكرَم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسى تداول بين أخبث ذئبتين
رِضا هذى يهيِّج سخط هذِى فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقى فى المعيشة كل ضر كذاك الضر بين الضرَّتين
لهذى ليلة ولتلك أُخْرى عتاب دائم فى الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريماً من الخيرات مملوء اليدين
فعِشْ عزباً فإن لم تستطعه فضرباً فى عراض الجحفلين (١)

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى وصف الربيع :

يا صاحِبَيَّ تقصيا نظريكما تريا وُجُوه الأرض كيف تصوَّرُ
تريا نهارا مشمساً قد زانه زهر الرُّبا فكأنما هو مُقْمرُ
دنيا معاش للورى حتى إذا حلَّ الرَّبيع فإنما هى مَنظرُ

(١) الرواية التى أحفظها فى تمام هذا البيت : فواحدة تكفى عسكرين . اهـ مصححه .

أَضحت تصوغ بطونها لظهورها نورًا تكاد له القلوب تنوَّرُ
من كل زاهرة ترقرق بالنَّدى فكأَنها عين لديك تحدر

وقال أَبو عبادة البحترى فى قصر المعتز بالله :

لما كملت روية وعزيمة أَعملت رأْيك فى ابتناء الكامل
وغدَوْت من بين الملوك موفقًا منه لأَيمن حلة ومنازل
ذُعر الحمام وقد ترنم فوقه من منظر خطر المزلة هائل
رفعت لمخترق الرِّياح سموكه وزهت عجائب حسنِه المتخايل
وكأَن حيطان الزجاج بجوِّه لججٌ يمجن على جنوب ساحل
وكأَن تفويت الرخام إذا التقى تأْليفه بالمنظر المتقابل
حباك الغمام رصفْن بين مُنمَّر ومُسيَّر ومقارب ومُشاكِل
لبست بالذهب الصقيل سقوفه نورًا يضىءُ على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن فى ذى رونق مُتلهب العالى أَنيق السافل
وكأَنما نشرت على بُسْتانِهِ سيراء وَشْى اليمنة المتواصل
أَغْنتهُ دجلة إِذ تلاحق فيضها عن صوب منسحب الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت أَشجارُه من حول وحوامل

وقال المتنبى فى جواد :

ويوم كلوْن المدنفين كمنته أُراقب فيه الشمس أَيان تغرب
وعينى إلى أَذانى أَغر كأَنه من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة من جسمه فى إهابه تجىءُ على صدر رَحيب وتذهب
شققت به الظلماءَ أُدنى عنانه فيطغى وأَرخيه مرارا فيلعب
وأَصرعُ أَى وحْش قفيت به له وأَنزل عنه مثله حِينَ أَركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة … وإن كثرت فى عين مَنْ لا يجرب
إذا لم نشاهد غير حسن شياتها … وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ فى الربيع :

ورد الربيع فمرحباً بوروده … وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه … وأنيق مبسمه ووشى بروده
فصلٌ إذا افتخر الزمان فإنه … إنسان مقلته وبيت قصيده
يغنى المزاج عن العلاج نسيمه … باللطف عند هبوبه وركوده
يا حبَّذَا أزهاره وثماره … ونبات ناجمه وحبُّ حصيده
والغُصْنُ قد كسى الغلائل بعدما … أخذت يدا (كانون) فى تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى … ماءُ الشبيبة فى منابت عوده
الورد فى أعلى الغصون كأنه … ملكٌ تحفُّ به سراة جنوده
وانظر لنرجسه الجنى كأنه … طرف تنبه بعد طول هجوده
وانظر إلى المنثور فى منظومه … متنوعاً بفصوله وعقوده

وقال أيضاً فى حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقه … ما بين مختلف منه ومتفق
والظلُّ يسرق بين الدوح خطوته … وللمياه دبيبٌ غير مسترق
وقد بدا الورد مفترا مباسمه … والنرجس الغض فيها شاخص الحدق
والسحب تبكى وثغر البرق مبتسم … والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير فى طرب والسحب فى حرب … والماءُ فى هرب والغصن فى قلق

وقال المرحوم أحمد شوقى فى الطبيعة :

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى … حتى أريك بديع صنع البارى

فالأَرض حولك والسماءُ اهتزتا　　لروائع الآيات والآثار
ولقد تمرُّ على الغدير تخاله　　والنبت مرآةً زهت بإطار
حلو التسلسل موجه وخريرُه　　كأَنامل مرت على أوتار
ينساب فى مخضلة مبتلة　　منسوجة من سندس ونضار
وترى السماءَ ضحى وفى جنح الدجى　　مُنشقة عن أَنهر وبحار
فى كل ناحية سلكت ومذهب　　جبلان من صخر وماء جارى

وقال حافظ إبراهيم يصف النيل :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه　　وفاض بالخير فى سهل ووديان
يجرى على قدر فى كل منحدرٍ　　لم يجف أَرضاً ولم يعمد لطغيان
كأَنه ورجال الرَّى تحرسه　　مملك سارَ فى جند وأَعوان
قد كان يشكو ضياعاً مذجرى طلقاً　　حتى أَقمت له خَزَّان أَسوان

وقال أَيضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى　　وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى　　عقمت فلم أَجزع لقول عداتى
ولدت ، ولما لم أَجد لعرائسى　　رجالا وأَكفاء وأَدت بناتى
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية　　وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أَضيق اليوم عن وصف آلة　　وتنسيق أَسماء لمخترعات
أَنا البحر فى أَحشائه الدرُّ كامنٌ　　فهل سأَلوا الغوَّاص عن صدفاتى
فيا ويحكم أَبلى وتبلى محاسنى　　ومنكم وإن عز الدواءُ أَساتى
فلا تكلونى للزمان فإننى　　أَخاف عليكم أَن تحين وفاتى
أَرى لرجال الغرب عزًّا ومنعة　　وكم عز أَقوام بعز لغات
أَتوا أَهلهم بالمعجزات تفَنُّنًا　　فياليتكم تأْتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ يُنادى بوأْدى فى ربيع حياتى
ولو تزجرون الطير يوماً علمتمُ بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله فى بطن الجزيرة أعظماً يعزُّ عليها أن تلين قناتى
حفظن ودادى فى البلى وحفظتهُ لهُنَّ بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق حياءً بتلك الأعظم النخرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً من القبر يُدْنينى بغير أناة
وأسمع للكتاب فى مصر ضجَّةً فأعلمُ أن الصائحين نُعاتى
أيهْجُرُنى قومى عفا الله عنهمُ إلى لُغة لم تتصل برُواتى
سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى لعابُ الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضمَّ سبعين رُقعة مشكلةَ الألوانِ ، مختلفات
إلى معشر الكُتاب والجمع حافل بسطتُ رَجائى بعد بسط شكاتى
فإما حياةٌ تبعث الميت فى البلَى وتُنبِتُ فى تلك الرُّمُوس رُفاتى
وإما مماتٌ لاقيامةَ بعده ممات لعمرى لم يُقس بممات

وقال شاعر العراق الكبير المعروف الرصافى واصفاً قطار البخار :

وقاطرة ترمى الفضا بدُخانها وتملأُ صدر الأرض فى سيرها رُعبا
تمشت بنا ليلا تجُرُّ وراءها قطارًا كصف الدَّوح تسحبهُ سحبا
فطوراً كعصب الريح تجرى شديدة وطوراً رُخاءً كالنسيم إذا هبَّا
تساوى لديها السهل والصعب فى السرى فما استسهلت سهلا ولا استصعبت صعبا
تَدك مُتُون الحزن دكا وإنها لتنهبُ سهل الأرض فى سيرها نهبا
يمرُّ بها العالى فتعلو تسلقاً ويعترض الوادى فتجتازه وثباً
طوت بالمسير الأرضَ حتى كأنها تسابق قرص الشمس أن تدرك الغربا
هو العلمُ يعلو بالحياة سعادة ويجعلها كالعلم محمودة العُقْبى

وقال المرحوم محمود سامى البارودى يصف حرب سكان جزيرة كريد :

أَخذَ الكرَى بمعاقد الأَجفان ... وهفا السُّرَى بأَعنةِ الفرسان
والليلُ منشور الذوائب ضاربٌ ... فوق المتالع والربى بجران
لا تستبينُ العينُ فى ظلمائه ... إلا اشتعال أَسنة المران
تسرى به ما بين لُجَّة فتنة ... تسمو غواربها على الطوفان
فى كل مربأَةٍ وكل ثنيةٍ ... تهدار سامرةٍ وعزف قيان
تستن عادية ويصهل أَجردٌ ... وتصيح أَجراسٌ ويهتفُ عان
قومٌ أَبى الشيطانُ إلا خسرهم ... فتسللوا من طاعة السلطان
ملئوا الفضاءَ فما يبينُ لناظر ... غيرُ التماع البيض والخرْصان
فالبدرُ أَكدرُ والسماءُ مريضةٌ ... والبحرُ أَشكلُ . والرماحُ دوانِ
والخيل واقفة على أَرْطانها ... لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح إلى الصباح وأَقبلوا ... يتكلمون بأَلسن النيران
حتى إذا ما الصبحُ أَسفر وارتمت ... عيناى بين رُبى وبين مَجانِ
فإذا الجبالُ أَسنة ، وإذا الوها ... دُ أَعنةٌ ، والماء أَحمرُ قان
فتوَجَّست فرط الركاب ولم تكن ... لتهابَ ، فامتنعت على الإرسان
فزَعتْ فرجعتْ الحنين وإنما ... تحنانها شجنٌ من الأَشجان
ذكرت مواردها بمصر وأَين من ... ماءٍ بمصر منازلَ الرُّومان

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطارًا بخاريًّا :

نظر الحكيمُ صفاتِهِ فتحيرا ... شكلا كطود بالبُخار مسيرا
دوماً يحنُّ إلى ديار أُصُولهِ ... بحديد قلب باللهيب تسعرا
ويظلُّ يبكى والدموع تزيده ... وجدًا فيجرى فى الفضاءِ تسترَا
تلقاه حالَ السير أَفعى تَلتوى ... أَو فارس الهيجا أَثار العثيرَا

أَو أَكَرةً أَرسلتها ترْمى بها غرضاً فجلت أَن ترى حال السرى
أَو سبع غاب قد أَحسَّ بصائِد فى غابه فعدا عليه وزمجرا
فكأَنه المديون جاءَ غريمه فانسلَّ منه وغاب عن تلك القرى
أَو أَنه شهبٌ هوت من أُفقها أَو قبة المنطاد تنبذ بالعرا
لا عجب للنيران إِذ يمشى بها فمن اللظى تجرى الورى كى تحشرا

وقال أَحمد شوقى يصف الجسر الواصل بين صفتى البسفور فى الآستانة :

أَمير المؤمنين رأَيت جسرًا أَمرُّ على الصراط ولا عليه !
له خشب يجوع السوس فيه وتمضى الفأْر لا تأْوى إِليه
ولا يتكلف المنشار فيه سوى مرَّ الفطيم بساعديه
ويبلى نعل من يمشى عليه وقبل النعل يدمى أَخمصيه
وكم قد جاهد الحيوان فيه وخلف فى الهزيمة حافريه
وأَسمجُ منه فى عينى جُباة تراهم وسطه وبجانبيه
إِذا لاقيت واحدُهم تصدَّى كعفريت يُشيرُ براحتيه
ويمشى (الصَّدر) فيه كل يوم بموكبه السنىِّ وحارسيه
ولكن لا يمر عليه إِلا كما مرَّت يداه بعارضيْه
ومن عجب هو الجسر المعلى على (البسفور) يجمع شاطِئيه
يفيد حكومة السلطان مالا ويُعطيها الغنى من مَعْدنيه
يجود العالمون عليه ، هذا بعشرَته ، وذاك بعشرتيه
وغاية أَمره أَنا سمعنا لسان الحال ينشدنا لديه
(أَليس من العجائب أَن مثلى يرى ماقلَّ ممتنعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شىءٌ فى يديه)

وقال المأمون المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يصف المقرَاض :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالودِّ والإ خلاص أن لا افترقا
ضمهما أزهرُ كالنجـــم به قد وثقا
لم يَشك خصرهما مذ ضمناه قلقا
من تحته عينان منـــذ انفتحا ما انطبقا
وفوْقه نابان ما حلا فماً مُذْ خُلِقا
يُفرِّقان بين كـ لّ ما عليه اتفقا
فأَىُّ شىءٍ لاقيا هُ ألقياهُ فِرَقا

وقال أبو بكر الأَرجانى المتوفى سنة ٥٢٤ هـ يصف الشمعة :

نمتْ بأَسرار ليلٍ كان يخفيها وأَطلعت قلبها للناس من فِيها
غريقة فى دموع وهى تحرقها أَنفاسها بدوامٍ من تلظيها
تنفستْ نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليط. فبات الوَجْدُ يذكيها
يخشى عليها الرَّدى مهما أَلم بها نسيمُ ريح إذا وافى يُحيِّيها
قد أَثمرتْ وَرْدَة حمراءَ طالعة تجنى على الكف إن أَهْويت تجنيها(١)
وردٌ تشاك به الأَيدى إذا قُطفت وما على غُصنها شَوكٌ يوفيها
صفرٌ غلائلها ، حُمرٌ عمائمها ، سودٌ ذَوَائبها بِيضٌ لياليها

وصف قصر المنصور :

قال ابن حَمْديس(٢) الصَّقلى فى صفة قصر شيده المنصور بن أَعلى

(١) تجنى الأول بمعنى تعتدى والثانية بمعنى تقطف .

(٢) هو عبد الجبار بن أبى بكر توفى سنة ٥٢٧هـ وهو من أبرع الشعراء ان لم يكن أبرعهم فى وصف البرك والأنهار والقصور والتماثيل فلقد كان اذا وصف شيئا من ذلك كالحسناء وخيالها فى المرآة .

الناس ببجاية(١) ، وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة ، وعلى حافاتها أُسود تقذف بالماءِ :

أَعمر بقصر الملك ناديك الذى أَضحى بمجدِك بيته معمورا
قصرٌ لو انك قد كحلتَ بنوره أعمى لعاد من الضِّياءِ بصيرا
واشتق مِن معنى الجنان نسيمهُ فيكاد يُحدث بالعظامِ نشورا
أذكرتنا الفردوس حين أَريتنا غُرْفاً رفعت بناءها وقصورا
فلكٌ من الأَفلاك ، إلا أَنه حقر البدور فأَطلع «المنصور»
وإذا الوَلائِدُ فتحت أَبوابه جعلت ترحب بالعفاة صريرا(٢)
عضت على حلقاتهنَّ ضراغِمٌ فغرت بها أَفواهها تكبيرا(٣)
فكأَنها لبدت لتهصر عندها من لم يكن بدخولها مأْمورا(٤)
ومصفح الأَبواب تِبرًا نظَّرُوا بالنقش فوق شكوله تنظيرا(٥)
خلعت عليه غلائل موشيةً شمسٌ ترد الطرف عنه حسيرا(٦)
وإذا نظرت إلى غرائب سقفه أَبصرت رَوْضاً فى السماءِ نضيرا
عجيت من أَطيار عَسْجدِهِ حامت لِتبنى فى ذُرَاهُ وكورا
وضعت به صُنَّاعُها أَقلامها فارتك كل طَريدة تصويرا(٧)
وكأَنما للشمس فيه ليقةٌ مشقوا بها التزويق والتشجيرًا(٨)

---

(١) بجاية كحكاية : بلد بالمغرب . (٢) العفاة جمع عاف وهو طالب الحاجة ، والصرير صوت الباب . (٣) فغر فاه : فتحه .
(٤) لبد كنصر : أقام ، والهصر : الدفع . (٥) نظر مثل ، والشكول : جمع شكل . (٦) الغلائل : جمع غلالة وهى شبه القميص يلبس على الجسد والمراد هنا الطلاء ، والموشية المنقوشة .
(٧) الطريدة : ما يطارده الصياد ويتبعه . (٨) اللقة ما يكون فى الدواة لاصقا بصوفة أو نحوها والفعل منها كباع ، ومشق الكتابة مد حروفها ، والتشجير : ان تشكل على هيئة الشجر .

وضراغمٍ سكنت عرين رياسة ... تركت خريرَ الماءِ فيه زئيرا
فكأنما غشى النُّضار جسومها ... وأذاب فى أفواهها البللورا
أُسْدٌ كأن سكونها متحرِّك ... فى النفس لو وَجدْت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما ... أقعت على أدبارها لتثورا (١)
وتخالها والشمس تجلو لونها ... نارًا، وألسنها اللوَاحس نورا
فكأنما سلمت سيوف جداول ... ذابت بلا نار فعُدْن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائِه ... درعاً، فقدَّر سردَها تقديرا (٢)
وبديعة الثمراتِ تعبر نحوها ... عيناى بحر عجائب مسحورا (٣)
شجريَّةٍ، ذهبية نزعت إلى ... سحر يؤثر فى النهى تأْثيرا (٤)
قد سُرجت أغصانها فكأنما ... قبضت بهنَّ من الفضاءِ طيورا (٥)
وكأنما تأْبى لوقع طيرها ... أن تستقلَّ بنهضها وتطيرَا (٦)
من كل واقعة ترى منقارها ... ماءً كسلسال اللجين نميرا (٧)
خرسٌ تعد من الفصاح فإن شدت ... جعلت تغرد بالمياه صفيرا (٨)
وكأنما فى كل غصن فضة ... لانت فأُرسل خيطها مجرورا
وتريك فى الصهريج موقع قطرها ... فوق الزَّبرْجد لؤلؤًا منثورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما ... جعلت لها زهر النجوم ثغورا

---

(١) أفعى الكلب والسبع : جلس على مؤخرته ناصبا يديه .
(٢) السرد : نسج الدرع وتقديره : أن تكون ثقوب الدرع مساميرها .
(٣) المسجور : المملوء . (٤) نزع اليه أشبهه، ويقال : فلان ينزع الى أبيه أو ينزع أباه أى يشبهه . (٥) سرجه : حسنه وزينه .
(٦) الوقع كركع : جمع واقع . (٧) السلسلة : اتصال الشيء بالشيء، ومن ذلك الماء السلسال أى السهل الجريان، واللجين : الفضة، والنمير : الناجع من الماء . (٨) شدا : ترنم .

وصف زلزال صقلية

قال المرحوم حافظ إبراهيم يصف زلزال صقلية فى سنة ١٩٠٩ م :

نبئانى إن كنتما تَعلمان ... مادهى الكون أيها الفرقَدَان(١)
غضبَ الله أم تمرَّدت الأر ... ض فأَنحت على بنى الإنسان(٢)
ليس هذا «سبحان ربى» ولا ذا ... ك ولكنْ طبيعةُ الأكوان
غليانٌ فى الأَرض نفس عنه ... ثورانٌ فى البحر والبركانِ(٣)
ربٍّ أين المفر والبحْرُ والبـ ... ـرُّ على الكيدِ للورى عاملان
كنت أخشى البحارَ والموت فيها ... راصدٌ غفلة من الرُّبان(٤)
سابح تحتنا مُطل علينا ... حائم حولنا مناء مُدانى(٥)
فإذا الأَرض والبحار سواءٌ ... فى خلاق ، كلاهما غادران(٦)
ما (لمسِّين) عوجلت فى صباها ... ودعاها من الردى داعيان(٧)
ومَحت تلكم المحاسن منها ... حين تمت آياتُها آيتانِ
خُسفتْ ثم أغرقتْ ثم بادت ... قضيَ الأَمر كله فى ثوانى
وأتى أَمْرها فأَضحت كأَن لم ... تكُ بالأَمس زينةَ البُلدان
ليتها أُمهلت فتُقضى حقوقا ... من وداع اللدات والجيرانِ(٨)
لمحةٌ يسعد الصَّديقان فيها ... باجتماع ويلتقى العاشقان

---

(١) الفرقدان : نجمان فى السماء لا يغربان وهذا هو السر فى قول المعرى :

فاسأل الفرقدين عمن أحسا ... من قبيل وآنسا من بلاد

وفى أثره جرى شاعرنا . (٢) أنحى عليه ضربا : اقبل .
(٣) نفس عنه : فرج . (٤) الربان كرمان : رئيس الملاحين .
(٥) مناء مدان : مباعد مقارب . (٦) الخلاق : الحظ أو الدين وانما يكون ذلك فى الخير ولكن الشاعر توسع فى استعمال الكلمة .
(٧) مسين : مدينة من مدن صقلية خربها هذا الزلزال وتعرف عند العرب بمسينى ومن شعر ابن قلاقس « يا من يمسينى على مسينى » وداعيا الردى : الاغراق والاحراق . (٨) اللدات : جمع لدة وهو الترب أى النظير فى السن .

بغت الأرض والجبال عليها ... وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلى حقدًا عليها فتنشـ ... ـقّ انشقاقاً من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجماً وقذفا ... بشواظ من مارجٍ ودخان[1]
وتسوق البحار ردًّا عليها ... جيش موج نائى الجناحى دانى
فهنا الموت أسود اللون جون ... وهنا الموت أحمر اللون قانى[2]
جَندَ الماءَ والثرى لهلاك الـ ... ـخلق ثمَّ استعان بالنيران
ودعا السحب عاتياً فأمدتـ ... ـه بجيش من الصواعق ثانى[3]
فاستحال النجاءَ واستحكم اليأ ... س وخارت عزائم الشُّجْعان
وشفى الموت غلة من نفوس ... لا تباليه فى مجال الطعان
أين (رجيُو) وأين ما كان فيها ... من مغانٍ مأهولة وغوانى[4]
عوجلتْ مثل أُختها ودهاها ... ما دهاها من ذلك الثوران
رُبّ طفلٍ قد ساخ فى باطن الأر ... ض ينادى أُمى ! أَبى ! أَدركانى[5]
وفتاة هيفاءَ تشوى على الجمـ ... ـر تُعانى من حرّه ما تعانى
وأبٌ ذاهلٌ إلى النار يمشى ... مُستميتاً تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه ... مسرع الخطو مستطير الجنان[6]
تأْكل النار منه لا هو ناج ... من لظاها ولا اللظى عنه وانى[7]
غصَّت الأَرض ، أُتْخِمَ البحر مما ... طواه من هذه الأَبدان[8]
وشكا الحوت للنسور شكاة ... ردَّدتها النسور للحيتان

(١) الشواظ : لهب لا دخان فيه ، والمارج : النار بلا دخان .
(٢) الجون الأسود فهو تأكيد والقانىء « بالهمزة » : الشديدة الحمرة وقد يسهل . (٣) المعانى المجاوز للحد . (٤) رجيو : مدينة بايطاليا ، أما مسينى وتعرف عند العرب بربو ، والمغانى جمع مغنى وهو المقام . (٥) ساخ فى الأرض : دخل فيها وغاب .
(٦) المستطير : المتفرق المشتت . (٧) اللظى : اللهب ، وونى : تراخى . (٨) غص كفرح : اعترض فى حلقه شىء ، والمراد هنا امتلأت وأتخمه الطعام ، أحدث له تخمة وأصل تائه واو فهو من الوخامة.

أسرفا فى الجسوم نقرًا ونهشاً ثم باتا من كظة يشكوان(١)
لا رعى الله ساكن القمم الشـــــمّ ولا حاط ساكن القيعان(٢)
قد أغارا على أكف براها بارئ الكائنات للإتقان
كيف لم يرحما أناملها الغُـــــرّ ولم يرفقا بتلك البنان
لهف نفسى وألف لهف عليها من أكُف كانت صناع الزّمان(٣)
مولعات بصيد كل جميل ناصبات حبائل الألوان
حافرات فى الصخر أو ناقشات شائدات روائع البُنيان
منطقات لسان كل جماد مفحمات سواجع الأفنان(٤)
ملهمات من دقة الصنع مالا يلهم الشعر من دقيق المعانى
من تماثيل كالنجوم الدرارى يهدم الدهر وهى فى عُنفوان
عجبٌ صنعها وأعجب منه صمتها ، تلك قدرة الرحمن
إيه (مَسِّين) آنسى اليوم بُمْبا ى فقد أوحشت بذاك المكان
آيسى الدرة التى كانت الحليـــــة فى تاج دولة الرومان
غالها قبلك الزمان اغتيالا وهى تلهو فى غبطة وأمان
جاءها الأمر والسرَاة عكوف فى الملاهى على غناء القيان(٥)
بين صبّ مدله وطرُوب وخليع فى اللهو مرخى العنان(٦)
فانطووا كانطواء أهلك بالأمـــــس وزالت بشاشة العمران
أنت (مسينُ) لم تزولى كما زا لت ولكن أمسيت رهن الأوان

---

(١) الكظة : ما يعترى الانسان من امتلاء الطعام . (٢) القيعان جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر بها البحر أو قراره . (٣) يالهفى على كذا : عبارة يتحسر بها على فائت وضمير عليها للأكف ومن أكف بيان للضمير وصناع : حاذقة ماهرة فى العمل اليدوى . (٤) سواجع الأفنان : الحمام يسجع على الغصون . (٥) السراة : الأشراف ، والقيان جمع قينة ، وهى الجارية المغنية . (٦) الخليع : المستهتر بالشراب واللهو .

إن إبطاليا بنوها بناةٌ فاطمئني ما دام في الحيِّ باني
فسلام عليك يوم توليـ ـت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعوديـ ـن كما كنت جنة الطليان

وقال أَبو الطيب المتنبي يصف الأَسد :

وردٌ إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنِّيلا(١)
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه مغيلا(٢)
ما قوبلت عيناه إلا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا(٣)
في وحدة الرهبان إلا أَنه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأُ الثرى مترفقاً من تيهه فكأَنه آس يجسُّ عليلا(٤)
ويرد عفرته إلى يافوخه حتى تصير لرأْسه إكليلا(٥)
وتظنُّه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأَنما ركب الكمى حواده مشكولا(٦)

وصف شعب بوَّان(٧) :

قال أَبو العباس المبرد : كنت مع الحسن بن رجاءِ بفارس ، فخرجت إلى شعب بوان ، فنظرت إلى تربة كأَنها الكافور ، ورياض كأَنها الثوب الموشي وماء يتحدَّر كأَنه سلاسل الفضة ، على حصباءِ كأَنها حصى الدرِّ ، فجعلت أَطوف في جنباتها ، فإذا في بعض جُدرانها مكتوب :

---

(١) الورد : الجريء والبحيرة : يريد بها بحيرة طبرية .

(٢) الغيل : الآجمة والشجر الكثير الملتف . ولبدتا الأسد ، ما على كتفيه من الشعر . (٣) الفريق الجماعة ، وحلولا : حال من الفريق .

(٤) الآسي : الطبيب . (٥) عفرة الأسد : الشعر المتجمع على قفاه.

(٦) الكمى : الشجاع المستتر في سلاحه والمشكول : المقيد .

(٧) هو جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب .

إذا أَشرف المكروب من رأس تلعة ... على شعب بوان أَفاق من الكرب(١)
وأَلهاه مرجٌ كالحرير لطافة ... ومطرد يجرى من البارد العذب
وطيب رياض فى بلاد مريعة ... وأَغصان أَشجار جناها على قرب(٢)

وفى شعب بوّان يقول المتنبى :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمان(٣)
طيت فرساننا والخيل حتى ... خشيت وإن كرمن من الحران(٤)
عدونا تنفض الأَغصان فيها ... على أَعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عنى ... وجئن من الضياء بما كفانى
وأَلقى الشرق منها فى ثيابى ... دنانيرا تفرُّ من البنان(٥)
وأَمواهٌ تصلُّ بها حصاها ... صليل الحلى فى أَيدى الغوانى
إذا غنى الحمامُ الوُرق فيها ... أَجابته أَغانىُّ القيان
يقول بشعب بوّانٍ حصانى ... أَعنْ هذا يسار إلى الطعان

وقال حافظ إبراهيم يصف طيارة :

يجرى بسابحة تشـ ... ـقُ سبيلها شقَّ الإزار
وتكاد تقدح فى الأَثـ ... ـير فيستحيل إلى شرار(٦)
مثل الشهاب انقض فى ... آثار عفريت وطار

(١) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول .
(٢) المريعة الخصيبة ، والميم أصلية يقال : مرعت الأرض وأمرعت.
(٣) المغانى جمع مغنى اسم مكان من غنى أى أقام .
(٤) طباه وأطباه : استهواه واستماله .
(٥) يقول : ان اشتباك الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة كالدنانير الا انها لا يمكن تناولها .
(٦) الشرار والشرر : ما يطاير من النار واحدتهما شرارة .

فإذا علت فكدعوة الـ   مُضطرَ تخترق الستار
وإذا هوت فكما هوت   أنثى العِقاب على الهزار(١)

وصف السيف للمرحوم البارودى :

أَمضى به الهول مقداما ويصحبنى   ماضى الغرار إذا ما استفحل الوهل(٢)
يمرُّ بالهام مرَّ البرق فى عجل   وقت الضراب ولم يعلق به بلل
ترى الرجال وقوفاً بعد فتكته   بهم يظنون أَحياءُ وقد قتلوا
كأَنه شعلة فى الكف قائمةٌ   تهفو بها الريح أَحيانا وتعتدل
لولا الدماءُ التى يُسقى بها نهلا   لكاد من شدة اللألاءِ يشتعل
يفلُّ ما بقيت فى الكف قبضته   كل الحديد ولم يثأَر به فلل

وقال على بن محمد الأَيادى يصف أَسطول القائم الفاطمى المتوفى سنة ٤٣٣ هـ :

أَعجب بأسطول الإمام محمد   وبحسنه وزمانه المستغرب
لبِست به الأَمواج أَحسن منظر   يبدو لعين الناظر المستعجب
من كل مشرفة على ما قابلت   إشراف صدر الأَجدل المتنصب(٣)
دهماءُ قد لبست ثياب تصنع   تسبى العقول على ثياب ترهب(٤)
من كل أَبيض فى الهواءِ منشرٌ   منها وأَسحم فى الخليج مُغيَّب
كمُلاءَة فى البر يقطع ميرها   فى البحر أَنفاح الرياح الشذَّبِ(٥)

---

(١) العقاب : طائر جارح وجمعه عقبان ، ولفظه مؤنث ، والأنثى منه تسمى اللقوة والذكر يسمى الفرن وهو ضعيف وانما اللقوة للأنثى ، ومن هذا يتبين السر فى قول شاعرنا أنثى العقاب .   (٢) الغرار : حد السيف ونحوه ، الوهل : الفزع .   (٣) الأجدل : الصقر ، جمعه أجادل ، والمتنصب : المنتصب .   (٤) يشير الى لون السفن الذى هو السواد الشبيه بلباس الرهبان والى لون أشرعتها الذى هو البياض .
(٥) الشذب : جمع شاذب وهو الذى يطرد ويبعد أى الرياح التى تقذف على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة .

محفوفة بمجادِف مصفوفة — في الجانبين دُوَينَ صلبٍ صُلبِ [١]
كقوادم النسر المرفرف عريت — من كاسيات رياشه المتهدب [٢]
وتحثها أيدي الرجال إذا ونت — بمصعد منه بعيد مصوب [٣]
خرقاءُ تذهب إن يدٌ لم تهدها — في كل أَوْبٍ للرياح ومذهب [٤]
جوفاءُ تحمل كوكباً في جوفها — يوم الرهبان وتستقل بموكب
ولها جناحٌ يستعار يُطيرها — طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطارةً — في كل لجٍّ زاخر مُغلوْلب [٥]
تسمو بأجرد في الهواءِ مُتوج — عريان منسوج الذؤابة شوذَب [٦]
يتركب الملاح منه ذبابة — لو رام يركبها القطا لم يركب [٧]
فكأنما رام استراقة مقعد — للسمع إلا أنه لم يشهب
وكأنما جن ابن داوود هُمُ — ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواحم نارهم فتقاذفوا — منها بألسن مارج متلهب [٨]
من كل مسجور الحريق إذا انبرى من — سجنه انصلت انصلات الكوكب [٩]
عريان يقدمه الدخان كأنه — صبح يكر على الظلام الغيهب
ولواحق مثل الأهلة جنحٌ — لحق المطالب فائتات المهرب [١٠]
يذهبن فيما بينهن لطافة — ويجئن فعل الطائر المتغلب

---

(١) الصلب كسكر مبالغة في الصلب . (٢) الرياش : اللباس الفاخر والمراد هنا ريش الطائر ، والمتهدب : ذو الأهداب ونسر أهدب ، أي سابغ الريش . (٣) صعد الشيء رفعه ، وصوبه : خفضه .

(٤) الأوب الجهة والطريق والمتطرب الحادي الذي يتغنى في سوق الابل والمراد هنا الربان . (٥) حدب الماء تراكبه في جريه والمغلولب : الكثير ، يقال : اغلولب القوم اذا أكثروا . (٦) الشوذب : الطويل والبيت يصف فيه القرية كهدية وهي العود الطويل الذي يشبك القلع .

(٧) ذبابة السيف : طرف حده والمراد طرف القرية .

(٨) سجر : ملأ ، الجاحم : الجمر الشديد الاشتغال .

(٩) انصلت : مضى وسبق . (١٠) اللحق : جمع لاحق ، كخدم جمع خادم .

كنضانض الحيَّات رُحْنَ لواعبا حتى يقعن ببركة ماءِ الميزَب
شرجوا جوانبها مجادف أتعبت شادى الرياح لها ولما تتعب(١)
تنصاع من كثب كما نفر القطا طورًا وتجتمع اجتماع الربرب(٢)
والبحر يجمع بينها فكأنه ليلٌ يقرب عقرباً من عقرب
وعلى جوانبها أسواد خلافة تختال فى عدد السلاح المرهَب
فكأنما البحر استعار بزيِّهم ثوب الجمال من الربيع المذهَب

وصف القطار الحديدى

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القطار الحديدى من قصيدة :

صفحة البرق أومضت فى الغمام أم شهاب يشق جوْف الظلام
أم سليل البخار طار إلى القصد فأعيا سوابق الأوهام(٣)
مر كاللمح تكد تقف العين على ظل جرمه المترامى(٤)
أو كشرخ الشباب لم يدر كاسيه تولى فى يقظة أو منام(٥)
لا يبالى السرى إذا اعتكر الليل وخانت مواقع الأقدام(٦)
يقطع البيدَ والفيافى وحيدًا لم تضعضعه وحشة الإظلام(٧)
ليس يثنيهِ مايذهب دماغ الضب يوم الهجير بين الموامى(٨)
لا ولا يعتريه ما يخرس النابح فى الزمهرير بين الخيام
هائماً كالظليم أزعجه الصيدُ وراعته طائشات السهام(٩)

---

(١) شرج العيبة أدخل بعض عراها فى بعض والمراد هنا شبكوا فى جوانبها المجاذيف والشادى : السائق . (٢) انصاع القوم : ذهبوا سراعا أو انفلتوا والربرب : القطيع من بقر الوحش . (٣) السليل : الولد . (٤) المترامى : المتتابع . (٥) شرخ الشباب أوله .
(٦) السرى سير عامة الليل ، واعتكر الليل : اشتد سواده .
(٧) البيد : جمع بيداء وهى الصحراء والفيافى : جمع فيفاء وهى المفازة لا ماء فيها . (٨) الموامى جمع موماة وهى الفلاة ، والضب : حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد . (٩) الظليم : ذكر النعام .

فهو يشتد فى النجاءِ ويهوى حيث ترمى بجانبيه المرامى[١]
ياحديدًا ينساب فوق حديد كانسياب الرَّقطاءِ فوق الرغام[٢]
قد مسحت البلاد شرقاً وغرباً بذراعى مُشمِّر مقدام

وقال حفنى بك ناصف المتوفى عام ١٩١٩ يهنئ ويصف حريق عابدين :

وافى يقبِّل راحتيك العامُ وحنت إليك رءُوسها الأَيام
الدهر أَقسم لا يجيءُ بغير ما ترضى وكم بَرِت له أَقسام
فاقبل معاذير الزمان فطالما قَبِلَتْ معاذير المنيب كرام
واغفر جنايتَه على القصر الذى لم تَحو مصرُ نظيرَهُ والشام
شَبَّت به النيران فارتاعت لها مُهج الأَنام وهالها استعظام
لولا الدخان أَحاط حول لهيبها ما شكَّ فرد أَنها أَعلام
أَمر به نفذ القضاءُ وليس فى أَحكامه نقض ولا إبرام
بل حِكمةٌ شاءَ الإله بيانها لعباده ليذيع الاستسلام
حتى يروا أَن الملوك وإن عَلَوْا قدرا تسيرُ عليهم الأَحكام
فإذا اقتدى بهم الرعية أَحسنوا صبرا وخفت عنهم الآلام
عين السماءِ العابدين تطلعت حسدا عليك والعيون سِهامُ
وتشوق القصر الكريم لأَهله والشوق فى قلب المحب ضرام
لم يستطع صبرًا على طول النوى والصبر فى شرع الغرام حرام
فتصعدت زفراته وتأَجَّجت جمراته والصب كيف يلام
لولا الدموع من المطافئ ما انقضى منه الهيام ولم يبل أُوام
خرقت طباق الجو إلا إنها برد قصارى أَمرها وسلام

(١) النجاء : السرعة . (٢) الرقطاء : الحية ، والرغام: التراب.

وقال حافظ إبراهيم يصف خزان أَسوان ويمدح الحضرة الخديوية :

أَخزانَ مِصرَ أَنت أَم هرما مصر أَجلُّ وأَسمى فى المكانة والقدر
أعدت لنا مجد القرون التى مضت وجددت من عهد الفراعنة الغُرّ
وهيهات ما أَهرامُ مصر وإن سمتْ بـأَرفع رأساً من حضيضك لوتدرى
وليس سنانُ بنَ المشلل خالدًا بـأَنبة من (عبَّاس) عصرك فى الذكر
وما قطراتُ السحب كالدر تنهمى بـأَلطف وقعاً من عقيقك إذ يجرى
وما أَنت خزان للمياه وطميها وإبليزها بل خازن الدر والتِّبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب وجمعت أَقطار المنافع فى قطر
فقل للغوادى والروائح تنجلى وفى غير مصر فلتَسُحَّ على قفر
إذا ما جرت أَمواهُها دون حاجة وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضَربْتَ على آثار مصر ولم يكن ليطمسها لولا جلالك من أَثر
أَلا فلتَسُد مصر على كل بقعة به وليطاول قطرها مسقط القطر
بناء من الدهر استعار بقاءه وأَقسم أَلا يُستردُّ من الدهر

الباب الخامس

فى الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النابغة الذبيانى الشاعر الجاهلى المتوفى سنة ٩٠٤ م من قصيدة طويلة :

يا دارَ مَيَّة بالعلياءِ فالسندِ أَقوت وطال عليها سَالف الأَمد(١)
وقفت فيها أُصيلا لا أُسائلها عيت جواباً وما بالربع من أَحد(٢)

(١) العلياء المكان العالى ، والسند محركة ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ، وأقوت الدار خلت من السكان ، والأمد : الزمان الماضى .
(٢) أصل أصيلا أصيلانا بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشى أبدلت بالنون لاما ، وعيت أى حصرت وعجزت عن الجواب .

إلا الأَوارىَّ لأيًا ما أُبينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد(١)
ردت عليه أَقاصيه ولبدُهُ ضرب الوليد بالمسحاةِ فى الثأد(٢)
خلت سبيلَ أَتى كان يحبسه ورفعته إلى السجفينِ فالنضد(٣)
أَضحت خلاءً وأَضحى أَهلها احتملوا أَخنى عليها الذى أَخنى على لبد(٤)

وقال أُمية بن أَبى الصلت الجاهلى يَعْتِب على ابن له(٥) :

غذوتك مولودًا وعلتك يافعاً تعل بما أُدنى إليك وتنهل(٦)
إذا ليلة نابتك بالشكوِ لم أَبِت لِشكواك إلا ساهرًا أَتململ(٧)
كأَنى أَنا المطروق دونك بالذى طرقت به دونى ، وعينى تهمل(٨)
تخافُ الرَّدى نفسى عليك ، وإنها لتعلم أَن الموت حَتمٌ مُؤجل(٩)
فلما بلغتَ السن والغاية التى إليها مَدى ما كنت فيك أُومل

(١) الأوارى منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع آرى بمعنى الآخية ، والآخية كانية الوتد الذى فى رأسه حلقة يدق فى الحائط أو يدفن فى الأرض لتربط فيه الدواب .
والأياما أرى بعد جهد ، ما أنظرها ، والنؤى الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والمظلومة الأرض التى حفر فيها حوض وليست بموضع حفر الحوض فيها من أنها ليست بموضعه ظلم لها ، والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن . (٢) ردت بالبناء للمجهول ولبده ألصق بعضه ببعض ، والمسحاة هى آلة يجرف بها الطين والثأد الطين
(٣) الأتى الجدولَ الذى تؤتيه الى أرضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود الى النؤى ، والسجفين الستارتان اللتان تعلقان على الباب أو النافذة . (٤) احتملوا ذهبوا من دار الى أخرى وأخنى عليها أهلكها ، يقال ان لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن صرد .
(٥) هو عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبى العرب ، حتى اذا كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم أكبرها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ هـ .
(٦) غذاه قام بمؤنته وعاله : كعلة وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل وهو الشرب الثانى والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل . (٧) أتململ : أتقلب على الملة وهى الجمر . (٨) تهمل : أى يسيل منها الدمع .
(٩) الردى : الهلاك ، حتم : أى لا مفر منه ، مؤجل : أى له وقت .

جعلت جزائى منك جبهاً وغِلْظة كأَنك أَنتَ المُنعِمُ المتفَضِّل(١)
فليتك إذ لم ترع حق أُبُوَّتى فعلت كما الجارُ المجاور يفعل(٢)
وسميتنى باسم المُفَنَّدِ رأْيُهُ وفى رأْيك التفنيد لو كنت تعقل(٣)
تَراهُ مُعِدا للخلاف كأَنه بِرَد على أَهل الصَّوَاب مُوَكل(٤)

وقال المغيرة بن حبناء :

خُذ من أَخيك العفو واغفر ذنوبه ولا تكُ فى كلِّ الأُمُور تعاتبه
فإنكَ لن تلقى أَخاك مُهذَّباً وأَىُّ امرىءٍ ينجو من العيبِ صاحبه
أَخوك الذى لاينقض النأْى عهدهُ ولا عند صرف الدهر يزْور جانبه
وليس الذى يلقاك فى البشروَالرِّضا وإنْ غِبت عنهُ لسَّعَتْك عقاربه

وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ :

أَقلِل عِتَابكَ فالبقاءُ قليل والدهر يعدلُ مرة ويميل
لم أَبكِ مِن زمن ذممت صروفه إلا بكيتُ عليه حين يزول
ولكل نائبةٍ أَلمت فرجةٌ ولكل حال أَقبلت تحويل
والمنتمون إلى الصفاءِ جَمَاعة إن حَصلوا أَفناهم التحصيل
وأَجَلُّ أَسبابِ المنية والردَى يَوْمٌ سيقطع بيننا ويحول
فلئن سبقت لتفجعن بصاحب حبل الصفاءِ بحبله موصُول
ولعل أَيام البقاءِ قليلة فعلام يكثر عتبنا وَيَطول ! ؟

وقال شاعر الحجاز الحضرمى مَعن بن أَوس المزنى المتوفى سنة ٣٥٩ هـ :

لعمرك ما أَدرى وإِنى لأَوجَلُ على أَينا تعدو المنية أَول

(١) الجبة : مقابلة الانسان بما يكره . (٢) أى ليتك اذا أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملتنى كما يعامل الجار جاره . (٣) فنده نسبه الى سوء العقل أى وصمتنى بسوء الرأى والغباوة ولو عقلت لعلمت ان الفند حقيق بأن ينسب اليك لا الى . (٤) معداً : أى محضراً ومهيئا ، أى تهيىء الخلاف ، ويقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

وإنى أَخُوك الدائم العهد لم أخن إن ابزاك خصم أَو نبا بك منزل
أَحاربُ من حاربت من ذى عداوة وأَحبِسُ مالى إنْ غَرِمت فأَعْقل
وإنى على أَشياء منك تُريبنى قديماً لذو صفحٍ على ذاك مجمل
ستقطعُ فى الدنيا إذا ما قطعتنى يمينك فانظر أَىَّ كف تبدَّل
إذا أنتَ لم تُنصف أَخاك وجدته على طرَفِ الهجْرَان إن كان يعقل
ويركبُ جدَّ السيف من أَن تضيمه إذا لم يكن عن شفرَة السيف مزحل
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتى وبدَّل سُوءاً بالذى كنت أَفعل
قلبت له ظهر المجن فلم أَدُم على ذاك إلا ريثما أَتحوَّل
إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

وقال بهاءُ الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ معتذرًا لتأَخره عن لقاءِ بعض أَصحابه :

على الطائر الميمون ياخير قادم وأَهلا وسهلا بالعُلَا والمكارم
قدمت بحمد الله أَكرم مَقدم مدى الدهر يبقى ذكره فى المواسم
قدوماً به الدنيا أَضاءَت وأَشرقت ببشر وُجُوه أَو بضوءِ مباسم
فياحُسن ركب جئت فيه مسلماً ويا طيبَ ما أَهدته أَيدى الرواسم
أَمولاى سامحنى فإنك أَهله وإن لم تسامحنى فما أَنت ظالمى

وقال محمد بن زُريق البغدادى نادماً على الإفراط فى طلب الدنيا ، وكان قصد الأَندلس فى طلب الغنى ، فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه :

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حَقًّا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدًّا أَضَرَّ به من حيث قدرت أَن اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأْنيبه بدلا من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضلعاً بالخطب يحمله فضيقت بخطوب البين أَضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد أَن له من النوى كل يوم ما تُرَوعه

ما آت مغترب إلا وأزعَجه ... رأى إلى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حل ومُرْتحل ... موكلٌ بفضاءِ الأَرض يذْرعه
إذا الزماعُ أَراه فى الرَّحيل غنى ... ولو إلى السند أَضحى وهو يُزْمعه
تأبى المطامعُ إلا أن تُجشِّمه ... للرزق كدًّا ، وكم ممن يُوَدعه
وما مُجاهدة الإِنسان توصله ... رزقاً ، ولا دعة الإِنسان تقطعه
والله قسم بين الخلق رِزْقهم ... لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه
لكنهم مُلئوا حرصاً فلست ترى ... مُسترزقاً ، وسوى الغايات يقنعه
والسعى فى الأَرزاق والأَرزاق قد قسمت ... بغىٌ ، أَلا إن بغى المرءِ يصرعه
والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه ... يوماً ، ويمنعه من حيث يطمعه
أَستودع الله بغداد لى قمرا ... بالكرخ من فلك الأَزرار مَطلعه
ودعته وبودى لو يُودعنى ... صفوُ الحياة وأَنى لا أودعه
وكم تشفع أَنى لا فارقه ... وللضرورات حالٌ لا تشفعه
وكم تشبث بى عند الرحيل ضحى ... وأَدمعى مُستهلات وأَدمعه
لا أَكذب الله ثوب العذر منخرق ... عنى بفرقته لكن أَرقعه
إنى لأوسع عذرى جنايته ... بالنين عنهُ ، وقلبى لا يوسعه
أعطيتُ ملكاً لم أحسن سياسته ... كذاك من لايسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا ... شكر الإله ، فعنه الله ينزعه
اعتضت عن وجد خلى بعد فرقته ... كأساً أجرع منها ما أَجرعه
كم قائل لىَ ذنب البين قلت له ... الذنب والله ذنبى لست أَدفعه
هلا أَقمتُ فكان الرُّشد أَجمعه ... لو أَننى يوم بان الرشد أَتبعه
إنى لأَقطع أَيامى وأنفذها ... بحسرة مِنه فى قلبى تقطعه
بمن إذا هجعَ النوام بت له ... بلوعة منه ليلى لست أَهجعه

لا يطمئن لجنبي مضجع ، وكذا لا يطمئن له مُذْ بنت مضجعه
ماكنت أحسب أن الدهر يفجعني به ، ولا أن بى الأيام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
بالله يامنزل القصف الذى درست آثاره وعفت مذ غبت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا ؟ أم الليالى التى أمضته ترجعه
فى ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيثٌ على مغناك يمرعه
من عنده لى عهدٌ لا يضيعه كما له عهد صدق لا أُضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره ، وإذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأَصبرنَّ لدهر لا يمتعنى به ، ولابى فى حال يمتعه
علماً بأن اصطبارى معقب فرجا وأضيق الأمر إن فكرت أوسعه
عل الليالى التى أضنت بفرقتنا جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وإن تنل أحدا منا منيته فما الذى بقضاء الله يصنعه

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم من قصيدة (بين اليقظة والمنام) فى استعطاف الزمان :

أشرق فدتك مشارق الإصباح وأمط لثامك عن نهار ضاح
بوركت يايوم الخلاص ولاونت عنك السعود بغدوة ورواح
بالله كن يمنا وكن بشرى لنا فى رد مغترب وفك سراح
أقبلت والأيام حولك مثل صفين تخطر خطرة المياح
وخرجت من حجب الغيوب محجلا فى كل لحظ منك ألف صباح
لو صح فى هذا الوجود تناسخٌ لرأيت فيك تناسخ الأرواح
ولكنت يوم (اللابرنت) بعينه فى عزة ، وجلالة ، وسماح
يوم يريك جلاله ورواؤه فى الحسن قدرة فالق الإصباح

خلعت عليه الشمس حالة عَسْجدٍ وحباه (آزار) أرق وشاح
اللهُ أثبتهُ لنا فى لَوْحِهِ أبدَ الأبيدِ فما له من ماح
حييهِ عنا يا أزاهرُ ، واملئى أرجاءَهُ بأريجكِ الفيَّاح
وانفحْهُ عنا يا ربيع بكل ما أطلعت من رندٍ ونَوْرُ أقاح
للنيل مجدٌ فى الزمان مُؤثلٌ من عهد (آمون) وعهد (فتاح)
فَسلِ العصور بهِ ، وسل آثارهُ فى مصر كم شهدت من السيَّاح
قد قال (عمرو) فى ثراها آية مأثورة ، نقشت على الألواح
بينا نراهُ لألئاً وكأنما نثرتْ بتربته عقود مِلاح
وإذا به للناظرين زُمرُّدٌ يشفيك أخضرُهُ من الأتْرَاح
وإذا به مِسْكٌ تشق سواده شق الأديم محارث الفلاح
قم يا ابن مصر فأنت حُرٌّ واستعد مَجْد الجدود ، ولا تُعدْ لمزاح
شمرْ وكافح فى الحياة فهذه دنياك دارُ تناحُر وكفاح
وانهل مع النهالِ من عذب الحيا فإذا رقا فامتحْ مع المُتَّاح
وإذا ألح عليك خطب لاتهنْ واضرب على الإلحاح بالإلحاح
وخض الحياة وإن تلاطَمَ مَوجُها خوض البحار رياضة السباح
واجعل عيانك قبل خطوك رائدا لا تحسبن الغمر كالضحضاح
وإذا احتوتك محلة وتنكرتْ لك فاغدُها وانزح مع النزاح
فى البحر لا تثنيك نارُ بوارج فى البر لا يلويك غابُ رماح
وانظر إلى الغربىِّ كيف سمت به بين الشعوب طبيعة الكدَّاح
والله ما بلغت بنو الغرب المنى إلا بنيات هناك صحاح
ركبوا البحارَ وقد تجمدَ ماؤها والجوُّ بين تناوُح الأرواح
والبر مصهورُ الحصى متأججاً يرمى بنزَّاع الشَّوى لوَّاح
يلقى فتيهم الزمان بهمة عجب ، ووجه فى الخطوب وقاح

ويشق أجواز الفقار مغامرا ... وعر الطريق لديه كالصحصاح
وابن الكنانة فى الكنانة راكِد ... يرْنو بعين غيرَ ذات طماح
لايستغل ـ كما علمت ـ ذكاءه ... وذكاوه كالخاطف اللمَّاح
أمسى كماءِ النهر ضاعَ فراتهُ ... فى البحر بين أجاجه المنداح
فانهض ودع شكوى الزمان ولاتنح ... فى فادح البؤسَى مع الأنواح
واربح لمصرَ برأس مالك عزة ... إن الذكاء حبالة الأرباح
وإذا رزقتَ رياسة فانسج لها ... بُردَين : من حزم ، ومن إسْجاح
واشرب مِن الماءِ القرَاح منعماً ... فلكم وَرَدْت الماءَ غيرَ قرَاح

الباب السادس

فى التهانى والتهادى والإغراء

قال أبو الطيب المتنبي :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرَم ... وزال عنك إلى أعدائك الألَم
صحت بصحتك الغارات وابتهجت ... بها المكارم وانهلتْ بها الدِّيَم
ورَاجع الشمس نور كان فارقها ... كأنما فقده فى جسمها سَقم
ولاح برقكَ لى من عارضى ملك ... ما يسقط الغيث إلا حين يبتسم
يسمى (الحسام) وليست ذى مشابها ... وكيف يشتبه المخدوم والخدم
نفرَّد العرب فى الدنيا بمحتدهِ ... وشارك العرب فى إحسانه العجم
وأخلص الله للإسلام نصرته ... وإن تقلب فى آلائه الأمم
وما أخصك فى برءٍ بتهنئة ... إذا سَلمت فكل الناس قد سلموا

وقال الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد :

هذى المكارم والعلياء تفتخر ... بيوم مأثرة ساعاته غرر
يوم تبسمَ عنه الدَّهر واجتمعت ... له السعود وأغضب دونه الغِير

حتى كأنا نرى فى كل ملتفت رَوضاً تفتحَ فى أثنائه الزَّهر
لما تجلى عن الآمال مشرقة قال العلى : بلى استعلى وأقتدر
وافى على غير ميعاد يبشرنا بأن ستتبعه أمثاله الغرر
أهنى المسرات ما جاءت مفاجأةً وما تناجى بها الألفاظ والفكر
وما تعنف من يسخر بمهجته فإن يومك هذا وحدَه عمر
فما عدوت وما للعين مُنقلب إلا إلى منظر يبهى ويحتبرُ
ثنت مَهابتك الأبصار حاسرة حتى تبين فى ألحاظها خزر (١)
إذا تأملتهم غضوا ، وإن نظروا خلال ذاك فأدنى لفتة نظروا
فى ملبس ما رَأته عينُ مُعترض فشك فى أنه أخلاقك الزهر
ألبسته منك نورا يستضاءُ به كما أضاءَ ضَوَاحى مزنة القمر (٢)
وقد تقلدت عضبا أنتَ مَضربه وعنك يأخذ ما يأتى وما يذَرُ
مازال يزداد من إشرَاق غرَّته زهرا ويشرق فيه التيه والأشر (٣)
والشمس تحسد طرفاً أَنْتَ رَاكِبه حتى تكاد من الأفلاك تنحدر
حتى لقد خِلت أن الشمس أزعجها شوقا وقد ظلت على عطفيه تنتشر

وقال أبو أذينة يغرى الأسود بن المنذر بقتل آل غسان ، وكانوا قد قتلوا أخاً له :

ما كل يوم ينال المرءُ ما طلبا ولا يسوغه المقدر ما وَهبا
وأحزم الناس من إن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقبضا
وأنصف الناس فى كل المواطن من سقى المعادين بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راحَ يضربهم بحد سيف به قلبهم ضُربا

(١) الخزر ضيق العين وصفرها . (٢) المزن : السحاب الأبيض ويقال للهلال ابن مزنة وهى القطعة من المزن لخروجه منها .
(٣) الأشر بفتح الشين المرح والاختيال .

والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة ... من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد ... رأيت رأياً يجرُّ الويل والحربا
لا تقطعنْ ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
هم جَرَّدوا السيف فاجعلهم له جزرا ... وأوقدوا النار فاجعلهم لها حَطبا
إن تعفُ عنهم يقول الناس كلهم ... لم يَعف حِلما ولكن عفوه رهبا
هم أهلة غسان ومجدهم ... عال ، فإن حاولوا مُلكا فلا عَجبا
وعرضوا بفداء واصِفين لنا ... خيلا وإبلا تفوق العجم والعربا
يحلبون دماً مِنّا ونحلبهمْ ... رسلا ، لقد شرَّفونا فى الوَرى حلبا

وقال صفى الدين الحلى يحرض السلطان الصالح على الاحتراز من المغول :

لا يمتطى المجدَ من لم يركب الخطرا ... ولا يَنالُ العلا من قدم الحذرا
ومن أَراد العلا عفوا بلا تعب ... قضى ولم يَقض من إدراكها وطرا
لا بد للشهدِ من نحل يمنعه ... لا يجنى النفع من لم يحمل الضررا
لا يُبْلغ السول إلا بَعد مؤلمة ... ولا يتم المنى إلا لمن صَبرَا
وأَحزمُ الناس من لو مات من ظمإٍ ... لا يقرب الوِرْد إلا من يعرف الصدر
وأَغزر الناس عقلا من إذا نظرت ... عيناه بالأَمر غدا بالغير مُعْتبرا
فقد يُقال عثار الرِّجْل إن عثرت ... ولا يقال عثار الرأى إن عثرا
من دبَّرَ العيش بالآراءِ دام له ... صفوا وجاءَ إليه الخطب مُعْتذرا
يهون بالرأى ما يجرى القضاءُ به ... من أَخطأَ الرأى لا يستذِنب القدرا
من فاتهُ العزُّ بالأَقلام أَدركه ... بالبيض يقدح من أَطرافها الشررا
لا يحسن الحلم إلا فى مواطنهِ ... ولا يليق الوَفا إلا لمن شكرا
ولا ينال العلا إلا فتى شرفت ... خِلالهُ فأَطاع الدهر ما أَمرا

كالصالح الملك المرهوب سطوته فلو توعد قلب الدهر لا نفطرا
لما رأى الشرَّ قد أبدى نواجذه والغدر عن نابه للحرب قد كشرا
رأى القسى إناثاً عن حقيقتها فعافها واستشار الصارم الذكرا
فجرد العزم من قبل الصفاح لها ملكٌ عن البيض يستغنى بما شهرا
يكاد يقرأ من عنوان همته ما بصحائف ظهر العيب قد سطرا
كالبحر والدهر فى يومى ندى وردى والليث والغيث فى يومى وغى وقرى
ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا ولا عفا قط إلا بعد ماقدرا
لاموه فى بذله الأموال قلت لهم هل تقدر السحب ألا ترْسِل المطرا

وقال السيد أحمد الهاشمى مولف هذا الكتاب مهنئاً المرحوم على يوسف صاحب جريدة المويد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من أوربا :

(علىٌّ) القدر ذو الشرف المؤيد شديد العزم (يوسف) قد تفرد
وحيد الفضل والعلياء تشهد رفيع المجد فى عز وسؤدد
شريف النفس محمود السجايا عريق الأصل فى المعروف أوحد
همامٌ ما له أبدا مثيل بليغ النطق فى الكتاب مفرد
مُحب العدل مشكور المساعى عليم بالسياسة ، بل (مُؤيد)
قوى البأس بسام الثنايا سعيد الجد ذو قدْرٍ ممجد
فمن يك راقياً شرف المعالى كمثلك فى الورى لاشك يحمد
وكيف وأنت أعظم من تصدى لتأييد الصحافة (بالمؤيد)
وكيف وأنت أفوق كل رامٍ بسهم للكتابةِ قد تجرَّد
وليس الشمس تخفى عن عيون سوى أن كان صاحبهنّ أرمد
وإن البدر بالأنوار زاهٍ ويأبى الله إلا أن تؤيد

فسبحان الذى أَسرى (عليًّا) إلى التاميز والسين المنضَّد
يهنِّيك المناصب كلَّ وقْت وتخدُمك السعادة ما تجدد
فدم ياسيِّدى بدرا منيرا وحِصناً للمعالى قد تشيد
وهاكَ منَ المحب قصيد شعر تشير إلى وفائى ، بل وتشهد
تفاخر مصر أَهل الشرق فيها تقول الهاشمىُّ شدا وأَنشد

وقال محمد حافظ إبراهيم مهنئا أَبناءَ وطنه بالعام الهجرى :

أَهلا بنابغة البلاد ومرحباً جدَّدْتُم العهد الذى قد أَخلْقا
لا تيأَسوا أَنْ تستردُّوا مَجْدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
مدَّتْ له الآمال فى أَفلاكها خيط الرَّجَاءِ إلى العُلا فتسلقا
فتجشموا للمجد كل عظيمة إنى رأَيت المجد صعب المرتقى
من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبباً إلى آماله وتعلقا
عارٌ على ابن النيل سباق الورى مهما تقلب دهره أَن يُسبقا
أَو كلما قالوا : تجمع شمله ، لعِب الخلاف بجمعنا فتفرقا
فتدفقوا حججاً وخوضوا نِيلكم فلكم أَفاض عليكم وتدفقا
حملوا علينا بالزَّمان وصرفه فتأَنقوا فى سلبنا وتأَنقا
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا لم يُبق باباً للسعادة مُغلقا
ثم استمدُّوا منه كل قواكم إن القوىَّ بكل أَرض متقى
ابنوا حوالى حوضكم من يقظة سورا وخطوا من حذارٍ خندقا
وزنوا الكلام وسددوه فإنهم خبأوا لكم فى كل حرف مزلقا
وامشوا على حذر فإن طريقكم وعر أَطاف به الهلاك وحلقا

نصبوا لكم فيه الفخاخ وأَرصدوا ... للسالكين بكل فج موبقا
الموتُ فى غشيانه وطروقه ... والموتُ كل الموت أَلا يطرقا
فتحينوا ، فرَصُ الحياة كثيرةٌ ... وتعجلوها بالعزائم والرقى
أَو فاخلقوها قادرين فإنما ... فرصُ الحياة خليقةٌ أَن تخلقا

* * *

الباب السابع

فى المراثى

قال المهلهل التغلبي يرثى أَخاه كليباً وهو جاهلى توفى سنة ٥٣١ م :

أَهاج قذاه عينى الادِّكار ؟ ... هُدوءًا فالدُّموع لها انهمار
وصار الليل مشتملا علينا ... كأَن الليل ليس له نهار
وبتُّ أَراقب الجوزاءَ حتى ... تقارب من أَوائلها انحدار
أَصرِّف مقلتى فى إثر قومٍ ... تباينت البلاد بهم فغاروا
وأَبكى والنجوم مطلعاتٌ ... كأَن لم تحوها عنى البحار
على من لو نعيت وكان حيًّا ... لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك ياكليب فلم تجبنى ... وكيف يجيبنى البلد القفار ؟
أَجبنى ياكليب خلاك ذمٌّ ... لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث إنك كنت غيثاً ... ويُسرا حين يلتمس اليسار
أَبت عيناى بعدك أَن تكفا ... كأَن عصا القتاد لها شفار
وإنك كنت تحلم عن رجال ... وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنعُ أَن يمسهم لسان ... مخافة من يجير ولا يُجار

وكنت أعدَّ قربى منك ربحاً إذا ما عَدَّت الربح التِّجار
فلا تَبْعُدَ فكل سوف يلقى شعوباً يستدير بها المدار
يعيش المرءُ عند بنى أَبيه ويوشك أَن يصير بحيث صاروا
أَرى طول الحياة وقد تولى كما قد يُسلبُ الشيء المعار
كأَنى إذ نعى الناعى كليباً تطاير بين جنبيَّ الشرار
فَدرت وقد غشى بصرى عليه كما دارتْ بشاربها العقار
سأَلتْ الحى : أَين دفنتموه ؟ فقالوا لى : بأَقصى الحى دار
فسرت إليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارمُ والفخار
أَتغدو ياكليب معى إذا ما جبان القوم أَنجاه الفرار ؟
خذ العهد الأَكيد على عمرى بتركى كل ما حوت الديار
ولست بخالع دِرْعى وسيفى إلى أَن يخلعَ الليل النهار

* * *

وقال صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ يرثى غريقاً :

أَصفيحُ ماء أَم أَديم سماء فيه تغور كواكب الجوزاء
ماكنت أَعلم قبل موتك موقنا أَن البدور غُروبها فى الماءِ
ولقد عجبت وقد هويت بلجة فجرى على رسْل بغير حياءِ
لم لا يشقُّ لك العباب وطالما أَشبهت موسى باليد البيضاء
أَنف العلاء عليك من لمس الثرى . وحُلول باطن حُفرة ظلماءِ
وأَجل جسمك أَن يغير لطفه عفن الثرى وتكاثف الأَرجاءِ
فأَحله جدثا طهورا مشبهاً أَخلاقه فى رقة وصفاء

ماذاك بدعا أن يضم صفاؤه نورا يضنُّ به على الغبراء
فالبحر أولى فى القياس من الثر ى بجوارِ تلك الدرة الغراء

* * *

وقال أيضاً يرثى الملك ناصر الدين عمر :

بكى عليك الحُسام والقلم وانفجع العِلم فيك والعَلمُ
وضجت الأَرض فالعباد بها لاطمة والبلاد تلتطم
تظهر أَحزانها على ملك جل ملوك الورَى له خدم
أَبلج ، غض الشباب مقتبل الـ عمر ، ولكن مجده هرم
محكمٌ فى الوَرى وآمله يحكم فى الوَرى ويحتكم
يجتمعُ المجدُ والثناءُ له وماله فى الوفود يُقتسم
قد سَئمت جُوده الأَنام ، ولا يلقاه من بذلِهِ الندَى سَأَم
ماعرفت منه «لا» ولا «نعم» بل دونهن الآلاءُ والنعمُ
الواهب الأَلف وهو مبتسم ، والقاتل الأَلف وهو مقتحمُ
مبتسمٌ والكماة عوَابسٌ وعابسٌ والسيوفُ تبتسمُ
لم يعلم العالمون ما فقدوا منه ، ولا الأَقربون ما عَدَمُوا
ما فقد فرد من الأَيام كمن إن مات ماتت لفقدِه أُممٌ
يا طالب الجود قضىَ عمر ، فكل جُود وجُوده عدَم
فالناس كالعين إن نقدتهم تفاوتت عند نقدك القيم
مضى الذى كان للأَنام أَبا فاليوم كل الأَنام قد يتموا
حل دارا ضاقت بساكنها ودون أَدنى دياره إرم

قال أَبو الحسن التهامى يرثى صغيرا له ، ويفتخر بفضله ، ويشكو زمانه وحاسديه :

حُكم المنية فى البرية جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قرارِ
بينا يُرَى الإِنسان فيها مخبرا ... حتى يرى خبرا من الأَخبار
طبعت على كَدَر وأَنت تريدها ... صفوا من الأَقذار والأَكدار
ومكلفُ الأَيام ضد طباعها ... متطلبٌ فى الماءِ جذوة نار
وإِذا رجوت المستحيل فإِنما ... تبنى الرجاءَ على شفير هار
فالعيْش نومٌ والمنية يقظة ... والمرءُ بينهما خيالٌ سار
فاقضوا مآربكم عجالا إِنما ... أَعماركم سفرٌ من الأَسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا ... أَن تسترد فإِنهن عوار
فالدهر يخدع بالمنى ويغص إِن ... هَنَّا ويهدمُ ما بُنِى ببوار
ليس الزمان وإِن حرصت مسالماً ... خلق الزمانِ عداوةُ الأَحرار
إِنى وترت بصارم ذى رونقٍ ... أَعددته لطلابةِ الأَوتار
والنفس إِن رضيت بذلك أَوأَبت ... مُنقادةٌ بأَزمَّة المقدار
أَثنى عليه بإِثرِهِ ولو أنه ... لم يغتبط. أَثنيت بالآثار
يا كوكباً ، ما كان أَقصر عمرَه ... وكذاك عمر كواكبِ الأَسحار
وهلال أَيام مضى لم يُستدر ... بدرا ولم يمهل لوقت سِرار
عجِل الخسوف عليه قبل أَوانه ... فمحاه قبل مظنةِ الإِبدار
واستل من أَترابه ولداته ... كالمقلة استُلت من الأَشفار
فكأَن قلبى قبره وكأَنه ... فى طيِّه سرٌ من الأَسرار
إِن يُعتبط. صغرا فرب مقمم ... يبدو ضئيل الشخص للنظار

إن الكواكب فى عُلُوٍّ محلها — لترَى صِغارا وهى غير صغار
ولدُ المعزى بعضه فإذا مضى — بعضُ الفتى فالكل فى الآثار
أَبكيه ثم أَقولُ معتذرا له — وفقت حين تركت أَلأَمَ دار
جاورْت أَعدائى وجاورَ ربَّه — شَتان بين جواره وجوارى
ثوب الرياء يشف عما تحته — وإذا التحفت به فإنك عار
قصُرَت جفونى أَم تباعد بينها — أَم صُورت عينى بلا أَشفار
جفت الكرى حتى كأَن غراره — عند اغتماض العين وخْز غرار
ولو استزارت رقدةَ لطحابها — ما بين أَجفانى من التيار
أُحيي الليالى التم وهى تميتنى — ويميتهن تبلج الأَسحار
حتى رأَيت الصبح تهتك كفه — بالضوءِ رفرف خَيمة كالقار
والصبح قد غمر النجوم كأَنه — سيلٌ طغى فطفا النوار
والهونُ فى ظِل الهوينا كامِن — وجلالة الأَخطار فى الإِخطار
تندى أَسرة وجهه ويمينه — فى حالة الإِعسار والإِيسار
ويمدُّ نحو المكرمات أَناملا — للرزق أَثنائهن مجار
يحوى المعالى كاسِباً أَو غالباً — أَبدا بدارَى دونها ويدارِى
قد لاح فى ليل الشباب كواكب — إن أَمهلت آلت إلى الإِسفار
وتلهب الأَحشاءَ شيب مفرقى — هذا الضياءُ شواظ تلك النار
شاب القذال وكل غصن صائر — فينانه الأَحوى إلى الإِزهار
والشبه منجذب فلم بيض الدمى — عن بيض مفرقه ذوات نفار
وتود لو جعلت سوادَ قلوبها — وسواد أَعينها خضاب عذار
لا تنفر الظبيات عنه فقد رأَت — كيف اختلاف النبت فى الأَطوار
شيئان ينقشعان أَول وهلة — ظِل الشباب ، وخلة الأَشرار

لا حَبَّذا الشيبُ الوفىّ وحبذا ظِلُّ الشباب الخائن الغدَّار
وطرى من الدُّنيا الشباب وروقه فإذا انقضى فقد انقضت أَوطارى
قصرتْ مسافته وما حسناته عندى ولا آلاؤه بِقصار
نزداد هَمًّا كلما ازددنا غِنى والفقر كُلُّ الفقر فى الإِكثار
مازاد فوق الزَّاد خُلِّف ضائعاً فى حادث أَو وارث أَو عار
إنى لأَرحمُ حَاسدىَّ لحرما ضمت صُدُورهم من الأَوغار
نظروا صنيع الله بى فَعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رُمْت كتم فضائلى فكأَنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضُعِى فتطلعت أَعناقها تعلو على الأَستار
ومن الرجال معالِم ومجاهِل ومن النُّجوم غوامض ودرارى
والناس مُشتبهون فى إِيرادهم وتفاضل الأَقوام فى الإِصدار
عمرى لقد أَوطأْتهم طُرُق العلا فعموا فلم يقفوا على آثارى
لو أَبصروا بقلوبهم لاستبصروا وعَمَى البصائر من عمَى الأَبصار
هَلا سَعوْا سَعْى الكرام فأَدركوا أَو سَلموا لمواقِع الأَقدارِ
ولربما اعتَضَدَ الحليم بجاهل لا خير فى يمنى بغير يسار

وقال أَبو البقاء صالح بن شريف الرنْدِى ، المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثى الأَندلس :

لكل شىءٍ إذا ماتم نقصانُ فلا يغَرُّ بطيب العيش إنسان
هى الأُمورُ كما شاهدتها دُوَلٌ من سره زَمَنٌ ساءَتْهُ أَزمان
وهذه الدار لا تُبقى على أَحد ولا يدوم على حال لها شان
يُمَزِّق الدهر حتماً كل سَابغة إذا نبت مشرِفيَّاتٌ وخُرْصان
وينتضى كل سيف للفناءِ ولوْ كان ابن ذى يزن والغَمد غمدان
أَين الملوك ذووا التيجان من يمن وأَين منهم أَكاليل وتيجان ؟

وأَين ما شاده شدادُ فى إِرَم ... وأَين ما ساسه فى الفرس ساسان؟
وأَين ما حازه قارون من ذهب ... وأَين عادٌ وشَدَّاد وقحطان ؟
أَتى على الكُل أَمر لا مَرَد له ... حتى قضوا فكأَن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلك ... كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على « دارا » وقاتِلِه ... وأَم كِسرَى فما آواه إِيوان
كأَنما الصْعْبُ لم يَسْهل له سبب ... يوماً ولا ملك الدُّنْيا سليمان
فجائع الدهر أَنواعٌ مُنَوَّعة ... وللزمان مسراتٌ وأَحزان
وللحوادث سُلوان يُسَهلها ... وما لما حل بالإِسلام سُلوان
دهى الجزيرة أَمر لا عزاءَ له ... هوَى له أُحُد وانْهدَّ ثهلان
أَصابها العين فى الإِسلام فارتزأَت ... حتى خَلت منه أَقطار وبلدَان
فاسأَل (بَلَنْسِيَة) ما شأَن (مُرْسية) ... وأَين (شاطبة) أَم أَين (جَيَّان)
وأَين (قُرْطبة) دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان ؟
وأَين (حِمصٌ) وما تحويه من نُزَه ... ونهرها العَذْبُ فياضٌ وَمَلآن
قواعِدٌ كُنَّ أَركان البلاد فما ... عسى البقاءُ إذا لم تَبقَ أَرْكان
تبكى الحنيفية البيضاءُ من أَسف ... كما بكى لفراق الإِلفِ هيمان
على ديار من الإِسلام خالية ... قد أَقفرت ولها بالكفر عُمْران
حيث المساجد قد سارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيسٌ وصُلْبَان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عيدان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة ... إن كنت فى سنة فالدَّهْرُ يقظان
وماشِيا مَرحا يُلهيه موطنُهُ ... أَبَعد حِمص تَغرّ المرء أَوطان ؟

تلك المصيبة أنست ماتقدمها ... وما لها من طوال الدهر نسيان
ياراكبين عِتاق الخيل ضامرة ... كأنها فى مجال السبق عِقْبان
وحاملين سيوف الهند مُرْهفة ... كأنها فى ظلام النقع نيران
وراتعين وراءَ البحر فى دعة ... لهم بأوطانهم عِزٌّ وسلطانُ
أَعندكم نبأ من أهل أندلسٍ ... فقد سرى بحديث القوم رُكبانُ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى ، فما يهتزُّ إنسان؟
ماذا التقاطع فى الإسلام بينكم ... وأنتم – ياعباد الله – إخوان؟
أَلا نفوسٌ أَبياتٌ لها هِمَمٌ ... أَما على الخير أَنصارٌ وأَعوانٌ؟
يامن لِذِلة قوم بعد عِزِّهم ... أَحال حالهم جورٌ وُطغيانُ
بالأَمس كانوا ملوكاً فى منازلهم ... واليوم هم فى بلاد الكفر عُبدَانُ
لمثل هذا يذوبُ القلب من كمد ... إن كان فى القلب إسلامٌ وإيمان

وقال المتنبي يرثي أَبا شجاع فاتكاً :

الحزن يقلق والتجمل يُرْدِعُ ... والدَّمع بينهما عَصِىٌّ طَيعُ
يتنازعانِ دُموع عين مُسهدٍ ... هذا يجيءُ بها ، وهذا يرجع
النوم بعد أَبى شجاع نافِرٌ ... والليل معيٍ والكواكب طُلعُ
إِنى لأَجبن من فراق أَحبتى ... وتحسُّ نفسى بالحمام فأَشجع
ويزيدنى غضب الأَعادى قسوة ... وَيُلمُّ بى عتب الصديق فأَجْزعُ
تصفو الحياة لجاهلٍ أَو غافل ... عما مضى منها وما يتوقَّع
ولن يغالط فى الحقائق نفسه ... ويسومها طلب المحال فتطمع
أَين الذى الهرمان من بنيانه ؟ ... ما قومه ، ما يومه، ما المصرع؟!
تتخلف الآثار عن أَصحابها ... حيناً ويدركها الفناءُ فتتبع

وقال عبد المجيد بن عبدون القهرى المتوفى سنة ٥١٠ ﻫ راثيا ملوك بنى الأَفطس من قصيدة طويلة ممتعة فى التاريخ والأَدب ، ومطلعها :

الدهر يفجع بين العين بالأَثر ... فما البكاءُ على الأَشباح والصور ؟
أنهاك ، أنهاك ، لا أَنهاك واحدة ... عن نومة بين نياب الليث والظفر
فالدهر حربٌ وإن أَبدى مُسالمة ... فالبيض والسمر مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأْس تأْخذه ... يد الضرابِ وبين الصارم الذكر
فلا يغرَّنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر
فيا لليالى ـ وقاك الله عثرتها ـ ... من الليالى وغالتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جارحة ... منا جراح ، وإن زاغت عن البصر
تسر بالشيء لكن كى تغرُّ به ... كالأَيم ثار إلى الجانى عن الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها ... لم تبق منها وسلْ دنياك عن خبر

وقال أَبو ذؤيب يرثى أَولاده :

أَمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة : ما لجسمك شاحبا ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
ولقد حرصت بأَن أَدافع عنهم ... وإذا المنية أَقبلت لا تدفع
وإذا المنية أَنشبت أَظفارها ... أَلفيت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهم كأَن جفونها ... كحلت بشوك فهى عورٌ تدمع
وتجلدى للشامتين أَريهم ... أَنى لريب الدهر لا أَتضعضع
حتى كأَنى للحوادث مروة ... نصف المشقر كل يوم تقرع
لا بد من تلف مقيم فانتظر ... أَبأَرض قومك أَم بأُخرى المضجع
ولقد أَرَى أَن البكاءَ سفاهة ... ولسوف يولع بالبكا من يفجع

وليأتين عليك يوماً مَرَّة ... يبكى عليك معنفاً لا تسمع
فلئن بهم فَجع الزَّمان وريبه ... إنى بأَهل مَوَدتى لمفجَّع
والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

وقال أَبو الحسن الأَنبارى ، المتوفى عام ٢٣٨ هـ يرثى أَبا طاهر بن بقية وزيرعز الدولة لما قتل وصلب[١] ، وهى من أَعظم المراثى ، ولم يسمع بمثلها فى مصلوب حتى أَن عضد الدولة الذى صلبه تمنى أَن لو كان هو المصلوب ، وقيلت فيه :

عُلوٌّ فى الحياة وفى الممات ... لحقٌّ تلك إحدى المعجزات
كأَن الناس حولك حين قامُوا ... وُفودُ نداك أَيام الصلات
كأَنك قائِم فيهم خطيباً ... وكلهمُ قيامٌ للصلاة
مددت يَديك نَحْوَهُم احْتفاءً ... كمدِّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأَرض عن أَن ... يضمٌّ عُلاك من بعد الوفاة
أَصاروا الجو قبرك واستعاضوا ... عن الأَكفان ثوب السافيات
لعظمك فى النفوس تبيت ترعى ... بحرَّاس وحُفاظ ثقات
وتوقدُ حولك النيران ليلا ... كذلك كنت أَيامَ الحياة
ركبت مطية من قبل زيد ... علاها فى السنين الماضيات
وتلك قضيةٌ فيها تأَس ... تباعِد عنك تعيير العدَاة
ولم أَرَ قبل جذعك قط جذعا ... تمكنَ من عناق المكرمات
أَسأْت إلى النوائبِ فاستثارت ... فأَنتَ قتيل ثأْرِ النائبات

(١) وذلك لما استمرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الولة أبى طاهر محمد بن بقية فطرحه المفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطرق ، وعمره نيف وخمسون سنة ، ولما صلبِ رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنبارى أحد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة .

وكنت تجيرنا من صرف دهر فعاد مُطالباً لك بالتراب
وصيرَ دهرك الإِحسان فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشرٍ سعدًا فلما مضيت تَفرقوا بالمحسنات
عليل باطن لك فى فوادى يخفف بالدموع الجاريات
ولو أَنى قدَرْت على قيام بفرضك والحقوق الواجبات
ملأْت الأَرض من نظم القوافى ونحت بها خِلاف النائحات
ولكنى أُصبر عنك نفسى مخافة أَن أُعد من الجناة
ومالك تربة فأَقولُ تسقَى لأَنك نُصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى برحماتٍ غواد رائحات

وقال بهاءُ الدين زهير المتوفى عام ٦٥٦ ه :

أَراك هجرتنى هجرا طويلا وما عَودتنى من قبل ذاكا
عهدتك لا تطيق الصبر عنى وتعصى فى ودادى من نهاكا
فكيف تغيرت تلك السجايا ومن هذا الذى عنى ثناكا
فلا والله ما حاولت غدرا فكل الناس يَغدر ما خلاكا
فيا من غاب عنى وهو روحى كيف أَطيق من روحى انفكاكا
وما فارقتنى طوعاً ولكن دهاك من المنيةِ ما دهاكا
يعزُّ على حين أُدير عينى أُفتِّش فى مكانك لا أَراكا
ختمت على ودادك فى ضميرى وليس يزال مختوماً هناكا
فوا أَسفى لجسمك كيف يبلى ويذهب بعد بهجته سناكا
فيا قبر الحبيب وددْت أَنى حملت ولو على عينى ثراكا
ولا زال السلام عليك منى يزفُّ على النسيم إلى ذُراكا

وقالت السيدة تماضر الخنساءُ الشاعرة المخضرمة المتوفاة فى خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ ـ راثية أَخاها صخرا :

قذى بعينيك أم بالعين عُوَّار ... أَم أَقفرتْ إذ خلت من أَهلها الدار
كأن عينى لذكراه إذ خطرت ... فيضٌ يسيل على الخدين مدرار
تبكى خُناس على صخر وحق لها ... إذا رابها الدهر إن الدهر ضَرَّار
لا بد من ميتة فى صرفها عبر ... والدهر فى صرفه حول وأَطوار
يا صخرُ وراد ماء قد تواردهِ ... أَهل المواردِ ما فى وِرْدِهِ غار
وإن صخرا لحامينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتوا لنحار
وإن صخرا لتأْتمُّ الهداة به ... كأَنه علمٌ فى رأْسه نار
لم تُلفهِ جارة يمشى بساحتها ... لريبة حين يُخلِى بيته الجار
مثل الردينى لم تنفد شبيبته ... كأَنه تحت طى البرد أَسوار
طلق اليدين بفعل الخير مُعتمد ... ضخم الدسيعة بالخيرات أَمَّار
حمال أَلوِية ، هباط أَوْدِيةٍ ... شهاد أَندية ، للجيش جرار

وقالت أَعرابية ترثى ابنها :

أَيا ولدى قد زاد قلبى تلهباً ... وقد حرقت منى الشؤون المدامع
وقد أَضرمت نارُ المصيبة شعلة ... وقد حميت منى الحشاء والأَضالع
واسأَل عنك الركب هل يخبروننى ... بحالك كيْما تستكن المضاجع
فلا بك فيهم مخبر عنك صادقٌ ... ولا فيهم من قال إنك راجع
فيا ولدى مذ غبت كدَّرت عيشتى ... فقلبى مصدوعٌ وطرفى دامع
وفكرىَ مسقوم وعقلىَ ذاهب ... ودمعى مسفوحٌ ودارى بلاقع

وقالت ليلى الأَخيلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ :

لعَمْرُك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تُصِبه فى الحياة المعاير
وما أَحدٌ حيٌّ وإن عاش سالما بأَخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً فلا بد يوماً يرى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر وليس على الأَيام والدهر غابر
ولا الحى مما يحدث الدهر مُعتب ولا الميت إن لم يصبر الحى ناشر
وكل شباب أَو جديدٍ إلى بلى وكل امرىءٍ يوماً إلى الله صائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ترثى ابنتها :

إن سالَ من غرب العيون بُحورُ فالدهر باغ والزمان غدور
فلكل عين حق مدرار الدما ولكل قلب لوعة وثبور
سُتِر السنا وتحجبت شمس الضحى وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذى أَهوى وجرعنى الأَسى وغدت بقلبى جذوة وسعير
ياليته لما نوى عهد النوى وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بماءِ حشاشتى نار لها بين الضلوع زفير
لو بُث حزنى فى الورَى لم يُلتفت لمصاب قيس والمصاب كبير
طافت بشهر الصوم كاسات الردى سحرا وأَكواب الدموع تدور
فتناولت منها ابنتى فتغيرت وجنات خدٍّ شانها التغيير
فَذوت أَزاهير الحياة بروضها وانقَدَّ منها مائس ونضير
لبست ثياب السقم فى صغر وقد ذاقت شراب الموت وهو مرير
جاءَ الطبيب ضُحى وبشر بالشفا إن الطبيب بطبه مغرور
وصف التجرع وهو يزعم أنه بالبرءِ من كل السقام بشير

فتنفست للحزن قائلة له … عَجل ببرئى حيث أنت خبير
وارحم شبابى إن والدتى غدت … ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأف بعين حرمت طيب الكرى … تشكو السهاد وفى الجفون فتور
لما رأت يأس الطبيب وعجزه … قالت ودمع المقلتين غزير
أُماه قد كل الطبيب وفاتنى … مما أُؤمل فى الحياة نصير
أُماه قد عز اللقاءُ وفى غدٍ … سترين نعشى كالعروس يسير
وسينتهى المسعى إلى اللحد الذى … هو منزلى وله الجموع تصير
قولى لرب اللحد رفقاً بابنتى … جاءت عروساً ساقها التقدير
وتجلدى بإزاء لحدى بُرهة … فتراك روح راعها المقدور
أُماهُ قد سلفت لنا أُمنية … يا حسنها لو ساقها التيسير
كانت كأَحلام مضت وتخلفت … مُذ بان يوم البين وهو عسير
عودى إلى ربع خلا ومآثر … قد خلفت عنى لها تأْثير
صونى جهاز العرس تذكارا فلى … قد كان منه إلى الزفاف سرور
جرت مصائب فرقتى لك بعد ذا … لبس السواد ونُفذ المسطور
والقبر صار لغصن قدى روضة … ريحانها عند المزار زهور
أُماه لا تنسى بحق بُنوتى … قبرى لئلا يحزن المقبور
فأَجبتها والدمع يحبس مَنْطِقى … والدهر من بعد الجوار يجورُ
بنتاه ياكبدِى ولوعة مهجتى … قد زال صفو شانه التكدير
لاتوص ثكلى قد أذاب فؤادها … حُزنٌ عليك وحسرة وزفير
أَبكيك حتى نلتقى فى جنة … برياض خلد زينتها الحور
إن قيل «عائشة» أَقول لقد فنى … عيشى وصبرى — والإلـه خبير

ولهى على «توحيدة» الحسن التى قد غاب بدر جمالها المستور
قلبي وجَفنى واللسان وخالقى راض وباك شاكر وغفور
متعت بالرضوان فى خلد الرضا ما ازينت لك غرفة وقصور

وقالت المرحومة ملك حفنى ناصف ترثى المرحومة عائشة هانم تيمور :

أَلا يا موت وَيحك لم تراع حقوقا للطروس ولا اليراع
تركت الكتب باكية بكاءً يشيب الطفل فى عهد الرضاع
ولم تهب الفضائل والمعالى وطول السعى فى خير المساعى
ولم يمنعك مما رُمتَ نثر ولا شِعر ولا حسن ابتداع
نراك تجود بالأَرزاء حتى عددنا البخل من كرم الطباع
فذب يا قلب لاتَك فى جمود وزد يا دمع لاتك فى امتناع
ولا تبخل على وكن جموماً فكنز العلم أمسى فى ضياع
سنبقى بعد (عائشةٍ) حيارى كسرب فى الفلاة بغير راع
لقد فقدت ولم تفقد علاها وهل شمس تغيب بلا شعاع
هى الدر المصون ببطن أَرض وقد كانت كذلك فى قناع
هى البحر الخضم وما سمعنا بأَن البحر يُدفن فى التلاع
وكانت للمكارم خير عون وللخيرات كانت خير داع
لها القدْحُ المعلى فى العوالى وفى نشر المعارف طول باع
فياشمس المحامد غِبتِ عنا وخلفت البكاءَ لكل ناع
ويا خير النساء بلا خلاف وقدوتنا بلا أَدنى نزاع
لقد أَحييت ذكر نساء مصر وجدَّدتِ العلا بعد انقطاع
وشِدْت صروح طهر باذخات محصنة كتَحصين القلاع

وقال المرحوم حفنى ناصف راثياً المرحوم عبد الله فكرى :

ليدَّع المدعون العلم والأُدباءُ فقد تغيب (عبد الله) واحتجبا
ولينتسب أدعياءُ الفضل كيف قضت آراءهم إذ قضى من يحفظ النسبا
وليفخر اليوم قومٌ باليراع ، ولا خوف عليهم فمن يخشونه ذهبا
وليرْقَ من شاءَ أعواد المنابر إذ مات الذى يتقيه كلٌّ من خطبا
لو عاش لم يطرق الأَسماع ذكرهم فى طلعة الشمس من ذا يصرع الشهبا
فليسمُ من شاءَ بالإنشاءِ لاعجب مضى الذى كان من آياته عجبا
طودٌ من الفضل من بعد الرسوخ هوى
وكوكب بعد أن أبدى الهدى غربا
أجل فقد مات (عبد الله) واأسفاً وأوحشت مصر من (فكرى) فواحربا
فكل نفس لعلياه شكت وبكت وكل فكر (بفكرى) ماج واضطربا
قضى الحياة ونصر الحق ديدنه لا ينثنى رهباً عنه ولا رغبا
سارت جنازته والعلم فى جزع والفضل ينْدُبُهُ فى ضمن من ندبا

وقال أحمد شوقى يرثى المرحوم مصطفى كامل المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما فى مأْتم والدَّانى
يا خادم الإسلام أجر مجاهدٍ فى الله ، من خلد ومن رضوان
الله يشهد أن موتك بالحجا والجد ، والإقدار ، فأَنت البانى
إن كان للأَخلاق ركن قائم فى هذه الدنيا ، فأَنت البانى
بالله فتش عن فؤادك فى الثرى هل فيه آمال وفيه أمانى ؟
وجدانك الحى المقيم على المدى ولربَّ حى ميت الوجدان
الناس : جار فى الحياة لغاية ومضللٌ يجرى بغير عنان

والخلد فى الدنيا وليس بهينٍ   عليا المراتب لم تتح لجبان
فلو ان رسل الله قد جبنوا لما   ماتوا على دين ولا إيمان
المجد والشرف الرفيع صحيفة   جعلت لها الأَخلاق كالعنوان
وأحب من طول الحياة بذلةٍ   قِصرٌ يريك تقاصُرَ الأَقران
دقات قلب المرءِ قائلةٌ له :   إن الحياة دقائقٌ وثوَانى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمرٌ ثانى
للمرءِ فى الدنيا وجمٍّ شؤونها   ما شاءَ من ربح ومن خسران
فهى القضاء لراغبٍ متطلع   وهى المضيق لمؤثر السُّلوان
الناس غادٍ فى الشقاءِ ورائح   يشقى له الرحماءُ ، وهو الهانى
ومنهم لم يلقَ إلا لذة   فى طيِّها شجنٌ من الأَشجان
صبر على نعم الحياة وبؤسها   نعم الحياة وبؤسها سيَّان
يا طاهر الغدوات والروحات والخـــــطرات ، والإسرار والإعلان
هل قام قبلك فى المدائن فاتحاً   غازٍ بغير مهند وسنان
يدعو إلى العلم الشريف وعنده   أَن العلوم دعائم العمران
لفوك فى علم البلاد منكساً   جزع الهلال على فتى الفتيان
ما احمرَّ من خجل ولا من رتبة   لكنما يبكى بدمع قانى
يرجون نعشك فى السناءِ وفى السنا   فكأَنما فى نعشك القمران
وكأَنه نعش (الحسين) بكربلا   يختال بين بكى وبين حنان
فى ذمة اللهِ الكريم وبرِّه   ما ضم من عرف ومن إحسان
ومشى جلال الموت وهو حقيقة   وجلالك المصدوق يلتقيان
شقت لمنظرك الجيوب عقائلٌ   وبكتك بالدمع الهتون غوانى
والخلق حولك خاشعون كعهدهم   إذ ينصِتون لخطبة وبيان

يتساءلون : بأَى قلب تُرتقى بعدُ المنابر ، أَم بأَى لسان
فلو أن أَوطاناً تصور هيكلا دفنوك بين جوانح الأَوطان
أَو كان يحمل فى الجوارح ميت حملوك فى الأَسماعِ والأَجفان
أَو صيغ من غرِّ الفضائل والعلى كفنٌ لبست أَحاسن الأَكفان
أَو كان للذكر الحكيم بقية لم تأْت بعد رثيت فى القرآن
يا صب مصر وياشهيد غرامها هذا ثرى مصر ، فنم بأَمان
اخلع على مصر شبابك عالياً والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصراً من شبابك ترتدى مجدا تتيه به على البلدان
فلو أَن بالهرمين من عزماته بعض المضاء تحرَّك الهرمان
علمت شبان المدائن والقرى كيف الحياة تكون فى الشبان
مصر الأَسيفة ريفها وصعيدها قبرٌ أَبر على عظامك حانى
أَقسمت أَنك فى التراب طهارة ملك يهاب سؤاله الملكان

وقال ابن هانئ الأَندلسى يرثى إبراهيم بن جعفر بن على :

وهب الدهر نفيساً فاسترد ربما جاد بخيلٌ فحسد
خاب من يرجو زماناً دائماً تعرف البأْساء منه والنكد
فلقد أَذكر من كان سها ولقد نبه من كان رقد
قل لمن شاء فقل ما شاءه إن خصمى فى حياتى لأَلد
منتض نصلا إذا شاء مضى رائشٌ سهماً إذا شاء قصد
مات من لو عاش فى سرباله غلب النور عليه فاتقد
إنما كان شهاباً ثاقباً صعق الليل له ثم خمد
لا رجاء فى خلود كلبا وارد الماء الذى كان ورد

* * *

وقال شاعر النيل أحمد شوقى راثياً :

خلقنا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات
ومن يولد يعش ويمت كأن لم يمرّ خياله بالكائناتِ
ومهد المرءِ فى أيدى الرواقى كنعش المرءِ بين النائحات
وما سلم الوليد من اشتكاة فهل يخلو المعمِّر من أذاة
هى الدنيا قتال نحن فيه مقاصد للحسام وللقناة
وكل الناس مدفوع إليه كما دفع الجبان إلى الثباتِ
نُرَوَّع ما نُرَوَّع ثم نرمى بسهم من يد المقدور آت

وقال المرحوم حافظ إبراهيم راثياً الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده :

سلام على الإسلام بعد محمد سلامٌ على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجى على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتى
فوالهفى والقبر بينى وبينه على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً كأنى حيال القبر فى عرفات
أبنت لنا التنزيل حكما وحكمة وفرّقت بين النور والظلمات
ووقفت بين الدين والعلم فى الدجى فأطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت (لهانوتو ، وريننان) وقفة أمدك فيها الرُّوح بالنفحات
وخفت مقام الله فى كل موقف فخافك أهل الشك والنزعاتِ
وأرصدت للباغى على دين أحمد شباة يراع ساحر النفثات
مشى نعشه يختال عجباً بربه ويخطر بين اللمس والقبلات
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة
وضاقت عيون الكون بالعبرات

بكى عالم الإسلام عالم عصره ... سرَاج الدياجى هادمَ الشبهات
فياوَيْح (للشورى) إذا جدَّجدها ... وطاشت بها الآراءُ مشتجرات
وياويح (للفتيا) إذا قيل مَن لها ... وياويح للخيرات والصدقات
بكينا على فردٍ ، وإن بُكاءَنا ... على أَنْفُسٍ لِلّهِ مُنْقَطَعَات
تعهدها فضل الإمام وحاطها ... بإحسانه والدهر غير مواتى

وقال جمال الدين بن نباتة ، المتوفى عام ٧٦٨ هـ ، معزياً عن مَلِك ، ومهنئاً بملك :

هَناءٌ مَحا ذاك العزاء المُقدَّما ... فما عَبس المحزون حتى تَبسَّما
ثغورُ ابتسام فى ثغور مدامع ... شبيهان لايمتاز ذو السبق منهما
تدِر مجارِى الدمع والبشر واضح ... كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى
سقى الغيث عنا تربة الملك الذى ... عهدنا سجاياه أعزُّ وأكرَما
ودامَت يد النعمى على الملك الذى ... تدانت به الدنيا وعز به الحمى
مليكان : هذا قد هَوى لضريحه ... برغمى ، وهذا للأَسرة قد سما
ودوحة فضل شاذوى تكافأَت ... فغصن ذوى منها وآخر قد نما
كأَن ديار الملك غاب إذا انقضى ... به ضيغم أَنشأَ الدهر ضيغما
فإن تك أَوقات المؤيد قد خلت ... فقد جددت علياك وقتاً وموسما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعاً ... وأَبقاك بحرا بالمواهب مفعما
إذا الغيث صلى خلف جدواك راكعاً ... ثنت عزمه للإعتراف فسلما
يراعك يوم السلم ينهل ديمة ... وسيفك يوم الحرب ينهل فى الدما
فعش للورى واسلم سعيدا مهنأً ... فحظ الورى فى أَن تعيش وتسلما
أَعدت زمان البشر والجود والثنا ... إلى أَن ملأَت العين والكف والفما

* * *

وقال المرحوم حافظ إبراهيم يرثى الدكتور يعقوب صروف ، صاحب مجلة المقتطف ، المتوفى عام ١٩٢٧ [١] :

أبكى وعين الشرق تبكى معى ... على الأديب الكاتب الألمعى
جوى عصى الدمع من أجله ... فزاد فى الجود على الطيع
نقص من الشرق ومن زهوه ... فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر فى رجالاتها ... حظ ، ولا للشام فى أروع
مصاب (صروف) مصاب النهى ... فليبكه كل فؤاد يعى
(صروف) لاتبعد فلست الذى ... يطويه طاوى ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكنه ... لم يسكت الآثار فى المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة ... فى معهد العلم وفى المصنع

الباب الثامن فى الحكم والنصائح

قال عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية :

كفى زاجرا للمرء أيام دهره ... تروح له بالواعظات وتغتدى
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم ... فعف ولا تطلب بجهد فتنكد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته ... من اليوم سؤلا أن يسرك فى غد
ولا تقعدن عن سعى ما قد ورثته ... وما اسطعت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله ... وقام جناة الشر بالشر فاقعد
وبالعدل فانطق إن نقطت ولاتكن ... لذى الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

(١) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا . ولد فى بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم بها ونبغ فى العلوم والمعارف فنال الاجازات العالية سنة ١٨٧٠ م ، ثم نزح الى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمر باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، ومات سنة ١٩٢٧ م .

ولا تأملن ود امرئ قل خيره ... ولا تك عن وصل الصديق بأحيد
إذا أنت حملت الخؤون أمانة ... فإنك قد أسندتها شر مسند
ولا تظهرن ود امرئ قبل خبره ... وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد

وقال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدى المتوفى سنة ٣٢١ هـ :

ياظبية أشبه شيء بالمها ... ترعى الخزامى بين أشجار النقا(١)
أما ترى رأسى حاكى لونه ... طرة صبح تحت أذيال الدجى(٢)
واشتعل المبيض فى مسوده ... مثل اشتعال النار فى جزل الغضى(٣)
فكان كالليل البهيم حل فى ... أرجائه ضوءُ صباحٍ فانجلى(٤)
وغاض ماء شرتى دهر رمى ... خواطر القلب بتبريح الجوى(٥)
وآض روض اللهو يبساً ذاوياً ... من بعد ما قد كان مجاج الثرى(٦)
وضرم النأىُ المشب جذوة ... ما تأتل تسفع أثناء الحشى(٧)
واتخذ التشهيد عينى مألفا ... لما جفا أجفانها طيف الكرى(٨)

(١) الظبية : الأنثى من الغزلان والمها جمع مهاة ، وهى أنثى البقر الوحشى ، الخزامى نبت معروف طيب الرائحة ، النقا اسم موضع .

(٢) اما أصلها ان ما فان شرطية وما زائدة ، وترى أصلها ترين وترى فعل الشرط وجوابه فيما بعد ، فكل الخ . حاكى أشبه طرة صبح يعنى وجه صبح وطرة كل شيء حافته وجانبه . (٣) اشتعل : فشا وانتشر ، جزل ما غلظ من الحطب ، الغضى جمع غضاة وهى نوع من الشجر يبقى جمره طويلا (٤) فكان كالليل البهيم كناية من المظلم جداً ، والبهيم هو الأسود الذى لا ضوء فيه حل نزل أرجائه جمع رجا بالقصر الطرف فانجلى فانكشف وظهر . (٥) غاض نقص أو ذهب ، الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب والتبريح البلوغ فى المشقة غايتها .

(٦) آض رجع ، يبسا يابسا ، ذاويا ذابلا ، مجاج من قولهم مج الغصن الماء اذا ألقاه ، الثرى بالقصر التراب الندى . (٧) ضرم أشعل وأوقد النأى ، البعد : المشب المفرق ، جذوة هى الجمرة العظيمة ما تأتلى ما تقصر ، تسفع تحرك وتهلك ، أثناء الحشى يعنى مارق من البطن وأراد به القلب والجوف . (٨) التسهيد والسهاد : السهر وهو عدم النوم ، مألفا صاحبه . والمألوف هو الموضع الذى تقع فيه الألفة أى الاجتماع والصحبة ، جفا هجر ، والأجفان أغطية العيون واحدها جفن ، =

فكل ما لا قيتهُ مُغتَفرٌ فى جنب ما أسأرهُ شحط النوى [١]
لو لابس الصخر الأصمَّ بعضُ ما يلقاه قلبى فضَّ أصلاد الصفا [٢]
إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمنْ أن قصاراه نفادٌ وتوى [٣]
شجيتُ لابل أجرضتنى غصة عنودُها أقتلِ لى من الشجى [٤]
إن يحم عن عينى البُكا تجلدِى فالقلب موقوف على سُبل البكا [٥]
لو كانت الأحلام ناجتنى بما ألقاها يقظان لأصمانى الردى [٦]
منزلة ما خلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حجا [٧]
ما خلت أن الدهر يثنينى على ضراء لايرضى بها ضب الكدى [٨]
شيم سحاب خلب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى
أرمق العيش على برض فإن رمت ارتشافا رمت صعب المنتسى [٩]
أراجع لى الدهر حولا كاملا إلى الذى عود أن لا يرتجى
يا دهر إن لم تك عتبى فاتئد فإن إروادك والعتبى سوى [١٠]

= الطيف ما يراه الانسان من خيال المحبوب . الكرى النوم .

(١) مغتفر : متجاوز عنه ، أسأره أبقاه شحط أبعد ، النوى البعاد .

(٢) لابس خالط ، الأصم الصلب فض كسر ، وأصل الانفضاض المتفرق وأصلاد جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة . (٣) ذوى جف وذبل ، الرطيب الناعم لرطب قصاراه آخر أمره وغايته ، نفاد فناء وذهاب ، وتوى بالتاء الهلاك . (٤) شجيت : حزنت أو غصصت ، والغص الاختناق باللقمة يقال شجيب بالعظم أى اختنقت به وأجرضتنى خنقتنى وغصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق وعنودها معارضها . (٥) ان حرف شرط يحم فعل الشرط بمعنى يمنع وتجلدى تصبرى فالقلب الشرط وسبل الطرق واحدها سبيل . (٦) الأحلام : جمع حلم وهو ما يراه الانسان فى منامه وناجتنى أخبرتنى ، لأصمانى لقتلنى مكانى بلا تأخير ، الردى الهلاك . (٧) المنزلة : الدرجة ، ما خلتها : ما حسبتها ، الحجا : العقل . (٨) يثنينى يعطفنى : ضراء : الصخر الصماء ، الكدى بالضم جمع كدية وهو ما ارتفع من الصخور . (٩) أرمق العيش أعطانى منه بقدر ما يسد رمقى ، برض العطاء القليل . (١٠) العتبى : الرضى ، فاتئد : ارفق ، والارواد الرفق .

رفهْ على ، طالما أنصبتنى وأستبق بعض ماء غصن ملتحى (١)
لاتحسبن يا دهر أنى ضارعٌ لنكبة تعرقنى عرق المدَى (٢)
مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا (٣)
لكنها نفثة مصدور إذا جاش لعامٌ من نواحيها غما (٤)
رضيت قسرا وعلى القسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضا (٥)
إن الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياه للبلى (٦)
ما كنت أدرى والزّمان مولع بشت ملموم وتنكيث قوى (٧)
أن القضاء قاذفى فى هرة لا تستبل نفس من فيها هوى (٨)
فإن عثرت بعدها إن وألت نفسى من هاتا فقولا لا لعا (٩)
وإن تكن مدّتها موصولة بالحتف سلت الأسى على الأسى (١٠)
إنّ امرؤ القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمامه دون المدى (١١)

(١) رفه وسع : أنصبتنى أتعبتنى ، استبق أبق ، ملتحى الذاهب لحاه أى قشره الظاهر . (٢) ضارع دليل خاشع ، النكبة : المصيبة والشدة ، تعرقنى تزيل لحمى عن عظمى ، المدى بالضم جمع مدية وهى السكين .

(٣) مارست بتاء الخطاء عالجت هوت سقطت ، الأفلاك جمع فلك وهى التى تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم ، جوانب الأعراف ، والجو الفضاء الذى بين السماء والأرض . (٤) لكنها الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التى قالها ، النفثة ما يلقيه الرجل من فيه اذا بصق ، المصدور الذى يشتكى صدره ، جاش علا وارتفع . (٥) القسر القهر ، السخط الغضب . (٦) الجديدين الليل والنهار استوليا غلبا وملكا وأدنياه قرباه . (٧) ما كنت أعلم وجاء بالمعمول فى البيت الذى بعده .

(٨) قاذفى رام بى والهوة الحفرة التى يتسع أسفلها ويضيق أعلاها ، لا تستبل ، أى ولا تبرأ ولا تفيق هوى سقط . (٩) عثرت زللت ، وقوله لالعا أى نجا وهو دعاء للعاثر بعدم السلامة . (١٠) ضمير مدتها عائد على النكبة ، الحتف والموت ، الأسى بضم الهمزة جمع أسـوة وهى التعزية . (١١) امرؤ القيس معلوم أنه كان هو طريد أبيه لعدم قوله الشعر وخلاصة قصته أن بنى أسد قتلت أباه وكان ملكا عليهم فبعد عناء توجه الى قيصر ملك الروم واستنجده على قتلة أبيه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فحضر أحد أعدائه من بنى أسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره =

وخامرت نفس أبي الجبر الجوى ... حتى حواه الحتف فيمن قد حوى(١)
وابن الأشج القيل ساقته نفسه ... إلى الردى حذار إشمات العدى(٢)
واخترم الوضاح من دون التى ... أملها سيف الحمام المنتضى(٣)
فقد سما قبلى يزيد طالباً ... شأو العلا فما وهى ولا ونى(٤)
فاعترضت دون الذى رام وقد ... جد به الجد اللهيم الأربى(٥)
هل أنا بدع من عرانين علا ... جار عليهم صرف دهر واعتوى(٦)
فإن أنالتنى المقادير الذى ... أكيده لم آل فى رأب الثأى(٧)
وقد سما عمرو إلى أوتاره ... فاحتط منها كل عالى المستمى(٨)

= ذلك وكره أن يقتله أو يخذاله بعد ما وعده فأرسل معه عسكرا ثم أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات ، المدى الغاية ، فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه ، وحمامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالجت ، أبو الجبر من ملوك كندة خلاصة قصته أنه تألبت قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشا من أساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمرض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذى نشأ من السم . (٢) ابن الأشج هو عبد الرحمن بن الأشعث ، خلاصة قصته أنه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج ثم هرب الى « ريتقل » ملك الترك فبذل الحجاج الى ريتقل مالا فسلمه الى أعوان الحجاج وكان فى الطريق مقيداً معه رجل من بنى تميم على سطح برج فرمى بنفسه من أعلى البرج فمات هو والتميمى وحمل رأسه الى الحجاج . (٣) اخترم أى أهلك اقتطع . (٤) سما علا : ويزيد هو ابن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بنى أمية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فدست بنو أمية رجلا من بنى كلب فقتله واستتب الأمر لهم ، والشأو الغاية ، العلا الشرف ، فما وهى ضعف ولا ونى ولا فتر . (٥) فاعترضت عارضت رام طلب ، جد بالفتح أسراع الجد وبالكسر العزم : اللهيم بالتصغير والأربى اسمان من أسماء الداهية وهما فاعل اعترضت . (٦) بدع الذى يكون أول مخترع من كل أمر ، عرانين الأشراف واحدها عرنين وهو الأنف . (٧) أنالتنى أعطتنى ، والمقادير جمع مقدار ، وهو القدر ، أكيده أطلبه واحتال عليه ، لم آل لم أقصر ، رأب أصلح ، الثأى الفاسد . (٨) سما علا وأوتار جمع وتر وهو طلب الدم ، فاحتط فأنزل المستمى المكان العالى المرتفع .

فاستنزل الزَّباءَ قسرا وهى من عقاب لوح الجو أَعلى منتمى (١)
وسيف استعلت به همته حتّى رمى أَبعد شأْو المرتمى (٢)
فجرع الأَحبوش سما ناقعاً واحتل من غمدان محراب الدُّمى
ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أُوارات تميما بالصلا (٣)
ما اعتن لى يأْس يناجى هِمتى إلا تحدَّاه رجاء فاكتمى (٤)
أَلية باليعملات يرتمى بها النَّجاءُ بين أَجواز الفلا (٥)
خوص كأَشباح الحنايا ضمر يرعفن بالأَمشاج من جذب البرى (٦)

(١) الزباء : اسم امرأة ، عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان ولوح الهواء الذى بين السماء والأرض منتمى موضع مرتفـع اليـه وخلاصة قصة الزباء وعمرا أن الزباء لما قتلت جذيمة الأبرش قعد عمرو بن أخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصى فطلب قصير أن يجدع له عمرو أنفه وأذنيه دهاء منه لأخذ ثأر خال عمرو فرحل قصير الى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح فى جوالق على ظهـور الجمـال فهربت الزباء الى نفق لها لتهرب منه فرأت عمـرا على باب النفق فمصت خاتما مسموما كان بيدها وقالت : « بيدى لا بيد عمرو » وماتت مكانها فاستولى على ملكها . (٢) سيف يعنى سيف بن ذى يزن ملك اليمن ، استعلت علت ، والشأو الغاية ، المرتمى موضع وهو الذى يقال له الغرض والهدف والقرطاس ، فجرع فسقى ، الجرع القليـل من الماء والأحبوش ملك الحبش ، وناقعا بالغا ، واحتل نزل بالمكان غمدان موضع بصنعاء اليمن ومحراب ههنا بصنعاء . (٣) ابن هند هو عمرو عم النعمان ابن المنذر وكان له أخ مسترضع من بنى تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور أن يقتل من بنى تميم مائة فأجج نارا والقى فيها واحدا منهم الى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة اذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى فى النار تماما للمائة، وباشرت خالطت يوم أوارات يوم معروف من أيام العرب أورات اسم موضع ، تميما قبيلة ، الصلا بالفتح وهج النار . (٤) ما اعتن ما اعتـرض تحـداه اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتغطى . (٥) الية قسما باليعملات جمع يعملة هى الناقة الصلبة الشديدة ، النجاء السرعة ، أجواز جمع جوز وجوز كل شىء وسطه والفلا جمع فلاة وهى الصحراء . (٦) خوص الابل الغائر العيون من الهزال ، والأشباح الأشخاص جمع شبح ، والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمر جمع ضامر وهو المهـزول ، ويرعفن =

يرسبن فى بحر الدجى وبالضحى | يطفون فى الآل إذا الآلُ طفا (١)
أَخفافهن من حفا ومن وجى | مرثومةٌ تخضب مبيضَّ الحصا (٢)
يحلن كل شاحب محقوقف | من طول تدآب الغدو والسرى (٣)
بارٌّ برى طول الطوى جثمانه | فهو كقدح النبغ محنى القرا (٤)
ينوى التى فضلها رب العلى | لما دحا تربتها على البنى (٥)
حتى إذ قابلها استعبر لا | يملك دمع العين من حيث جرى (٦)
ثمت طاف وانثنى مستلماً | ثمت جاءَ المروتين فسعى (٧)
وأَوجب الحجَّ وثنى عمرة | من بعد ما عج ولبى ودعا (٨)
ثمت راح فى الملبين إلى | حيث تحجى المأْزمان ومنى (٩)

= يسلن مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف والأمشاج الأخلاط جمع مشج وهو ما يسيل من الأنوف ، ومن جذب من سوق والبرى جمع برة وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير .

(١) يرسبن يغبن والرسوب والخوض فى الماء المغيب فيه ، والدجى جمع دجية وهى الظلمة ويطفون يعلون ، والآل سحاب كالماء يرى عندما ترتفع الشمس . (٢) أخفافهن جمع خف للابل بمنزلة الحوافر للخيل وحفا مقصور : وهو رقة أخفاف الابل من كثرة المشى ، ووحى فى الرجل يصيبها من الحفا ومرثومة مشقوقة من الحجارة ، وتخضب تصبغ .

(٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره ، ومحقوقف معرج وتدآب مداومة والسرى سير الليل . (٤) بار مطيع والجمع أبرار . تعبير الشاحب وبرى من برى القلم وهو اضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجثمانه جسمه وقدح عود صلب تعمل منه السهام والنبغ شجر يعمل منه القسى واحدها نبغة ومحنى معوج ، والقرا الظهر . (٥) ينوى يقصد والتى فضلها رب العلى يعنى مكة ، ودحا بسط والبنى جمع بنية وهو الشىء المبنى . (٦) استعبر يبكى وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة .

(٧) ثمت هى ثم زيدت عليها تاء التأنيث وانثنى انعطف ، ومستلما لمس الحجر الأسود بيده أو بفمه والمروتين المراد بهما الصفا والمروة فسعى فمشى . (٨) أوجب الحج ألزمه نفسه وثنى عمرة الزم نفسه مع الحج عمرة ، عج رفع صوته بالدعاء والتلبية . (٩) راح خرج بالروح وهو الخروج بالعشى والملبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية ، تحجى أقام .

ثم أتى التعريف يَقرو مخبتاً ... مواقفاً بين أُلال فالنقا (١)
واستأْنف السبعَ وسبعاً بعدها ... والسعى ما بين العقاب والصوى (٢)
وراح للتوديع فيمن راح قد ... أَحرزَ أَجراً وقلى هُجرَ اللغا (٣)
بذاك أَم بالخيل تعدو المرطى ... ناشزة أَكتادُهَا قبَّ الكلى (٤)
شعثا تعادى كسراحين الغضا ... ميل الحماليق يبارين الشبا (٥)
يحملنَ كل شمرى باسل ... شهم الجنان خائض غمر الوغى (٦)
يغشى صلا الحرْبِ بحديه إذا ... كان لظى الحرب كريه المصطلى (٧)
لو مثل الحتف له قرْناً لما ... صدته عنه هيبة ولا انثنى (٨)
ولو حمى المقدار عنه مهجة ... لرَامها أَوْ يستبيحُ ما حمى (٩)
تغدو المنايا طائعات أَمْره ... ترضى الذى يرضى وتأْبى ما أَبى (١٠)

---

(١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ويقرو : يتتبع المواضع مخبتا متواضعا لله تعالى ، ألال موضع بعرفات ، النقا الرمل . (٢) استأنف ابتدأ السبع رمى الجمار السبع وسبعا أراد الثانية التى تلى الأولى ، والسعى المشى والعقاب جمع عقبة .

(٣) وراح للتوديع ، لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحاج بأن يطوف به سبعا ويسعى بين الصفا والمروة ، أحرز أجرا ملكه وأصابه ، وقلى أبغض ، وهجر بضم الهاء القبيح من الكلام ، واللغا الباطل من الكلام .

(٤) أقسم بذاك أم بالخيل ، تعدو تجرى ، المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه ، وناشزة مرتفعة ومنه قولهم فعدت على نشز من الأرض أى مرتفع ، وأكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف وقب ضامرة . (٥) شعثا مغبرين يعنى مقربين من الله تعالى ، تعادى أصله تتعادى تسابق ، سراحين ذئاب الواحد سرحان الغضا شجر غليظ يدوم جمره ، ميل الحماليق مائلة العيون : يبارين ـ يعارض ، الشبا جمع شباة : وشباة كل شىء وحده . (٦) يحملن أى الخيل شمرى مأخوذ من التشمير ، باسل شجاع ، شهم الجنان حديد القلب ، خائض داخل غمر الماء الكثير ، والحرب . (٧) يغشى يدخل ، صلا حر النار كلظى . (٨) مثل صور ، الحتف الهلاك ، وقرنك الذى يقارنك فى بطش أو قتال أو علم . (٩) حمى منع ، المقدار القدر ، المهجة النفس ، ارامها لطلبها وأو بمعنى حتى ، ويستبيح . يدرك ذلك الشىء نافذا أمره فيه وهو منصوب بأن مضمرة بعد أو . (١٠) تغدو تأتى بالغدوة وورد تعدو أى تسرع .

بل قسماً بالشمِّ من يعرب هل ... لمقسم من بعد هذا منتهى (١)
هم الألى أَجْروا ينابيع الندى ... هامية لمن عرا أَو اعتفى (٢)
هم الذين دوخوا من انتخى ... وقوَّمُوا من صعر ومن صغا (٣)
هم الذين جرعوا فما حَلوا ... أَفاوق الضيم ممراة الحسا (٤)
أَزال حشو نثرة مَوْضونة ... حتى أَوَارى بين أَثناء الحشى (٥)
وصاحبى صارم فى منه ... مثل مدب النمل يعلو فى الربى (٦)
أَبيض كالملح إذا انتضيته ... لم يلق شيئاً حده إلا فرى (٧)
كأَن بين عيره وغربه ... مفتـأَداً تـأَكلت فيه الجُذَى (٨)
يرى المنون حين تقفو إثرَه ... فى ظلم الأَكباد سبلا لا ترَى (٩)
ومشرف الأَقطار خاط نخضه ... حابى القصير جرشع عرد النسى (١٠)

(١) قسما يمينا ، بالشم الطوال أو أشرف الناس ، يعرب قبيلة من العرب تنسب الى يعرب بن يشجب بن قحطان ، لمقسم لحالف منتهى الغاية.

(٢) ينابيع جمع ينبوع الندى الجود والكرم وهامية سائلة ، عرا قصد وتعرض للطلب ، أو أعتفى أو طلب من غير تعرض .

(٣) دوخوا أذلوا ، انتخى تكبر ، صعر تكبر أيضا وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الانسان خده من التكبير والصغا الميل .

(٤) جرعوا سقوا ما حلوا خاصموا ، أفاوق هو شرب مقطع بنفس بعد نفس : الضيم الذل ممراة مدراة الحسا جمع حسوة وهو أخذك الشيء بفمك متجرعا له قليلا . (٥) أزال جواب القسم محذوف منه لا حشو ما أدخل فى جوفه فكأنه صار حشوا اذا لبسها ، نثرة درع واسع موضونة محكمة النسج ، أوارى أغطى وأثناء جمع ثنا وهو ما تثنى منها أى تراكب على بعض ، الحثى جمع حثوة وهو الشوب المجتمع . (٦) صاحبى يعنى سيفه وفرسه ، مدب النمل ودبيبه مشيه . (٧) أنضيته جردته من غمده ، وفرى قطع . (٨) العير هنا الموضع الناتىء فى وسط السيف ، الغرب الحد يعنى حد السيف مفتأ موضع النار أكل بعضها بعضا والجذى جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة . (٩) المنون المنية وتقفو تتبع ، سبلا طرقا . (١٠) مشرف مرتفع عال ، والأقطار النواحى ، خاط غليظ ، والنخض اللحم ، مرتفع ، القصير ضلع فى الجنب وهى الضلع السفلى جرشع غليظ الأضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود فى الخيل وعرد الشديد من كل شيء ، النسى عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهى الى الرسغ .

قريب ما بين القطاةِ والمطا   بعيدُ ما بين القذَال والصَّلا (١)
سامى التليل فى دَسِيع مفْعم   رحب اللبان فى أَمِينات العجى (٢)
رُكبن فى حواشبِ مكتنة   إلى نسور مثل ملفوظ النَّوَى (٣)
يرضح بالبيد الحصى فإن رقى   إلى الربى أَوْرَى بها نار الحبا (٤)
يُديرُ إغليطين فى ململومة   إلى لموحين بأَلحاظ اللأَى (٥)
مداخل الحلق رحيبٌ شجره   مخلوْلق الصهوة ممسودٌ وأَى (٦)
يجرى فتكبو الريح فى غاياته   حَسرى تلوذ بجراثيم السحا (٧)
لو اعتسفت الأَرض فوق متنه   يجوبُها ما خفت أن يشكو الوحى (٨)
تظنه وهو يُرَى محتجباً   عن العيون إن دأَى أو إن ردَى (٩)
إذا اجتهدتَ نظراً فى إثْرِهِ   قلت سناً أَوْمَض أَو برقٌ خفا (١٠)

---

(١) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله : سمى بذلك لأنه يمطى أى يركب والقذال من راس الفرس معقد عذاره أى حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الأذنين والعذار هو اللجام ، الصلا العجز وهو آخر الوركين .

(٢) سامى هو العالى المرتفع والتليل هو العنق ودسيع مغرز العنق ودسيع فى الظهر ومفعم ممتلىء ، والرحب : الواسع ، واللبان والصدر وأمينات القوت الصحاح السالمات الصلاب والعجى جمع عجاية ، وهى عصب مركب به شىء كفص الخاتم . (٣) ركبن يعنى العجى ، حواشب جمع حوشب ، وهو عظم فى باطن الحافر مكتنة مستورة أو مكتنزة .

(٤) يرجع يكسر ، البيد جمع بيداء وهى القفار ، رقى : أرتفع الربى جمع ربوة وأورى أوقد بها الحبا دابة تضىء بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر . (٥) الاغليط وعاء ثمر المرخ شبه أذنى الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلا الرطب يشبه آذن الخيل ، وململومة هى الهامة المجتمعة . (٦) مداخل الحلق ، رحيب واسع ، شجر هو مجتمع .

(٧) فتكبو فتعثر ، غايات جمع غاية وهى منتهى جـريه ، حسرى مكفة ، تلوذ تلجأ ، جراثيم جمع جرثومة وهى التراب الذى يجتمع فى أصول الشجر ، والسحا ضرب من الشجر . (٨) اعتسفت الأرض قطعتها باعتساف منك أى على غير هدى ، متنه ظهره يجوبها يقطعها ويخرقها الوحى أن يبلغ الوجع الى باطن الرسغ . (٩) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى رديا اذا جرى جريا سريعا .
(١٠) سنا الضوء وأومض أضاء أى لمع .

كأنما الجوزاءُ فى أرساغه والنجم فى جبهته إذا بدا (١)
هما عِتادى الكافيان فقد من أعددته فليناً عنى من نأى (٢)
فإن سمعت برَحى منصوبة للحرب فاعلم أننى قطب الرحى (٣)
وإن رأيت نار حرب تلتظى فاعلم بأنى مُسْعرٌ ذاك اللظى (٤)
خير النفوس السائلات جهرة على ظباتِ المرهفات والقنا (٥)
إن العراق لم أفارق أهله عن شنآن صَدَّنى ولا قلى (٦)
ولا أَطْبَى عينى مذ فارقتهم شىءٌ يروق العين من هذا الورى (٧)
هم الشناخيب المنيفات الذرا والناس أَدحالٌ سواهم وهوى (٨)
هم البحور زاخرُ آذيُّها والناس ضحضاح ثعاب وأضى (٩)
إن كنت أَبصرت لهم من بعدهم مثلا فأَغضيت على وخز السفا (١٠)
حاشا الأَميرين اللذين أوفدا علىَّ ظلا من نعيم قد ضفا (١١)
هما اللذان أَثبتا لى أملا قدْ وقف اليأْس به على شفا (١٢)

---

(١) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان ، وأرساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة ، والنجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيله ، وبدا ظهر . (٢) العتاد ما يتخذ عدة للدهر ، فلينأ فليبعد من نأى اذا بعد . (٣) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها اذا تعاركوا ، قطب : الحديدة أو الخشبة التى تدور عليها . (٤) تلتظى تشتعل ومسعر موقد اللظى اللهب .

(٥) جهرة عيانا ، وظباة جمع ظبة كثبة : حد السيف والمرهفات السيوف الرقاق . (٦) العراق قطر معروف على شاطىء دجلة والفرات وشنآن بغض وصدنى منعنى وصرفنى والقلى البغض .

(٧) أطبى استمال ، ويروق يعجب . (٨) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شنخوب والمنيفات المرتفعات الطوال وهى الشواهق والذرا جمع ذروة وهى أعالى الجبال ، وأدحال جمع دحل وهى الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيق أعلاه وهوى جمع هوة بمعنى الدحل .

(٩) زاخر : الماء الكثير الفائض الآذى الموج وضحضاح الماء القليل .

(١٠) أغيضت صبرت على المكروه وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة . (١١) أوفدا : أرسلا ، وضفا كثره ، من قولهم : ضفا ذيل الفرس اذا كثر وطال . (١٢) شفا الشىء طرفه وحرفه .

تلافيا العيش الذى رنقه صرف الزمان فاستساغ وصفا(١)
وأجريا ماء الحياة لى غداً فاهتز غصنى بعد ما كان ذوى(٢)
هما اللذان سموا بناظرى من بعد إغضائى على لذع القذى(٣)
هما اللذان عمرا لى جانباً من الرجاء كان قدماً قد عفا(٤)
وقلدانى منه ما لو قرنت بشكر أهل الأرض عنى ما وفى(٥)
بالعشر من معشارها وكان كالـــــحسوة فى آذىٍّ بحر قد طمى(٦)
إن ابن ميكال الأمير انتاشنى من بعد قد كنت كالشىء اللقا(٧)
ومد صبعى أبو العباس من بعد القباض الذرع والباع الوزى(٨)
ذاك الذى ما زال يسمو للعلا بفعله حتى علا فوق العلا(٩)
لو كان يرْقى أحد بجوده ومجده إلى السماء لارتقى(١٠)
ما إن أتى نداء معتف على أوارى علم إلا ارتوى(١١)
نفسى الفداء لأميرى ومن تحت السماء لأميرى الفدا
لا زال شكرى لهما مواصلا لفظى أو يعتافنى صرف المنى(١٢)

---

(١) تلافيا تداركا ، رنقه كدره المرنق الماء الكدر ، صرف الزمان تقلبه من حال الى حال واستساغ سلس فى الحلق وطاب. (٢) الحيا مقصور الغيث والخصب ورغدا السعة فى العيش فاهتز غصنى وطال وأصل الهز التحريك ذوى ذبل . (٣) سموا بناظرى رفعا ناظرى والباء للتعدية ، اغضائى تغافلى ، لذع حرق ، القذى ما يقع فى العين .

(٤) قدما قديما عفا درس . (٥) وقلدانى منة : أى جعلاها فى عنقى وهو موضع القلادة ، منة . نعمة وجمعهـــا منن ، وقرنت قيست : ما وفى ما قام ولا عدل شكرهم . (٦) الحسوة الجرعة مما يشرب : الآذى الموج وطمى امتلأ وارتع . (٧) ابن ميكال هو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسى من أمراء فارس وانتاشنى واللقا الشىء المطروح .

(٨) صبعى عضدى : وأبو العباس هو اسماعيل بن عبد الله المتقدم فمدح الأب والابن والذراع واحد والباع قدر مد اليـــدين ويطلـــق على الشرف والكرم . والوزى القصير . (٩) يسمو يرتفع .

(١٠) يرقى يرتفع . (١١) الندى الكرم . معتف طالب للرفد أوارى حرارة الشمس والنار : وعلم جبل صغير : ارتوى اكتفى من المـــاء وغيره . (١٢) أو يعتافنى : أو يصرفنى : وأو بمعنى حتى والصرف التقلب .

إن الألى فارقت من غير قلى ... ما زاغ قلبي عنهم وما هفا(١)
لكن لى عزما إذا امتطيته ... لمبهم الخطب فآهُ فانفأَى(٢)
ولو أشاء ضم قطريه الصبا ... علىَّ فى ظل نعيم وغنى(٣)
ولاعبتنى غادةٌ وهنانةٌ ... تضنى وفى ترشافها برءُ الضنى(٤)
تفرى بسيف لحظها إن نظرت ... ندرة غضبى منك اثناء الحشا(٥)
فى خدها روضٌ من الورد على النسـ ... ـرين بالألحاظ منها يجتنى(٦)
لو ناجت الأعصم لانحط لها ... طوع القياد فى شماريخ الذرا(٧)
أو صابت القانت فى مخلولق ... مستصعب المسلك وعر المرتقى(٨)
ألهاه عن تسبيحهِ ودينه ... تأنيسها حتى تراه قد صَبا(٩)
كأنما الصهباءُ مقطوب بها ... ماء جنى ورد إذا الليلُ عسا(١٠)
يمتاحهُ راشفُ برد ريقها ... بين بياض الظلم منها واللمى(١١)
سقى العقيق فالحزيز فالملا ... إلى النحيت فالقريات الذنا(١٢)

(١) من غير قلى من غير بغض ، ما زاغ ما مال ، ولاهفا ولا زال .
(٢) عزما عقدا على فعل أمر ، المبهم من الأمور المغلق ، فآه شقه .
(٣) ضم قطريه : جمع ناحيته . (٤) لاعبتنى من اللعب ومعناه مازحتنى غادة الفتاة الناعمة وهنانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة الحديث وتضنى تسقم والضنى الهزال من المرض والترشاف المص فى الثغر أو فوقه ، برء الضنى ذهاب السقم أى هى تضنى وفى تقبيلها البرء من السقم . (٥) تفرى تقطع ، اللحظ النظر ، غضبى مغاضبة . أثناء الحشى ما انثنى منها أى ما انعطف والحشا الكبد وما اتصل بها .
(٦) النسرين النور الأبيض والألحاظ النظرات جمع لحظة ، يجتنى يقتطف . (٧) ناجت كلمت ، الأعصم الوعل الذى باحدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسائر يديه أسود أو أحمر ، لا نحط لنزل ، القياد التذلل . (٨) صابت صادفت والقانت القائم بالعبادة ومخلولق الجبل الأملس ومستصعب صعب والوعر الصعب والمرتقى المصعد .
(٩) ألهاه شغله ، تأنيسها أنسها وحديثها ، صبا مال ولها .
(١٠) الصهباء الخمرة ومقطب ممزوج ، ماء جنى ورد أو ما أخذ من الورد طريا ، عسا الليل أظلم . (١١) يمتاحه يستقيه . وراشف المتناول الشراب بشفتيه اللمى سمرة الشفتين . (١٢) العقيق والحزيز والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها ،

فالمِرْبد الأعلى الذى تلقى به ... مصارع الأسد بألحاظ المها(١)
محلّ كلِّ مُقْرم سمت به ... مآثرُ الآباء فى فرع العُلا(٢)
من الأُلى جوهرهم إذا اعتزوا ... من جوهر النبىّ المصطفى(٣)
صلى عليه الله ما جنّ الدُّجى ... وما جرت فى فلك شمسُ الضحى(٤)
جوْنٌ أغارته الجنوبُ جانباً ... منها وواصت صَوْبَهُ يدُ الصبا(٥)
نـأى يمانيًّا فلما انتشرت ... أحضانه وامتد كسراهُ غطا(٦)
فجلل الأُفق فكل جانب ... منها كأن من قطره المزن حبا(٧)
وطبق الأرض فكل بُقعة ... منها تقول الغيث فى هاتا ثوى(٨)
إذا خبت بُروقه عنت لها ... ريح الصبا تُشب منها ماخبا(٩)
وإن ونت رعوده حدا بها ... راعى الجنوب فحدت كما حدا(١٠)

(١) المربد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء . مصارع الأسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بالحاظ المها أى قتلتهم الحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى البقر الوحشى الواحدة مهاة والحاظ نظرات (٢) مقرم السيد الكريم وأصله فحل الابل ومآثره جمع مأثرة الصنيعة الحسنة وفرع كل شىء أعلاه

(٣) من الألى من الذين وجوهرهم أصلهم واذا اعتزوا اذا انتسبوا والمصطفى المختار محمد صلى الله عليه وسلم (٤) جن الدجى أظلم وستر . والدجى الظلمة . (٥) جون فاعل سقى المتقدمة وهى السحاب الأسود وتأتى للابيض ضده وأغارت أنزلت والجنوب الريح القبلية تجىء بالمطر وواصت واصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٦) نأى يمانيا أى طلع من ناحية اليمن وأصل الحضن ما دون الابط الى الكشح وكسراه تثنية كسر وهو طلب الحبا وانما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها وغطا ارتفع أو انبسط (٧) فجلل فغطى والأفق الناحية وجمعها آفاق ومن قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحبا امتلأ ودنا يريد السحاب

(٨) طبق الأرض ، فكل بقعة فكل مكان وفى هاتا أى هنا وثوى أقام

(٩) خبت بروقه أى خمدت وسكنت وعنت عرضت وتشب توقد

(١٠) وان ونت ضعفت وفترت ، وحدا بها ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذى يسوق الابل بالغناء .

كأن فى أَحضانهِ وبركِه ... بركا تداعى بين سجر ووحى (١)

لم ير كالمزن سواماً بُهلا ... نحسبها مرعية وهى سدى (٢)

تقول للأَحراز لما استوسقت ... بسوقه ثقى بري وحيا (٣)

فأَوسع الأَحداب سيباً محسباً ... وطبق البطنان بالماءِ والروِّى (٤)

كأَنما البيداءُ غب صوبه ... بحر طما تياره ثم سجا (٥)

ذاك الجدا لا زال مخصوصاً به ... قوم هم للأَرض غيث وجدا (٦)

لست إذا ما بهظتنى غمرة ... ممن يقول (بلغ السيل الزبى) (٧)

إن ثوت تحت ضلوعى زفرة ... تملأُ ما بين الرجا إلى الرجا (٨)

نهنهتها مكظومة حتى يرى ... مخضوضعاً منها الذى طغا (٩)

ولا أقول إن عرتنى نكبة ... فوق القنوط (انقد فى البطن السلا) (١٠)

(١) كأن فى أحضانه فى نواحى هذا الأفق فالضمير عائد على الأفق أو على السحاب وهو أحسن ، والبرك الأول الصدر والثانى الابل (٢) المزن السحاب وسواما بلا راعية وبهلا هى التى لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من ألبانها لفصائلها . وسدى المهملة التى لاراعى لها (٣) الأحراز جمع حرز وهى الأرض الصلبة التى لم يصبها المطر واستوثقت حملت ما يكفيها من الماء وثقى برى أى يشبع من الماء وحيا خصب (٤) الأحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ وسيبا غطاء محسبا كافيا وطبق غطى والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض والروى الماء الكثير . (٥) البيداء القفر وغب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظروف والصوب نزول المطر . (٦) الجدا الأول النائل والعطاء والذى فى آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء بالمد وهو الغناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل أن يكون أراد به المعنى الأول (٧) بهظتنى شقت على وغمرة هى الكربة والشدة واحدة الغمرات والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد فى المكان العالى من الأرض وليس يبلغها الا سيل عظيم وهو مثل تضربه العرب اذا اشتد بأحدهم الأمر (٨) ثوت أقامت زفرت هى ترجيع الصوت بالبكاء والرجا الجانب (٩) نهنهتها كففتها وزجرتها مكظومة متجزعة ومخضوضعا متذللا وطفا كثر أو تكبر (١٠) عرتنى أصابتنى ، نكبة مصيبة القنوط اليأس انقد انقطع والسلا بفتح السين التى تتعلق بالولد وتسقط معه .

قد مارست منى الخطوب مارساً يُساور الهول إذا الهول علا(١)
لى التواء إن معادى التوى ولى استواء إن موالى استوى(٢)
طعمى شرى للعدو تارة والراح والأَرى لمن وُدى ابتغى(٣)
لدن إذ لوينت سهل معطفى أَلوى إذا خُوشنت مرهوب الشدا(٤)
وصون عرض المرءِ أَن يبذل ما ضن به مما حواه وانتضى(٥)
والحد خير ما اتخذت عُدَّة وأَنفس الأَذخار من بعد التقى(٦)
وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بَدَا(٧)
والناس كالنبت فمنهم رائق غض نضير عوده مر الجنى(٨)
ومنه ما تقتحم العين فإن ذقت جناه انساغ عذباً فى الجنى(٩)
يقوِّم الشارخ من زيغانه فيستوى ما انعاج منه وانحنى(١٠)
والشيخ إن قومته من زيغه لم يقم التثقيف منه ما التوى(١١)
كذلك الغصن يسير عطفه لدناً شديد غمزه إذا عسا(١٢)
من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعز عنهم جانباه واحتمى(١٣)

---

(١) مارست عاركت وضاربت ، الخطوب الأمور مارسا شديدا ، يساور الهول ويطاوله والحول الشدة ، علا ارتفع (٢) التواء انعواج ، معادى العدو ، الموالى الصديق الذى يوالى ، استوى اعتدل . (٣) شرى حنظل والأرى العسل الأبيض ابتغى طلب (٤) لدن لين ، لوينت أخذت باللين .

(٥) انتضى اختار . (٦) عدة عمدة والأذخار جمع ذخر وهو المخبوء

(٧) وكل قرن أى وكل أمة وناجم مرتفع . (٨) رائع معجب والغض الطرى الأخضر الناعم وكذلك النضير . (٩) تقتحم العين تتركه كرها له وتعدوه الى غيره وجناه ، اجتنى منه وانساغ سهل بلعه وعذبا حلوا واللها جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة بأعلى الحنك . (١٠) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله (١١) من زيغه من ميله . لم يقم أى يقوم ، التثقيف التقويم ، ما التوى ما انعوج . (١٢) لدنا لينا والغمز التقويم عسا صلب . (١٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ، وعز عنهم والعزة والشدة احتمى امتنع .

عبيد ذى المال وإن لم يطمعوا ... من غمره فى جرعة تشفى الصدى(١)
وهم لمن أملق أعْداءٌ وإن ... شاركهم فيما أفاد وحوى(٢)
عاجَمتُ أيامى وما الغرّ كمن ... تـأزر الدّهر عليه واعتدى(٣)
لا يرفع اللب بلا جد ولا ... يحطك الجهل إذا الجد علا(٤)
منْ لم يعظه الدهْر لم يَنفعه ما ... راح به الواعظ يوماً أو غدا(٥)
من لم تفدْهُ عبراً أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى(٦)
من قاس ما لم يره بما يرى ... أراه ما يدنو إليه ما نأى(٧)
من ملك الحرص القياد لم يزل ... يكرع من مَاءٍ من الذل صرى(٨)
من عارض الأطماع باليأْس رنت ... إليه عين العز من حيث رنا(٩)
من عطف النفس على مكروهها ... كان الغنى قرينه حيث انتوى (١٠)
من لم يقف عند انتهاء قدره ... تقاصرت عنه فسيحات الخُطا (١١)
من ضيع الحزم جنى لنفسه ... ندامة ألذع من سَفع الذكا(١٢)
من ناط بالعجب عرى أخلاقه ... نيطت عرى المقت إلى هاتيك العرَى (١٣)
من طال فوق منتهى بسطته ... أعْجزه نيل الدنى بله القصا(١٤)

(١) الغمر الماء الكثير الجرعة القليل من الماء تشفى تبرىء ، والصدى العطش (٢) أملق افتقر (٣) عاجمت أيامى أى امتحنتها واختبرتها الغر الذى لم يجرب الأمور وتأزر من الازار . (٤) لا يرفع اللب من الرفعة أى لا تعلو منزلته واللب العقل وجمعه ألباب . والجد بالفتح الحظ والبخت.

(٥) راح أتى بالعشى . غدا أتى بالغدو (٦) من لم تفده أى تكسبه عبرا جمع عبرة وهى التذكرة (٧) من قاس من مثل وأراه مايدنو أى ما يقرب . ما نأى ما بعد (٨) القيادة الطاعة يكرع أى يشرب بفيه بدون آلة ، وصرى الماء الدائم الذى قد طال مكثه جمع صراة (٩) الأطماع جمع طمع ، واليأس انقطع الرجاء ورنت نظرت (١٠) عطف أمال ورد ، وقرينه صاحبه ، وحيث انتوى أى حيث نوى من النية بمعنى القصد وقيل من النوى وهو البعد .

(١١) تقاصرت قصرت ، فسيحات واسعات والخطا جمع خطوة .

(١٢) الحزم الاحتراس بالأفعال ندامة حسرة ، ألذع أشد حرقة ، سفع احراق ، الذكا التهاب النار (١٣) ناط علق والصق . نيطت علقت والمقت أشد الغضب (١٤) من طال من ارتفع ، البسطة الفضيلة ، أعجزه أضعفه .

والناس ألف منهم كوَاحد وواحد كالألف إن أَمْرٌ عَنى (١)
وللفتى من ماله ما قدَّمَت يداه قبل موته لا ما اقتنى (٢)
وإنما المرءُ حديث بعده فكنْ حديثاً حسناً لمن وعى (٣)
إنى حلبت الدهر شطرَيْهِ فقد أمرَ لى حيناً وأحياناً حلا (٤)
وفر عن تجربة نابِى فقلْ فى بازل راض الخطوب وامتطى (٥)
واللوْم للحرِّ مقيمٌ رادعٌ والعبد لايردعه إلا العصا (٦)
وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا (٧)
كم من أخ مسخوطة أخلاقه أصفيتَه الودَّ لخلق مُرتضى (٨)
إذا بلوت السيف محمودا فلا تذمُمه يوماً أن ترَاه قد نبا (٩)
والطرف يجتاز المدى وربما عنّ لمغداه عثار فكبا (١٠)
مَن لك بالمهذب الندب الذى لا يجد العيب إليه مختطى (١١)
إذا تصفحت أُمور الناس لم تلف امرءاً حاز الكمال فاكتفى (١٢)
عَولْ على الصبر الجميل فإنه أمنع ما لاذ به أُولوا الحجا (١٣)
وعطف النفس على سبل الأَسى إذا استفز القلب تبريح الجوى (١٤)

(١) عنى : قصد أو لزم . (٢) اقتنى اكتسب . (٣) لمن وعى لمن حفظ .
(٤) حلبت الدهر جربته وشطريه نصفيه وأراد بشطريه أول زمانه وآخره ونعيمه وبؤسه (٥) وفر عن تجربة نابى أى كشف عن أمره وهذا مأخوذ من قولهم فرعن الدابة اذا فتح فاها ليعرف سنها ويظهر صغرها من كبرها ، البازل من الابل الذى أتت عليه تسعة أعوام وراض الخطوب : أذلها . (٦) اللوم بالفتح من الملامة وهى العتاب مقيم مصلح ، رادع كاف .
(٧) آفة العقل مضرته ومفسدته والهوى الشهوة . (٨) مسخوطة من السخط وهو ضد الرضا ، أقلاقه طبائعه أصفيته الود أخلصت له الود .
(٩) بلوت اختبرت ، نبا ارتفع عن المضرب ولم يقطع فيه شيئا .
(١٠) الطرف بالكسر الكريم من الخيل يجتاز يجوز ، لمغداه لجريه وعثار مصدر عثر يعثر عثارا . (١١) المهذب العاقل الظريف والندب الرجل الخفيف فى الحاجة . (١٢) تصفحت نظرت واستيقظت . لم تلف : لم تجد ، اكتفى اجتزأ به . (١٣) عول على الصبر أى ارجع اليه واعتمد .
(١٤) الأسى : التصبر .

والدهر يكبو بالفتى وتارة ينهضه من عثرة إذا كبا(١)
لاتعجبن من هالك كيف هوى بل فاعجبن من سالم كيف نجا
إن نجومَ المجد أمست أُفلاً وظله القالِصُ أَضحى قد أزى(٢)
إلا بقايا من أُناس بهم إلى سبيل المكرمات يقتدى(٣)
إذا الأَحاديث انتضت أَنباءهم كانت كنشر الروض غاداه السدى(٤)
لا يسمع السامع فى مجلسهم هجْرا إذا جالسهم ولا خنا(٥)
ما أَنعم العيشة لو أَن الفتى يقبل منه الموت أَسناءَ الرِّشا(٦)
أَو لو تحلى بالشباب عمرُهُ لم يستلبْهُ الشيب هاتيك الحلى(٧)
والليل ملق بالموامى بركه والعيش ينبئْنَ أَفاحيص القطا(٨)
بحيث لا تهتدى لسمع نبأَة إلا نئيم البوم أَو صوت الصدى(٩)
شايعتهم على السُّرى حتى إذا مالت أَداة الرحْل بالجبس الدوى(١٠)
قلت لهم : إن الهوَيْنا غبها وهنٌ فجدوا تحمدوا غِب السرى(١١)
وموحش الأَقطار ظام ملؤه مدعثر أَعضاد مهزوم الجبا(١٢)

(١) يكبو يعثر (٢) أفلا غائبات ، القالص المرتفع وفرس قالس طويل القوائم أزى قصر ونقص (٣) يقتدى يتبع فعلهم (٤) انتضب أظهرت من نضا الشيء اذا ظهر : الانباء الأخبار ، النشر الرائحة الطيبة (٥) هجرا بضم الهاء القبيح من القول وكذا الخنا أيضا . (٦) العيشة الحياة ، أسناء الرشا أرفعها وأعلاها . (٧) تحلى بالشباب لبسه وتزيانه . لم يجرده الحلى جمع حلية . (٨) الموامى جمع موماة وهى القفر ، البرك الصدر ، العيس الأبيض من الابل ينبئن يخرجن ، أفاحيص القطا أوكارها وواحدها فحوص .

(٩) نبأة الصوت الخفى ونئيم البوم صوته والبوم الهام ، الصدى ذكر الهام (١٠) شايعتم تابعتم على رأيهم فى سير الليل . أداة الرحل حوائج الرحل ، الجبس الرجل الثقيل الجبان ، الدوى الأحمق .

(١١) وهن ضعف فجدوا فاجتهدوا . (١٢) الوحش الأقطار يعنى به بئرا أو حوضا الموحش ضد المؤنس والأقطار النواحى وطام مرتفع ، مدعثر مهدوم الأعضاد ما حواليه من صفائح الحجارة التى تعضده ، والجبا بفتح الجيم ما حول البئر أو الحوض

كأنما الريش على أرجائه زرق نصال أرهفت لتمتهى (١)
وردته والذئب يعوى حوله مستك سم السمع من طول الطوى (٢)
ومنتج أم أبيه أمه لم يتخون جسمه مس الضوى (٣)
أفرشته بنت أخيه فانثنت عن ولد يورى به ويشتوى (٤)
ومرقب مخلولق أرجاؤه مستصعب المسلك وعر المرتقى (٥)
والشخص فى الآل يرى لناظر ترمقه حيناً وحيناً لا يرى (٦)
أوفيت والشمس تمجُّ ريقها والظل من تحت الحذاء مختذى (٧)
وطارق يونسه الذئب إذا تضوَّرَ الذئب عشاء وانضوى (٨)
آوى إلى نارى وهى مألف يدعو العفاة ضوءها إلى القرى (٩)
لله ما طيف خيالها زائر تزفهُ للقلب أحلام الرؤى (١٠)
يجوب أجواز الفلا محتقرا هول دجى الليل إذا الليل انبرى (١١)

---

(١) أرجاؤه نواحيه ، زرق نصال بيض نصال ، أرهفت رققت . تمتهى تسقى الماء (٢) وردته يعنى وردت هذا الماء والهاء عائدة على الماء فى قوله طوم ماؤه . (٣) ومنتج يريد رب غصن منتج أى مولود ، أم أبيه أمه ، يريد غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمنزلة الأب على استعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنهما منها فصارت أما لأبيه وأما له . (٤) أفرشته بنت أخيه حككت به غصنا آخر . (٥) مرقب الموضع العالى الذى ينظر منه الى بعد ومخلولق أملس (٦) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد ، والآل السراب . (٧) أوفيت أتيت ووصلت أى اليه وتمج تلقى ، وريقها لعابها ، ولعاب الشمس انما يكون فى وقت الظهيرة . (٨) وطارق الذى يجىء بالليل وتضور صاح من الجوع .

(٩) أوى الى نارى أى انضم الى نارى ومألف الموضع الذى يجتمع فيه الأحباب والعفا طلاب المعروف . (١٠) لله ما طيف ، اللام فى هذا بمعنى التعجب وما زائدة ، والطيف ما يراه النائم فى صور محبوبة ، خيال الشخص الذى يتخيل ذلك ، وتزفه تحمله (١١) يجوب يقطع أجواز أوساط والفلاجمع فلاة وهى القفر من الأرض ، والداجى الظلمة . وانبرى اعترض .

سائله إن أفصح عن أنبائه ... أنى تسدَّى الليل أم أنى اهتدى؟ (١)
أو كان يدرى قبلها ما فارس ... وما مواميها القفار والقرى (٢)
وسائلى بمزعجى فى وطنى ... ما ضاق بى جنابه ولا نبا (٣)
قلت: القضاء مالك أمر الفتى ... من حيث لا يدرى ومن حيث درى
لا تسألنى واسأل المقدار هل ... يعصم منه وزر ومزدرى
لا غرو إن لح زمان جائر ... فاعترق العظم المُمخَّ وانتقى (٤)
فقد ترى الناحلَ مخضرا وقد ... تلقى أخا الإقتار يوما قد نما (٥)
يا هؤليا هل نشدتْن لنا ... ناقبة البرقع عن عينى طلا (٦)
ما أنصفت أم الصبيين التى ... أصبت أخا الحلم ولما يصطبى (٧)
استحى بيضا بين أفوادك أن ... يقتادك البيض اقتياد المهتدى (٨)
هيهات ما أسفع (هاتا) زلة ... أطربا بعد المشيب والجلا (٩)
يا رُبَّ ليل جمعت قطريه لى ... بنت ثمانين عروساً تجتلى (١٠)

---

(١) سائله يعنى الخيال . وعن أنبائه يعنى عن أخباره وان أفصح أى وان أبان وأنى كيف تسدى قطع الليل بالسير ، وأم أنى اهتدى .
(٢) أو كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الذروة . وما فارس يريد بلاد فارس ، والموامى وأحدها موماة وهى الأرض المقفرة (٣) بمزعجى بمزيل ومخرجى والياء بمعنى عن فكأنه قال وسائلى عن مزعجى الجناب بفتح الجيم الناحية (٤) لاغرو لاعجب ، لح عرض فاعترض العظيم أى أزال عنه اللحم ، الممخ الذى فيه المخ ، انتقى استخرج منه البق وهو المخ (٥) الفاحل اليابس ، أخا الاقتار المقل من المال وبما زاد واستغنى (٦) يا هؤليا يا هؤلاء ونشدتن طلبتن ناقبة البرقع أى المتقنع به (٧) ما أنصفت أم الصبيين هذا تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل والصبيان ما يتخايل فى بؤبؤ العين . اصبت أخا الحلم أى رددته الى الصبا . (٨) استحى فعل أمر من الاستحياء بمعنى الحياء وبيضا شيبا وبين أفوادك جمع فود ، والفودان جانبا الرأس أى ناحيتاه من يمين وشمال والبيض الثانية النساء والمهتدى الأسير .
(٩) هيهات كلمة تبعيد وها اشارة للمؤنث ، وزلة خطيئة وسقطة ، الجلا بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (١٠) جمعت قطريه أى جانبيه أول الليل وآخره بنت ثمانين هنا الخمر وانما جلوت بنت ثمانين لأنه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة وتجتلى من جلوت العروس وهو اظهارها .

لم يملك الماء عليها أمرها ... ولم يدنسها الضرام المحتضى (١)
حيناً هى الداءُ ، وأحياناً بها ... من دائها إذا يهيجُ يشتفى
قد صانها الخمار لما اختارها ... ضنا بها على سواها واحتبى (٢)
فهى ترى من طول عهد إن بدت ... فى كأسها لأعين الناس كلاعمى (٣)
كأن قرن الشمس فى ذُرُورها ... بفعلها فى الصحن والكاس اقتدى (٤)
نازعتها أروع لاتسطو على ... نديمه شرتهُ إذا انتشى (٥)
كأن نور الروض نظم لفظه ... مرتجلا أو منشدا أو إن شدا (٦)
من كل ما نال الفتى قد نلته ... والمرءُ يبقى بعده حسن الثنا (٧)
فإن أعش صاحبتُ دهرى عالما ... بما انطوى من صرفه وما انتشى
وإن أمُتْ فقد تناهت لذتى ... وكل شىء بلغ الحد انتهى (٨)

وقال المثقف العبدى الحكيم الجاهلى من قصيدة :

لاتقولن إذا ما لم تردْ ... أن تتم الوعد فى شىء «نعم»
حسن قولُ «نعم» من بعد «لا» ... وقبيح قول «لا» بعد «نعم»
إن «لا» بعد «نعم» فاحشة ... فبلا فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت «نعم» فاصبر لها ... بنجاز الوعد إن الخلف ذم

---

(١) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها ولم يغيرها والضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ والمحتضى العود تحرك به النار . (٢) صانها حفظها ، ضنا بخلا ، احتبى ستر .

(٣) كلا عمى يعنى أنه يعمى من نظر اليها فكيف من سربها (٤) قرن الشمس شعاعها ، ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس اذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع ، والكأس القدح اذا كان فيه خمر ، اقتدى اتبع أثره

(٥) نازعتها ناولتها ، أروع الحسن المنظر الجميل لا تسطو لا تعدو النديم الصاحب ، الشرة الحدة ، انتشى سكر (٦) نور الروض زهر الروض مرتجلا الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد ، وشدا غنى ومنه الشادى. (٧) الثنا هنا الثناء وهو فى الأصل علم للخير والشر .

(٨) تناهت لذتى بلغت النهاية .

أكرمِ الجار وراعِ حقه　　　إن عرفان الفتى الحق كرم
لا ترانى راتعاً من مجلس　　　فى لحوم الناس كالسبع الضرم
إن شر الناس من يمدحنى　　　حين يلقانى وإن غبتُ شتم
وكلام سيئ قد وقرت　　　عنه أذناى وما بى من صمم
ولبعض الصفح والإعراض عن　　　ذى الخنا أبقى وإن كان ظلم

وقال الأَفْوَه الأَزْدِى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها :

البيت لا يبنى إلا على عمد　　　ولا عماد إذا لم تُرْس أَوتادُ
فإن تجمع أَوتاد وأَعمدة　　　وساكن بلغوا الأَمر الذى كادوا
لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم　　　ولا سُرَاة قوم جُهالهم سادوا
تهدى الأُمور بأَهل الرأى ماصلحت　　　فإن تولت فبالأَشرار تنقاد
إذا تولى سُرَاة الناس أَمرهم　　　نما على ذاك أَمرُ القوم فازدادوا

وقال الإمام على بن أَبى طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ :

أَما والله إن الظلم شؤم　　　ولا زال المسئ هو الظلومُ
إلى الديان يوم الدين نمضى　　　وعند الله تجتمع الخصومُ
ستعلم فى الحساب إذا التقينا　　　غدا عند المليك ـ من الملوم ؟
ستنقطع اللذاذة عن أُناس　　　من الدنيا وتنقطع الهموم
لأَمر ما تصرَّمت الليالى　　　لأَمر ما تحركت النجوم
سل الأَيام عن أُمم تقضت　　　ستنبيك المعالم والرسوم
ترومُ الخلد فى دار الدنايا　　　فكم قد رام غيرك ما تروم
تنام ولم تنم عنك المنايا　　　تنبه للمنية يا نؤوم
لهوت عن الفناء وأَنت تفنى　　　فما شئ من الدنيا يدوم
تموت غدا وأَنت قرير عين　　　من الشهوات فى لجج تعوم

وقال :

عليك ببر الوالدين كليهما وبرِّ ذوى القربى وبر الأَباعد
ولا تصحبنْ إلا تقيًّا مُهذباً عفيفاً ، ذكياً ، مُنْجزا للمواعد
وقارن إذا قارنت حرا مؤدباً فتى من بنى الأَحرار زيْنُ المشاهد
وكف الأَذى واحفظ لسانك واتق فدينك فى ودِّ الخليل المساعد
ونافس ببذل المال فى طلب العلى بهمة محمود الخلائقِ ماجِدِ
وكن واثقاً بالله فى كل حادث يصنك مدى الأَيام من شر حاسد
وبالله فاستعصم ، ولا ترج غيرَهُ ولا تكُ فى النعماءِ عنه بجاحد
وغض عن المكروه طرفك واجتنب أذى الجار واستمسك بحبل المحامد
ولا تبن فى الدنيا بناءَ مؤمل خلود فما حىٌ عليها بخالد

وقال :

قدم لنفسك فى الحياة تزوُّدا فلقد تفارقها وأنت مُوَدَّعُ
واهتم للسفر القريبِ فإنه أنـأَى من السفر البعيدِ وأَشنع
واجعل تزودك المخافة والتقى فلعل وقفك فى مسائك أَسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى والفقر مقرونٌ بمن لا يقنع
واحذ مصاحبة اللئام فإنهم منعوك صفو ودادهم وتصنعوا
أهل المودة ما أَنلتهم الرضا وإذا منعت فسمهم لك منقع
لاتفش سرا ما استطعت إلى امرئٍ يفشى إليك سرائراً يستودع
فكما تراه بسر غيرك صانعاً فكذا بسرك لا محالة يصنع
لا تبدأن بمنطق فى مجلس قبل السؤال ، فإن ذلك يشنع
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى ولعله خرقٌ سفيهٌ أَرقع
ودع المزاح فرُبَّ لفظة مازح جلبت إليك بلابلاً لا تدفع

وحفاظ جار لا تضعه فإنه ... لا يبلغ الشرف الجسيم مضيع
وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة ... فأَقِلْهُ ، إن ثواب ذلك أَوسع
وإذا ائتمِنت على السرائر فاخفها ... واستر عيوب أَخيكَ حين تطلع
وأَطع أَباك بكل ما أَوصى به ... إن المطيع أَباه لا يتضعْضعُ

وقال :

صُنِ النفس واحملها على مايُزِينها ... تعش سالماً والقول فيكَ جميلُ
ولا ترين الناس إلا تجمُّلا ... نبا بك دهر أَو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكباتُ الدهر عنك تزول
يعزُّ غنىُّ النفس إن قلَّ ماله ... ويفنى غنى المال وهو ذليل
ولا خير فى ودّ امرئ مُتلون ... إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أَخذ ماله ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أَكثر الإخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

وقال عبد الله بن جعفر الطالبى :

إذا كنت فى حاجةٍ مرسلا ... فأَرْسلْ حكيما ولا توصِهِ
وإن بابُ أمر عليك التوَى ... فشاوِرْ لبيباً ولا تعصه
وإن ناصح منك يوماً دنا ... فلا تنأَ عنهُ ولا تقصه
وذا الحقّ لاتنتقصْ حقهُ ... فإن القطيعة فى نقصه
ولا تذكر الدهر فى مجلس ... حديثاً إذا أَنت لم تحصه
وكم من فتى عازب لبه ... وقد تعجب العين فى شخصه
وآخر تحسبه أَنْوَكا ... ويأَتيكَ بالأَمر من فصه

وقال أَبو الأَسود الدؤلى التابعى :

حَسَدُوا الفتى إذا لم ينالوا سعيهُ ... فالقومُ أَعداء له وخُصومُ

وترى اللبيب محسدًا لم يجترم ... شَتْمَ الرجال وعرْضهُ مشتومُ
وكذاك من عظمت عليه نعمةٌ ... حُسَّاده سيفٌ عليهِ صُرُومُ
فاترك مجَارَاة السفيه فإنها ... ندمٌ وغِبٌّ بعد ذاك وخيمُ
فإذاجَرَيتَ مع السفيه كماجَرَى ... فكلاكما في جَرْيِهِ مذموم
وإذا عتبت على السفيه ولُمْتهُ ... في مثل ما تأتى فأنت ظلوم
يا أيها الرَّجُل المعلِّم غيرَهُ ... هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدَّواءَ لذى السقام وذِى الضنى ... كيما يَصِحُّ بهِ ، وأنت سقيم
وأَرَاك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبداً ، وأَنت من الرشادِ عقيم
لا تنْهَ عن خُلقٍ وتأْتى مثلهُ ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّهَا ... فإذا انتهت عنه فأَنت حكيمُ
فهناك يُقبَل ما وعظت ويُقتدَى ... بالعلم منكَ ، وينفع التعليم

* * *

وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ ، وأُمه الخنساء الشاعرة :

ترى الرجلَ النحيف فتزدَريهِ ... وفى أَثوابهِ أَسد مزِيرُ
ويعجبكَ الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
فما عِظم الرجال لهم بفخر ... ولكن فخرهم كرمٌ وخير
بغاث الطير أَكثرها فرَاخا ... وأُمُّ الصقر مقْلاةٌ نزور
ضعاف الطير أَطولها جُسوماً ... ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لبٍّ ... فلم يَسْتغنِ بالعظم البعير
يصرِّفه الصبي بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
فإن أَك فى شراركم قليلا ... فإنى فى خياركم كثير

وقال الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رضى الله تبارك وتعالى عنه :

دع الأَيام تفعل ما تشاءُ وطب نفساً إذا حكم القضاءُ
ولا تجزع لحادثة الليالى فما لحوادث الدنيا بقاءُ
وكن رجلا على الأَهوال جلدا وشيمتكَ السماحة والسخاءُ
يُغطَّى بالسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه السخاءُ
ولا حُزنٌ يدوم ولا سُرُورٌ ولا عسر عليك ولا رَخاء
ولا ترى الأَعادى قط ذلاًّ فإن شماتة الأَعدا بلاءُ
ولا ترْجُ السماحة من بخيلٍ فما فى النارِ للظمآن ماءُ
ورزقك ليس ينقصه التأَنى وليسَ يزيد فى الرزق العناءُ
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأَنت وما لك الدنيا سواءُ
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أَرض تقيه ولا سماءُ
وأَرض اللهِ واسعةٌ ولكن إذا نزلَ القضا ضاق الفضاءُ

وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٣٩ هـ ، يوصى أَبناءه :

ابنىَّ ، إنى قد كبرت ورَابنى بصرى ، وفىَّ لمنظر مُسْتمْتَعُ
أُوصِيكم بتقى الإلهِ فإنه يُعطى الرغائبَ من يشاءُ ويمنع
وببرِّ والدكم وطاعة أَمرِهِ إن الأَبر مِنَ البنينَ الأَطوع
إن الكبيرَ إذا عصاه أَهله ضاقت يداه بأَمره ، ما يصنع ؟
ودعوا الضغائن ، لا تكن من شأْنِكم
إنَّ الضغائنَ للقرابةِ توضع
يُزجِى عقارِبَه ليبعث بينكم حرباً كما بعث العروق الأَخْدَعُ
إن الذين ترَوْنهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أَن تُضرَعوا
وإذا مضيتُ إلى سبيل فابعثوا رجلا له قُلب حديد أَصمعُ

إن الحوادث تخترْمنَ وإنما عمر الفتى فى أهله مُسْتودع
يسعى ويجمع جاهدا متهترا جدا ، وليس بـآكل ما يجمع!

وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١١ من قصيدة :

وما بعض الإقامة فى ديارٍ يُهان بها الفتى إلا بَلاءُ
وبعض خلائِقِ الأَقوام دَاءُ كداءِ البطن ليس له دَوَاءُ
يريد المرءُ أَن يعطى مُناه ويـأْبَى الله إلا ما يشاءُ
وكل شديدةٍ نزلت بقومٍ سيأتى بعدَ شدتها رَخاءُ
ولا يعطى الحريص غنى لحرص وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرَت غنى وفقر النفس ما عمرت شقاءُ
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مُزرٍ بصاحبه السخاءُ
وبعض الداءِ ملتمس شفاءٌ وداءُ النوك ليسَ له شفاءُ

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ ه :

المرءُ يجمع والزمان يُفرِّق ويظل يرقع والخطوب تمزقُ
ولأَن يُعادِى عاقلا خير له من أن يكون له صديق أَحمقُ
فاربـأْ بنفسكَ أَنتصادِق أَحمقا إن الصديق على الصديق مُصَدقُ
وزنِ الكلام إذا نطقت فإنما يبدى عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أَخلافهم
مَن يُسْتشارُ ـ إذا اسْتشِيرَ ـ فيُطْرِقُ
حتى يحلَّ بكل واد قلبه فيرى ويعرف مايقولُ فينطقُ
ما الناس إلا عامِلانِ ، فعامل قد مات من عطش ، وآخر يغرقُ
والناس فى طلب المعاش وإنما بالجد يُرزق منهم من يُرزقُ
لو يرزقون الناس حسب عقولهم أَلفيت أَكثر من ثرى يتصدَّق

لكنه فضل المليكِ عليهم ... هذا عليه مُوَسِّع ومُضيِّق

وقال أيضاً :

صَرمت حبالك بعد وصْلكَ زينب ... والدهر فيه تصرمٌ وتقلبُ
وكذاك وصل الغانيات فإنه ... آل ببِلْقعَة وبرق خُلبُ
فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... واجْهد ، فعمرك مر منه الأَطيب
ذهب الشباب فما له من عودة ... وأَتى المشيب فأَين منه المهرب
دع عنك ما فات فى زمن الصِّبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مُذنب
واخْش مناقشة الحساب فإنه ... لابُدَّ يحصى ما جنيت ويكْتب
والليل ، فاعلم ، والنهار كلاهما ... أَنفاسنا فيه تُعد وتحسب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أَثبتاه ، وأَنت لاه تلعب
والروح فيك وديعة أُودعتها ... ستردها بالرغم منك وتُسْلب
وغُرور دنياك التى تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب
وجميع ما حصلته وجمعته ... حقًّا يقيناً بعد موتك يُنهب
تُبًّا لدار لا يدوم نعيمها ... ومشيدها عما قليل يخرب
لا تأمن الدهر الخؤون لأَنه ... ما زال قِدماً للرجال يُهذب
وكذلك الأَيام فى غصاتها ... مَضضٌ يذِلُّ له الأَعز الأَنجب
ويفوز بالمال الحقيرِ مكانة ... فتراه يُرجى ما لديه ويرغب
ويُسر بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويُقرب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
كم عاجز فى الناس يأْتى رزقه ... رَغْدا ويُحْرَم كيِّس ويخيَّب
فعليك تقوى الله فالزمها تفزْ ... إن التَّقِىَّ هو البهى الأَهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع لربه لمقرَّب

أدِّ الأَمانة ، والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بأَن دعاءه لا يُحجب
وإذا أَصابك فى زمانك شِدَّة وأَصابك الخطب الكريه الأَصعب
فادع لربك إنه أَدنى لمن يدعوه من حبل الوريد وأَقرب
واحذر مؤاخاة الدَّنِىَّ لأَنه يعدى كما يعدى الصحيح الأَجرب
واختر صديقك واصطفيه تفاخراً إن القرين إلى المُقارِنِ ينسب
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً
إن الكذوب لبئس خلاًّ يُصحب
وذر الحسود وإن تقادم عهده فالحقد باق فى الصدور مغيب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرْءُ يسلم باللسان ويعْطب
وزن الكلام إذا نطقت ولاتكن ثرثارة فى كل ناد تخطب
والسِّر فاكتمه ولا تنطق به فهو الأَسيرلديك إذ لا ينشب
واحرص على حفظ القلوب من الأَذى
فرجوعها بعد التنافر يصعب
إن القلوب إذا تنافر ودها شبه الزجاجة كسرها لايُشعب
واحذر عدوك إذ تراه باسما فاليث يبدو نابه إذ يغضب
لا خير فى وُدِّ امرئٍ مُتملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أَنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب
وإذا رأَيت الرزق ضاق ببلدة وخشيت فيها أَن يضيق المكسب
فارحل فأَرض الله واسِعة الفضا طولا وعرضاً شرقها والمغرب

وقال أبو الفتح البستى المتوفى ببخارى سنة ٤٠٠ هـ :

زيادة المرء فى دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسرانُ
أَحسن إلى الناس تستعبدْ قلوبهم ... فطالما استعبد الأنسان إحسان
ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أَقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأَنت بالنفس لابالجسم إنسان
وكن على الدهر مِعواناً لذى أَمل ... يرجو نداك فإن الحرَّ مِعوان
واشدد يديك بحبل الله معتصما ... فإنه الركن إن خانتك أَركان
من يتق الله يحمد فى عواقبه ... ويكفه شرُّ من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله فى طلب ... فإن ناصره عجزٌ وخذلان
من كان للخير مناعاً فليس له ... على الحقيقةِ خِلَّان وأَخدَانُ
من جاد بالمال جاد الناس قاطبة ... إليه ، والمال للإنسان فتَّان
من سالم الناس يسلم من غوائِلهمْ ... وعاش وهو قرير العين جذلان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه ... ندامة ، ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأَشرار نام وفى ... رِدائه منهم صلٌّ وثعبان
كن ريِّق البشر إن الحر همته ... صحيفةٌ وعليها البشر عنوان
وارفق الرفق فى كل الأُمور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه إنسان
ولا يغرنك حظ جره خرق ... فالخرق هدم ورفق المرء بنيان
أَحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالروض يزدان بالأَنوار فاغمه ... والحر بالعدل والإحسان يزدان
صنْ حر وجهك لاتهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان

لاظل للمرء يعرى من نهى وتقى ... وإن أظلته أوراق وأفنان
والناس أعوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته أعوان
« سُحْبان »من غير مال باقل حصر ... و « باقل » فى ثراء المال سحبان
لاتودع السر وشاء به مذلا ... فما رعى غنماً فى الدّو سرحان
لاتستشر غير ندبٍ حازم يقظ. ... قد استوى فيه إسرار وإعلان
فللتدابير فرسان إذا ركضوا ... فيها أبرَوْا كما للحرب فرسان
وللأُمور مواقيت مقدَّرة ... وكل أَمر له حدٌّ وميزان
فلاتكن عجلا فى الأَمر تطلبه ... فليس يُحمدقبل النضج بحران
كفى من العيش ماقد سد من عوز ... ففيه للحرٍّ قنيان وغنيان
وذو القناعة راض من معيشته ... وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
حسب الفتى عقله خِلاً يعاشره ... إذن تحاماه إخوان وخِلان
إذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه فى بسيط. الأَرض أوطان
يا ظالما فرحاً بالعزّ ساعده ... إن كنت فى سنةٍ فالدهر يقظان
يا أَيها العالم المرضى سيرته ... أَبشر فأَنت بغير الماء ريّان
ويا أَخاالجهل لوأَصبحت فى لجج ... فأَنت ما بينها لا شك ظمآن
لا تحسبن سرورا دائماً أَبدا ... من سره زمن ساءته أَزمان
وكل كسر فإن الدين يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

* * *

وقال ابن أَبى بكر المقرى المتوفى سنة ٧٨٥ هـ :

زيادةالقول تحكى النقص فى العمل ... ومنطق المرء قد يهديه للزلل
إن اللسان صغير جرمه وله ... جُرمٌ كبير كما قد قيل فى المثل
عقل الفتى ليس يغنى عن مُشاورة ... كحدَّةِ السيف لا تغنى عن البطل

إن المشاور إما صائب غرضاً أو مخطئٌ غير منسوب إلى الخطل
لاتحقر الرأى يأتيك الحقير به فالنحل وهو ذباب طائر العسل
ولا يغرنك وُدٌّ من أخى أمل حتى تجربه فى غيبة الأمل
لا تجزعن لخطب ما به حيل تغنى وإلا فلا تعجز عن الحيل
وقدر شكر الفتى لله نعمته كقدر صبر الفتى للحادث الجلل
وإن أخوف نهج ما خشيت به ذهاب حُرِّية أو مرتضى عمل
لا تفرحن بسقطات الرجال ولا تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول
وقيمة المرء ما قد كان يُحسنه فاطلب لنفسك ماتعلو به وصل
وكل علم جناه ممكن أبدا إلا إذا اعتصم الإنسان بالكسل
والمال صُنه وورِّثه العدو ولا تحتج حياتك للإخوان فى الأكل
فخير مال الفتى مال يصون به عِرضاً وينفقه فى أشرف السبل
وأفضل البر ما من لا يتبعه ولا تقدمه شىء من المطل

* * *

وقال الإمام على الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ :

واعجباً للمرء فى لذته يجرُّ ذيل التيه فى خطرته
يزجره الوعظ فلا ينتهى كأنه الميت فى سكرته
يبارز الله بعصيانه جهرا ولا يخشاه فى خلوته
وإن يقع فى شدة يبتهل فإن نجا عاد إلى عادته
إرغب لمولاك وكن راشدا واعلم بأن العز فى خدمته
واتل كتاب الله تهد به واتبع الشرع على سنته
لاتحرصن فالحرص يزرى بالفتى ويذهب الرونق من بهجته
والحظ لا تجلبه حيلة كيف يخاف المرءُ من فوتته ؟

ما فاتك اليوم سيأتى غدا ما فى الذى قدّر من حيلته
والرزق مضمونٌ على واحدٍ مفاتح الأشياء فى قبضته
قد يرزق العاجز مع عجزه ويحرمُ الكيسُ من فطنته
لا تنهر المسكين يوماً أتى لقد نهاك الله عن نهرته
إن عضك الدهر فكن صابرا
على الذى نالك من عضته
أو مسَّكَ الضرُّ فلا تشتكى إلا لمن تطمع فى رحمته
لسانك احفظه وصن نطقه واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زينٌ ووقارٌ وقد يؤتى على الإنسان من لفظته
من أطلق القول بلا مُهلة لا شك أن يعثر فى عجلته
من لزم الصمت نجا سالماً لا يندم المرءُ على سكتته
من أظهر الناس على سره يستوجب الكىَّ على مُقلته
من مازح الناسَ استخفوا به وكان مذموماً على مِزْحته
من جعل الخمر شفاءً له فلا شفاهُ الله من علته
من نازع الأقيال فى أمرهم بات بعيد الرأس عن جُثته
من لاعب الثعبان فى كفه هيهات أن يسلم من لسعته
من عاشر الأحمق فى حاله كان هو الأحمق فى عشرته
لاتصحب النذل فتردى به لا خير فى النذل ولا صُحبته
من اعتراك الشكُّ فى جنسه وحاله فانظر إلى شيمته
من غرس الحنظل لا يرتجى أن يَجْتنى السكر من غرسته
من جعل الحق له ناصرا أيده الله على نصرته

وقال أَبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ :

أنلهو وأَيامنا تذهب ؟ ونلعبُ والموت لا يلعب
عجبتُ لذى لعب قد لها عجبت ومالى لا أَعجب
أَيلهو ويلعب مَن نفسه تموت ومنزله يخرب
نرى كل ما ساءَنا دائماً على كل ما سرنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنهـــــار ولم ندر أَيهما أَطلب
أَحاط الجديدان جميعاً بنا فليس لنا عنهما مهرب
وكلٌّ له مدّةٌ تنقضى وكل له أَثر يكتبُ

قال صلاح الدين خليل بن أَيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ :

الجد فى الجد والحرمان فى الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأَمل
واصبر على كل ما يأْتى الزمان به صبر الحسام بكف الدارع البطل
وجانب الحرص والأَطماع تحظ بما ترجو من العزّ والتأْييد فى عجل
ولا تكونن على ما فات ذا حزن ولا تظل بما أوتيت ذا جذل
واستشعر الحلم فى كل الأُمور ولا تسرع ببادرة يوماً إلى رجل
وإن بُليت بشخص لا خلاق له فكن كأَنك لم تسمع ولم يقل
ولا تمار سفيهاً فى محاورة ولا حليما لكى تقضى عن الزّلل
ولا يغرك من يبدى بشاشته إليك خدعا فإنَّ السمَّ فى العسل
وإن أَردت نجاحاً كل آونة فاكتمْ أُمورك عن حاف ومنتعل
إن الفتى من بماضى الحزم متصفٌ وما تعوَّد نقص القول والعمل
ولا يقيم بأَرض طاب مسكنها حتى يقدَّ أَديم السهل والجبل
ولا يضيِّع ساعات الزّمان فلن يعود ما فات من أَيامه الأُول

ولا يُراقب إلا من يراقبه ... ولا يصاحبُ إلا كل ذى نُبل
ولا يعد عيوناً للوَرَى أَبدا ... بل يعتنى بالذى فيه من الخلل
ولا يظن بهم سوءًا ولا حسناً ... بل التجاربُ تهديه على مهل
ولا يصد عن التقوَى بصيرته ... لأَنها للمعالى أَوضحُ السبل
فمن تكن حُلة التقوى ملابسه ... لم يخش فى دهره يوماً من العطل
من لم تفده صروف الدهر تجربة ... فيما يُحاول فليسكن مع الهمل
من سالمته الليالى فليثق عجلا ... منها بحرب عدو جاءَ بالحيل
من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته ... ومن رمى بسهاب العجب لم ينل
من جاد ساد وأَحيا العالمون له ... بديع حمد بمدح الفعل مُتَّصِلِ

وقال حسام الدين الواعظى المتوفى سنة ٩٩٠ هـ :

من ضيع الحزم فى أَفعاله ندما ... وظل مكتئباً والقلبُ قد سقما
ما المرءُ إلا الذى طابت فضائلهُ ... والدين زينٌ يزين العاقل والفهما
والعلم أَنفسُ شىءٍ أَنت ذاخرُه ... فلا تكن جاهلا تستورث الندما
تعلم العلم واجلس فى مجالسه ... ما خاب قط لبيبٌ جالس العُلما
والوالدين فأَكرم تنج من ضرر ... ولا تكن نكدا تستوجب النقما
ولازم الصمت لاتنطق بفاحشة ... وأَكرم الجار لاتهتك له حُرُماً
واحذر من المزح تنج من خطر ... كم من صديقين بعدالمزح فاختصما
وصبر النفس وارشدها إذا جهلت
وإن حَضرت طعاماً لاتكن نهما

وقال عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده :

إِعتزِلْ ذِكر الأَغانى والغزلْ ... وقل الفصلَ وجانِب من هزل
ودع الذكر لأَيام الصبا ... فلأَيام الصبا نجمٌ أَفلْ

واترك الغادة لاتحفل بها تمس فى عزّ رفيع وتجل
وافتكر فى منتهى حُسن الذى أَنت تهواه تجد أَمرا جلل
واهجر الخمرة إن كنت فتى
كيف يسعى فى جنونٍ من عقل؟
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرى إلا وصل
ليس مَنْ يقطع طرقا بطلا إنما مَنْ يتَّقى الله البطل
كتب الموتُ على الخلق فكم فلَّ من جيش وأَفنى من دولِ
أَين نمرُودُ وكنعانُ ومن ملك الأَرض وولى وعزل ؟
وأَين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل ولم تغن القلل!
وأَين أَرباب الحجى أَهل النهى أَين أَهل العلم والقوم الأَول ؟
سيعيدُ لله كلا منهمُ وسيجزى فاعلا ما قد فعل
أَطاب العلم ولا تكسلْ فما أَبعد الخير على أَهل الكلل
واحتفل للفقه فى الدين ولا تشتغل عنه بمالِ وخول
واهجرِ النوم وحصِّله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أَربابه كلُّ من سار على الدَّرب وصل
فى ازدياد العلم إرغامُ العدا وجمال العلم إصلاحُ العمل
جمِّــل المنطق بالنحو فمن
يحرمَ الإعراب بالنطق اختبل
إنظم الشعر ولازِمْ مذهبى فى اطراح الرفد لا تبغ النحل
فهو عنوان على الفضل وما أَحسنَ الشعر إذا لم يُبْتذل
وأَنا لا أَختارُ تقبيلَ يد قطعها أَجملُ من تلك القبل
مُلك كسرى عنه تغنى كسرةٌ وعن البحر اجتزاء بالوشل

إطرح الدنيا فمن عاداتها تخفض العالى وتعلى من سفل
عيشةُ الراغب فى تحصيلها عيشة الجاهل فيها أو أقل
كم جهول بات فيها مُكثراً وعليم بات منها فى علل
كم شُجاع لم ينل فيها المنى وجبان نال غايات الأَمل
فاترك الحيلة فيها واتكل إنما الحيلة فى ترك الحيل
لا تقل أَصْلى وفصلى أبداً إنما أَصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرءُ من دون أَبٍ
وبحسن السبك قد ينفى الدغل
إنما الورد من الشوك وما ينبتُ النرجسُ إلا من بصل
قيمة الإنسان ما يُحْسِنُه أَكثر الإنسانُ منه أم أَقل
بين تبذير وبخل رُتبة وكلا هذين إن زاد قتل
ليس يخلو المرءُ من ضِدٍّ ولو حاول العزلة فى رأس الجبل
دار جارَ السوءِ بالصبر وإن لم تجد صبرا فما أَحلى النُّقل
جانب السلطان واحذر بطشهُ لا تعاند من إذا قال فعل
إن نصف الناس أَعداءٌ لمنْ ولى الأَحكام هذا إن عدل
قصِّر الآمال فى الدنيا تفزْ فدليلُ العقل تقصيرُ الأَمل
غب ، وزر غبًّا تزد حباً فمن أَكثر الترداد أَقصاه الملل
لا يضر الفضل إقلالٌ كما لا يضر الشمس أَطباق الطفل
خذ بنصل السيف واترك غمده واعتبر فضل الفتى دون الحُلل
حُبك الأَوطان عجزٌ ظاهر فاغترب تلق عن الأَهل بدل
فبمكث الماءِ يبقى آسناً وسُرى البدر به البدرُ اكتمل

وقال العميد أبو إسماعيل الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ (١) :

أَصالة الرأى صانتنى عن الخطل   وحلية الفضل زانتنى لدى العطل (٢)

مجدِى أخيراً ومجدى أولا شرع   والشمس رأدالضُّحى كالشمس فى الطفل (٣)

فِيمَ الإقامة بالزوْرَاء ، لاسكنى   بها ولا ناقتى فيها ولا جملى (٤)

ناء عن الأَهل صفر الكف منفرد   كالسيف عرِّى متناه عن الخلل

فلا صديقَ إليه مُشتكى حزنى   ولا أَنيس إليه منتهى جذلى (٥)

طال اغترابى حتى حن راحلتى   ورحلها وقرا العسالة الذبل (٦)

وضج من لغب نضوى وعج لما   أَلقى ركابى ولجَّ الركبُ فى عذلى (٧)

---

(١) هو العميد أبو اسماعيل الحسين بن على الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ . (٢) صانتنى : حفظتنى والخطل : الخطأ . (٣) مجد وشرف وشرع سواء ورأد الوقت الذى بعد العصر وقبل الغروب ، « المعنى » شرفى وقت تجردى من الامارة وشرفى وقت تسربلى بها سواء ان حالى كالشمس فى كون ضوئها وقت الضحى مخالفا لضوئها وقت الطفل ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئا ، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الأزمان . (٤) الزوراء : اسم لبغداد وناء بعيد ، وصفر خال ، وعرى جرد ، والخلل كسوة غمد السيف .

(٥) الجذل السرور ، المعنى : اعتزلنى الناس ببغداد فلم يأو الى بها حبيب أبث اليه كدرى من جور الزمان فيفرجه عنى ويساعدنى على صرفه ولا سمير أوصل اليه فرحى فيزيد سرورى ويدفع وحشتى .

(٦) حسن مال ، والراحلة ما يرحل عليه من الابل مذكرا كان أو مؤنثا والرحل العدة التى يركب عليها وقرا ظهره والعسالة الاهتزاز والذبل الجافة . (٧) ضج صوت ، واللغب التعب ونضوى أى منضوى بمعنى مهزول وعج صوت ولج تمادى : والعذل اللوم « المعنى » امتدى بعدى حتى صوت من أجل تعبه ركوبتى وصوت لمثل ما صادف من تعب السفر ابل أصحابى الذين معى فيه وتمادوا فى لومى على هـذا السفر الذى امتد ولم ينته الا لكى أطلب بامتداد بعدى عن وطنى ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتى .

أُريد بسطة كف أستعين بها ... على قضاءِ حُقوق للعُلى قبَلى
والدهر يعكس آمالى ويُقنعنى ... من الغنيمة بعد الكدّ بالقفل (١)
وذِى شطاط كصدر الرمح معتقل ... بمثله غير هيَّاب ولا وكل (٢)
حُلو الفكاهة مر الجد قد مُزجت ... بشدَّة البأس منه رقة الغزل (٣)
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته ... والليل أغرى سوام النَّوم بالمقل (٤)
والركب ميل على الإكوار من طرب ... صاح وآخر من خمر الكرى ثمل (٥)
فقلت : أَدعوك للجلى لتنصرَنى ... وأَنت تخذُلنِى فى الحادث الجلل (٦)
تنامُ عينى وعينُ النجم ساهرةٌ ... وتستحيل وصبغُ الليل لم يحل (٧)
فهل تعينُ على غيٍّ هممتُ به ... والغيُّ يزجر أَحياناً عن الفشل (٨)
إِنى أريد طروق الحى من إِضمٍ ... وقد حماه رُماة من بنى ثعل (٩)

(١) يعكس يرد ويقنعنى يرضينى والكد التعب والقفل الرجوع ، « المعنى » : والزمن يرد على ما أرجوه ويجعلنى بعد التعب فى السفر والتغريب راضيا بالرجوع بدل الغنيمة التى هى مطمح نظرى فى تكبد المصاعب . (٢) شطاط اعتدال القامة ومعتقل قابض وهياب خواف ووكل عاجز ، « المعنى » : ورب صاحب أعتدل قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شيء من شئونه ، التفت الى وصف صاحب له بهذه الأوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفات من فن الى آخر تنشيطا للسامع .

(٣) مزجت خلطت والبأس الشجاعة ، ورقة الغزل لطف الكلام .

(٤) طردت أبعدت وسرح الكرى وثباته والورد الموصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسوداء والبيضاء واغر أولع ، وسوام ثبات .

(٥) ميل منحنى وطرب نشط وثمل سكران ، « المعنى » : وأصحابى منحنون على رحالهم ، فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر خمل متثاقل من تغلبه عليه . (٦) الجلى الأمر العظيم ، وتخذلنى تتركنى والحادث الجلل العظيم . (٧) تستحيل تتحول وصبغ ظلام الأمر ويحل ينتقل . (٨) غى ضلال ، ويزجر يمنع ، « المعنى » : قد غفرت ما حصل من تقصيرك فى شأنى بنومك فهل تساعدنى على ضلال أردته ولا تخش عقباه بالذم على فعله .

(٩) الطروق المجيء ليلا والحي القبيلة ، واضم اسم جبل وحماه منعه ، ورماة كسعاة خفراء ، وثعل قبيلة من طيىء .

يحمون بالبيض والسُّمر اللدان به | سود الغدائر حمر الحَلْى والحلل(١)
فسِر بنا فى ذمام الليل مُعْتسفاً | فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل(٢)
فالحبُّ حيثُ العدَا والأسدُ رابضة | حولَ الكناس لها غاب من الأَسَل(٣)
نؤمُّ ناشئة بالجزع قد سُقيت | نِصالها بمياه الغنْج والكحل(٤)
قد زاد طيب أَحاديث الكرام بها | ما بالكرائم من جُبن ومن بخل
تبيتُ نار الهوَى منهنّ فى كبد | حَرَّى ونار القرى منهم على القلل(٥)
يقتلنَ أَنضاءَ حُب لا حِرَاك بهم | وينحرون كرَامَ الخيل والإبل(٦)
يُشْفى لديغُ العوالى فى بيوتهم | بنهلة من غدير الخمر والعَسل(٧)
لعلَّ لى إلمامة بالجزع ثانية | يدبُّ منها نسيم البُرْء فى علل(٨)
لا أَكرَه الطعنة النجْلاءَ قد شفعت | برشْفة من نبال الأَعين النجل(٩)

(١) البيض : السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة ، الغدائر الضفائر من الشعر ، والحلى ما تتحلى به المرأة ، والحلل الثياب المزركشة.

(٢) ذمام كفالة ، ومعتسفا متكلفا طريقا غير مألوف ، والحلل بيوت القوم التى يحلونها .

(٣) الحب : المحبوب ورابضة واقفة ، والكناس بيت الظبى الغاب شجر يسمى بالأسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الأسود ، « المعنى » : المحبوب فى مكان به الرقباء ورجال الحى مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه .

(٤) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادى ، والنصال السيوف والغنج حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة « المعنى » نقصد بسيرنا قبيلة تربض فى منعطف الوادى قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل .

(٥) القرى : اكرام الضيف ، والقلل : جمع قلة وهى أعلى الجبل .

(٦) ان نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن ، ورجالها لفرط كرمهم يذبحون جياد الأفراس والجمال لضيافتهم .

(٧) أى يبرأ من قتل فى حبهن بأول شربة من ريق ثغرهن .

(٨) المامة نزولا ويدب يسرى .

(٩) أكره أبغض ، والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح ، وشفعت قرنت ورشفة ونبال السهام المراد بها هنا اللحاظ والنجل الواسعات ، « المعنى » . لا أبغض الوخذة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها .

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى ... باللمح من خلل الأستار والكلل (١)
ولا أُخلُّ بغزلان تغازلنى ... ولو دهتنى أَسود الغيل بالغيل (٢)
حبُّ السلامة يثنى عزمَ صاحبه ... عن المعالى ويغرى المرء بالكسل (٣)
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا ... فى الأرض أو سلماً فى الجو فاعتزل (٤)
ودع غمار العلى للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل (٥)
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة ... والعزُّ عند رسيم الأَينق الذلل (٦)
فادرأ بها فى نحور البيد جافلة ... معارضات مثانى اللجم بالجدل (٧)
إن العلى حدثتنى وهى صادقةٌ ... فيما تحدِّث أَن العز فى النقل (٨)
لو أن فى شرف المأوى بلوغ مُنى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً ... والحظ عنى بالجهال فى شغل
لعله إن بدا فضلى ونقصهم ... لعينه نام عنهم أَو تنبه لى
أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أَضيق العيش لولا فسحة الأَمل
لم أَرْتضِ العيش والأَيام مقبلةٌ ... فكيف أَرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة السيف أن يزهى بجوهره ... وليس يعمل إلا فى يدى بطل

(١) الصفاح : السيوف ، وخلل النقب الخفيف النافذ فى الشىء والكلل ستر يحاط به شبه الناموسية ، « المعنى » : ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لى بخفيف نظرى لها من ثقوب أستار بيوتهن وحجراتهن . (٢) أى لا أترك النظر من خلل الأستار الى نساء هذه القبيلة التى تحادثنى ولو أصابتنى شجعانها بالهلاك فجأة .

(٣) أى الرغبة فى النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتثاقل والفتور عنها . (٤) النفق كجبل سرب فى الأرض له منفذ من مكان آخر . (٥) غمار كثير والبلل القليل .

(٦) رسيم سرعة ، والأنيق الذلل أى الابل المروضة التى ليست بجموحة . (٧) أدفع بهذه الأنق فى أوائل الصحارى ، مسرعة مقابلات بأزمتها أعنة الخيل تصحبها فى السير أى غير متأخرة عنها فيه .

(٨) النقل التحول والانتقال .

ما كنت أُوثر أَن يمتد بى زمنى … حتى أَرى دولة الأَوغاد والسفل
تقدمتنى أُناسٌ كان شوطهم … وراءَ خطوى لو أَمشى على مهل
هذا جزاءُ امرىءٍ أَقرانه درجوا … من قبله فتمنى فسحة الأَجل
فإِن علانى من دونى فلا عجبٌ … لى أُسوةٌ بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجرٍ … فى حادث الدهر مايغنى عن الحيل
أَعدى عدوك أَدنى من وثقت به … فحاذر الناس واصحبهم على دخل
فإنما رجل الدنيا وواحدها … من لايعوِّل فى الدنيا على رجل
وحسن ظنِّك بالأَيام معجزةٌ … فظنَّ شراًّ وكن منها على وجل
غاض الوفاءُ وفاض الغدر وانفرجت … مسافة الخلف بين القول والعمل
وشان صدقك عند الناس كذبهم … وهل يطابق معوجٌّ بمعتدل
إن كان ينجع شىءٌ فى ثباتهم … على العهود فسبق السَّيف للعذل
ياوارداً سؤر عيشٍ كله كدرٌ … أَنفقت صفوك فى أَيامك الأُول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه ؟ … وأَنت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا … يحتاج فيه إلى الأَنصار والخول
ترجو البقاءَ بدار لا ثبات بها … فهل سمعت بظل غير منتقل؟
ويا خبيراً على الأَسرار مطلعاً … أَصمت ففى الصمت منجاةٌ من الذلل
قد رشحوك لأَمر إن فطنت له … فاربأْ بنفسك أَن ترعى مع الهمل

* * *

وقال المرحوم عبد الله فكرى يخاطب نجله المرحوم أَمين :

إذا نام غرٌّ فى دجى الخطب فاسهر … وقم للمعالى والعوالى وشمر
وخلّ أَحاديث الأَمانى فإنها … علالةُ نفس العجز المتحير
وسارع إلى مارُمْت مادمت قادرا … عليه فإن لم تبصر النجح فاصبر

ولا تأت أمراً لا ترجى تمامه ولا مورداً ما لم تجد حسن مصدر
وأكثر من الشورى فإنك إن تصب تجد مادحاً أو تخطىء الرأى تعذر
ولا تستشر فى الأمر غير مجرِّبٍ لأمثاله أو حازم متبصر
ولا تبغ رأياً من خؤون مخادعٍ ولا جاهل عز قليل التدبر
فمن يتبع فى الخطب خدعة خائن يعضُّ بنان النادم المتحسر
ومن يتبع فى أمره رأى جاهل يَقده وإن يعرض لك الشك فاخبر
ولا تصغ فى رد الصديق لكاذب نموم وإن يعرض الك الشك فاخبر
ولا تغترر تندم ولا تك طامعاً تذل ولا تحقر سواك تحقر
وعود مقال الصدق نفسك وارضه تصدق ولا تركن إلى قول مفترى
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن لكفيك فى الإنفاق إمساك مقتر
ولا تقف زلات العباد تعدها فلست على هذا الورى بمسيطر
ولا تتعرض لاعتراض عليهم دع الخلق للخلاق تسلم وتؤجر

* * *

وقال عبد القيس بن خفاف البرجمى المتوفى سنة ٥١ هـ :

ابنىَّ إن أباك كارب يومه فإذا دعيت إلى المكارم فاعجل
أوصيك إيصاءَ امرىءٍ لك ناصح طبن بريب الدهر غير مغفل
الله فاتقه وأوف بنذره وإذا حلفت ممارياً فتحلل
والضيف أكرمْه فإن مبيته حقٌّ ولا تك لعنة للنزل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله بمبيت ليلته وإن لم يسأل
وصل المواصل ما صفا لك وده واجذذ حبال الخائن المتبدل
واحذر محل السوء لا تحلل به وإذا نبا بك منزل فتحول
واستأن تظفر فى أمورك كلها وإذا عزمت على الهدى فتوكل

واستغن ما أَغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة ، فتحمل
وإذا افتقرت فلا تكن متجشعاً ... ترجو الفواضل عند غير المفضل
وإذا تشاجرَ فى فؤادك مرة ... أَمران فاعمد للأَعف الأَجمل
وإذا هممت بأَمر سوءٍ فاتئد ... وإذا هممت بأَهل خير فاعجل

* * *

وقال فقيد اللغة ناصيف بن عبد الله اليازجى اللبنانى المتوفى سنة ١٢٨٧ﻫ :

دع يوم أَمس وخذ فى شأن يوم غد ... واعدد لنفسك فيه أَفضل العدد
واقنع بما قسم الله الكريم ولا ... تبسط يديك لنيل الرزق من أَحد
والبس لكل زمان بردة حضرت ... حتى تحاك لك الأُخرى من البرد
ودر مع الدهر وانظر فى عواقبه ... حذار أَن تبتلى عيناك بالرمد
متى ترى الكلب فى أَيام دولته ... فاجعل لرجليك أَطواقاً من الزرد
واعلم بأَن عليك العار تلبسه ... من عضة الكلب لا من عضة الأَسد
لا تأْمل الخير من ذى نعمة حدثت ... فهو الحريص على أَثوابه الجدد

* * *

وقال مؤلف هذا الكتاب السيد أَحمد الهاشمى معارضاً لامية الطغرائى :

عليك بالصبر والإخلاص فى العمل ... ولازم الخير فى حِل ومُرْتحل
وجانب الشر واعلم أَن صاحبه ... لابد يجزاه فى سهل وفى جبل
واثبت ثبات الرواسى الشامخات ولا ... تركن إلى فشل فى ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعروك من نوب ... ولا تكن جازعا فى الحادث الجلل
واصبر على مضض الأَيام محتملا ... ففيه قرع لباب النجح والأَمل
تأَن متئداً فيما تروم ولا ... تعجل وإن خلق الإنسان من عجل
لا تطلب العزَّ فى دار ولدت بها ... فالعزُّ عند رسيم الأَينق الذلل

شمر وجِدَّ لأَمر أَنت طالبه إذ لا تنال المعالى قط. بالكسل
واحذر مساوىءَ أَخلاق تشانُ بها وأَسوأ السوء سوءُ الخلق والبخل
واخفض جناحك للمولى وجُد ونل ما أَقبحَ الكبرَ والإمساك بالرجل
لا تسأَلِ النذل ، واقصد ما جداً حدباً
فى طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل
ولا تجادل جَهولا ليس يفهمُ ما تقول فالشر كل الشر فى الجدل
ولا تكن لنزول الخطب مضطرباً فى حادث الدهر ما يُغنى عن الحيل
الجود أَحسن ما أَوليت من خُلقٍ والعفو أَنقى لداءِ الضغن والدخل
والحلم ملحُ فساد الأَمر يصلحه والبذلُ خير فِعال الماجد البطل
لاتقتحم غمرات البحر مرتكباً وأَنت يكفيك منه مصة الوشل
ولا تعاشر سوى حزم أَخا ثقة واربأ بنفسك أَن ترعى مع الهمل
لا تنخدع لصديق يدعى مَلقاً بل حاذرِ الناسَ واصحبهم على دخل
لاتأمنن أَحدا واحذر مكائدهم وظن شرا وكن منهم على وجل
ولا تغرنك الدنيا بزهرتها فهل سمعت بظل غير منتقل
إن الغنى غنى النفس فى كرم بالطبع ، لا باقتناءِ الشاءِ والإبل
إن الصنيعة للأَنذال تفسدهم كما تضر رياح الورد بالجعل
مرارة النصح تحلو لى مضاضتها وربما صحت الأَجسام بالعلل
دع التكلف لايُجديك منفعة ليس التكحل فى العينين كالكحل
أَرى الرعاء رِعاءَ الشاءِ فى ترَفٍ فى أَرفع العيش بين الخيل والخوَلِ
وسادة العصرِ قد أَلقوا مقالِدَهم إلى الطغام شرار الناس والسفل
تحكموا فى قضايا الناس واحتكموا وحكموا كل ذى جهل أَخى خبل
من كل غر جهول لا يرى رشدا كباقل مثلا فى العى والخطل

القبضُ والبَسْطُ فى أَيدى ذوى شططٍ
من كلِّ سكران من خمر الهوى ثَمِل

تسْطو الكلابُ عَلى أُسْدِ الشرى سَفها
والبازُ الاشهب يخشى صَوْلة الحجل

والقرد يضحك من نمر على هُزُءٍ … والكلب يُوعِدُ ليث الغيلِ بالغيل
نال المرامَ عُلوجٌ لاخلاق لهم … فوق المؤمِّل من شب ومكتهل
أَمْلى لهم دَهْرَهُم فاستمهلوا أَبدا … مرخى لهم من مُرُوع العيش والطول
شرٌّ العصور زمانٌ يستمد به … خِبٌ لئيمٌ غدا فى الشر كالثمل
لا يعلم الرُّشد من غى وليس له … سوى الشرارة فى قول وفى عمل

يشكو الطوى كل ذى فضل وذى أَدب
وسُوقةُ الناس فى رغد وفى جَذَلِ

مالى وللبلدةِ الحمقاءِ أَسكنها … مساكناً لذوى خرق أولى حيل
وليسَ لى ناقةٌ فيها ولا جملٌ … وليس لى ثم من ثور ولا حمل
لا يستقيمُ وفاقٌ لى بمثلهم … وهل يطابق مُعْوَجٌ بمعتدل ؟
قد ذقتهم وبَلوْتُ الحال عندهم … فما حصلتُ على صاب ولاعسل
لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت … مسافة الخلف من قول ومن عمل
(أَضحت مواعيدُ عرقوب لهم مثلا) … وما مواعيدهم إلا على دَخَل
أَشكو الزمان وأَهليه وأَمقتهم … إذ سوء أَفعالهم أَو فى على القلل
ساءت سريرتهم ، حالت طريقتهم … زاغت بصيرتهم عن أَقوم السبل
علم بلا عمل ، حُكم بلا حكم ، … ظلم على عجل ، وعدٌ على مهل
الإِفك والزُّورُ والبُهْتان عندهم … والسعى فى الأَرض بالإِفساد والخلل
الكذب مستحسن والصدق عندهم … مستهجن من صفات العاجز الوكل

أهنى الطعام لحوم الناس عندهم ... والنمّ فيما لديهم شربة العسل
نكث العهود سجاياهم ودأبهم ... خلف الوعود وذا من أسوأ الثقل
يا دهر مالك والأحرار تقهرهم ... تذل كل كريم الأصل مقتبل
حتى متى يازمان السوء تفعل ما ... تشيب به النواصى غير محتمل
تؤخر الفاعل المرفوع تحفظه ... مقدماً لفاعيل على البدل
وساقة الجيش قد أضحت مقدمة ... مثل التليل غدا فى مؤخر الكفل
فلست أحفظ فى ذى الدهر من أسف ... أطال أيام عمرى أم دنا أجلى
واهاً لقلبى بين يوم البين إذ ظعنوا ... فالعين فى لجج والقلب فى شعل
كيف التصبر من نارى نوى وجوى ؟ ... وفى الحشا لك جرح غير مندمل
فقد فقدت الألى كانت ببهجتهم ... نور النواظر فى الأحداق والمقل
لم أكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا ... ولا ابتغيت لهم فى الناس من بدل
ولم يبق لى الدهر بعد البين من جلد ... ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ... ولا من الدمع ما أبكى على طلل
قلبى على لهب والجسم فى نصب ... والروح فى وصب واللب فى ذهل
حسبى الغرام حليف والجوى أبدا ... منادماً ، وسمير غير منفصل
خذها محبرة غيداء غالية ... أتت على عجل كالقابس العجل
جاءت من (الهاشمى) لاتبتغى مهراً ... من خاطب لبنان النظم فى عطل

* * *

وقال محمد اليمنى الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ :

لا تحتقرن كيد الضعيف فربما ... تموت الأفاعى من سموم العقارب
وقد هد قدماً عرش بقليس هدهد ... وخرب حفر الفأر سد مأرب

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز — عليه من الإنفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معترك — يكر علينا جيشه بالعجائب
وما راعنى غدر الشباب لأننى — أنست بهذا الخلق من كل صاحب
وغدر الفتى فى عهده ووفائه — وغدر المواضى فى نبوّ المضارب

وقال الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ :

سامح أخاك إذا خلط — منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه — إن زاغ يوماً أو سقط
واحفظ صنيعك عنده — شكر الصنيعة أو غمط
وأطعه إن عاصى ، وهن — إن عز ، وادن إذا شحط
واقن الوفاء ولو أخـــل بما اشترطت وماا شترط
واعلم بأنك إن طلبـــت مهذباً رمت الشطط
من ذا الذى ما ساء قط — ومن له الحسنى فقط ؟

وقال أيضاً :

اسمع أخى وصية من ناصح — ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة — فى مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى — وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
فهناك إن تر ما يشين فواره — كرماً وإن تر ما يزين فأفشه
واعلم بأن التبر فى عرق الثرى — خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها — من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا — لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا فى نفسه — لدروس بزته ورثة فرشه

الباب التاسع فى العلم

قال مؤيد الدين الأَصبهانى المعروف بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ ﻫ :

من قاس بالعلم الثراءَ فإنه في حُكمه أَعمى البصيرة كاذبُ
العلم تخدمه بنفسك دائما والمال يخدم عنك فيه نائب
والمال يسلب أَو يبيد لحادث والعلم لايخشى عليه السالب
والعلم نقش فى فؤادك راسخ والمال ظل عن فنائك ذاهب
هذا على الإنفاق يغزر فيضه أَبدا وذلك حين تنفق ناضب

العلم أَشرف شىءٍ قاله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلم العلم واعمل يا أُخىَّ به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

العلم مبلغ قوم ذروة الشرفِ وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلا لاتدنسه بالموبقات ، فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

لو كان نور العلم يدرك بالمنى ما كان يبقى فى البرية جاهل
اجهد ولا تكسل ولاتك غافلا فندامة العقبى لمن يتكاسل

وفى الجهل قبل الموت موت لأَهله وأَجسادهم دون القبور قبور
وإن امرأً لم يحى بالعلم قلبه فليس له حتى النشور نشور

لكل مجد فى الورى نفع فاضل وليس يفيد العلم من دون عامل
يسابق بعض الناس بعضاً بجدهم وما كل كر بالهوى كر باسل
إذ لم يكن نفع لذى العلم والحجا فما هو بين الناس إلا كجاهل

كذاك إذا لم ينفع المرءُ غيرَه ... يُعدُّ كشوك بين زهر الخمائلِ

يا ساعيا وطلابُ المال همته ... إنى أراك ضعيف العقل والدين
عليك بالعلم لاتطلب له بدلا ... واعلم بأنك فيه غير مغبون
العلم يجدى ويبقى للفتى أَبدًا ... والمال يفنى وإن أجدى إلى حين
هذاك عز وذا ذل لصاحبه ... ما زال بالبعد بين العز والهون

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأَدبا
كم سيد بطل آباؤه نجب ... كانوا الرؤوس فامسى بعدهم ذنباً
ومقرف خامل الآباءَ ذى أَدب ... نال المعالى بالآداب والرتبا
العلم كنز وذخر لا فناءَ له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أَبدًا ... ولا يحاذر منه القوت والسلبا
ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به درا ولا ذهبا

بالعلم والعقل لابالمال والذهب ... يزداد رفع الفتى قدرا بلا طلب
فالعلم طوق النهى به شرفاً ... والجهل قيد له يبليه باللعب
كم يرفع العلم أشخاصاً إلى رتب ... ويخفض الجهل أشرافاً بلا أدب
العلم كنز فلا تفنى دخائره ... والمرءُ ما زاد علماً زاد بالرتب
فالعلم فاطلب لكى يجديك جوهره ... كالقوت للجسم لاتطلب غنى الذهب

العلم زين فكن للعلم مكتسباً ... وكن له طالباً ما عشت مقتبساً
اركن إليه وثق بالله وآغن به ... وكن حليما رزين العقل محترساً
وكن فتى سالكا محض التقى ورعا ... للدين مغتنما فى العلم منغمسا

فمن تخلق بالآداب ظلَّ بها رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا

الناس من جهة التمثال أَكفاءُ أَبُوهُم آدم والأُمُّ حَوَاءُ
فإن يكن لهم فى أَصلهم شرفٌ يُفاخرون به فالطين والماءُ
ما الفخر إلا لأَهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أَدلاءُ
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأَهل العلم أَعداءُ
وإن أَتيت بجود ذوى نسب فإن نسبتنا جود وعلياءُ
ففُز بعلم تعِش حيا به أَبداً الناس موتى وأَهلُ العلم أَحياءُ

العلم يغرُس كل فضلٍ فاجتهد أَلا يفوتك فضل ذاك المغْرس
واعلم بأَن العلم ليس يناله من همه فى مطعم أَو ملبسِ
إلا أَخو العلم الذى يزهو به فى حالتيه عارياً أَو مكتسى
فاجعل لنفسك منه حظا وافراً واهْجر له طيب الرّقادِ وعبِّس
فلعل يوماً أَن حضرت بمجلس كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

وقال المرحوم أَحمد شوقى بك فى العلم والمعلم والتعليم :

قُمْ لِلمُعلم وَفِّهِ التبجيلا كاد المعلم أَن يكون رسولا
أَعلمت أَشْرَف أَو أَجل من الذى يبنى ويُنشئُ أَنفساً وعقولا ؟
سبحانك اللهم ، خير مُعلم علمت بالقلم القرون الأُولى
أَخرجت هذا العقل من ظُلماته وهديته النور المُبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم ، تارة صدأَ الحديد ، وتارة مصقولا
أَرسلت بالتوراة موسى مُرشداً وابن البتُول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمداً فسقى الحديث وناول التنزيلا

علمت يوناناً ومصر فزالتا　　عن كُلِّ شمس ما تريد أُفولا
واليوم أَصبحنا بحال طُفولة　　فى العلم تلتمسانه تطفيلا
من مشرق الأَرض الشموس تظاهرت　　ما بال مغربها عليه أُديلا
يا أَرض مُذْ فقد المعلم نفسه　　بين الشموس وبين شرقك حيلا
ذهب الذين حموْا حقيقة علمهم　　واستعذبوا فيها العذاب وبيلا
فى عالم صحب الحياةَ مُقيداً　　بالفرد ، مخزوماً به ، مغلولا
صَرَعته دنيا المستبد كما هوت　　من ضربة الشمس الرءُوس ذهولا
سُقراط أَعطى الكأْس وهى منية　　شفتى محب يشتهى التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهى غباوةٌ　　فأَبى وآثر أَن يموت نبيلا
إن الشجاعة فى القلوب كثيرة　　ووجدت شجعان العقول قليلا
أُمعلمى الوادى وساسة نشئه　　والطابعين شبابه المأْمولا
والحاملين إذا دعوا ليُعلموا　　عبءَ الأَمانة ، فادحاً مسئولا
ونيت خطا التعليم بعد محمد　　ومشى الهوينا بعد إسماعيلا
حتى رأَينا مصر تخطو إصبعا　　فى العلم ، إن مَشتِ المماليك ميلا
تلك الكفور وحشوها أُميةٌ　　من عهد (خُوفو) لم تر القنديلا
نجد الذين بنى المسلة جدهم　　لايُحسنون لإبرة تشكيلا !
ويُدللون إذا أُريد قيادُهم　　كالبُهْم تأْنس إذ ترى التدليلا
يتلو الرجال عليهمو شهواتهم　　فالناجحون أَلذهم ترتيلا
الجهل لا تحيا عليه جماعة　　كيف الحياة على يدى عزريلا ؟
ربوا على الإنصاف فتيان الحمى　　تجدوهم كهف الحقوق كهولا
فهو الذى يبنى الطباع قويمة　　وهو الذى يبنى النعوس عدولا
وتقيم منطق كل أَعوج منطق　　ويريد رأْياً فى الأُمور أَصيلا

وإذا المعلمُ لم يكن عدلا مشى روح العدالة فى الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساد لحظ بصيرة جاءت على يده البصائرُ حُولا
وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ومن الغرُور فسمه التضليلا
وإذا أُصيب القوْم فى أَخلاقهم فأَقم عليهم مأْتماً وعويلا
إنى لأَعذركم وأَحسب عِبْئكم من بين أَعباءِ الرجال ثقيلا
وجد المساعد غيرهم وحرمْتُمو فى مصر عون الأمهات جليلا
وإذ النساءُ نشأْن فى أُميةٍ رضع الرجال جهالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة ، وخلفاه ذليلا
فأَصاب بالدنيا الحكيمة منهما وبحسن تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذى تلقى له أُمًّا تخلت أَو أَباً مشغولا

* * *

الباب العاشر فى العقل

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أَدنى إلى شرفٍ من الإنسان
ولربما طعن الفتى أَقرانه بالرأْى قبل تطاعن الأَقران

أَلم تر أن العقل زين لأَهله ولكن تمام العقل طول التجارب

يقول لك العقل الذى زين الفتى إذا لم تكن تقدر عدوك داره
ولاقِه بالترحيب والبشر والقِرى وبارك له مادمت تحت اقتداره
وقبل يد الجانى التى لست قادرا على قطعها وارقب سقوط جداره

العقلُ حُلة فخر مَن تسربلها كانت له نسباً تغنى عن النسب
والعقل أَفضل ما فى الناس كلهم بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

وأفضل قسم الله للمرءِ عقله فليس من الخيرات شىءٌ يقاربه
يعيش الفتى بالعقل فى الناس إنه على العقل يجرى علمه وتجاربه
يشين الفتى فى الناس قلة عقله وإن كرمت أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرءِ عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهب الله لامرئٍ هِبة أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن عُدما فإن فقد الحياة أجمل بِهْ

يُعدُّ رفيع القوم من كان عاقلا وإن لم يكن فى قومه بحسيب
وإن حل أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل فى بلدة بغريب

من كان ذا مال ولم يك عاقِلا فذاك حمار حملوه من التبر
أرى العقل مرآة الطبيعة إذ به نرى صور الأشياء فى عالم الفكر

ذو العقل فى معترك الأقدار مقتدر لكن ذا الجهل مغلوب ومغلول
وعقل ذى الجزم مرآة الأُمور بها يرى الحقائق ، والمجهول مجهول

وعُقول الأَنام لو تستوى لم يك فرقٌ بين الغبىّ والنبيه
محور الأَرض لو غدا مستقيما لتساوى النهار والليل فيه

* * *

الباب الحادى عشر فى الأدب

قال أبو تمام فى مكارم الأخلاق :

إذا جاريت فى خلق دنيئاً فأَنت ومن تجاريه سواءُ
رأَيت الحُر يجتنب المخازى ويحميه عن الغدر الوفاءُ

وما من شدة إلا سيأتى لها من بعد شدتها رخاءُ
لقد جربت هذا الدهر حتى أفادتنى التجارب والعناء
يعيش المرءُ ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاءُ
إذا لم تخش عاقبة الليالى ولا تستح فاصنع ما تشاءُ

وقال أيضاً فى الحرية :

سأصرف وجهى عن بلاد غدا بها لسانى معْقُولا وقلبى مقفلا
وإن صريح الحزم والرأى لامرئ إذا بلغته الشمسُ أن يتحوّلا

وقال أبو فراس الحمدانى فى نتيجة الاختبار والتجارب :

لا أشترى بعد التجارب صاحباً إلا وددت بأننى لم أشره
وتركتُ حلو العيش لم أحفل به لما رأيت أعزه فى مرّه
والمرءُ ليس بغانم فى أرضه كالصقر ليس بصائد فى وكره

قال أبو العلاء المعرى فى الشيوخ المتظاهرة بالصلاح :

لئن قدرت فلا تفعل سوى حسن بين الأنام وجانب كل ما قبحا
فكم شيوخ غدوا بيضاً مفارقهم يُسبِّحون وباتوا فى الخنا سبحا
وليس عندهم دينٌ ولا نُسكٌ فلا تغرك أيد تحملُ السِّبحا
لو تعقل الأرض ودت أنها صَفرت منهم فلم ير فيها ناظر شبحا

وقال الطغرائى فى المقارنة بين العدو والحسود :

جامل عدوك ما استطعت فإنه بالرفق يطمع فى صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراك تودُّداً منه أضر من العدوِّ الحاقد
ولربما رضى العدو إذا رأى منك الجميل فصار غير معاند

ورضا الحسود زوالُ نعمتك التى أُوتيتها من طارف أَو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ترمى حشاه بالعذاب الخالد
أَو ما رأَيت النار تأْكل نفسها حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفو على المحسود نعمة ربه ويذوب من كمدٍ فؤاد الحاسد

وقال ابن الرومى فى عدم الإكثار من الأَصحاب :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداءَ أَكثر ما تراه يكون من الطعام أَو الشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدوًّا مبيناً والأُمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير يطيب كانت مصاحبة الكثير من الصواب

وقال فى الانفراد والوحدة :

ذُقت الطعوم فما التذذت براحة من صحبة الأَخيار والأَشرار
أَما الصديق فلا أَحب لقاءَه حذر القلى وكراهة الإعوار
وأَرى العدو قذًى فأَكره قرنه فهجرت هذا الخلق عن أَعذار
من جور إخوان الزمان سرورهم يتفاضل الأَحوال والأَخطار
لو أَن إخوان الصفاء تناصفوا لم يفرحوا بتفاضل الأَعمار
أَاحب قوماً لم يحبوا ربهم إلا لفردوس لديه ونار ؟ !

وقال المتنبي يلفت نظر العقلاءِ إلى طلب المعالى :

إذا غامرت فى شرف مرُوم فلا تقْنع بما دون النجوم
فطعم الموتِ فى أَمر حقير كطعم الموت فى أَمر عظيم
يرى الجبناءُ أَن العجز عقل وتلك خديعةُ الطبع اللئيم
وكل شجاعة فى المرءِ تغنى ولا مثل الشجاعة فى الحكيم
وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وقال بشار بن برد فى وصف الأخ الحقيق :

خير إخوانك المشارك فى المـــــر وأين الشريك فى المرِّ أينا ؟
الذى إن شهدت سرك فى الحــــى وإن غبت كان أُذناً وعينا
مثل سر الياقوت إن مسه النا ر جلاه البلاءُ فازداد زينا
أنت فى معشر إذا غبت عنهم بدلوا كل ما يزينك شينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للأنام ودًّا صحيحاً عاد كل الورى زورا ومينا

وقال أبو العتاهية فى صنع الجميل مع الناس :

خير أيام الفتى يوم نفعْ واصطناع الخير أبقى ما صنع
ما ينالُ الخير بالشر ولا يحصد الزارع إلا ما زرع
خذ من الدنيا الذى دَرَّت به وسل عما بان منها وانقطع
إنما الدنيا متاع زائل فاقتصد فيه وخذ منه ودع
وارض للناس بما ترضى به واتبع الحق فنعم المتبع

وقال أيضاً :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبى
لكل شىءٍ زينة فى الورى وزينة المرءِ تمام الأدب
قد يشرف المرءُ بآدابه فينا وإن كان وضيع النسب

وأنشد أبو عبد الله نفطويه لنفسه فى كون التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر :

أرانى أنسى ما تعلمت فى الكبر ولست بناس ماتعلمت فى الصغر
وما العلم إلا بالتعلم فى الصبا لأنى فيه العلم كالنقش فى الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كلّ قلب المرءِ والسمع والبصر

وما المرءُ إلا اثنان : عقل ومنطق   فمن فاته هذا وهذا فقد دَمَرْ(١)

ومما ينشد لخلف الأحمر(٢) فى كون ميراث العلم أبقى من ميراث المال :

خير ما ورث الرجال بنيهم   أدب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والأو   راق(٣) فى يوم شدة ورخاء
تلك تفنى ، والدين والأدب الصا   لح لا يفنيان حتى اللقاء(٤)
إن تأدبت يابُنىَّ صغيرًا   كنت يوما تُعد فى الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك ألفيـــــت(٥) كبيرًا(٦) فى زمرة الغوغاء
ليس عطفى للعود إن كان رَطْباً   وإذا كان يابساً بسواء

ومن شعر المنصور الفقيه فى كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر :

أيها الطالبُ الحريص تعلم   إن للحق مذهباً قد ضللته
ليس يجدى عليك علمكَ إن لم   تكُ مستعملا لما قد علمته
قد لعمْرى اغتربت فى طلب العلم   وحاولت جمعه فجمعته
ولقيت الرجال فيه وزاحمـ   ت عليه الجميع حتى سمعته
ثم ضيَّعت أو نسيت ، وما ينْـ   فعُ علم نسيته أو أضعته
وسواءٌ عليك علمك إن لم   يُجد نفعاً عليك أم ما جهلته
إلى كم تخادع النفس جهلا   ثم تجرى خلاف ما قد عرفته
تصف الحق والطريق إليه   فإذا ما عَمِلت خالفت سمته

وقال محمود سامى البارودى فى انتهاز الفرصة :

بادر الفرصة واحذر فواتها   فبلوغ العز فى نيل الفرص
واغتنم عُمرك إبَّان الصبا   فهو إن زاد مع الشيب نقص

---

(١) أى هلك .   (٢) كان راوية للشعر والأدب وشيخا من شيوخ النحويين البصريين ، توفى سنة ١٨٠ هـ .   (٣) جمع ورق مثلثة وهى الدراهم المضروبة من الفضة .   (٤) يوم اللقاء أى لقاء الله وهو يوم القيامة .   (٥) أى وجدت .   (٦) نصب على الحال .

وابتدر مسْعاك واعلم أَن من | بادر الصيد مع الفجر قنص
واجتنبْ كل غبي مائق | فَهْوَ كالعيْر(١) إذا جدَّ قمصْ
إنما الجاهلُ فى العين قذى | حيثما كان ، وفى الصدر غصصْ
واختبرْ من شئت يعرفه . فما | يعرفُ الأَخلاق إلا من فحصْ
إن ذا الحاجة إن لم يغتربْ | عن حماه مثل طير فى قفصْ

وقال أَبو إسحاق إبراهيم الغزى فى كون الحركة بركة (٢) :

بمسيرة نقصَ الهلال ، وزادا | فاجعل كراك(٣) إذا اعتزمت سهادا(٤)
لولا انصلات(٥) البيض(٦) من أَغمادها (٧) | مشحوذة لم تفضل الأَغمادا
وفضيلة الحيوان فى حركاته | لولا منافعه لكان جمادا
ما العمر إلا راحلٌ وأَظنه اتخـــذ | الشبيبة للمسافة زادا
لا تخلعنَّ عن اللسان لجامهُ | وتوق فرط جماحِهِ المعتادا
فالله خصَّ الاستماع بـآلة | مثنى ، وجارحة الكلام فرادى

وقال أَبو نصر عبد العزيز نباتة السعدىُّ(٨) فى طلب العلا :

حاولْ جسيمات الأُمور ، ولاتقل | إن المحامد والعلا أَرزاق
وارغب بنفسك أَن تكون مقصرا | عن غاية فيها الطلاب سباق

---

(١) الحمار . (٢) هو ابراهيم بن يحيى بن عثمان الـكلبى شاعر مجيد صاحب مطولات ولد بغزة سنة ٥٢٤هـ ، وتصرفت به الأحوال فذهب الى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٤هـ . (٣) الكرى النوم.
(٤) السهاد السهر . (٥) تجرد . (٦) السيوف .
(٧) جمع غمد وهو قراب السيف . (٨) هو أبو نصر عبـد العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة ، وينسب الى سعد تميم وعد فى شعراء سيف الدولة الحمدانى ، وله ديوان حافل ، توفى سنة ٤٠٥ ببغداد ، وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره | تنوعت الأسباب والموت واحد

لا تشفقنَّ فإن يومك إن أَتى ميقاته لم ينفع الإشفاق
وإذا عجزت عن العدو فداره وامزحْ له إن المزاح وفاق
فالنارُ بالماءِ الذى هو ضدها تُعطى النضاج ، وطبعها الإحراق

وقال المعتمد بن عباد فى وجوب التضحية لفدية الوطن :

إن يسْلب القوم العدَى وطنى وتسلِمُنى الجموع
فالقلبُ بينَ ضلوعِه لم تُسلم القلبَ الضلوع
قد رُمت يوم نزالهم ألا تحصننى الدُّرُوع
وبرزتُ ليس سوى القمـ ـيص على الحشا شىءٌ دفوع
أَجلى تأَخر لم يكن بهواى ذلِّى والخضوع
ما سِرْتُ قط إلى القتا ل وكان من أَملى الرجوع
شيمُ الأُولى أنا منهمُ والأَصل تتبعه الفروع

وقال موسى بن عبد الله فى وجوب عدم الثقة بالغير :

تَولت بهجة الدنيا فكلٌّ جديدها خلق
وخان الناسُ كلُّهمُ فما أَدْرى بمن أَثق
رأَيت معالم الخير ات سُدَّتْ دونها الطرق
فلا أَدبٌ ولا كرَمٌ ولا فضلٌ ولا خلق
فلستُ مُصدِّق الأَقوا م فى شىءٍ وإن صَدقوا

وقال الأَبْيَوَرْدى الأَموى المتوفى عام ٥٥٧ هـ بخراسان فى تقلب الزمان :

ملكنا أَقاليمَ البلاد فأَذعنت لنا رغبة أَو رهبَة عظماؤها
فلما انتهت أَيامنا علقت بنا شدائدُ أَيامٍ قليل رخاؤها
وصِرْنا نلاقى النائباتِ بأَوجه رقاق الحواشى كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا أَن نبُوح بما جَنَت علينا الليالى لم يدعْنا حياؤها

وقال القاضى عبد الوهاب فى دوام الخير بين الناس ما داموا درجات ، فإذا تساووْا هلكوا :

مَتى تَصلُ العطاشُ إلى ارْتِواءٍ إذا استقت البحارُ من الركايا
ومَنْ يَثْنى الأَصاغِرَ عن مرادٍ وقد جلس الأَكابرُ فى الزَّوايا
وإنَّ ترفُّعَ الوُضعاء يوماً على الرُّفعاء من إحدى البلايا
وإذا استوت الأَسافلُ والأَعالى فقد طابت مُنادمة المنايا

وقال سعيد بن محمد فى كون عمل الإنسان يدل على أصله :

ملكنا فكان العفو منا سَجيَّة فلما ملكتم سَالَ بالدم أَبطحُ
وحللتم قتل الأَسارى وطالما غدَوْنا على الأَسرى نَمُنُّ ونصفح
فحسبُكم هذا التعاون بيننا وكل إناءٍ بالذى فيه ينضحُ

وقال معْن بن أَوْفى فى لزوم التحفظ بآثار الآباءِ والجدود :

ورثنا المجد عن آباءِ صِدق أَسأنا فى جوارهمُ الصنيعا
إذا المجدُ الرفيع توَارَثتْه بُناةُ السوءِ أَوشك أَن يضيعا

وقال الإمام الشافعى فى المنِّ والأَذى وتعداد صنائع الإحسان :

يحمِلنَّ لمنْ يَمنُّ نُ مِن الأَنام عليك مِنَّه
واخْترْ لِنفسكَ حَظها واصبر فإن الصبر جُنَّه
مِنن الرجال على القلوب أَشَدُّ من وَقْعِ الأَسِنَّه

وقال على بن عبد العزيز الجرجانى فى وصف النفوس الأَبية :

وقالوا تَوَصَّل بالخضوع إلى الغنى وما علموا أَن الخضوع هو الفقر
وبينى وبين المال شيئان حَرَّما عَلَىَّ بالغنى : نفسى الأَبيةُ والدهر
إذا قيل هذا اليسر أَبصرتُ دونه مواقف خيرٌ من وقوفى بها العُسر

وقال الشريف الرضى فى كون المال خادماً للإنسان

اشتَرِ العِزّ بما بيع فما العز بغال

ليس بالمغبونِ عقلا مُشترٍ عِزًّا بمال
إنما يدخرُ المـ ـالُ لحاجاتِ الرجال
والفتى من جعل الأَمْـ ـوَال أثمان المعالى

وقال أبو تمام فى كون العز والمجد لاينالان إلا بالتعب والجد :

قد علمنا أن ليس إلا بشقِّ النـ ـفس صار الكريمُ يُدعى كريما
طلب المجد يُورث المرءَ خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما
فتراه وهو الخلىّ شجياً وترَاه وهو الصحيحُ سقيما
تيمَّتْه العلا فليس يَعُدُّ البـ ـؤس بؤساً ولا النعيم نعيما

وقال مخيس بن أرطاة فى لزوم تجنب الإنسان كل ما يُعاب :

عَرضْت نصحة منى ليحيي فقال غششتنى والنصحُ مُر
وما بى أن أكون أعيب يحيي ويحيي طاهرُ الأخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيي يُقال عليه بقاءُ شرّ
فقلتُ له تجنَّبْ كل شيءٍ يُعاب عليك إن الحرَّ حُرُّ

وقال ابن هانئ (متنبى الغرب) فى أن ليس للإنسان إلا ما سعى :

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجْدرَا
وبالهمة العلياءِ ترقى إلى العلى فمن كان أعلى هِمَّة كان أظْهرَا
ولم يتأخر مَن أراد تقدما ولم يتقدم من أراد تأخرا

وقال بعضهم فى كون التقليد فى الخير فضيلة :

إذا أعجبتك خلال امرئ فكنه تكن مثلَ مَن يعجبك
وليس على المجدِ والمكرماتِ إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

وقال أبو روح ظفر بن عبد الله فى الهمة والعزيمة الماضية :

السيف يعلم أن لى فى حَدِّه سِرًّا نهاه الدهر عن إفشائه
والدهر يعلم أن لى فى صدْره ناراً مضرمة على أحشائِه

ولو أن أَطراف السيوفِ وفين لى لأَخذتُ حق الدهر من أَبنائه
همٌّ مؤرقةٌ جفوف كلما أَرخى الظلامُ علىَّ ذيل خبائه
همُ النفوس منوطة بعنائها والمرءُ يخدعه لسانُ رجائه

وقال عمارة اليمنى المتوفى سنة ٦٦٩ فى الشجاعة والإقدام :

العلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العلم وشفرة السيف تستغنى عن القلم
وخيرُ خيلك إن غامرت فى شرف عزمٌ يفرق بين الساق والقدم
لايدركُ المجد إلا كلُّ مقتحمٍ فى موج ملتطم أَو فوج مضطرم
ورُبَّ أَمر يهاب الناس غايته والأَمر أَهونُ فيه من يَدٍ لفم
تنمى قوى الشيء بالتدريج إن رزقت
لطفاً ويقوى شرارُ النار بالضرم

وقال أَبو الحسن التهامى المتوفى سنة ٤١٦ هـ فى الأَدب العام :

لاتحمد الدهر فى بأْساء يكشفها فلو أَردت دوام البؤس لم يَدُم
فالدهرُ كالطيف بؤساهُ وأَنعمهُ عن غير قصد فلا تحمد ولا تلم
لاتحسبن حسب الآباءِ مكرمَة لمن يُقصرُ عن غايات مجدِهم
حسنُ الرجال بحسناهم وفخرهم بطولهم فى المعالى لا بطولهم
ما اغتابنى حاسِدٌ إلا شرفتُ به فحاسدى منعمٌ فى زى منتقم
فالله يكلأُ حسادى فأَنعمهم عندى وإن وقعت عن غير قصدهم

وقال أَبو تمام فى كون المرءِ يجمع والزمان يفرق :

ولكننى لم أَحو وفراً مجمعاً ففزت به إلا بشمل مبدَّدِ
ولم تعطنى الأَيام نوماً مسكنا أَلذُّ به إلا بنوم مُشردِ
وطول مقام المرءِ فى الحىِّ مخلق لديباجتيه فاغترب تتجددِ
فإنى رأَيتُ الشمس زيدت محبة إلى الناس أَن ليست عليهم بسرمدِ
وليس يجلى الكرب رمح مسدد إذا هو لم يؤنس برأى مسدد

وقال أبو تمام فى كون الحركة بركة :

مَنْ أَبن(١) البيوت أصبح فى ثو ... بٍ من العيش ليس بالفضفاضِ
والفتى من تعرفته الليالى ... فى الفيافى كالحية النضناضِ
صلتان أعداؤه حيثُ كانوا ... فى حديث من عزمه مستفاضٍ
كلَّ يوم له بصرف الليالى ... فتكةٌ مثل فتكة البراضِ

وقال بعضهم فى أن الأُمور تسهل بالصبر والإطمئنان لا بالذل والهوان :

إذا ضيقت أمراً ضاق جداً ... وإن هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لشيء فات يأْساً ... فكم أَمرٌ تصعب ثم لانا
سأَصبر من رفيقى إن جفانى ... على كل الأَذى إلا الهوانا

وقال الحسين بن مطير فى مكارم الأَخلاق :

أُحبُّ مكارم الأَخلاق جَهْدَى ... وأَكره أَن أَعيبَ وأَن أُعابا
وأَصفحْ عن سباب النَّاس حِلماً ... وشرُّ الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرِّجال تهيبوهُ ... ومن حقر الرجال فلن يُهابا

وقال القطامى فى التأَنى السلامة وفى العجلة الندامة :

والناسُ من يلق خيراً قائلون له ... مايشتهى ، ولأُم المخطئ الهبلَ
قد يدرك المتأَنى بعض حاجته ... وقد يكون من المستعجل الزلل
وربما فات قوماً بعض أَمرهم ... من التأَنى وكان الحزمُ لو عجلوا
والعيشَ لاعيشَ إلا ماتقرُّ به ... عين ولا حال إلا سوف تنتقلُ

وقال رجل من بنى أسد فى أنه لا خير فى ود يجيء تكلفا :

وما أنا بالنكس الدنىِّ ولا الذى ... إذا صد عنى ذو المودة أَحربُ
ولكنى إن دُمْت وإن يكن ... له مذهبٌ عنى فلى عنه مذهبُ

(١) ابن : لازم وأقام ، والفضفاض بفتح الفاء الشيء الواسع والصلتان الرجل الجاد فى أموره .

ألا إن خير الودِّ وُدٌّ تطوعت اله النفس لا ود أتى وهو متعب

وقال القاضى الجرجانى فى كون النفس الأَبية لا تقبل الدنايا وتستقبل المنايا :

يقولون لى : فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا منهل قلت قد رأى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى لأَخدم من لاقيتُ لكن لأَخدما
أأَشقى به غرساً ؟ وأَجنيهِ ذلة ، إذن فاتباعُ الجهل قد كان أَحزما

وقال البعيث بن حريث فى كون كرامة الإنسان متوقفة على حفظ الأَوطان :

وإن مسيرى فى البلادِ ومنزلى لبالمنزل الأَقصى إذا لم أقرب
ولستُ وإن قربت يوماً ببائع بلادى ولا دينى ابتغاءَ التحبب
ويَعتده قوم كثير تجارة ويمنعنى من ذاك دينى ومنصبى

وقال عمر بن الأَطنابة فى اقتحام الأَخطار لنيل الفخار :

أَبت لى عفتى وأَبى بلائى وأَخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأَت وجاشت رويدك تحمدى أَو تستريحى
لأَدفع عن مآثر صالحات وأَحمى بعدُ عن عِرْض صحيح

وقال أَبو تمام لايستحق الشكر والحمد إلا من تعب وجد :

الحمد شهدٌ لا ترى مشتارهُ يجنيه إلا من نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبهُ الذى لم يره عاتقهُ خفيفُ المحمل

وقال بعضهم فى الفقير الصابر المتجمل بالعفاف والكفاف :

كم فاقة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحتهُ قلبٌ شج قد خامرتهُ لوعة ما تنجلى

وقال أَبو تمام فى صدق اليقين :

قالوا ولكنهم طابوا فأَنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عدد
إذا رأوا المنايا عارضاً لَبِسُوا من اليقين دُرعاً مالها زَرَدُ

وقال هدية العذرى فى وجوب وضع الشىء فى موضعه :

ولا أَتمنَّى الشرَّ والشرُّ تاركى ولكن متى أَحمل على الشر أَركبِ
ولستُ بمفراحٍ إذا الدهر سرنى ولا جازعٍ من صرفه المتقلب

وقال بعضهم فى وجوب الثبات على المبدأ :

قد عشت فى الدهر أَطواراً على طرق شتى وقاسيتُ فيها اللينَ والفظعا
كلاًّ بلوتُ فلا النعماء تبطرُنى ولا تخشعتْ من لأوائها جزعا
لا يملأُ الهولُ صدرى قبل موقعه ولا أَضيقُ به ذرعاً إذا وقعا

عوِّد بنيك على الآداب فى الصغر كيما تقر بهم عيناك فى الكبر
فإنما مثل الآداب تجمعها فى عُنفوان الصبا كالنقش فى الحجر
هى الكنوز التى تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادثُ الغير
إن الأَديب إذا زلتْ به قدمٌ يهوى على فرش الديباج والسُّرَر
الناس صنفان : ذو علم ومُستمع واعٍ وسائرهم كاللغو والفكر

من لم يكن عقله مُودِّبه لم يغنه واعظ من النسب
كم من وضيع الأصل فى أُمم قد سودوه بالعقل والأَدبِ

لا تيأَسنَّ إذا ما كنت ذا أَدب على خمولك أَن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهبُ الإبريز مختلط بالتربِ إذ صار إكليلاً على الملك

السبعُ سبعٌ ولو كلتْ مخالبهُ والكلب كلب ولو بين السباع رُبى
وهكذا الذهب الإبريز خالطهُ صفر النحاس وكان الفضل للذهب

لا يُعجبنك أَثواب على رجل دع عنك أَثوابه وانظر إلى الأَدب
فالعود لو لم تفُح منه روائحه لم يفرق الناس بين العود والحطب
وليس يسودُ المرءُ إلا بنفسه وإن عدَّ آباء كراماً ذوى حسب
إذا العودُ لم يُثمر ولو كان شعبة من المثمرات اعتده الناس من حطب
قد ينفعُ الأَدبُ الأَحداث من صغر وليس ينفعُ بعد الشيبة الأَدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن يلين إذا قومتَهُ الخشب

وقال حاتم الطائى فى الكرم :

أَماوىُّ إن المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأَحاديثُ والذكرُ
أَماوىّ إنى لا أَقول لسائل إذ جاءَ يوماً حلَّ فى مالنا النذرُ
أَماوى إما مانِعٌ فمبيِّنٌ وإما عطاءٌ لا ينهنهُهُ الزَّجرُ
أَماوىُّ إن يصبح صداى بقفرةٍ من الأَرض لاماءٌ لدىَّ ولا خمرُ
ترى أَن ما أَنفقتُ لم يك ضرَّنى وأَن يدىَّ مما بخلتُ به صفرُ

وقال حاتم الطائى أَيضاً فى الإِيثار :

وما أَنا بالساعى بفضل زمامها لتشرب ماءَ الحوض قبل الركائب
وما أَنا بالطاوى حقيبة رحلها لأَبعثها خفا وأَترك صاحبى
إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أَنخها فأَردفهُ فإن حملتكما فذاك وإن كان العقابُ فعاقِب

وقال بعض الشعراءِ المتقدمين فى ذم الغيرة :

ما أَحسن الغيرة فى حينها وأَقبح الغيرة فى كلِّ حين
من لم يزل مُتهما عرسه مناصباً فيها لريْب الظنون
أَوشك أَن يغريها بالذى يخاف أَن يبرزها للعيون
حسبك من تحصينها وضعها منك إلى عرض صحيح ودين

لا تطلع منك على ريبةٍ ... فيتبعُ المقرونُ حبل القرين

وقال بعض الشعراءِ المتقدمين فى كرم الضيافة :

أَضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ويخصب عندى والمحلُّ جديبُ

وما الخصب للاضياف أن يكثر ... القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وقالت ليلى الأَخيلية فى العفة :

وذى حاجةٍ قلنا له : لاتبح ... فليس إليها ما حييتُ سبيل

لنا صاحبٌ لاينبغى أن نخونه ... وأَنت لأُخرى صاحبٌ وخليلُ

وقال ابن الرومى فى القناعة :

مرحباً بالكفاف يأتى هنيئاً ... وعلى المتعبات ذيل العفاءِ

ضِلة لامرىءٍ يشمِّر فى الجمـــع لعيش مُشمر للفناءِ

دَائباً يكنز القناطير للوا ... رث والعمر دائباً فى انقضاءِ

يحسب الحظ كله فى يديه ... وهو منه على مدى الجوزاءِ

ليس فى أجل النعيم له حـــظ ، وما ذاق عاجل النعماءِ

ذلك الخائبُ الشقىُّ وإن كا ... ن يرى أنه من السّعداءِ

حسبُ ذى إربةٍ ورأى جلىٍّ ... نظرت عينه بِلَا غلواءِ

صحة الدِّين والجوارح والعِرْ ... ض وإحراز مُسكة الحوباءِ

تلك خيرٌ لعارف المجد مما ... يجرع الناس من فضول الثراءِ

وقال بعض الشعراءِ المتقدمين فى القناعة :

أَحِبُّ الفتى ينفى الفواحِش سمعه ... كأَن به عن كلِّ فاحشةٍ وقْرَا

سليم دواعى الصدر لا باسطا أَذى ... ولا مانعاً خيرًا ولا قائلا هُجْرَا

إذا ما أَتت من صاحب لك زلة ... فكن أَنت مُحتالا لزلته عُذْرَا

غنى النفس مايكفيك من سدخلة ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرَا

وقال بعض الشعراءِ المتقدمين فى حب البنين :

لولا أُميمة لم أَجزع من العدَم ... ولم أَجُفْ فى الليالى حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى ... أَن اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أَحاذرُ الفقر يوماً أَن يلم بها ... فيهتك الستر عن لحم وعن ضم
تهوى حياتى وأَهوى موتها شفقاً ... والموت أَكرم نزال عن الحرم

وقال مسكين فى كتمان السر :

وفتيان صِدْق لست مُطلع بعضهم ... على سر بعض غير أَن جماعها
لكل امرىءٍ شعب من القلب فارغ ... وموضع نجوى لا يُرام اطلاعها
يظلون شتى فى البلاد وسِرُّهم ... إلى صخرة أَعيى الرجال انصداعها

وقال أَبو العتاهية فى المغفرة :

إنى شكرت لظالمى ظلمى ... وغفرتُ ذاك له على علمى
ورأَيتُه أَسدَى إلىَّ يدًا ... لما أَبان بجهله حلمى
رجعَت إساءته عليه وإحسـ ... ـانى فساد مُضاعف الجُرْم
وغدوتُ ذا أَجْرٍ ومحمدة ... وغدا بكسب الظلم والإِثم
فكأَنما الإِحسان كان له ... وأَنا المسىءُ إليه فى الحكم
ما زال يظلمنى وأَرحمه ... حتى بكيت له من الظلم

وقال ابن مطير فى إكرام النفس :

ومَن يتبع ما يُعجب النفس لم يزل ... مُطيعاً لها فى فعل شىءٍ يُضيرها
فنفسك أَكرم من أُمور كثيرة ... فما لك نفسٌ بعدها تستعيرها

وقال بشار فى السعادة :

وما خاب بين الله والناس عاملٌ ... له فى التقى والمحامد سوقُ
ولا ضاق فضل الله عن مُتعفف ... ولكن أَخلاق الرجال تضيقُ

وقال أَبو تمام فى الصداقة الكاذبة :

إن شئت أَن يسود ظنك كله ... فأَجلهُ فى هذا السواد الأَعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً ... متبسما عن باطن متجهم

وقال بعض الشعراءِ المحدثين فى الحشمة :

فىّ انقباضٌ وحشمة فإِذا ... صادقتُ أَهل الوفاءِ والكرم
أَرسلتُ نفسى على سجيتها ... وقلتُ ما قلتُ غير مُحتشم

وقال أَبو تمام فى القناعة :

من زاحف الأَيام ثم عبا لها ... غير القناعة لم يزل مَقْلولا
من كان مرعى عزمِه وهمومه ... روض الأَمانى لم يزل مهزولا
لو حاز سلطان القنوع وحُكمه ... فى الأَرض ما كان القليل قليلا

وقال أَبو العلاءِ المعرى فى الخمر :

أَيأْتى نبىٌّ يجعل الخمر طلقةً ... فتحمل شيئاً من همومى وأَحزانى
وهيهات لو حلَّتْ لما كنت شارباً ... مخففةً فى الحلم كفة ميزانى

وله أَيضاً فى أَن الملك أَجير الرعية :

مُلَّ المقام فكم أُعاشر أُمةً ... أَمرَت بغير صلاحها أُمَراؤها
ظلموا الرَّعية واستجازوا كيدها ... فَعَدوْا مصالحها وهم أَجراؤها

وله أَيضاً فى رياءِ الوعَّاظ :

رُوَيْدك قد غُررت وأَنت حُرٌّ ... بصاحِب حيلة يعظ النساءَ
يُحرّم فيكم الصهباء صبحاً ... ويشربها على عمد مساءَ
يقول لكم غدوْت بلا كساءِ ... وفى لذاتها رهن الكساءِ
إِذا فعل الفتى ما عنه يَنهى ... فمن جهتين ، لا جهة ، أَساءَ

وله أيضاً :

إذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع ، فالخُسر للعلماءِ
قضى الله فينا بالذى هو كائن فتمَّ ، وضاعت حكمة الحكماءِ

وله فى سلطان العقل :

يرتجى الناس أن يقوم إمامٌ ناطق فى الكتيبة الخرساءِ
كذب الظن لا إمامَ سوى العقـ ـل مُشيرًا فى صُبحهِ والمساءِ
إنما هذه المذاهبُ أسبا بٌ لجلب الدنيا إلى الرؤساءِ

وله فى رياء العباد :

لعل أُناساً فى المحاريب خُوِّفوا بـآى ، كناس فى المشارب أُطْربوا
إذا رام كيدًا بالصلاة مُقيمها فتاركها عمدًا إلى الله أقربُ

وله أيضاً :

أيا جسد المرء ماذا دها ك وقد كنت من عنصر طيب
تصيرُ طهورًا إذا ما رجَعْـ ـتَ إلى الأصل كالمطر الصيِّبِ

وله فى قسمة الارزاق :

لقد جاءَنا هذا الشتاءُ وتحته فقيرٌ معرَّى ، أو أميرٌ مُدرج
وقد يرزق المجدود أقوات أُمةٍ ويُحرم قوتاً واحدًا هو أحوج

وقال فى ذم البطالة :

ويُعجبنى دأْب الذين ترهبوا سوى أكلهم كدالنفوس الشحائح
فما حبس النفس المسيحَ تعبدًا ولكن مشى فى الأرض مشية سائح

وفى الرفق بالحيوان :

قد رابنى مغدى الفقير بجهله على العيْر ضرباً ، ساءَ ما يتقلد
يحمِّله مالا يطيق ، فإن ونى أجال على ذى فترة يتجلد

وله أيضاً :

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة … أَىُّ المعانى بأَهل الأَرض مقصود
لم يعطنا العلم أَخبارٌ يجيءُ بها … نقل ولا كوكب فى الأَرض مرصود
وابيضَّ مااخضر من نبت الزمان بنا … وكل زرع إذا ما هاج محصود

وقال فى حقيقة الإيمان :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له … ولا صلاة ولا صُوفٌ على الجسد
وإذا هو ترك الشرَّ مطَّرحاً … ونفْضك الصدر من غل ومن حسد

وقال أَيضاً فى خرافات النساء :

سأَلت منجمها عن الطفل الذى … فى المهد : كم عائشٌ من دهره؟
فأَجابها مائة ليأخذ درهما … وأَتى الحمامُ وليدها فى شهره !

وقال أَيضاً فى راحة الموت :

قدِم الفتى ومضى بغير تئيَةٍ … كهلال أَول ليلة من شهره
لقد استراح من الحياة مُعجَّلٌ … لو عاش كابد شِدَّة فى شهره

وفى العفة :

أَحْسِن جِوارا للفتاة وعدَّها … أُخت السماك على دُنُوِّ الدار
كتجاور العينين لن تتلاقيا … وحجاز بينهما قصير جدار

وله فى بقاء الماء :

مضى الأَنام فلولا علم حالهم … لقلت قول زهير آية سلكوا
فى الملك لم يخرجوا عنه ولاانتقلوا … منه فكيف اعتقادى أَنهم هلكوا

وقال فى الصبر على الأَذى :

إذا قال فيك الناس مالا تحبُّه … فصبرا يفِىْ ود العدو إليكا
وقد نطقوا مَيْناً على الله وافتروا … فما لهم لا يفترون عليكا

الدِّين المعاملة ، للمعرى أيضاً :

سَبِّحْ وصلِّ وطفْ بمكة زائرًا سبعين لاسبعاً ، فلست بناسكِ
جَهِلَ الديانة مَنْ إذا عرضت له أطماعه لم يُلفَ بالمتماسك

قتل الأَفراد ، وقتل الأُمم ، للمرحوم أَديب إسحاق :

قَتلُ امرئٍ فى غابةٍ جريمة لا تُغتفرْ
وقتلُ شعب آمنٍ مسأَلةٌ فيها نظرْ
والحقُّ للقوَّةِ لَا يُعطاه إلا من ظفر
هذى حالة الدنيا فكن من شرِّها على حذَرْ

الوطن لابن الرومى :

وطنٌ به صحِبت الشبيبة والصبا ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديد
فإذا تمثل فى الضمير رأَيته وعليه أَغصان الشباب تميد

البنات ، لمعن بن أَوْس :

رأَيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهِنَّ – لانغلو – نساء صوالح
وفيهن والأَيامُ يعثرن بالفتى عوائد لا يمللنها ونوائح

الكرم ، للبستى :

فسامح ، ولاتستوفِ حقك كله وأَبْقِ ، فلم يستقص قط كريم
ولاتغلُ فى شيءٍ من الأَمر واقتصد كِلَا طرَفَىْ قصد الأُمور ذميمُ

وقال الأَمير شكيب أَرسلان :

باللهِ لاتنْدِبوا قتْلِى ، ولاتهنوا بعدى ولاتغرقوا فى النوح والحزن
إن الشهيد لحىٌّ عند خالقه وإنما الميت حقاً خائن الوطن

الدواة ، للمرحوم إسماعيل صبرى باشا :

يا دوَاة اجعلى مِدادَكِ ورداً لوفود الأَقلام حيناً فحينا

وليكن كالزمان حالًا وحالا   تارة آسِينا وأُخرى مَعِينا
أَكرمى العلم وامْنَحى خادميه   ماءَك الغالىَ النفيسَ الثمينا
وابذلى الصافىَ المطهر منه   لهداة السرائر المرشدينا
وإذا الظلم والظلام استعانا   يوم نحس بأَجهل الجاهلينا
واستمد من الشرور مِدادا   فاجعليه فى قسمة الظالمينا
واقذفى النقطة التى بات فيها   غضبُ القاهر المذل كمينا
ليراع امرئٍ إذا خط سطرا   نبذ الحق وارتضى المين دينا
وإذا كان فيك نقطة سوءٍ   كونت من خباثةٍ تكوينا
فاجعليها قسط الذين استباحوا   فى السياسات حُرْمة الأَضعفينا
وإذا خفت أَن يكون من الصخ   ر جلاميدُ ترجمُ السامعينا
فابخلى بالمداد بُخْلا وإن   أَعطيت فيه المئين ثم المئينا
فإن أَعوز المدادُ طبيباً   يصف الداءَ دائباً مستعينا
فامنحيه المُراد مَنًّا وعرفا   واستطيبى معونة المحسنينا
وإذا مهجة الحمائم أَسْدت   نقطة سِرَّها الذكى المصونا
فاجعليها على المودَّات وقفاً   وهبيها رسائل الشيقينا
فإذا لم تكن بقلبك إلا   ما أَعدَّ الإخلاص للمخلصينا
فاجعليه حظى لأَكتب منه   شرح حالى (لسيد المرسلينا)

القمار ، للشيخ نجيب الحداد ، من قصيدة طويلة :

لكلّ نقيصة فى النار عار   وشرٌّ مصائب المرء القمار
هو الداءُ الذى لا بُرْءَ منه   وليس لذنب صاحبه اغتفار
تشادُ له المنازل شاهقات   وفى تشييد ساحتها الدمار
يصيب النازلين بها سُهَادٌ   وإفلاس فيأْس فانتحار

الوطنية ، للشاعر المطبوع المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، المتوفى سنة ١٩٣٧ م :

بلادى هواها فى لسانى وفى دمى ــ يمجدها قلبى ويدعو لها فمى
ولا خير فيمن لايُحِبُّ بلادَه ــ ولا فى حليف الحبِّ إن لم يُتيم

الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل : للمرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ :

إذا ما سفيهٌ نالنى منه نائلٌ ــ من الذم لم يُحرَج بموقفه صدرى
أعودُ إلى نفسى فإن كان صادقاً ــ عتبت على وأصلحت من أمرى
وإلا فما ذنبى إلى الناس إن طغى ــ هواها فما ترضى بخير ولا شَرِّ

النفس الأَبية : للشاعر الكبير أحمد نسيم :

ولم أدرعْ بالذُّلِّ شيمةَ حازم ــ عن العز والعلْيَاءِ لا يتنكب
كذا أنا يا نفسى ، فكونى أبية ــ وما لك إلا مذهب الفضل مذهب

الجمال : لشاعر النجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشبيبى :

لقد عصفت بالمكرمات زعازعٌ ــ وعفت رسومَ الأكرمين رياحُ
إذا أظلمت أخلاقنا وتجهمت ــ فهل نافعٌ أن الوجوه مِلَاح

الأَدب : للمرحوم محمد إمام :

لم يثبت الخير مال ولانسب ــ إنما الخير كل الخير فى الأَدبِ
مزيةٌ تملأُ الدنيا محاسنها ــ سلم لكمال الفضل والحسبِ

الحكام : للمرحوم السيد توفيق البكرى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ :

حُكم الأُلى يحكمون الناس يُضحِكنى ــ وسوءُ فعلهم فى الناس يُبْكينى
ما الذئب قد عاث بين الضأن أفتك من ــ هذى الولاة بهاتيك المساكين

نشر العلم : لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزهاوى :

إذا كان نشر العلم ذنباً معاقباً ــ عليه فإنى أشهد الله مذنب

الثبات على المبدإ : لشاعر الشام أسعد رستم :

لا بدَّ للمرءِ مما ليس يرضيه إذا تداخلَ فيما ليس يعْنيه
فابدأ بتحسين مبدأ أنت صاحبه فالمرءُ يعرف أصلا من مباديه

طلب المحال : للشاعر الجليل أحمد محرم :

صرفتُ رجائى عن مطالب جمة وليس الذى يَرْجُو المحال بكيس
أقول لنفسى والأسى ليثيرها : مكانك إن النفس بالنفس تأتسى

وقال محمد بن بشير فى الصبر الجميل :

إن الأُمور إذا انسدت مسالكها فالصبر ينفق منها كل ما ارتتجا
لا تيأَسنَّ وإن طالت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى مصبر أن يحظى بحاجته ومُدْمِنُ القَرْعِ للأَبواب أن يلجا
قدِّرْ لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرَّةٍ زلجا
ولا يَغرَّنكَ صفو أنتَ شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا

وقال الأَضبط بن قريع فى الأدب العام :

لكلِّ ضيق من الأمر سعَهْ والصُّبْح والمسا لا فلاح معهْ
قد يجمع المال غيرُ آكله ويأكل المالَ غيرُ من جمعهْ
ويقطع الثوبَ غيرُ لابسه ويلبس الثوبَ غير من قطعهْ
فاقبل من الدَّهرِ ما أتاكَ به من قَرَّ عيناً بعيشه نفعه
وصِلْ حبال البعيدِ إنْ وَصْلَ الـ حبل ، وأقْصِ القريبَ إن قطعه
ولا تُعادِ الفقير علَّك أنْ تركع يوماً والدهر قد رفعه

وقال عبيد بن الأَبرص الأَسدى أحد فحول شعراءِ الجاهلية فى الصبر :

صبر النفس عند كل مُلِم إن فى الصبر حِيلة المحتال
لاتضيقنَّ بالأُمور فقد تكـ شفُ غماؤها بغير احتيال

الباب الثانى عشر فى الصبر والتأنى

تصبَّر فنى اللأواءِ قد يحمد الصبر ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر
وإن الذى أَبلى هو العون فانتدب جميل الرضا يبقى لك الذكر والأَجر
وثق بالذى أَعطى ولاتك جازعاً فليس بحزم أن يروعك الضر
فلا نعم تبقى ولا نقم ولا يدوم كلا الحالين عُسر ولا يُسر
تقلب هذا الأَمر ليس بدائم لديه مع الأَيام حُلوٌ ولا مر

اصبر على مضض الإدلاج فى السحر وفى الرواح إلى الطاعات فى البكر
إنى رأَيت فى الأَيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأَثر
وقل من جد فى أَمر يؤَمِّله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

عليك بإظهار التجلد للعِدَى ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أَما تنظر الريحان يشمم ناضراً ويطرح فى البيدا إذا ما تغيرا

صبراً على نُوب الزما ن وإن أَبى القلب الجريح
فلكلِّ شيءٍ آخر إما جميل أَو قبيح

الدهر أَدبنى والصبر ربانى والقوت أَقنعنى واليأس أَغنانى
وحنكتنى من الأَيام تجربة حتى نهيت الذى كان ينهانى

إنى رأَيت الصبر خير مُعوَّل فى النائبات لمن أَراد معوَّلا
ورأَيت أَسباب القناعة أَكدت بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا
فإذا نبا بى منزل جاوزته وجعلت من غيره لى منزلا
وإذا غلا شيءٌ علىّ تركته فيكون أَرخص ما يكون إذا غلا

إذا ما أَتاك الدهر يوما بنكبة فأَفرغ لها صبراً وأَوسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عُسرا

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه ويحمد منه الصبر فيما يُصيبه
فمن قل فيما يتّقِيه اصطباره لقد قل فيما يرتجيه نَصيبه

اصبر قليلا فبعد العُسر تيسير وكل وقت له أمر وتدبير
وللمهيمن فى حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير

واصبر ففى الصبر خير لو علمت به لكنت باركت شكرًا صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تَصطبرَ كرماً صبرت قهرًا على ما خُطَّ بالقلم

كن حليما إذا بُليت بغيظ وصبورًا إذا أتتك مُصيبه
فالليالى من الزمان حبالى مُثقلات يَلِدْنَ كل عجيبه

تصبر أيها العبد اللبيب لعلك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات وإن تناهت يكون وراءها فرج قريب

أيا صاحبي إن رمت أن تكسب العُلا وترقى إلى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة فما صابر فيما يَرُوم بنادم

بنى الله للأخيار بيتاً سماؤه هموم وأحزان وحيطانه الصبر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

اصبر قليلا وكن بالله مُعتصما لا تعجلنَّ فإن العجز بالعجَلِ
الصبر مثل اسمه فى كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العَسَل

إذا جرحت مساويهم فؤادى صبرت على الإساءة وانطويتُ
وجئت إليهم طَلْق المحيا كأنى لا سمعتُ ولا رأيتُ

تأن ولا تضق للأمر ذرعاً فكم بالنجح يظفر من تأنى
تأن فحيثما المرءُ تأنى ينل نجحاً ويُدْرك ما تمنى

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً لعَلَّ له عذرًا وأنت تلوم

الباب الثالث عشر فى الصدق

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق   واحذر من الكذب المذموم فى الخلق

عليك بالصدق ولو أنه   أحرقك الصدق بنار الوعيد

عليك بالصدق فى كل الأُمور ولا   تكذب فأَقبح ما يزرى بك الكذبُ

الباب الرابع عشر فى الكذب

لى حيلة فيمن يَنـ   ـمُّ وليس للكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو   ل فحيلتى فيه قليله

نعم نعم إنما النمام ذو ضرر   لكنما الكاذب الجانى أَشد ضرر
أَخو النميمة إن يسمع ينم ومن   يكذب يقل مايشاءُ قولا بغير أَثر
لذاك لى حيلة فى من ينم وما   لى حيلة فى كذوب ملء فيه شرر

لى حيلة فى من ينم فإننى   أَطوى حديثى دونه وخطابى
لكنما الكذاب يخلق قوله   ما حيلتى فى المفترى الكذاب

لايكذب المرءُ إلا من مهانته   أَو فعله السوء، أَو من قلة الأَدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة   من كذبة المرءِ فى جد وفى لعب

إياك من كذب الكذوب وإفكه   فلرُبما مزج اليقين بشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه   وبصمته وبكائه وبضحكه

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يزل   لدى الناس كذاباً ولو كان صادقاً
فإن قال لم تصغ له جلساؤه   ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا

الباب الخامس عشر فى التواضع

إن شئت أَن تبنى بناءً شامخاً   يلزم لذا البنيان أُسٌّ راسخ
إن البناءَ هو الكمال وأُسه الـ   صخرى فهو الاتضاع الباذخ

تواضع لرب العرش علك ترفعُ فما خاب عبد للمهيمن يخضع

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

إذا شئت أن تزداد قدرًا ورفعة تواضع واترك الكبر والعجبا

تواضع إذا ما نلت فى الناس رفعة فإن رفيع القوم من يتواضع

الباب السادس عشر فى الكرم والكرماء

ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيثُ مالا

فتى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

أبى الجود فى الدنيا سواك لأنه تفرع من جود وأنت أبو الجود

إن الكريم الذى لا مال فى يده مثل الشجاع الذى فى كفه شلل
والمال مثل الحصى مادام فى يدنا فليس ينفع إلا حين ينتقل

لو أشبهتك بحار الأرض فى كرم لأصبح الدر مطروحا على الطرق
أو أشبه الغيثُ جودًا منك منهملا لم ينج فى الأرض مخلوق من الغرق

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت إذا جدت ضاحك أبدًا وهو إذا جاد دامع العين

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء
فنوال الأمير بدرة مال ونوال الغمام قطرة ماء

الباب السابع عشر فى البخل والبخلاء

يفنى البخيل بجمع المال مُدَّته وللحوادث والأيام ما يدعُ

كدودة القز ما يبنيه يهدمها وغيرها بالذى تبنيه ينتفع
إن هذا الفتى يصون رغيفاً ما إليه من ناظر من سبيل
فى جراب فى جوف تابوت موسـ ى والمفاتيحُ عند ميكائيل

شرابك مختُوم وخُبزُك لايُرَى ولحمك بين الفرقدين معلق
نديمك عطشانٌ وضيفك جائعٌ وكلبك نبَّاح وبابك مُغلق

نوالك دُونه شوك القتاد وخبزك كالثريا فى البعاد
ولو أَبصرْت ضيفاً فى منام لحرَّمتَ الرقاد على العباد

وذى حرص تراهُ يلم وفرا لوارثه ، ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريسته ليأْكلها سواه

حسبى معلمى إن نفع ما الذل إلا فى الطمع
من راقب الله نزع عن سوءِ ما كان صنع
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

أَصبحت أَجوع خلق الله كلهم وأَفزع الناس من خبز إذا وُضِعا
خبز البخيل لمكتوب عليه أَلا لا بارك الله فى ضيف إذا شبعا

إياك والحرص إن الحرص مَتعبةٌ فإن فعلت فراع القصد فى الطلب
قد يرزق المرءُ لم تتعب رواحله ويحرم المرءُ ذو الأَسفار والتعب

إذا كسر الرغيف بكى عليه بكا الخنساء إذ فجعَتْ بصخر
ودون رغيفهِ قلع الثنايا وضربٌ مثل وقعة يوم بدر

تغير إذ دخلتُ عليه حتى فطنتُ فقلت فى عرض المقال
علىّ اليوم نذْرٌ من صيام فأَشرقَ وجهه مثل الهلال

قد شاب رأسى ورأس الدهر لم يشب … إن الحريص على الدنيا لفى تعب

وقال أبو محمد إسحاق الموصلى فى ذم البخل :

وآمرة بالبُخل قلتُ لها اقصرى … فليس إلى ما تأْمرينَ سبيلُ
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى … بخيلا له فى العالمين خليلُ
وإنى رأيت البخل يُزْرى بأهله … فأكرمتُ نفسى أن يقال بخيلُ
ومن خير حالاتِ الفتى لو علمْته … إذا نال شيئاً أن يكون يُنيلُ
عطائى عطاءُ المكثرين تجمُّلاً … ومالى ـ كما قد تعلمين ـ قليل
وكيف أخاف الفقرَ أو أُحرمُ الغنى … ورأْىُ أمير المؤمنين جميل

* * *

الباب الثامن عشر

فى وصف الدنيا

يا من عاش فى الدنيا طويلا … وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى … وجمَّع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفوا … أليس مصيرُ ذاكَ إلى انتقال؟!

إن لله عِباداً فطنا … طلقوا الدنيا وعافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا … أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا … صالح الأعمال فيها سفنا

عجبتُ للمرءِ فى دنياه تُطْمِعُهُ … فى العيش والأجل المحتوم يقطعهُ
يمسى ويُصبح فى عشوَاء يخطبها … أعمى البصيرة ، والآمالُ تخدعه
يغتر بالدهر مسرورًا بصحبته … وقد تيقن أن الدَّهْرَ يصرعه
ويجمع المالَ حِرْصاً لا يُفارِقُه … وما درى أنه للغير يجمعه

تراهُ يُشفِق من تضييع دِرْهمه وليس يُشفق من دين يضيعه
وأسوأُ الناس تدبيرا لعاقبة من أنفق العمر فيماليس ينفعهُ

ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها وسيق إلينا عذْبُها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا باطلا كما لاح فى ظهر الفلاة سرابُها
وما هى إلا جيفةٌ مستحيلة عليها كِلابٌ همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سِلماً لأَهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأُمور فإنها حرام على نفس التقِّى ارتكابها

ومن يحمد الدنيا لشىء يسُرُّه فسوف لعمرىعن قليل يلومها
إذا أَدبرت كانت على المرء حسرة وإن أَقبلتْ كانت كثيراً همومها

هى الدنيا تقول بملء فيها حذارِ ! حذارِ ! من بطشى وفتكى
فلا يغرُركمو منى ابتسامٌ فقولى مضحك والفعل مبكى

ياخاطب الدنيا الدَّنية إنها شرك الرَّدى وقرارة الأَقذار
دار متى ما أَضحكت فى يومها أَبكت غدا ، تبًّا لها من دار

الباب التاسع عشر

فى الأَسرار

ولستُ بمبد للرجال سريرتى ولا أَنا عن أَسرارهم بسؤول

لا يكتم السِّرَّ إلا كل ذى ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم
فالسر عندى فى بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والبابُ مختومُ

صن السر عن مُستخبر وحاذر فما الرأْي إلا الحذر

أَسيرُك سرك إن صنته وأَنت أَسير له إن ظهر

كل علم ليس فى القرطاس ضاع كل سر جاوز الإثنين شاع

إذا لم يكن فى الورى صاحب وفيه ثلاث خصال حميده
وفاءٌ ، وسر ، وحفظ الولاء فصحبته قط ليست مفيده

الباب العشرون

فى اللسان

لا يُعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أَصيلا
إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

يُصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرءُ من عثرة الرِّجلِ
فعثرته فى القول تُذهِبُ رأْسه وعثرته بالرجل تبرًا على مهل

احفظ لسانك أَيها الإنسان لا يلدَغنك ، إنه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه كانت تهابُ لقاءه الشجعان

الصمت زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
فإذا ندمت على سكوتك مرة فلتندمنَّ على الكلام مرارا

عوِّد لسانك قول الخير تنجُ به من زلة اللفظ أَو من زلة القدم
واحذر لسانك من خِلٍّ تنادمه إن النديم لمشتقٌّ من الندم

الباب الحادى والعشرون

فى المعاشرة

إذ المرءُ لا يرعاك إلا تكلفاً فدعه ولا تُكثر عليه التأَسفا
ففى المرء أَبدال وفى الترك راحة وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة فلا خير فى ودٍ يجىء تكلفاً
ولا خير فى خِلٍّ يخون خليله ويلقاه من بعد المودَّة بالجفا
وينكرُ عيشاً قد تقادم عهده ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا
سلامٌ عَلى الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق الوعد منصفا

صافِ الكرام فخير من صافيتَه مَن كان ذا أدبٍ وكان ظريفا
واحذرْ مواخاة اللئيم فإنه يُبدى القبيح ويُنكر المعروفا
إن الكريم وإن تضعضع حاله فالخلقُ منه لا يزال شريفا
الناس مثل دراهمٍ قلبتْها فأَصبت منها فضة وزيوفا

ولن يصحبَ الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الغىُّ إلا أن تصاحب غاوياً وما الرشد إلا أن تصاحب ذا رشد

أخو الفسق لايغررك منه توددٌ فكل حبال الفاسقين مهين
وصاحب إذا ما كنت يوما مصاحباً أخا ثقة بالغيب منك أمين

اجعل قرينك من رضيت فعالهُ واحذرْ مقارنة اللئيم الشائن
كم من قرين شائنٍ لقرينه ومُهجَّنٍ منه لكل محاسن

وعينك إن أبدت إليك مساوياً من الناس قل ياعينُ للناس أعين
وعاشرْ بمعروف وكن متودِّدًا ولا تلقَ إلا بالتى هى أَحسنُ

الباب الثانى والعشرون

فى القناعة

وأكل كُسيرة فى جَنب بيْتى أَحبَّ إلىَّ من أكل الرغيف
ولُبْس عباءة وتقرَّ عينى أَحب إلىَّ من لبس الشفوف

هى القناعة فالزمها تعِش ملكا لو لم يكن منك إلا راحة البدنِ
وانظر لمن ملك الدنيا بأَجمعها هل راح منها بغير القطن والكفنِ

قنعت بالقوتِ من زماني وصُنتُ نفسي عن الهوان
خوْفاً من الناس أن يقولوا فضلُ فلان على فلان
من كنتُ عن ماله غنيًّا فلا أُبالى إذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص رأيته بالتى رآنى
ومن رآنى بعين تمٍّ رأيته كامل المعانى

إذا المرءُ عُوفىَ فى جسمه وملكه الله قلباً قنوعاً
وألقى المطامع عن نفسه فذاك الغنىُّ ولو مات جوعا

النفس تجزعُ أن تكون فقيرةً والفقر خيرٌ من غنى يُطغيها
وغنى النفس هو الكفاف فإن أَبت فجميعُ ما فى الأَرض لايكفيها

إن القنوع نفيسُ النفس راشدُها وهو الغنىُّ الذى يحيا بلا نصب
وذو المطامع مغرورٌ ومفتقر ولو حوى ملك سلطان وعلم نَبى

أَفادتنى القناعة كلَّ عزّ وهل عزٌّ أَعزٌّ من القناعة

ولقد طلبتُ رضا البرية جاهدًا فإذا رضاهُم غايةٌ لا تدْركُ
وأرى القناعة للفتى كنزًا له والبر أفضل ما به يتمسك

الباب الثالث والعشرون

فى الحسد

تخلق الناس بالأَدناس واعتمدوا من الصفات الدها والمكر والحسدا
كرهت منظرهم من سوءِ مخبرِهم قد تعاميتُ حتى لا أَرى أَحدا

اصبرْ على كيد الحسو د فإن صبرك قاتلُه
فالنار تـأْكل نفسها إن لم تجد ما تـأْكله

دع الحسودَ وما يلقاه من كمدٍ يكفيك منه لهيبُ النار فى كبِدِه
إن لُمتَ ذا حسد نفست كُربته وإن سكتَّ فقد عذبته بيدِه

أيا حاسدًا لى على نعمتى أتدرى على من أسأْت الأَدب
أَسأْت على الله فى حكمه لأَنك لم ترض لى ما وهب
فأَحمد ربى بأَن زادنى وسدّ عليك وجوه الطلب

إن شئت قتل الحاسدين تعمدًا من غير مُدْيات عليك ولا قود
وبغير سم قاتل وصوارم وعقاب رب ليس يغفل عن أَحد
عظِّم تجاه عيونهم محسودهم فتراهموا موقى النفوس مع الجسد

الباب الرابع والعشرون

فى الحلم

أَلا إن حلم المرءِ أَكرم نسبة تسامى بها عند الفخار حليم
فيارب هب لى منك حلماً فإننى أَرى الحلم لم يندَم عليه كريم

ولا خيرَ فى حلم إذ لم يكن له بوادر تحمى صفوه أَن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أَورد الأَمر أَصدرا

إذا كنت محتاجا إلى الحلم إننى إلى الجهل فى بعض الأَحايين أَحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاءَ تقويمى فإنى مقوَّم ومن شاءَ تعويجى فإنى معوج
وما كنت أَرضى بالجهل خِدناً وصاحباً
ولكننى أَرضى به حين أُحرج

إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئا وخيِّرت أَنى شئت فالحلم أَفضل
ولكن إذا أَنصفت من ليس منصفا ولم يرض منك الحلم فالجهل أَمثل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أَن عين السُّخط تبدى المساويا
ولست بهياب لمن لا يهابنى ولست أَرى للمرءِ ما لا يرى ليا
فإن تدن منى تدن منك مودتى وإن تنأَ عنى تلقنى عنك نائيا
كلانا غنىٌّ عن أَخيه حياته ونحن إذا متنا أَشد تغانيا

الباب الخامس والعشرون

فى الحماقة

لكل داءٍ دواءٌ يستَطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

لا تيأسن من اللبيب وإن جفا ... واقطع حبالك من حبال الأحمق
فعداوةٌ من عاقل متجمل ... أولى وأسلم من صداقة أخرق

الباب السادس والعشرون

فى الوطن

قال ابن الرومى :

ولى وطن آليت ألا أبيعه ... وألا أرى غيرى له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعما ... بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبَّب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصِّبا فيها فحنوا لِذالكا
وقد أَلِفته النفس حتى كأنه ... لها جسدٌ إن بان غودر هالكا

الباب السابع والعشرون

فى المال

إن الدراهم كالمرا ... هم تجبر العظم الكسيرا
لو نالهن ثعيلب ... فى صبحه أضحى أميرا

إن قل مالى فلا خل يصاحبنى ... وإن زاد مالى فكل الناس خلانى
فكل عدو لأجل المال صاحبنى ... وكم صديق لفقد المال عادانى

لعمرك إن المال يجعل الفتى ... سريا وإن الفقر بالمرء قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى ... ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وإذا رأيت صعوبة فى مطلب ... فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فإنه ... حجر يليِّن قسوة الأحجار

الناس أتباع من دامت له نِعِم والويل للمرءِ إن زلتْ به القدم
المال زَين ، ومنْ قلتْ دراهمه حيٌّ كمن مات إلا أنه صنم
لما رأيت أخلائى وخالِصتى والكلُّ مُسْتتِرٌ عنى ومُحْتشِم
أبدوا جفاءً وإعراضاً فقلت لهم : أذنبت ذنباً ؟ قالوا : ذنبك العدم

فصاحة حسَّان وخط. ابن مُقْلة وحِكمة لُقمان وزُهد ابن أدهم
إذا اجتمعت فى المرءِ والمرءُ مُفْلس ونُودِى عليه لا يُبَاعُ بدرهم

إذا كنت فى حاجة مُرْسِلاً وأنت بها كَلِفٌ مُغْرمُ
فأرسِلْ حكيما ولا تُوصِهِ وذاك الحكيم هوَ الدرهم

أظهرُوا للناس زهْدًا وعلى الدينار داروا
ولهُ صامُوا وصلوا وله حجُّوا وزاروا

المالُ يفرقُ بين الأمِّ والولد فذاك أدنى نسيب عند كلِّ يد
عهدى به خادماً كالعبد تملكه فما لعيْنِى تراه سيد البلد ؟

مالٌ يميل إلى الإنْسان من صغَر وكلما شبَّ شَبَّ الحب فى الكبد
لو يجمع الله ما فى الأَرض قاطبة عند امرىءٍ لم يقُلْ حسْبى فلا تزد
كلٌّ يروح من الدنيا الغرور كما أتى بلا عدد منها ولا عُدد
لو كان يأْخذ شيئاً قبلنا أحد لم يبق شىءٌ لنا من سالف الأَمد

إذا المرءُ لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذى هو مالكه
ألا إنما مالى الذى أنا مُنْفِقٌ وليس لىَ المال الذى هو أنا تاركه

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاهُ أنواعَ الكلام فقالا
وتقدَّم الإخوان فاستمعوا لَهُ ورأيتهُ بين الورَى مُخْتالا
لولا دراهمه التى يزهو بها لوجدته فى الناس أسوأَ حالا
إن الغنىَّ إذا تكلم بالخطا قالوا صدقتَ وما نطقت محالا

أما الفقير إذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
إنّ الدراهمَ فى المواطن كلها تكسو الرجال مَهابة وجمالا
فهى اللسانُ لمن أراد فصاحة وهى السلاح لمن أراد قتالا

الباب الثامن والعشرون فى السياحة والغربة

وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدع المقام وبادرِ التحويلا
ليس المقام عليك فرْضاً واجباً فى بلدة تدع العزيز ذليلا

تنقَّل فلذات الهوى فى التَّنَقلِ وَرِدْ كل صافٍ ولاتقف عندمنهل
ففى الأَرض أَحبابٌ وفيها مَناهل فلا تبكِ من ذكرى حبيب ومنزل

تغرب عن الأوطان فى طلب العلا وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج هم ، واكتساب معيشة ، وعلم ، وآداب ، وصحبة ماجد
وإن قيل فى الأَسفار ذل ومحنة وقطع الفيافى واكتساب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واشٍ وحاسد

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأَهل فى حرق
مَنْ ذَلَّ بين أهاليه ببلدته فالاغتراب له مِنْ أَحْسَنِ الْخُلق
الكحل نوع من الأَحجار مُنطرحا فى أرضه كالثرى يُرْأَى على الطرق
لما تغرَّب نال العز أجمعه وصار يُحمل بين الجفن والحدق

مافى المقام لذى عقْل وذى أدب من راحة فدع الأَوطان واغترب
سافر تجد عِوضاً عمن تصاحبه وانْصَبْ فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يُفسِدُهُ إن سَالَ طابَ وإن لم يجْرِ لم يَطب
والأُسد لولافراق الغاب ماقنصت والسهم لولافراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب
والبدر لولا أُفول منه ما نظرت إليه فى كل حين عين مرتقب
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه والعود فى أرضه نوع من الحطب

فإن تغرَّب هذا عز مطلبهُ ... وإن أقام فلا يَعلو على رتب

إذا ما ضاق صدرك من بلاد ... فارحل طالباً أرضاً سواها
عجبتُ لمن يقيمُ بأرض ذل ... وأرض الله واسعةٌ فضاها
فذاك من الرجال قليل عُقل ... بليدٌ ليس يعلم ما طحاها
فنفسك فُزْ بها إن خفتَ ضيما ... وخلِّ الدار تنعى من بناها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض ... ونفسك لم تجد نفْسا سواها
ومن كانت منيته بارض ... فليس يموت فى أرض سواها

وقال الحريرى فى الحث على السفر من آخر مقامة له :

لا تقعدنَّ على ضر ومَسْغبة ... لكى يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل أرض معطلة ... من النبات كأرض حفها الشجر
وجانبن ما يشيرُ الأغبياء به ... فأىُّ فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ... إلى الجناب الذى يهمى به المطر
واستنزل الرى من در السحاب فإن ... بلت يَداك به فلينهك الظفر

بلادُ الله واسعة فضاء ... ورِزْقُ الله فى الدنيا فسيح
فقُلْ للقاعدينَ على هوَان ... إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

إذا رأيت الرزق ضاق ببلدة ... وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فارحل فأَرْض الله واسعة الفضا ... طولا وعرضاً ، شرقها والمغرب

إذا ما كنت فى قوم غريباً ... فعاملهم بفعل يستطاب
ولا تحزن إذا فاهُوا بفحش ... غريبٌ الدار تنبحه الكلاب

وما طلبُ المعيشة بالتمنى ... ولكن ألق دلْوك فى الدلاء
يجىءُ بمائها طورًا وطورًا ... يجىءُ بحمأةٍ وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمنى ... تحيلُ على المقدَّر والقضاء

فإن مقادر الرحمن تجرى بأَرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

الباب التاسع والعشرون

في الغدر

لا أَشتكى زمنى هذا فأَظلمه وإنما أَشتكى من أَهل ذا الزمن
هم الذئابُ التى تحت الثياب فلا تكن إلى أَحد منهم بمؤتمن

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحباً بعد صاحب
فلم ترنى الأَيام خلا تسرنى مباديه إلا ساءنى فى العواقب

إنى بلوتُ الناس أَطلبُ منهم أَخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أَرَ فيما ساءنى غير شامت ولم أَرَ فيما سرنى غير حاسدِ

وقال على بن الجهم وهو مسجون :

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى حبسى وأَى مهند لا يغمدُ
فالشمس لولا أَنها محجوبة عن ناظريك لما أَضاءَ الفرقدُ
والبدر يُدركه السرار فتنجلى أَيامه وكأَنه مُتَجدّدُ

الباب الثلاثون

فى الدعاءِ الختام

أَرانى الله وجهك كل يوم صبحا للتَّيمُّن والسرور
وأُمتعُ مقلتىَّ بصفْحتَيه لأَقرأَ الحسن من تلك السطور

بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ وطودُك ممدود وبابك عامرُ
يود سناك البدرُ والبدر زاهرٌ ويقفو نداك البحرُ والبحرُ غامرُ
وهنئت أَياما تَوَالت سعودها كما تتوالى فى العقود «الجواهرُ»

يقول مؤلفه : فرغت من تأليفه وترتيبه فى ربيع الأول سنة ألف وثلثمائة وخمس عشرة هجرية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية .

فهرست

الجزء الاول من كتاب جواهر الادب

فهرس الجزء الثاني